إيفا إيلوز

نهاية الحب

سوسيولوجيا العلاقات السلبية

@ketab_n

FIFA WORLD CUP Qatar2022
24.11.2022

ISBN 978 THE END OF LOVE

A SOCIOLOGY OF NEGATIVE RELATIONS

ترجمة: جلال العاطي ربي

صفحة 7

The End of Love

« A Sociology of Negative Relations »

Eva Illouz

نهاية الحب

« سوسيولوجيا العلاقات السلبية »

إيفا إيلوز

ترجمة: جلال العاطي ربي

صفحة 7

صفحة
7

الكتاب
نهاية الحب

المؤلف
إيفا إيلوز

الطبعة الأولى: 2022
الترقيم الدولي:
978-603-8387-00-9
رقم الإيداع:
1444/329

E-mail: admin@page-7.com
Website: www.page-7.com
Tel.: (00966)583210696
العنوان: الجبيل، شارع مشهور،
المملكة العربية السعودية

إهداء

إلى أبنائي نيتانيل، وإيمانويل، وأميتاي

إلى أمي آليس،

إلى أخوي مايكل ومارك، وأختي ناثالي

الذين لا يمكن للسابقة «لا» أن تنطبق عليهم البتة.

«لست سوى كاتب مقالات، أرغب في أن يتحدث عملي عن معنى أن تكون شخصًا يعيش هنا والآن.»

مارك كوين[1].

«فهم أن تكون تدميريا/ تخريبيا، يعني المرور من الفردي إلى الجمعي.»

عبد المالك، سيزير (برازافيل عبر وجدة)[2].

لا أسأل الناس عن الاشتراكية، ولكن عن الحب، والغيرة، والطفولة، والشيخوخة. [...] إنها الطريقة الوحيدة لتعقب الكارثة في إطار عادي بسيط ومحاولة سرد شيء ما.

سفيتلانا أليكسيفيتش، نهاية الرجل الأحمر[3].

---

(1) أوردته سافورا سميث:

« Marc Quinn : Evolving As an Artist and Social Chronicler », *New York Times*, 13 août 2015, http://www.nytimes.com/2015/08/14/arts/marc-quinn-evolving-as-an-artist-and-socialchronicler.html?_r=0, consulté le 9 septembre 2016.

(2) « Understand that to be subversive is to move from the individual to the collective.»

انظر بخصوص هذا الموضوع:

Adb Al Malik, "Césaire (Brazzaville via Oujda)," https://genius.com/Abd-al-malik-cesaire-brazzaville via-oujda-lyrics, accessed February 13, 2018.

(3) مقتبس من:

Alison Flood, 2016. "Nobel Laureate Svetlana Alexievich Heads Longlist for UK's To Nonfiction Award," The Guardian, September 21, 2016, accessed February 13, 2018 https://www.theguardian.com/books/2016/sep/21/nobel-laureate-longlist-for-uks-top-nonfictionaward-baillie-gifford.

فهرس المحتويات

الفصل الأول

اللاحب: مدخل إلى سوسيولوجيا الاختيار السلبي

«ينبغي أن نكافح دائما كيما نرى أبعد من أرنبة أنوفنا.»
جورج أورويل[4]

لقد صوَّرت الثقافة الغربية باستمرار كيف يداهم الحب بأعجوبة حياة الرجال والنساء، هذه اللحظة الأسطورية التي نعرف فيها أن شخصًا ما قد قدر لنا دون سوانا من الناس، هذا الترقب المحموم لمكالمة هاتف أو رسالة إيميل، هذه الرعدة التي تسري في كياننا بمجرد التفكير في ذلك أو تلك التي نحب. أن تكون عاشقا يعني أن تصير تلميذا من تلامذة أفلاطون، ويعني أن ترى في شخص معين تمظهر أو تجلي فكرة تامة وكاملة[5]. لا عد ولا حصر للروايات، والقصائد، والأفلام

(4) George Orwell, "In Front of Your Nose," The Collected Essays, Journalism and Letters of Georg Orwell (1946; New York: Harcourt, Brace & World,1968).

(5) من أجل تحليل أكثر إسهابا لنظرية المثل الأفلاطونية انظر:
Russell M. Dancy, Plato's Introduction of Forms, Cambridge, Cambridge University Press, 2004 ; Gail Fine, Plato on Knowledge and Forms : Selected Essays, Oxford, Oxford University Press, 2003.

التي تعلمنا فن أن نصير من تلامذة أفلاطون وأن نهيم بالكمال المتجلي في كائن شغفنا حبا. ومع ذلك، فإن هذه الثقافة التي في جعبتها الكثير لتقوله عن الحب ينعقد لسانها بالمرة حينما يتعلق الأمر باستحضار اللحظة التي لا تقل غموضا وإلغازًا، حين نتلافى الوقوع في الحب، أو لما نتوقف عن الحب، أو عندما نصبح غير مكترثين للذي أو التي أسهرتنا الليالي، أو حين نأخذ في التهرب من أولئك الذين خلبوا ألبابنا لبضعة أشهر، وربما لبضعة ساعات لا أكثر. إن هذا الصمت لهو من الغرابة والتحيير بمكان، حدَّ أن عدد العلاقات التي تنحل بعد أن بدأت بزهاء قليل أو في مرحلة من خطها العاطفي مذهل حقا.

لربما أن ثقافتنا لم تحسن تمثل هذا السؤال أو التفكير فيه لأننا نعيش في ومن خلال عوالم القصص والحكايات وخيوط الحبكات الدرامية، وأن «**اللاحب**»، من جهته، ليس حبكة ذات بنية سردية واضحة. في أغلب الأحيان، فهو لا يبدأ بحلقة تمهيدية أو مجاهرة. في مقابل ذلك، فإن بعض العلاقات تخمد أو تتبدد قبل حتى أن تبدأ أو بعد وقت قصير على بدئها الفعلي، في حين أن علاقات أخرى تنتهي إثر موت بطيء لا تفسير له[6]. بيد أن «اللاحب» في جعبته الكثير ليقوله من وجهة نظر سوسيولوجية، لأنه يشير إلى الكيفية الجديدة التي تنحلٌّ بها عرى الروابط الاجتماعية، هذه الواقعة، التي منذ صدور كتاب **الانتحار** لإميل دوركايم[7]، يتعين علينا بلا شك النظر إليها كموضوع مفتاحي ومركزي في البحث السوسيولوجي. لكن، في الحداثة المترابطة أو المتشابكة، تتلبس الأنوميا (الفوضى واللاانظام الاجتماعي) – التي تحدد بوصفها انفصام لحمة الروابط الاجتماعية والتضامن الاجتماعي – أشكالا أخرى من غير الاغتراب أو العزلة.

---

(6) هذه الفقرة مأخوذة من مقالي عن اللاحب، انظر:
"The Thrill Is Gone: Why Do We Fall Out of Love?" *Haaretz*, September 7, 2013, https://www.haaretz.com/.premium-why-do-we-fall-out-of-love-1.5329206, accessed February 13, 2018.

(7) Émile Durkheim, *Suicide: A Study in Sociology*, trans. John A. Spaulding and George Simpso (1897; New York: Simon & Schuster, 1997).

وعلى الضد من ذلك، يبدو أن **تدمير** روابط القرب والحميمية (المحتملة أو الواقعية) وثيق الصلة بطفرة الشبكات الاجتماعية وتزايدها، الواقعية والافتراضية، والتكنولوجيا، وجهاز اقتصادي هائل للمساعدات والاستشارات بجميع أنواعها – علماء النفس من مختلف المذاهب والمشارب، ومنشطي البرامج الحوارية، وصناعة البورنوغرافيا والألعاب الجنسية، وصناعة المساعدة الذاتية، والتسوق وفضاءات أخرى للاستهلاك – التي تغذي سيرورة دائمة لخلق وتدمّر الروابط الاجتماعية. إن كانت السوسيولوجيا قد جرت عادتها على تصور الأنوميا بصفتها نتيجة للعزلة والعجز عن الانتماء إلى جماعة أو إلى دين(8)، فعليها أن تأخذ في حسبانها وأن توضح الآن خاصية مضللة عسيرة المنال للروابط الاجتماعية طبعت حداثتنا المسرفة في الاتصال والتشابك: تقلب والروابط الاجتماعية لا ثباتها، عبر ورغم الاستخدام المكثف لشبكات التواصل الاجتماعي، للتكنولوجيا والاستهلاك. يسبر هذا الكتاب الشروط الثقافية والاجتماعية التي تقف وراء سمة غدت عادية في العلاقات الجنسية والرومانسية: واقع أنها وصلت إلى نهايتها، بصورة شبه حتمية. إن **«اللاحب»** هو بالفعل أرض خصبة لنفهم كيف أنَّ شكلًا جديدًا من (اللا) اجتماعية آخذ في التشكل، في مفترق طرق كل من الرأسمالية، والجنسانية، والعلاقات الجندرية والتكنولوجيا.

***

رأى علماء النفس في أنفسهم أنهم أنيطوا بمهمة إصلاح حياتنا الجنسية

---

(8) Wendell Bell, « Anomie, Social Isolation, and the Class Structure », *Sociometry*, 20, no 2, 1957, p. 105-116 ; Émile Durkheim, *Le Suicide, op. cit.* ; Claude S. Fischer, « On Urban Alienations and Anomie : Powerlessness and Social Isolation », *American Sociological Review*, 38, no 3, 1973, p. 311-326 ; Robert D. Putnam, *Bowling Alone : The Collapse and Revival of American Community*, New York, Simon & Schuster, 2001 ; Frank Louis Rusciano, « Surfing Alone : The Relationships Among Internet Communities, Public Opinion, Anomie, and Civic Participation », *Studies in Sociology of Science*, 5, no 3, 2014, p. 1-8 ; Melvin Seeman, « On the Meaning of Alienation », *American Sociological Review*, 24, no 6, 1959, p. 783-791 ; Bryan Turner, « Social Capital, Inequality and Health : The Durkheimian Revival », *Social Theory & Health*, 1, no 1, 2003, p. 4-20.

والرومانسية وتشكيلها وتوجيهها. على الرغم من أنهم قد أفلحوا في بشكل لافت، في المجمل، في إقناعنا بأن تقنياتهم وأساليبهم الشفوية والعاطفية بإمكانها أن تساعدنا على العيش حياة أفضل، فإنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء الانصراف إلا قليلا، أو عدموه، ليمكنونا من فهم ما يعتري حياتنا الرومانسية جميعا. لا ريب أن القصص الكثيرة التي نسمعها في استشارة خاصة عند سيكولوجي لها بنية متكررة، وموضوعات مشتركة تتعالى على فرادة من يسردها. وعلى ذلك، فليس من العسير تخمين الثيمات المتكررة وبنية الشكاوى التي تتناهى إلى آذاننا في تلك المواقف: «لماذا أجد صعوبات بالغة في ربط علاقات حميمة وعاطفية أو المحافظة عليها؟» «أفي هذه العلاقة هلاكي أم أنها جيدة بالنسبة إلي؟» «أعليَّ أن أبقى متزوجة؟» النقطة المشتركة بين هذه الأسئلة، التي يتردد صداها من غير كلل ولا ملل عبر استشارات علاجية تزداد انتشارًا باستمرار على شكل مقابلات استشارية، حلقات تدريبية، كتب المساعدة أو التنمية الذاتية التي تستخدم لتوجيه حياتنا، هي **اللايقين**، لا يقينٌ بعيد الغور ومزعج فيما يهم حياتنا العاطفية، وصعوبة تفسير مشاعرنا وأحاسيسنا أو مشاعر الآخرين وأحاسيسهم، ومعرفة كيف أو على أي أساس نقيم التسويات، ناهيك عما ندين به إلى الآخرين وما يدينون به لنا. وكما عبرت عن ذلك المعالجة النفسية **ليزلي بيل**: «في أثناء المقابلات وفي ممارستي كمعالجة نفسية مع نساء شابات، وجدت بأنهن كن مشوشات للغاية، ليس فقط حول **كيفية** حصولهن على ما يردن، ولكن أيضا حول ما يردن(9).» ومثل هذا التشوش والتحير، مستشر وذائع في داخل مصحات السيكولوجيين كما في خارجها، غالبا ما اعتبر نتيجة ازدواجية النفس الإنسانية، ونتيجة لدخول متأخر إلى سن الرشد، أو أيضا كاضطراب نفسي متولد عن الرسائل الثقافية المتناقضة عن الأنوثة. ومع ذلك، كما سأبيِّن ذلك في ثنايا هذا الكتاب، فإن اللايقين العاطفي الذي يسود في مجالات الحب، والرومانسية والجنس هو، النتيجة السوسيولوجية

(9) Leslie Bell, *Hard to Get: Twenty-Something and the Paradox of Sexual Freedom* (Berkeley University of California Press, 2013).

المباشرة للطرق التي أدمج بها سوق الاستهلاك، والصناعة العلاجية وتكنولوجيا الإنترنت، من خلال إيديولوجيا الاختيار الفردي، الذي بات الإطار الثقافي الرئيس للحرية الشخصية. إن نمط اللايقين الذي يجتاح العلاقات المعاصرة ظاهرة سوسيولوجية: لم تكن موجودة دائما، أو على الأقل ليس إلى هذه الدرجة، ولم تكن ذائعة الانتشار، على الأقل ليس إلى هذه الدرجة؛ لم يكن لها فيما مضى، بالنسبة إلى الرجال والنساء، المحتوى الذي لها اليوم؛ ومن المؤكد أنَّها لم تكن تسترعي انتباه الكثير من الخبراء والميادين المعرفية بجميع مشاربها. إن السمة المبلبلة والملغزة، والمعقدة والمضللة لعدد كبير من العلاقات، ومنشأ السحر السيكولوجي، ليست في الواقع إلا تجسيدا لما يمكننا تسميته بـ «اللايقين» المعمم في العلاقات. فإذا كانت كثير من الحيوات الحديثة تختبر مثل هذا اللايقين، فالسبب لا يكمن في كونية لاوعي في حالة صراع مع نفسه بقدر ما يكمن في عولمة شروط الحياة.

يمثل هذا الكتاب قسمًا آخر من دراسة بدأت منذ عقدين موضوعها التحول الذي أحدثته الرأسمالية وثقافة الحداثة في حياتنا العاطفية والرومانسية. فإذا كان من مبدأ يوجه منذ عشرين عاما سائر أعمالي عن العواطف والانفعالات فهو أنه لا يمكن، بأي حال من الأحوال، أن يترك لعلم النفس وحده مهمة تحليل اختلال الحياة الخاصة والحميمة وتفككها. إذ في جعبة علم الاجتماع بدوره الكثير ليدلي به بخصوص هذه الأسئلة، لا سيما أنه يصر على أن الخبرات النفسية – من حاجات أو دوافع غريزية أو صراعات داخلية أو رغبات أو نوبات قلق – تلعب وتعيد لعب دراما الحياة الجمعية، وبأن خبرتنا الذاتية هي انعكاس وامتداد للبنى الاجتماعية، بما هي بنى ملموسة ومجسدة ومعيشة من خلال العواطف. إننا في أمسِّ الحاجة إلى تحليل الحياة الداخلية تحليلًا غير سيكولوجي، خاصة وأن السوق الرأسمالية والثقافة الاستهلاكية ترغمان الفاعلين الاجتماعيين على النظر إلى قرارة أنفسهم لا بوصفها المجال الواقعي الوحيد من وجودهم فحسب، بل قرارة تمثل

الاستقلالية والحرية والمتعة بجميع أشكالها قيَمها المرجعية(10). لكن، ورغم أننا في ميسورنا أن نختبر أوبتنا أو فزعنا إلى الفردية، والعاطفية والداخلية كفضاءات لتأكيد الذات، فالمفارقة هي أننا ننفذ ونحقق مقدمات ذاتية اقتصادية ورأسمالية، تفكك العالم الاجتماعي وتفقده موضوعيته. ولهذا فإن نقدا اجتماعيا للجنسانية والعواطف يبدو لنا ملحًّا لنقد الرأسمالية نفسها.

إن التقصي الذي أجريه منذ سنين عدة عن الحياة العاطفية والرأسمالية والحداثة قد وصل إلى خلاصته الأولية من خلال الانخراط بقوة أكبر في السؤال الذي طرحته الفلسفة الليبرالية منذ القرن التاسع عشر: أتهدد الحرية إمكانية نسج روابط متينة وملزمة، وروابط رومانسية بوجه أخص؟ في صيغته العامة، فإن هذا السؤال ما فتئ يطرح بإلحاف منذ مئتي سنة، في سياق نهاية الجماعة وصعود علاقات السوق(11). لكننا صادفناه أقل في مجال العواطف، وهذا على الرغم من أن الحرية العاطفية قد أعادت تحديد طبيعة الذاتية والبينذاتية كليا، ولم تكن أقل

(10) Pierre Bourdieu, *Distinction: A Social Critique of the Judgement of Taste*, trans. Richard Nic (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1984); Mary Douglas and Baron Isherwood, *The World of Goods: Towards an Anthropology of Consumption*, vol. 6 (1979; London: Psychology Press 2002); Mike Featherstone, *Consumer Culture and Postmodernism* (London: SAGE Publications 2007); Eva Illouz, *Consuming the Romantic Utopia: Love and the Cultural Contradictions of Capitalism* (Berkeley: University of California Press, 1997); Eva Illouz, *Cold Intimacies: The Makin of Emotional Capitalism* (Cambridge: Polity Press, 2007; Arlie Russell Hochschild, *The Manage Heart: Commercialization of Human Feeling* (Berkeley: University of California Press, 1992); Arli Russell Hochschild, *The Commercialization of Intimate Life: Notes from Home and Work* (Berkeley University of California Press, 2003); Axel Honneth, "Organized Self-realization Some Paradoxes of Individualization," *European Journal of Social Theory* 7, no. 4 (2004): 463–478; Micki McGee, *Sel help, Inc.: Makeover Culture in American Life* (New York: Oxford University Press, 2005); An Swidler, *Talk of Love: How Culture Matters* (Chicago: University of Chicago Press, 2003).

(11) Milton Friedman, *Capitalism and Freedom* (1962; Chicago: University of Chicago Press, 2009 Friedrich August Hayek, *The Road to Serfdom: Text and Documents: The Definitive Edition*, ed Bruce Caldwell (1944; New York: Routledge, 2014); Karl Polanyi, *The Great Transformation: Th Political and Economic Origins of Our Time* (1944; Boston: Beacon Press, 1944).

مركزية في الحداثة من أشكال أخرى للحرية. كما أنها ليست خلوا من ضروب الالتباس والغموض ومن المعضلات (aprias).

الحب بما هو حرية

الحب - بما هو عاطفة اندماج واتحاد بامتياز - ينطوي، للمفارقة، على جزء من التاريخ الطويل والمعقد للاستقلالية الذاتية والحرية، لكن غالبا ما تمَّ النَّظر إلى هذا التاريخ من زاوية سياسية. لنأخذ على سبيل المثال نوع الكوميديا الرومانسية - الذي ظهر مع اليوناني ميناندروس، واستمر مع الرومان (مسرحيات بلوتوس أو تيرانس) وازدهر في عصر النهضة - كان يركز اهتمامه على الحرية التي ينادي بها الشباب آباءهم وأوصياءهم والرجال الأكبر سنًّا. أمَّا في الهند والصين، فقد كانت قصص الحب والعشق مسنودة بقيم دينية حيث الحب جزء لا يتجزأ من حياة الآلهة ولا يتعارض بما هو كذلك مع السلطة الاجتماعية، وفي أوروبا الشرقية (وأوروبا الغربية إلى حد ما) والولايات المتحدة الأمريكية تجرد الحب شيئا فشيئا من الكوزمولوجيا الدينية ليترسخ في النفوس على يد نخب أرستقراطية باحثة عن أسلوب حياة خاص[12]. وبالتبعة، فقد أصبح الحب الذي كان موجها إلى الآلهة فيما مضى[13]، الموجه الرئيس لفردانية عاطفية في طور التشكل[14]، فردانية توجه

(12) كما ألفتت إلى ذلك بياتريس سميدلي (في رسالة خاصة) ليست جميع قصص الحب في الهند (أسطورة شاكانتالا وفقا كاليداسا في القرن الرابع أو الخامس، فضلا عن الكاماسوترا) والصين (الجسد بوصفه سجادة صلاة لصاحبها لي يو، في القرن السابع عشر) كلها قصصا متشربة بالقيم الدينية، هذا ناهيك عن قصة غنجي التي ألفها موراساكي شيكيبو (القرن الحادي عشر، اليابان). وبالمثل، في الغرب تزامن وجود تراث رومانسي لا ديني مع التراث الذي أرسته المسيحية: سافو، كاتولوس، أوفيد، رونسار، وبيترارك وجدوا مصادر إلهامهم في الميثولوجيا الكلاسيكية.

(13) Howard R. Bloch, *Medieval Misogyny and the Invention of Western Romantic Love* (Chicago: University of Chicago Press, 1992); Karen Lystra, *Searching the Heart: Women, Men, and Romantic Love in Nineteenth-century America* (New York: Oxford University Press, 1989); Steven Seidman, *Romantic Longings: Love in America, 1830–1980* (New York: Routledge, 1991); Irving Singer, *The Nature of Love*, vol. 3, *The Modern World* (Chicago: University of Chicago Press, 1989).

(14) من الغريب أن ماكس فيبر قد أغفل هذه الواقعة في دراسته الضخمة عن المسارات الثقافية

المشاعر والعواطف نحو شخص أدركت باطنيته على أنها مستقلة عن المؤسسات الاجتماعية. وشيئا فشيئا أخذ الحب يصمد في وجه قوانين الزواج بين أفراد نفس القبيلة، وفي وجه السلطتين البطريركية والكنسية، وفي وجه الرقابة أو التحكم الذي تمارسه الجماعة. في رواية عرفت نجاحا منقطع النظير في القرن الثامن عشر مثل رواية **جولي أو إيلواز الجديدة** (1761) أُثيرَ سؤال حق الفرد في التعبير عن مشاعره، ومن ثم الحق في اختيار موضوع حبه أو حبها والزواج حسبما يتمنى ويأمل (تتمنى وتأمل). يمثل كل من الحياة الباطنية، والحرية، والعواطف، والاختيار مصفوفة واحدة، وهي التي سوف تحدث ثورة في المارسات الزواجية ومنزلة الزواج. لم تعد الإرادة، في هذا الإطار الثقافي والعاطفي الجديد، تتحدد بالقدرة على شد زمام الرغبات (مثلما هو الأمر في الدين المسيحي)، وإنما باتت تتحدد، بخلاف ذلك، في القدرة على الفعل وفق إملاءاتها وتعليماتها، وعلى اختيار موضوع يتناسب وعواطف الفرد ويستجيب لإرادته الخاصة؛ في هذا الصدد، أمست العواطف والحب الرومانسي داخل الدائرة الشخصية أساس المطالب الأخلاقية للحرية والاستقلالية الذاتية، وهذا بكثير من القوة أكثر مما كانت عليه هذه الأخيرة في الدائرة العمومية والذكورية للسياسة. ولكن مع اختلاف وحيد تمثل في أن هذه الثورة حدثت من دون مظاهرات عمومية، ومن دون تشريعات برلمانية، ومن دون معارك حقيقية. فقد قادها روائيون، وما قبل نسويين، وفلاسفة، ومفكرو الجنسانية، ولكن أيضا من قبل عامة الرجال والنساء. كانت هذه المطالب بالاستقلالية العاطفية في الحب عاملا قويا للتغيير الاجتماعي، فحولت في العمق أساليب وطرائق سيرورة الاقتران الزوجي ووظيفة الزواج وسلطة التنظيمات الاجتماعية التقليدية(15). وهكذا، حتى لو كان

المختلفة التي اتخذها الغرب والشرق. انظر:

Max Weber, *The Religion of China: Confucianism and Taoism*, ed. and trans. Hans Gerth (1915; London: MacMillan Publishing Company, 1951).

(15) Stephanie Coontz, *Marriage, A.History: From Obedience to Intimacy, or How Love Conquered Marriage* (New York: Viking Press, 2006).

في الظاهر خاصًّا ويتعلق بالمشاعر، فإن الحب الرومانسي ينطوي في الواقع على طموح سياسي أوَّلي. إذ إن حق اختيار موضوع الحب أضحى شيئا فشيئا حقا في جعل مشاعر الأفراد مصدرًا لسلطتهم[16]، التي تمثل هي نفسها شطرا مهما من تاريخ الاستقلالية الذاتية. إن تاريخ الحب في الغرب ليس بأي وجه كان ثيمة ثانوية في التاريخ المديد للحداثة (حرفيا في اللوحة الجدارية الكبيرة لتاريخ الحداثة)، بل إنه في الواقع شكل موجها أساسيا في تغيير علاقة الأفراد بالزواج والقرابة، ما استتبع إلى حدود الساعة عواقب دراماتيكية على الروابط بين الزواج والدائرة الاقتصادية. فأن نسند إلى الحب والمشاعر سلطة أخلاقية غير الزواج، وبتغيير الزواج حول نماذج إعادة الإنتاج والجنسانية، للتراكم، والتبادلات الاقتصادية[17].

إن ما ندعوه بالحرية العاطفية والشخصية ظاهرة متعددة الأشكال، انبثقت عبر توطيد المجال الخاص، بعيدا عن اليد الطولى التي يجسدها المجتمع والكنيسة،

(16) Ulrich Beck, Elisabeth Beck-Gernsheim, Mark Ritter, and Jane Wiebel, *The Normal Chaos of Love* (Cambridge: Polity Press, 1995); Ulrich Beck and Elisabeth Beck-Gernsheim, *Individualization: Institutionalized Individualism and Its Social and Political Consequences* (London: SAGE Publications, 2002); Stephanie Coontz, *Marriage, A History: From Obedience to Intimacy, or How Love Conquered Marriage* (New York: Viking Press, 2006); Helga Dittmar, *Consumer Culture, Identity and Well-being: The Search for the "Good Life" and the "Body Perfect"* (London: Psychology Press, 2007); Anthony Giddens, *Modernity and Self Identity: Self and Society in Late-Modern Age* (Cambridge: Polity Press, 1991); Anthony Giddens, *The Transformation of Intimacy: Sexuality, Love, and Eroticism in Modern Societies* (Stanford, CA: Stanford University Press, 1992); Jason Hughes, "Emotional Intelligence: Elias, Foucault, and the Reflexive Emotional Self," *Foucault Studies* 8 (2010): 28–52; Alan Hunt, "The Civilizing Process and Emotional Life: The Intensification and Hollowing Out of Contemporary Emotions," in *Emotions Matter: A Relational Approach to Emotions*, ed. Alan Hunt, Kevin Walby, and Dale Spencer (Toronto: University of Toronto Press, 2012), 137–160; Mary Holmes, "The Emotionalization of Reflexivity," *Sociology* 44, no. 1 (2010): 139–154; Richard Sennett, *The Fall of Public Man* (Cambridge: Cambridge University Press, 1977); Lawrence D. Stone, *The Family, Sex and Marriage in England 1500–1800* (London: Penguin Books, 1982).

(17)Stephanie Coontz, *Marriage, A History: From Obedience to Intimacy, or How Love Conquered Marriage* (New York: Viking Press, 2006).

والمحمية بالتدريج من الدولة وقوانين الخصوصية؛ لقد غذت الثورات الثقافية التي تزعمتها نخب فنية وصناعات الإعلام فيما بعد؛ وأخيرا، فقد ساعدت في بلورة/ صياغة حقوق النساء في امتلاك أجسادهن (التي كانت تنتمي إلى حدود الساعة إلى أولياء أمورهن قبل أي أحد آخر). تشمل الاستقلالية العاطفية مطالب تتعلق بحرية باطنية الفرد في امتلاك حياة داخلية، فضلا عن (لاحقا) مطالب بالحرية الجنسية حتى إن كان لهذين النوعين من الحرية تاريخا ثقافيا مختلفا: الحرية العاطفية متجذرة في تاريخ حرية الوعي (الضمير) والحياة الخاصة، فيما الحرية الجنسية هي ثمرة نضال النساء من أجل الانعتاق ووليدة التصورات القانونية الجديدة عن الجسد. وبالفعل، لم تصبح النساء سيدات على أجسادهن ومالكات لها إلا في عهد قريب (فهن لا يستطعن مثلا رفض العلاقة الجنسية مع أزواجهن). لكن آلت الحرية الجنسية والحرية العاطفية إلى التشابك بصورة وثيقة، وأمسى كل منها في خدمة الأخرى في نطاق المقولة الأكثر شمولية لملكية الذات الليبرتارية: «ينص المبدأ الليبرتاري للملكية الذاتية على أن كل شخص يمتلك، سواء على نفسه أو على قدراته وملكاته، حقوق التحكم والاستعمال الكاملة والحصرية، ولا يدين بالتبعيّة إلى أي شخص آخر لا بسلعة ولا بخدمة إن لم يلتزم بذلك تعاقديا[18].» وبصورة ملموسة أكثر، فالمبدأ الليبرتاري لملكية الذات، يشمل حرية المرء في امتلاك المشاعر فضلا عن حرية الاستمتاع بالجسد كملكية والتحكم فيه، ما يفضي إلى حرية اختياره لشركائه الجنسيين، ولكن أيضا حرية بدء وإنهاء علاقاته متى شاء ذلك. وإجمالا، تشمل الملكية الذاتية توجيها للحياة العاطفية والجنسية من صميم عالم الفرد الباطني الخاص، من دون أن يتدخل العالم الخارجي، سانحة للعواطف والرغبات والأهداف المسطرة ذاتيا بأن تحدد أو تشرط الاختيار والخبرات. إن الحرية العاطفية هي بمثابة شكل خاص من الملكية الذاتية حيث توجه فيها المشاعر وتسوغ حرية أن يكون للمرء اتصال جسدي

(18) Gerald Allan Cohen, *Self-ownership, Freedom, and Equality* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), 12.

وعلاقات جنسية مع شخص من اختياره. يمثل هذا الشكل من الملكية الذاتية العاطفية والجسدية تحولا لما أقترح تسميته بـ «الحداثة العاطفية». بدأت هذه الأخيرة في الظهور والتطور في القرن الثامن عشر، لكنها لم تتحقق فعليا وبشكل كامل إلا بعد ستينيات القرن العشرين، في سياق الإقرار الثقافي بالاختيار الجنسي المبني على دوافع ذاتية وعاطفية وعلى أساس اللذة (hedonic). لكنها قطعت شوطا جديدا بظهور تطبيقات جنسية ورومانسية على الشبكة العنكبوتية.

كان أنتوني غيدنز (Anthony Giddens) من بين أوائل السوسيولوجيين الذين وصفوا صراحة وبوضوح طبيعة الحداثة العاطفية ونظروا إلى الحميمية بصفتها التعبير الأقصى على حرية الفرد، وانعتاقه التدريجي من رقبة الدين، والتقليد، والزواج كبنى للبقاء الاقتصادي[19]. يملك الأفراد، في نظر غيدنز، القدرة على أن يبنوا من داخل أنفسهم استقلاليتهم الذاتية وحميميتهم على حد سواء. والثمن الذي لا بد من تأديته على ذلك هو، على حد تعبيره، حالة من «اللاأمن الأنطولوجي»، من القلق الدائم. في المجمل، فمفهومه الذي أثار جدلا واسعا عن «العلاقة النقية الخالصة» هو تأييد، بأسلوب وصفي ومعياري، للحداثة، لأنه يفترض أن الحميمية تضع القيم الجوهرية للذات الحديثة الليبرالية قيد التنفيذ، بما هي واعية بحقوقها وقادرة على وضعها موضع التطبيق، لا سيما في قدرتها على بدء علاقة وعلى وضع حد لها بملء إرادتها بموجب عقد ضمني. بالنسبة إلى غيدنز، فإن الفرد الذي ينخرط في «العلاقة الخالصة» حر، واع بحاجاته وقادر على التفاوض بخصوصها. وبصفة عامة، فالعلاقة الخالصة توافق نموذجا ليبراليا للتعاقد الاجتماعي. وفي نفس المنحى، فالحرية لا تتحقق، في نظر أكسل هونيث (وهيغل قبله)، وتغدو فعلية إلا بالعلاقة مع الآخر[20]. ومن ثم فإن

(19) Anthony Giddens, *Modernity and Self Identity: Self and Society in Late-modern Age* (Cambridge: Polity Press, 1991); Anthony Giddens, *The Transformation of Intimacy: Sexuality, Love, and Eroticism in Modern Societies* (Stanford, CA: Stanford University Press, 1992).

(20) Axel Honneth, *The Struggle for Recognition: The Moral Grammar of Social Conflicts,*

الحرية هي الأساس المعياري للحب والأسرة، أخذا في الحسبان أن هذه الأخيرة باتت التجسيد الفعلي للحرية المتحققة في شكل وحدة للرعاية (caring unit). وهكذا، فغيدنز مثله مثل هونيث يعقدان النموذج التقليدي لليبرالية الذي ترى فيه الذات الآخر عقبةً وحائلًا أمام حرِّيتها: في نظر المفكرين معا، تتحقق الذات الحرة تحققا فعليا تاما في الحب والعلاقات الحميمة.

لكن، مثلما يسعى هذا الكتاب إلى تبيان ذلك، فنموذج الحرية هذا يثير أسئلة جديدة. لم تعد الحميمية – إن كانت كذلك فعلا – سيرورة تبرم من فيها ذاتان واعيتان عقدا تعرفان وتقبلان ببنوده وشروطه. وعلى الضد من ذلك، فحتى إمكانية عقد اتفاق، ومعرفة بنوده، ومعرفة إجراءاته والموافقة عليها باتت بعيدة المنال بشكل ميؤوس منه. فمن أجل التعاقد لا بد من الموافقة على الشروط من لدن كلا الموقعين، إنه يقتضي رغبة محددة بوضوح، وواعية بما تريده، وإجراءات الاتفاق والعقاب في حالة التقصير أو الإخلال، وأخيرا يتضمن العقد، مبدئيا، بنود الحماية في حال حدوث أي مفاجآت. إن هذه الشروط الضرورية للعلاقة التعاقدية تحضر بقوة في إطار العلاقات المعاصرة.

إن خلع الطابع المؤسسي على الحرية الجنسية عبر الثقافة الاستهلاكية والتكنولوجيا قد كان له مفعول عكسي: إذ بات الآن كل من مضمون، وإطار، وهدف العقود الجنسية والعاطفية غير مؤكد ومشتبها فيها بصورة جوهرية وفي متناول الجميع ومتنازعا عليه باستمرار، مما جعل استعارة العقد غير ملائمة تماما لفهم وإدراك ما أدعوه بالبنية السلبية للعلاقات المعاصرة - لا يعرف الفاعلون اليوم تحديد أو تقييم أو توجيه وتدبير العلاقة التي ينسجونها تبعا لسيناريوهات اجتماعية راسخة يمكن التنبؤ بها. لقد حولت الحرية الجنسية والعاطفية إمكانية تحديد شروط علاقة معينة إلى سؤال مفتوح (لا جواب عنه) وأيضا إلى مشكلة، سيكولوجية وسوسيولوجية على حد سواء. لم يعد الأمر أمر منطق تعاقدي، بل

---

trans. Joel Anderson (Cambridge: Polity Press, 1995).

لايقين معمم، ومزمن وبنيوي، هو ما بات يحكم الآن ربط العلاقات الجنسية والرومانسية. فرغم أننا نسلم عادة بأن الحرية الجنسية والحرية العاطفية تعكسان بعضهما البعض، بمعنى أنهما تتآزران وتنعكسان بالتبادل، فهذا الكتاب [الذي بين يديك] يلقي ظلالا من الشك على حقيقة هذه الفرضية، ويذهب في المقابل إلى افتراض أن هاتين الحريتين تتبعان مسارات مؤسساتية وسوسيولوجية متباينة. فالحرية الجنسية باتت في أيّامنا مجالا للتفاعل حيث «تسير الأمور بسلاسة»: في حوزة الفاعلين وفرة من الموارد التكنولوجية، والسيناريوهات الثقافية والصور لتوجيه سلوكهم، وإيجاد المتعة في التفاعل وترسيم حدود هذا الأخير. في المقابل، فإن العواطف أضحت مستوى من مستويات التجربة الاجتماعية الذي «يطرح مشكلا»، مجالا حيث يسود الالتباس، واللايقين، ناهيك عن الفوضى.

بتصدينا للحرية الجنسية من خلال مسألة التجارب الوجدانية التي تتولد عنها أو لا تتولد عنها، تأمل هذه الدراسة أن تتجنب كلية شكوى المحافظين وتذمرهم من الحرية الجنسية من ناحية، ووجهة النظر الليبرتارية التي ترى أن الحرية تسمو على جميع القيم الأخرى. وبدلا من ذلك، فإننا سننخرط في هذه الدراسة بعين ناقدة في سبر معنى الحرية الجنسية والعاطفية، وذلك من خلال استكشاف إمبريقي لآثارهما وانعكاسهما على العلاقات الاجتماعية. فسواء أيدت أو استنكرت، فالحرية تتمتع ببنية مؤسساتية من شأنها أن تغير في المقابل فهمنا لذواتنا وللعلاقات الاجتماعية. يتعين علينا تناول هذه التداعيات بالبحث وذلك بتعليق أي افتراض ما قبلي عن مزايا الزواج الأحادي، أو العذرية، أو الأسرة النووية، أو رعشات الجماع المتعددة أو حتى الجنس الجماعي أو العرضي.

قلق في نقد الحرية

لا شكَّ في أن مثل هذا البحث سيثير قلقا أو معارضة في أوساط عدد من المفكرين. وتأتي المعارضة الأولى من جانب الليبرتاريين وأنصار الجنس الحر، الذين يتساوى عندهم أي نقد للحرية (الجنسية) مع «طور رجعي لنزعة أخلاقية

وتزمت هستيري» – إذا اقتبسنا الإدانة المتشددة التي جاءت على لسان كامي باغليا (Camille Paglia)[21]. لكن هذا الموقف في حد ذاته بمثابة التأكيد بأن نقدًا للحرية الاقتصادية ولرفع القيود هو عودة إلى رغبة هستيرية لبناء الكولخوزات. كان نقد الحرية حقا مقصورا على المحافظين كما المفكرين التحرريين [التقدميين]، ولا شيء بخصوصه يدعو إلى العودة إلى الحشمة الأخلاقية المغالية، والخزي والعار، وازدواجية المعايير. وفي الواقع تعيدنا الدراسة النقدية للحالة الراهنة للحرية الجنسية والعاطفية إلى الأسئلة الجوهرية لعلم الاجتماع الكلاسيكي: أين يوجد خط الصدع بين الحرية والأنوميا[22]؟ متى تنتهي الحرية وتبدأ الفوضى

(21) Camille Paglia, *Sex, Art and American Culture* (New York: Vintage, 1992).

(22) George G. Brenkert, "Freedom and Private Property in Marx," *Philosophy and Public Affairs* 2, no. 8 (1979): 122–147; Émile Durkheim, *The Elementary Forms of the Religious Life*, trans. Karen E. Fields (1912; New York: Simon & Schuster, 1995); Émile Durkheim, *Moral Education*, trans. Everett K. Wilson and Herman Schnurer (1925; New York: Free Press, 1961); Émile Durkheim, *Durkheim on Politics and the State*, ed. Anthony Giddens, trans. W. D. Halls (Stanford, CA: Stanford University Press, 1986); Émile Durkheim, *Suicide: A Study in Sociology*, trans. John A. Spaulding and George Simpson (1897; New York: Simon & Schuster, 1997); Anthony Giddens, *Capitalism and Modern Social Theory: An Analysis of the Writings of Marx, Durkheim and Max Weber* (Cambridge: Cambridge University Press, 1971); Karl Marx, *The Grundrisse*, ed. and trans. David McLellan (1939–1941; New York: Harper & Row, 1970); Karl Marx, "The Power of Money," in *Karl Marx and Friedrich Engels: Collected Works*, vol. 3 (1844; New York: International Publishers, 1975); Karl Marx, "Speech on the Question of Free Trade," in *Karl Marx and Friedrich Engels: Collected Works*, vol. 6 (1848; New York: International Publishers, 1976); Karl Marx and Friedrich Engels, "The German Ideology," in *Karl Marx and Friedrich Engels: Collected Works*, vol. 5 (1932; New York: International Publishers, 1975); Karl Marx and Friedrich Engels, "Manifesto of the Communist Party," in *Karl Marx and Friedrich Engels: Collected Works*, vol. 6 (1848; New York: International Publishers, 1976); Georg Simmel, *The Freedom and the Individual, in On Individuality and Social Forms: Selected Writings*, ed. and with an introduction by Donald N. Levine (Chicago: University of Chicago Press, 1971), 217–226; Georg Simmel, "The Stranger," in *On Individuality and Social Forms: Selected Writings*, ed. and with an introduction by Donald N. Levine (Chicago: University of Chicago Press, 1971), 143–149; Max Weber, *Die Verhältnisse der Landarbeiter im ostelbischen Deutschland*, vol. 55 (Leipzig: Duncker & Humblot, 1892); Max Weber, *The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism*, trans. T. Parsons, A. Giddens, with an introduction by A.

اللاأخلاقية؟ وبهذا المعنى، فاستقصائي عن التأثير الاجتماعي والعاطفي للحرية الجنسية يمثل هنا عودة إلى أسئلة دوركايم الجوهرية عن الأنوميا والنظام الاجتماعي: سوف أبحث الكيفية التي غير وبلبل بها اقتحام الرأسمالية للمجال الخاص المبادئ المعيارية الأساسية لهذا الأخير.

يمكن أن يأتي اعتراض ثان من حقول أكاديمية مختلفة مثل الدراسات الثقافية أو **دراسات الكوير (queer studies)** أو **دراسات الجندر**، التي اهتمت في العادة بالحرمان من الحقوق المدنية، مما بوأ من ثم الحرية، ضمنا أو صراحة، منزلة القيمة العليا الموجهة لمعارف تلك المقاربات. وكما يؤكد ذلك عن حق أكسل هونيث: بالنسبة إلى المحدثين، تسمو الحرية على كل القيم الحديثة الأخرى، بما في ذلك المساواة والعدالة[23]. كل بأسلوبه، كان النسويون الليبرتاريون والنشطاء المثليون (ولا سيما المختصون والنشطاء المؤيدون للإباحية الجنسية)، والباحثون في الأدب والفلاسفة يعتبرون الحرية أكثر الخيرات عرضة للخطر، وينفرون من ثم من التركيز على أمراضها، ما عدا إن أخذت شكل نقد كليل للنيوليبرالية أو حين تحيل إلى «النرجسية» وإلى «مذهب اللذة النفعي» المدعوم من سوق الاستهلاك. أمام هذا النفور، يمكن للمرء أن يقترح نوعين من الأجوبة. الأول أحسنت التعبير عنه ويندي براون (Wendy Brown): «كانت الحرية تاريخيا وسيميائيا وثقافيا متعددة الأشكال بقدر ما كانت مراوغة ومضللة سياسيا، وقد أبانت أنها يمكن أن تسترجع بسهولة على يد الأنظمة الليبرالية بوازع أكثر المآرب السياسية أنانية (cynical) وأقلها تحررية.»[24] إن كانت هذه هي الحال، فالحرية إذن عبارة عن تنظيم اجتماعي علينا دائما أن نحرص على **المحافظة عليه ومساءلته**

Giddens (1904–1905; London: Routledge, 1992); Max Weber, *Max Weber: The Theory of Social and Economic Organization*, trans. A. M. Henderson and T. Parsons, ed. and with an introduction by T. Parsons (1947; New York: The Free Press, 1964).

(23) Axel Honneth, *Freedom's Right: The Social Foundations of Democratic Life*, trans. Joseph Ganahl (New York: Columbia University Press, 2014).

(24) Wendy Brown, *States of Injury: Power and Freedom in Late Modernity* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1995), 5.

في آن. الجواب الثاني على الاعتراض، هو نتيجة للجواب الأول، وهو من طبيعة منهجية. وسوف نستند إلى مبدأ التماثل الذي صاغه ديفيد بلور (David Bloor) – الذي يقوم على تحليل ظواهر مختلفة بطريقة تماثلية من دون ادعاء معرفة أيها جيدة أو سيئة، رابحة أو خاسرة –، وقد نذهب إلى الافتراض أن تناول الحرية بالدراسة النقدية ينبغي أن يتم بطريقة تماثلية في المجال الاقتصادي كما في مجال العلاقات بين الأفراد.[25] إن كنا نحن، المختصون النقديون، نحلل الآثار الوخيمة للحرية في مجال النشاط الاقتصادي، فلا مانع من تقصي تأثيرها على المجالات الشخصية، والعاطفية والجنسية. إن احتفاء المحافظين الجدد بالسوق والحرية السياسية من جهة، والاحتفاء الذي يبدو تقدميا بالحرية الجنسية من جهة أخرى ينبغي أن يمعن فيه النظر بالتساوي، ليس باسم الحياد كما ينشد ذلك ريتشارد بوزنر (Richard Posner) في كتابه **الجنس والعقل**[26]، وإنما برؤية أشمل لمفاعيل الحرية[27]. إن مبدأ التماثل هذا مناسب أيضا فيما يتعلق بصعيد آخر: الانتقادات، التي توجهها جهات ثقافية مختلفة، للجنسنة الراهنة للثقافة – من حركات اللاجنسانية التي، في تعريفها للفرد السليم، ترفض مركزية الجنسانية؛ والنسويين والنسويات والسيكولوجيين القلقين بخصوص عواقب الجنسنة على الثقافة؛ وأخيرا، أكثريات مسيحية وأقليات دينية (ولا سيما الأقليات المسلمة) التي تعيش في أوروبا والولايات المتحدة. كل هذه الانتقادات قلقة حيال وطأة جنسنة الثقافة. الباحثون الأكاديميون النسويون وحدهم من كان عليهم أن يهتموا بهذا القلق، وبعض الأنثروبولوجيات أمثال ليلى أبو لغد (Leila Abu-Lughod) وصبا محمود (Saba Mahmood) كانتا قد انتقدتا نماذج التحرر الجنسي المتمركزة أوروبيا من وجهة نظر ذاتية النساء المسلمات[28]، ودعتانا إلى

(25) David Bloor, *Knowledge and Social Imagery* (London: Routledge & Kegan Paul, 1976).
(26) Richard Posner, *Sex and Reason* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1994).
(27) See Robin West, "Sex, Reason, and a Taste for the Absurd" (Georgetown Public Law and Legal Theory Research Paper No. 11–76, 1993).
(28) Lila Abu-Lughod, "Do Muslim Women Really Need Saving? Anthropological

تصور أشكال أخرى من الذاتية الجنسية والعاطفية. لا تتأتى الدراسة النقدية للجنسانية في هذا الكتاب، من وازع طهراني لمراقبتها أو ضبطها (هذا ما لم يخطر ببالي البتَّة)، وإنما من رغبة في تأريخ ووضع اعتقاداتنا عن الجنسانية والحب في سياقها، وفهم ما أدى، في مُثُلنا الثقافية والسياسية للحداثة الجنسية، إلى اختطاف أو تشويه عن طريق قوى اقتصادية وتكنولوجية تتعارض مع المثل والمعايير العاطفية الأساسية للحب (التي تنتمي للحب بخاصة). إن كان ثمة من معيار ضمني يتخلل عملي، فهو أن الحب (بجميع أشكاله) يبقى الطريقة الأكثر أهمية لنسج وشائج العلاقات الاجتماعية.

ثمة اعتراض أخير محتمل على استقصائي ذو صلة بالحضور القوي لأعمال **ميشيل فوكو** في العلوم الإنسانية والاجتماعية. فمؤلفه **المراقبة والمعاقبة**(29) كان له وقع عظيم، حيث بث الريبة والشك في أن الحرية الديمقراطية كانت ذريعة وخدعة لحجب سيرورات المراقبة والمعاقبة التي استلزمتها الأشكال الجديدة لمعرفة الكائنات البشرية والتحكم فيها. لقد كرس السوسيولوجيون كل عنايتهم على الرقابة، وعلى طريقة فوكو، اعتبروا أن الحرية كانت مجرد وهم ليبرالي، مدعوم من قبل نظام جبار للرقابة والتحكم. بهذا المعنى، باتت الحرية في حد ذاتها موضوع دراسة أقل أهمية من وهم الذاتية الذي خلقته الحرية. لكن، في نهاية حياته، في **دروسه في الكوليج دو فرانس**، أخذ فوكو يولي مزيدا من الاهتمام بالعلاقة بين الحرية والحكامة العقلانية (gouvernementalité)، أي الطرق التي تعيد بها فكرة الحرية في السوق، على حد تعبيره، تحديد مجال الفعل(30). يندرج كتابي في

Reflections on Cultural Relativism and Its Others," American Anthropologist 104, no. 3 (2002): 783–790, esp. 785; Saba Mahmood, *Politics of Piety: The Islamic Revival and the Feminist Subject* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2011).

(29) Michel Foucault, *Discipline and Punish: The Birth of the Prison*, trans. Alan Sheridan (1975; New York: Pantheon Books, 1977).

(30) Michel Foucault, *Security, Territory, Population: Lectures at the Collège de France 1977–1978*, ed. Arnold I. Davidson, trans. Graham Burchell (New York: Palgrave Macmillan, 2007); Michel Foucault, *The Government of Self and Others: Lectures at the*

إطار القسم الأخير من عمل فوكو من وجهة نظر سوسيولوجيا ثقافية للعواطف[31]. وهو ينظر إلى الحرية بوصفها حرية تسمح بإعادة بنينة مجال الفعل، باعتباره الإطار الثقافي الأكثر قوة وشيوعا والأكثر قدرة حتى على تنظيم معنى الأخلاق، وتصور التربية والعلاقات، وأسس قوانيننا، ورؤى وممارسات الجندر، وعلى نطاق واسع، التعريف الأساسي لذاتية الأفراد المحدثين. بالنسبة إلى عالم اجتماع الثقافة، فإن الحرية ليست مثالا سياسيا وأخلاقيا تصونه المحاكم، وإنما تمثل إطارا ثقافيا دائما وعميقا وواسع النطاق يحدد الطريقة، التي يعرف بها الأفراد المحدثين ذواتهم وعلاقتهم بالآخرين. وكقيمة يضمرها الأفراد والمؤسسات باستمرار، فهي توجه كثرة من الممارسات الثقافية، أظهرها ربما الذاتية الجنسية، التي تتحدد بأنها «ما يختبره شخص عن ذاته بوصفه كائنا جنسيا، يحس بأن له الحق في المتعة الجنسية وفي الحماية الجنسية، وفي القيام باختيارات جنسية مسؤولة، وفي أن يمتلك هوية بوصفه كائنا جنسيا»[32]. فحيث يكشف فوكو زيف الجنسانية بوصفها ممارسة حديثة لانعتاق الذات، مؤبدا للمفارقة الاهتجاس الثقافي المسيحي بالجنس، سأركز أنا عنايتي على سؤال آخر: كيف تعمل الحرية الجنسية، كما تتجلى في الممارسات الاستهلاكية والتكنولوجية، على إعادة تشكيل إدراك وممارسة العلاقات الرومانسية، في بدايتها، وفي أثناء تكونها ومن خلال الحياة المنزلية المشتركة؟

فبقدرِ ما أمسى سؤال الحرية ملحًّا، فإن الفلسفة العامة والتنظيم القانوني للسياسات الليبرالية باتا يفضلان نوعا خاصا من الحرية، أعني الحرية السلبية – التي تتحدد بأنها حرية الفاعلين الاجتماعيين في فعل ما يشاؤون من دون تدخل

Collège de France 1982–1983, ed. Arnold I. Davidson, trans. Graham Burchell (New York: Palgrave Macmillan, 2010).

(31) Nikolas Rose, *Inventing Our Selves: Psychology, Power, and Personhood* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998); Nikolas Rose, *Powers of Freedom: Reframing Political Thought* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999).

(32) Deborah L. Tolman, *Dilemmas of Desire: Teenage Girls Talk about Sexuality* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2002), 5–6.

العالم الخارجي، ما داموا لا يلحقون أي ضرر بالآخرين ولا يشكلون عقبة أمام حرية الآخرين. إن مثل هذه الحرية يحميها القانون وتُرسّخها كثير من المؤسسات التي يفترض فيها كفالة الحقوق والحياة الخاصة للأفراد وهي لا تنطوي بالمرة أو تنطوي قليلا على محتوى معياري. إن «خواء» الحرية السلبية هو ما خلق هذا الفضاء (فضاء «من دون قيود») الذي يمكن استيطانه بسهولة بقيم السوق الرأسمالي، والثقافة الاستهلاكية والتكنولوجيا، التي غدت في المجتمع الحديث الميادين المؤسساتية والثقافية الأقوى نفوذا. وكما فطن إلى ذلك كارل ماركس (Karl Marx) منذ زمن بعيد، تنطوي الحرية على خطر فسح المجال للتفاوتات كي تزدهر بلا قيود. أما كاثرين ماكينون (Catharine MacKinnon) فتعبر بسداد عن وجهة النظر هاته: «تفضيل الحرية على المساواة، والحرية على العدالة، لن يؤدي إلا إلى مزيد من تحرير قوة الأقوياء.»[33] فلا ينبغي إذن أن تبز الحرية المساواة وتسمو عليها، لأن اللامساواة تنقض إمكانية أن نكون أحرارا. إن كانت الجنسانية الغيرية تنظم وتطبع اللامساواة بين الجنسين، ففي إمكاننا أن نتوقع أن ترحب الحرية بمثل هذه اللامساواة أو أن تواجهها أو تطبعها. الحرية نادرا ما تبز اللامساواة في العلاقات بين جنسانيتين متغايرتين.

إن ما دعاه **أشعيا برلين «الحرية السلبية»** أتاح للغة سوق الاستهلاك وممارساته بأن يعيد تشكيل قاموس ونحو الذاتية. هذه اللغة، أي لغة المصالح، والنفعية، والإشباع الفوري، والفعل المتمركز حول الذات، والتكديس والتراكم، والتنوع، وتعدد التجارب، تتخلل اليوم الوشائج الرومانسية والجنسية، وتدفعنا من ثم إلى البحث الرصين في معنى وتأثير الحرية، لكن من دون مساءلة التقدم الأخلاقي الذي تمثله معارك النسويين وحركات الإل دجي بي تي كيو (أي حركات السحاقيات، ومثليي الجنس، وثنائيي الجنس، وعابري الجندر أو النوع، والكوير

---

(33) ورد هذا الاقتباس في:
Wendy Brown, *States of Injury: Power and Freedom in Late Modernity* (Princeton, NJ: Princeton University Press), 20.

أو أحرار الجنس). لا ينبغي مع ذلك أن يمنعنا الاعتراف بالمكتسبات التاريخية لهذه الحركات ومواصلتها النضال من سبر الطرق التي تجلت بها المثل الأخلاقية للحرية تاريخيا وإمبريقيا في شكل أسواق، تنادي هي الأخرى بالحرية[34]. في الواقع، فبفهمنا كيف أن أفكارا وقيما، بمجرد مأسستها، تتخذ مسارا لا يتطابق دائما مع المسار الذي رامه المدافعون عنها في البداية، سيساعدنا لا محالة في أن نستعيد مثالا بدئيا للحرية، كان هو الدافع وراء تلك الحركات. وبالنتيجة، فإن كانت النيوليبرالية، كما هو معلوم، قد أسفرت عن اختفاء المعيارية في التبادلات الاقتصادية (ما أسفر إلى تحول المؤسسات العامة إلى تنظيمات ربحية وجعل من المصلحة الشخصية الإبستيمولوجيا الطبيعية للفاعل الاجتماعي)، فلا مانع من أن نتساءل إن لم يكن للحرية الجنسية آثار شبيهة على العلاقات الحميمة، أي إن كانت هذه الأخيرة لا تمثل نهاية للمعيارية في تطبيع المتعة المتمركزة حولَ الذات وإرساء للتنافس والتراكم الجنسيين، تاركين من ثم العلاقات تتحلل من ضوابط القوانين والتشريعات الأخلاقية والإيتيقية. بكلمات أخرى، هل أصبحت الحرية الجنسية بمثابة الفلسفة النيوليبرالية للمجال الخاص[35]، وخطابا وممارسة اختفت فيها معيارية العلاقات، وحيث تبدو إيتيقا المستهلك والتكنولوجيا كشكل جديد

(34) انظر بخاصة ديفيد م. هالبرين وتريفور هوب، اللذين يوثقان لتوسع دائرة الحقوق الجنسية في الولايات المتحدة في عملهما الحرب على الجنس. فكما وثقوا ذلك، على الرغم من أن ثمة تقدما في حق المساواة في الزواج، والحقوق ذات الصلة بالإنجاب وتحديد النسل، يبين المؤلفان أنه ما تزال عديد الميادين المراقبة اجتماعيا من الدولة من مثل سجلات مرتكبي الجرائم الجنسية، وتجريم الإصابة بفيروس قصور المناعة البشرية (HIV)، والإجراءات العقابية ضد ممتهني الجنس. انظر:
David M. Halperin and Trevor Hoppe, eds., *The War on Sex* (Durham, NC: Duke University Press, 2017)

(35) من أجل تحليل أعمق ومفصل بصدد هذه المسألة انظر:
Dana Kaplan, "Recreational Sexuality, Food, and New Age Spirituality: A Cultural Sociology of Middle-Class Distinctions" (PhD diss., Hebrew University, 2014); Dana Kaplan, "Sexual Liberation and the Creative Class in Israel," in *Introducing the New Sexuality Studies*, ed. S. Seidman, N. Fisher, and C. Meeks (2011; London: Routledge, 2016), 363–370; Volker Woltersdorff, "Paradoxes of Precarious Sexualities: Sexual Subcultures under Neo-liberalism," *Cultural Studies* 25, no. 2 (2011): 164–182.

من التنظيم الذاتي العاطفي، معتما بالتبعة فهم النواة المعيارية والأخلاقية للبينذاتية؟ إذا كانت الحرية ذاتها قد شكلت مطلبا معياريا قويا ليقف في وجه مؤسسة الزيجات القسرية أو من دون حب، من أجل المطالبة بالحق في الطلاق، وإدارة الحياة الجنسية أو العاطفية تبعا لميولات الفرد، ومنح المساواة إلى جميع الأقليات الجنسية، يمكننا أيضا أن نتساءل إن لم تكن هذه الحرية نفسها اليوم قد حررت العلاقات الجنسية من نير الخطاب الأخلاقي الذي كانت ترزح تحت وطأته سلفًا (مثلا، التخلص من لغة الإكراه والتبادلية التي كانت تنظم في العادة أغلب التفاعلات الاجتماعية). وبنفس الطريقة التي تناقض فيها الرأسمالية الاحتكارية المعاصرة روح التبادل الحر الذي كان في قلب التصورات الأولى للسوق والتجارة، فإن ثمة ذاتية جنسية منظمة بإحكام بواسطة ثقافة الاستهلاك والتكنولوجيا تتعارض مع رؤية جنسانية متحررة، كانت في قلب الثورة الجنسية، لأن مثل هذه الجنسانية تسعى، بصورة قسرية وإلزامية، إلى إعادة إنتاج أخطوطات الفكر والفعل التي اتخذت من التكنولوجيا والاقتصاد محركي وناسجي روابطنا الاجتماعية غير المرئيين.

إن الجنسانية الغيرية، أكثر من الجنسانية المثلية، هي أرض خصبة لتناول هذا السؤال بالدراسة والتحليل، وذلك لعدة أسباب. في صورتها الحالية، فالجنسانية الغيرية تقوم على فروق الجندر، وهي تعمل في الغالب الأعم كضرب من اللامساواة الجندرية؛ الجنسانية الغيرية في المقابل تنظم بعدئذ ضروب اللامساواة الجندرية تلك في نظام عاطفي يعزو مسؤولية نجاح أو فشل العلاقات إلى النفسية البشرية، وإلى نفسية النساء في المقام الأول. فالحرية تجعل هذه الأشكال من اللامساواة العاطفية تمر من دون أن يتم رصدها أو الانكباب عليها. ينهل الرجال والنساء، والنساء بخاصة، من جهازهم النفسي الموارد ليدبروا العنف الرمزي والجراح والكلوم التي تثوي في تلك الأشكال من اللامساواة العاطفية: «لم هو بعيد عني؟»، «هل أبديت له أني بحاجة إليه؟»، «ماذا أفعل لأثير انتباهه إلي؟»، «أي أخطاء اجترحت حتى يرحل عني؟»، جميع هذه الأسئلة، المطروحة من أجل

النساء ومن قبل النساء، تشي بأن النساء المختلفات الجنسانية يستشعرن بشكل كبير أنهن مسؤولات ثقافيا عن النجاح العاطفي وعن تدبيرهن للعلاقات. وفي مقابل ذلك، فإن الجنسانية المثلية لا تحول الجندر إلى اختلاف والاختلاف إلى لامساواة، ولا هي تستند على توزيع الجندر بين الوظيفة البيولوجية والوظيفة الاقتصادية التي ميزت الأسرة عن غيرية الجنسانية. في هذا الصدد، فإن دراسة تأثير الحرية على الجنسانية الغيرية يبدو، من وجهة نظر سوسيولوجية، أمرا ملحا ومستعجلا: فما دامت الحرية الجنسية تتفاعل مع البنية التي لا تزال طاغية وقوية للامساواة الجندرية، فإنها تجعل الجنسانية الغيرية حبلى بالتناقضات والأزمات[36]. وعلاوة على ذلك، فبما أن الجنسانية الغيرية كانت تضبط وتقنن بشكل وثيق من خلال النظام الاجتماعي للمغازلة التي يفترض أن تنتهي بالزواج، فالتحول إلى الحرية العاطفية والجنسية يتيح لنا أن نفهم بصورة أوضح تأثير الحرية على الممارسات الجنسية والتناقض الذي أمكن هذه الحرية أن تسفر عنه بعد مأسسة الزواج (أو القران المدني)، الذي ما يلبث ركنا مكينا في الجنسانية الغيرية. كانت الجنسانية المثلية، في المقابل، حتى وقت قريب شكلا اجتماعيا سريا ومتمردا. ولهذا السبب بالذات، فقد عرفت في الأصل (ab origine) بوصفها ممارسة للتحرر، تتناقض وتتعارض مع مؤسسة الزواج المنزلية، التي تستغل النساء وتستلبهن وتسند للرجال دورا بطريركيا. إن هذا الكتاب إذن بمثابة إثنوغرافيا للجنسانية الغيرية المعاصرة (رغم أني سأستجوب بين حين وآخر المثليين الجنسيين كذلك)، التي بوصفها مؤسسة اجتماعية، خضعت لشد وجذب بين قوى تحررية ورجعية في آن واحد، حديثة وتقليدية، ذاتية وعاكسة للقوى الرأسمالية والاستهلاكية والتكنولوجية لمجتمعنا.

إن مقاربتي للحرية العاطفية والجنسية تتناقض مع كثير من اتجاهات الليبرتارية

(36) تمثل الجنسانية الغيرية الحديثة التحقق التاريخي للحرية الجنسية؛ فهي التجسيد الأخلاقي لها لأنها، على الضد من الجنسانية المثلية للإغريق، فهي لا تنظم ولا تطبع اللامساواة (لا يتعلق الأمر بإثبات قوة رجل على عبد أو على رجل شاب).

التي تنظر إلى المتعة كغاية نهائية للتجربة وتنظر بعين الترحيب إلى الانتشار المذهل للجنسانية في كل مجالات ثقافة الاستهلاك، الثقافة الشعبية (ومحتواها الجنسي) باعتبارها «بزوغا للوثنية الدفينة للغرب»[37] إذا استعدنا نفس كلمات كاميي باغليا (Camille Paglia) اللاذعة. بالنسبة إلى الليبرتاريين، فإن الجنسانية بوساطة سوق الاستهلاك تطلق العنان للرغبة الجنسية، والطاقة الإبداعية، وتدعو الحركة النسوية (وبلا ريب حركات اجتماعية أخرى) إلى أن ينفتحوا على «الفن والجنس في أسرارهما القاتمة والمقلقة»[38]. مثل هذه المقاربة آسرة لكنها تقوم أيضا على فرضية ساذجة مفادها أن قوى السوق التي تحرك الثقافة الشعبية توجه فعليا وتتوافق مع الطاقة الخلاقة الأولية، بدلا، مثلا، من نشر أو إشاعة المصالح الاقتصادية للتنظيمات الكبرى، التي تسعى إلى تشجيع ذاتية قائمة على إشباع سريع للحاجات. لا أرى أي سبب وجيه يمنعني من افتراض أن الطاقات التي يستثمرها السوق هي بطبيعتها «وثنية» بدلا من اعتبارها، لنقل مثلا، رجعية أو امتثالية أو مشوشة. وكما قال أحد أبرز منظري **الكوير**، فإن مارغريت تاتشر (Margaret Thatcher) ورونالد ريغن (Ronald Reagan)، اللذين كانا من أنصار القيم العائلية، قد كانا بالفعل وراء أعظم ثورة جنسية في سياساتهما النيوليبرالية، التي رفعت القيود عن الأسواق[39]. إذ إن «الحرية الفردية لا يمكن أن تتوقف عند حدود السوق؛ فإن كانت لك الحرية المطلقة في البيع والشراء، فليس ثمة منطقيا أي سبب في أن تصد شركاءك الجنسيين، وأسلوب حياتك الجنسي، وهويتك الجنسية ناهيك عن استيهاماتك[40].»

(37) Camille Paglia, *Sex, Art, and American Culture: Essays* (1992; New York: Vintage, 2011, ii).
(38) Ibid.
(39) Jeffrey Weeks, *Invented Moralities: Sexual Values in an Age of Uncertainty* (New York: Columbia University Press, 1995).
(40) Ibid., 29.

غير أن هذه الدعوى تصدق على العالم الغربي أكثر من مجتمعات أخرى مثل المجتمع الصيني.

بدلا من أن تكون تعبيرا عن طاقة وثنية خالصة حررتها الثقافات الشعبية اللاأخلاقية، فإن الجنسانية المعاصرة هي الموجه لعدد من القوى الاجتماعية، التي تنسف مدماك القيم التي كانت تقدح شرارة معارك التحرر الجنسي. فقد أصبحت الجنسانية موطن الطرائق والمناهج السيكولوجية الإنسانية، والتكنولوجيا وسوق الاستهلاك، التي تشترك جميعها في توفير نحو (grammar) للحرية ينظم ويترجم **الرغبة** والعلاقات بين الأفراد إلى مجرد مسألة **الاختيار** الفردي. في نظام ليبرالي، فالاختيار – في مجالات الجنس، والاستهلاك، والعواطف – هو المجاز البلاغي الرئيس الذي تنتظم تحته الذات والإرادة. فأن تمتلك ذاتا حديثة أو حديثة متأخرة يعني أن تمارس حقك في الاختيار من جهة، وأن تزيد من التجربة الذاتية للاختيار من جهة أخرى.

الاختيار هو مجاز الذاتية، التي تربط الحرية بالمجالين الاقتصادي والعاطفي؛ إنه النمط الرئيسي للذاتية في ميادين الاستهلاك والجنسانية. ينطوي الاختيار على فكرتين منفصلتين: تحيل الأولى إلى وفرة البضائع، وإلى فكرة أن شيئا ما يوجد موضوعيا بكميات كبيرة (مثلما نقول: «يعرض هذا السوبر ماركت (المتجر الكبير) كميات وفيرة (يتيح اختيارات كثيرة) من الخضر الطازجة والطبيعية»)، فيما الفكرة الثانية تتصل بخاصية للذاتية، في الحالة، مثلا، التي يكون فيها الفرد أمام عدة إمكانات ليوقع اختياره على واحد منها فهي تسمى أيضا اختيارا (مثل أن نقول «لقد أحسنت الاختيار»). ومن ثم فالاختيار يعكس في آن تنظيما معينا للعالم، الذي يقدم نفسه بأنه مجموعة متنوعة من الإمكانات التي يصادفها الفرد بشكل مباشر لا واسطة فيه، وتنظيما للإرادة في شكل حاجات، وعواطف ورغبات. إن الإرادة التي تختار هي نوع خاص من **الإرادة** المتروية، التي تجبه عالما يبدو مبنينا كسوق، أي كتشكيلة من الإمكانات الكثيرة، التي على الفرد أن يتلقفها ويختار من بينها من أجل إرضاء وتحسين رغد عيشه أو متعه أو مكاسبه ومصالحه. من وجهة نظر سوسيولوجيا الثقافة، يمثل الاختيار الطريقة المثلى لنفهم الكيفية

التي تترجم بها البنية الهائلة للسوق إلى خصائص معرفية وعاطفية للفعل. هذه الإرادة الخاصة التي تأتي من ثقافة الاختيار تغيرت بشكل كبير تحت تأثير التكنولوجيا وثقافة الاستهلاك، مرغمة إيانا على طرح أسئلة سوسيولوجية حول العلاقة بين اقتصاد الرغبة والبنى الاجتماعية التقليدية.

وبناء على ذلك، فإن هذا الكتاب يقتفي سلسلة الأفكار التالية: في كنف الحرية الجنسية، اتخذت العلاقات بين الجنسين المتغايرين شكل سوق - الالتقاء المباشر من جهة بين العرض العاطفي والجنسي والطلب العاطفي والجنسي من جهة أخرى[41]. فكلاهما معا - أي العرض والطلب - متوسطان بكثافة بموضوعات وفضاءات استهلاك، كما من خلال التكنولوجيا (الفصل الثاني). اللقاءات الجنسية المنظمة في شكل سوق تختبر وتعاش على أنها اختيار وعلى أنها لايقين في آن واحد. بفسحه المجال للأفراد لأن يتفاوضوا بأنفسهم ويتباحثوا شروط لقاءاتهم، بقليل من التقنين والتنظيم أو الحظر، فإن هذا الشكل من السوق يخلق **لايقينا** معرفيا وعاطفيا واسع النطاق ومعمما (الفصل الثالث). إن مفهوم «السوق» ليس ها هنا مجرد استعارة اقتصادية، وإنما الشكل الاجتماعي الذي تتخذه اللقاءات الجنسية التي توجهها تكنولوجيا الإنترنت وثقافة الاستهلاك. حينما كان الناس يلتقون في سوق مفتوح، كان اللقاء مباشرا وفعليا من دون أية وساطة بشرية؛ وقد بات الأشخاص يلتقون بوساطة الوسائل التكنولوجية التي تهدف إلى الرفع من فعالية البحث عن قرين أو شريك؛ إنهم يفعلون ذلك باللجوء إلى سيناريوهات تبادل، واقتصاد الوقت، واحتساب عوائد اللذة، وعقلية المقارنة، كل خصائص التبادل الرأسمالي المتقدم. يكون السوق مفتوحا حينما يكون شكلا اجتماعيا خاضعا لقانوني العرض والطلب، وهما بدورهما منظمين (مبنيين) بواسطة الشبكات الاجتماعية والمواقع الاجتماعية للفاعلين. التبادل الجنسي الذي ما إن ينتظم في السوق يضع النساء في موقع مزدوج: فهن في آن قويات مستقلات

(41) بالمناسبة، فهذا يصدق أيضا على العلاقات بين مثليي الجنس مثلما يصدق على العلاقات بين الجنسين المتغايرين.

وممتهنات بسبب جنسانيتهن (انظر الفصل الرابع)، هذه الازدواجية تبين الكيفيات التي تعمل بها الرأسمالية على تمكين المرأة وشد أزرها. إن الوشائج بين الحرية الجنسية، والثقافة الاستهلاكية والتكنولوجيا، موصولة بهيمنة ذكورية ما تظل قوية في المجال الجنسي، تقوض حظوظ ولوج وتكوين ما كان الشكل الاجتماعي الأساسي للسوق والزواج، أي التعاقد (الفصل الخامس). وضع حد لعلاقة، العجز أو رفض البدء في علاقة، الانتقال من علاقة إلى أخرى – ما سأدرجه تحت المصطلح الواسع **للاحب** – هي جزء لا يتجزأ من هذا الشكل الجديد لسوق العلاقات الجنسية. هذه المصاعب واللايقينيات تمتد حتى إلى مؤسسة الزواج (الفصل السادس). فاللاحب مؤشر على شكل جديد من الذاتية حيث يمارس الاختيار في آن بطريقة إيجابية (إرادة، الرغبة في شيء ما) وبطريقة سلبية (تعريف الذات بالإعراض أو الصد المتكرر أو نبذ العلاقات، الحيرة الشديدة أو التردد في الرغبة، الرغبة في مراكمة وفرة من التجارب إلى درجة يفقد فيها الاختيار ملاءمته العاطفية والمعرفية، وضع حد للعلاقات على نحو متكرر كطريقة لتأكيد الذات وإثبات استقلاليتها). ومن ثم فاللاحب هو في آن شكل من أشكال الذاتية – ما نحن إياه وكيف نسلك – وسيرورة اجتماعية تعكس التأثير العميق للرأسمالية على العلاقات الاجتماعية. وكما أكد ذلك بطريقة مقنعة عالما الاجتماع فولفغانغ شتريك (Wolfgang Streek) ويينس بيكرت (Jens Beckert)، فإن الرأسمالية تحول الفعل الاجتماعي، ويمكننا أن نضيف إلى ذلك، المشاعر الاجتماعية[42].

***

في رواية **الحرب والسلم**، يلتقي البطل بيير بيزوخوف الأمير أندرو، الذي استعلم عنه. «حسنا، هل حسمت أمر قرارك أخيرا؟ هل ستصبح أحد رجال

(42) Jens Beckert, « Imagined Futures : Fictional Expectations in the Economy », *Theory and Society*, 42, no 3, mai 2013, p. 219-240.

الحرس أم دبلوماسيا؟»، يسأل الأمير أندرو بعد برهة صمت خاطفة[43]. يفهم الاختيار، في عبارته، كبديل بين خيارين اثنين واضحين، معلومين من الشخص المعني بالاختيار والملاحظ الخارجي على حد سواء. يتعلق الأمر هنا بفعل رسمت حدوده بوضوح: إذ إن اختيار أحد الخيارات يعني بالضرورة استبعاد الخيار الآخر. وفضلا عن ذلك، فسؤال الأمير أندرو يفترض ما أكده عديد علماء الاقتصاد والسيكولوجيين، وبخاصة أن الاختيار هو مسألة تفضيل شخصي ومسألة استعلام. فلاختيار مهنته، كان بيير ببساطة في حاجة إلى اختبار قدرته (الكونية) على معرفة وترتيب تفضيلاته ترتيبا هرميا، ويتبين إن كان يحب فن الحرب أو فن الدبلوماسية، خياران متباينان بصورة جلية وواضحة. فمنذ نهاية القرن التاسع عشر، ما يبرح علماء الاجتماع يطعنون في تصور الفعل الإنساني ذاك، بحجة أن الكائنات الإنسانية عبارة عن مخلوقات تسلك وفق ما دأبت عليه من عادات وتمتثل للمعايير والنظم وليس للقرار القصدي المتروي. وكما قال جيمس دويزينبيري (James Duesenberry) ساخرا: «مدار عناية كل علم الاقتصاد الكيفية التي يجري بها الأفراد اختياراتهم؛ في حين مدار عناية كل علم الاجتماع عدم وجود أي خيار ليقوموا به[44].» لكن ربما فات علماء الاجتماع ما أدركه علماء الاقتصاد وعلماء النفس من دون قصد: أن الرأسمالية قد حولت ميادين عديدة من الحياة الاجتماعية إلى أسواق، والفعل الاجتماعي إلى اختيار انعكاسي، وإلى اتخاذ قرار، وأن الاختيار أصبح **شكلا اجتماعيا جديدا وأساسيا**، من خلاله وفيه تحقق الذاتية الحديثة ذاتها وتفهمها في أغلب أو جميع مناحي الحياة[45]. ليس على سبيل

---

(43) Leo Tolstoy, *War and Peace*, trans. George Gibian (1896; New York: W. W. Norton & Company, 1966), 24.

(44) James Duesenberry, "Comment on 'An Economic Analysis of Fertility,'" in Mark Granovetter, *Demographic and Economic Change in Developed Countries*, ed. Universities National Bureau Committee for Economic Research (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1985), 233; Mark Granovetter, "Economic Action and Social Structure: The Problem of Embeddedness," *American Journal of Sociology* 91, no. 3 (1985): 458–510.

(45) Sven Hillenkamp, Das Ende der Liebe: Gefühle im Zeitalter unendlicher Freiheit.

المبالغة الزعم بأن الذات الحديثة تبلغ سن الرشد بممارسة قدرتها على مباشرة الفعل القصدي للاختيار بين مجموعة هائلة من الأشياء: أذواقها المرتبطة بالأزياء والموسيقى، شهادها الجامعية ومهنتها، عدد شركائها الجنسيين، جنس شركائها الجنسيين، جنسها هي نفسها، أصدقاؤها الأقارب والأباعد كلهم يجري «اختيارهم»، كل هذا ينتج عن اتخاذ قرارات متروية ومراقبة. بسبب القلق من أن تأييد فكرة الاختيار سيكون تأييدا ساذجا وطوعيا للفعل العقلاني، فقد تجاهل علماء الاجتماع حقيقة أن الاختيار لم يصبح فقط مظهرا من مظاهر الذاتية، ولكن وسيلة لإضفاء الطابع المؤسسي على الفعل أيضا. وبدلا من ذلك، دأب علماء الاجتماع على النظر إلى الاختيار كأنه ركن أساس في أيديولوجيا الرأسمالية، وكأنه المقدمة الإبستيمولوجية الزائفة للاقتصاد، وكأنه سفينة قيادة الليبرالية، والوهم البيوغرافي الذي أنتجته العلوم السيكولوجية، أو البنية الثقافية الرئيسة للرغبة الاستهلاكية.

المنظور المقترح ها هنا مختلف: إن كانت السوسيولوجيا قد راكمت كمية لا يستهان بها من المعطيات تبين أن قيود الطبقة والجندر تؤثر وتبني **الاختيار** من الداخل، فالاختيار، وهميا كان أم لا، ليس مجرد وسيلة أساسية في ملك الذوات الحديثة لتنتسب إلى بيئتها الاجتماعية وإلى ذاتها. الاختيار يبين أساليب المعقولية الاجتماعية. فمثلا، «الذات الناضجة والسليمة» هي الذات التي طورت القدرة على القيام باختيارات ناضجة وأصيلة على المستويين العاطفي والانفعالي؛ وعلى التخلص من السلوكيات القهرية والإدمان؛ وعلى تحويلها إلى طبيعة عاطفية اختارتها بحرية، ووعي، ومعرفة بالأسباب. لقد قدمت الحركة النسوية نفسها

(Stuttgart: KlettCotta, 2010); Anthony Giddens, *Modernity and Self-identity: Self and Society in the Late Modern Age* (1991; Stanford, CA: Stanford University Press, 2009); Ian Greener, "Towards a History of Choice in UK Health Policy," Sociology of Health and Illness 31, no. 3 (2009): 309–324; Renata Salecl, "Society of Choice," *Differences* 20, no. 1 (2009): 157–180; Renata Salecl, "Self in Times of Tyranny of Choice," *FKW//Zeitschrift für Geschlechterforschung und visuelle Kultur* 50 (2010): 10–23; Renata Salecl, *The Tyranny of Choice* (London: Profile Books, 2011).

على أنها سياسة للاختيار: في موقعها الرسمي، ستيفني ماير (Stephenie Meyer)، مؤلفة **الشفق** (Twilight)، هذه السلسلة التي عرفت نجاحا كونيا، تلخص تلك الفكرة بهذه العبارات: «قوام النسوية ما يلي: القدرة على الاختيار. الحجة الأساسية لمناهضة النسوية هي، على العكس من ذلك، قولها للمرأة بأنه ليس في ميسورها أن تقوم بشيء ما لأنها امرأة فحسب – أي حرمانها من أن تختار بسبب جنسها على وجه التحديد».(46) حتى إن أنصار الاختيار (Pro-choice) بات اللقب الذي يطلق على أكثر الاتجاهات أهمية في الحركة النسوية. الثقافة الاستهلاكية – أساس الهوية الحديثة في أرجح الظن – ترتكز بصورة بدهية تقريبا على الممارسة المطردة للمقارنة والاختيار. حتى لو كانت الخيارات محدودة ومحددة في الممارسة العملية، فإن شطرا لا يستهان به من الحياة الحديثة يختبر وينتهج كأسلوب حياة على أنه نتيجة لاختيار ذاتي، الأمر الذي سيغير بشكل دال الطريقة التي يشكل بها الأفراد ويختبرون ذاتيتهم الخاصة.

إن الاختيار إذن جزء لا يتجزأ من التاريخ الثقافي للأفراد المحدثين. إذا كان الاختيار قد أضحى الموجه الرئيس للذاتية في مؤسسات مختلفة مثل الزواج، أو العمل، أو الاستهلاك أو السياسة - الكيفية التي يندمج بها الأفراد في تلك المؤسسات ويشعرون بالانتماء إليها - فينبغي أن يصبح مقولة خليقة بالبحث السوسيولوجي بحد ذاته، وشكلا للفعل بحد ذاته، ينبثق من الأطر الثقافية، ولا سيما «الحرية» و«الاستقلالية الذاتية». تتيح الحرية المأسسة عددا يكاد يكون لانهائيا من الإمكانات في ميادين الاستهلاك، والأفكار، والأذواق والعلاقات، وتجبر الذات على أن تتحقق وتتحدد من خلال عدد لا يحصى من الاختيارات ذات أساليب معرفية وعاطفية مختلفة ومحددة (مثلا، اختيار شريك واختيار مسار مهني

---

(46) Stephenie Meyer, "Frequently Asked Questions: Breaking Dawn," http://stepheniemeyer.com/the-books/breaking-dawn/frequently-asked-questions-breaking-dawn/.
زيارة الموقع يوم 11 أيلول/سبتمبر 2016

لا يقتضي نفس الاستراتيجيات المعرفية). وعلى ذلك، فالاختيار ليس مجرد أيديولوجيا سائدة فحسب، كما أحسنت بيان ذلك ريناتا ساليكل (Renata Salecl)[47]، وإنما نتيجة فعلية ملموسة لمأسسة الاستقلالية الذاتية في أغلب المؤسسات الاجتماعية (المدرسة، السوق، القضاء، سوق المستهلكين) والحركات السياسية (النسوية، حقوق المثليين والعابرين جندريا). إن الاختيار علاقة فعلية للفرد مع ذاته حين يرغب في العيش وفقا لذاته «الحقيقية»، و«المثالية»، من خلال التعالي وتجاوز حتميات الطبقة أو السن أو الجندر (بنيل شهادة جامعية، وبالخضوع للجراحة التجميلية، وبتغيير الجنس).

فتحت تأثير الفكر الاقتصادي، أمسينا كثيرا ما نهتم بأفعال الاختيار الإيجابي – ما يسمى بـ «اتخاذ القرار» – ولكننا تركنا جانبا من الأهمية بمكان في الاختيار، وهو **الاختيار السلبي**، الذي يقوم، بذريعة الحرية وتحقيق الذات، على الرفض، أو التهرب والإعراض أو التحلل من أي التزام، أو أي ارتباط أو أية علاقة. وعلى ما يبدو كان الوضع الفكري (والثقافي) مختلفا في بداية القرن العشرين، أين كان يعكف مفكرون ذائعو الصيت أمثال سيغموند فرويد (Sigmund Freud) وإميل دوركايم (Émile Durkheim) على مساءلة «العلاقات السلبية»، فرويد من خلال فكرة غريزة الموت ودوركايم من خلال مفهوم الأنوميا. في العام 1920، في دراسة موسومة بعنوان **«ما وراء مبدأ اللذة»**، تصدى فرويد لاضطرار تكرار وإعادة تجارب مؤلمة، تكرار يمكن أن يؤدي إلى التدمير الذاتي للفرد، وإلى استحالة نسجه علاقات حقيقية أو المحافظة عليها. وقبل ذلك، نشر دوركايم في سنة 1897 أحد النصوص التأسيسية لعلم الاجتماع، **الانتحار**[48]، الذي يمكن اعتباره استطلاعا عن العلاقات السلبية، وشكلا من الاجتماعية المعكوسة، أي

(47) Renata Salecl, "Society of Choice," *Differences* 20, no. 1 (2009): 157–180; Renata Salecl, "Self in Times of Tyranny of Choice," *FKW//Zeitschrift für Geschlechterforschung und visuelle Kultur* 48, no. 50 (2010); Renata Salecl, *The Tyranny of Choice* (London: Profile Books, 2011).
(48) Durkheim, *Suicide*.

عن تهلهل لحمة العضوية الاجتماعية. تمسك كل من فرويد ودوركايم بمبدأين متناقضين، مبدأ الاجتماعية ومبدأ اللااجتماعية (anti-sociality)، بوصفهما متجاورين ويمتدان على نفس المكان. سأسير على نفس خطاهما، من غير أن أنظر مع ذلك إلى اللااجتماعية بمصطلحات جوهرانية. وبدلا من ذلك سوف أستكشف الاجتماعية السلبية بصفتها تعبيرا عن الأيديولوجيات المعاصرة للحرية، وتكنولوجيات الاختيار ورأسمالية الاستهلاك المتقدمة، بما هي جزء لا يتجزأ من الخيال الرمزي الذي أظهرته الرأسمالية. لا تعاش الاجتماعية السلبية، في الذاتية الجنسية النيوليبرالية، كحالة ذهنية سلبية (حالة للخوف أو العزلة أو الأفكار الانتحارية)، وإنما بالأحرى مثل ما أسماه غونتر أندرس (Günther Anders) «حرية تأكيد الذات»، حرية تثبت فيها الذات ذاتها بإنكار أو تجاهل الآخرين[49]. إن حرية تأكيد الذات لهو ربما الشكل الطاغي الذي تأخذه الحرية في العلاقات الشخصية، وكما سأبين ذلك، فهو يمثل كل أشكال اللبس والغموض الأخلاقية للحرية في مؤسسة الجنسانية الغيرية.

الاختيار السلبي

نظر علماء اجتماع الحداثة إلى الفترة الممتدة بين القرن السادس عشر والقرن العشرين باعتبارها الفترة التي شهدت ترسيخ أشكال جديدة من العلاقات في نسيج سائر الجماعات الاجتماعية – زواج الحب، الصداقة الحقة، الشفقة حيال الغريب والتضامن الوطني، على سبيل المثال لا الحصر. يمكن اعتبار كل هذه الأشكال جملة علاقات اجتماعية ومؤسسات وعواطف جديدة، وهي جميعها قائمة على الاختيار. وبذلك، فقد كانت هذه الحداثة العاطفية المبكرة حداثة كانت

(49) Günther Anders, "The Pathology of Freedom: An Essay on Non-identification," trans. Katharine Wolfe, *Deleuze Studies* 3, no. 2 (2009): 278–310. See in that matter also Eric S. Nelson, "Against Liberty: Adorno, Levinas and the Pathologies of Freedom," *Theoria* 59, no. 131 (2012): 64–83.

فيها حرية (الاختيار) ممأسسة وكان الأفراد يختبرون حريتهم في تحسين وتطوير ممارسة الاختيار، يختبرون ذلك من خلال المشاعر والعواطف. إن روابط «الصداقة»، أو «الحب الرومانسي»، أو «الزواج» أو «الطلاق» تشكل أشكالا اجتماعية مستقلة ومحددة النطاق، تنطوي على عواطف وانفعالات واضحة ومميزة بأسماء، ويدرسها علم الاجتماع باعتبارها علاقات إمبريقية وفينومينولوجية ممكنة التحديد وثابتة نسبيا. وفي المقابل، فإن حداثتنا فائقة الاتصال تبدو حداثة مطبوعة بتكوين شبه علاقات أو روابط اجتماعية سلبية: علاقة جنسية لليلة واحدة، الجماع من دون مقدمات ولا مشاعر، العلاقة الجنسية العابرة، الجنس العرضي، العلاقة النزوية المبنية على الجنس، رفيق الجنس، **المواعدة العرضية**، الجنس عبر الإنترنت، هذه بعض أمثلة أسماء العلاقات المعرفة بكونها عابرة لا تدوم طويلا، بقليل أو غياب تام من الالتزام من جانب الذات، الخالية في أغلب الظن من المشاعر والمنطوية على شكل من اللذة المتمركزة ذاتيا، حيث الفعل الجنسي يعرض كهدفها الوحيد والرئيس. في هذه الحداثة المتصلة أو الشبكية، فعدم تكوين الروابط أصبح ظاهرة سوسيولوجية في حد ذاتها، مقولة اجتماعية وإبستيمية في ذاتها[50]. إذا كانت الحداثة في بدايتها وفي أوجها قد طبعت بالنضال من أجل بعض أشكال الاجتماعية حيث تحرر الحب، والصداقة، والجنسانية من الأغلال الأخلاقية والاجتماعية، فيبدو أن التجربة العاطفية في الحداثة الشبكية باتت في حلٍّ من الأسماء التي تعين بها المشاعر والعلاقات الموروثة عن فترة كانت فيها العلاقات أكثر ثباتا وديمومة. باتت العلاقات المعاصرة تنتهي، وتنفصم، وتخفت وتتبخر، وتتبع دينامية الاختيار الإيجابي والسلبي التي تشبك الروابط واللاروابط.

فهذه الدينامية عينها هي ما آمل أن أوضحه في هذا الكتاب، ومن ثم متابعة

---

(50) انظر بهذا الصدد:

Manuel Castells, "The Net and the Self: Working Notes for a Critical Theory of the Informational Society," *Critique of Anthropology* 16, no. 1 (1996): 9–38.

انشغالي السابق بالتفاعل بين الحب، والاختيار وثقافة الرأسمالية(51). لكن إن كنت في دراستي السالفة قد سلطت الضوء على التغيرات الطارئة على مفهوم وبنية اختيار الشريك، فإني سأركز هنا على مقولة جديدة أخرى للاختيار: اختيار «**عدم الاختيار**»- هذا شكل للاختيار أتى عقب مختلف المعارك الناشدة للحرية التي شهدناها إبان القرنين الأخيرين. ففيما كان الفاعلون الاجتماعيون في بداية الحداثة يناضلون من أجل حقهم في جنسانية لا يردعها المجتمع أو تكبل جماحها القيود الاجتماعية، باتوا في الحداثة المعاصرة يسلمون بأن الجنسانية اختيار وحق، لا جدال فيه ولا نزاع (ما عدا ربما الزواج المثلي، الذي كان الجبهة الأخيرة في هذه المعركة القديمة). فحرية كل فرد تمارس من ثم دائما بالحق في عدم الانخراط في أي علاقة، أو بالحق في التحلل من العلاقة والانسحاب منها، هذه السيرورة التي في مقدورنا تسميتها بـ «اختيار عدم الاختيار»: قرار الانسحاب من أي علاقة في أي لحظة.

على الرغم من أني لا أذهب إلى افتراض علاقة سببية بسيطة ومباشرة بين الاثنين، فالمماثلة بين تاريخ الرأسمالية وتاريخ الأشكال الرومانسية مذهل للغاية. ففي حقبتها الحديثة، اتخذت الرأسمالية هذه الأشكال الاقتصادية، على غرار الشركات، والشركات محدودة المسؤولية، والأسواق المالية الدولية والعقود التجارية. كانت التراتبية الهرمية، والرقابة، والعقد في قلب هذه الأشكال الاقتصادية المختلفة. وقد انعكس هذا في تصور الحب كعلاقة تعاقدية، تبرم بحرية، ويتعهد فيها باحترام مبادئ التزام إيتيقية، تسفر عن نتائج جلية وتتطلب استراتيجيات واستثمارا عاطفيا ووجدانيا بعيد الأمد. لعبت شركات التأمين دورا أساسيا في تقليل المخاطر لأنها، بعملها كطرف ثالث بين متعاقدين، زادت من ثم من موثوقية العقد التجاري ومصداقيته. تطور تنظيم الرأسمالية الاجتماعي هذا وتحول إلى شبكة عالمية متشعبة، مصحوبة بملكية وتحكم منبثين ومشتتين. الآن،

(51) Eva Illouz, *Why Love Hurts* (Cambridge: Polity Press, 2012).

تلجأ الرأسمالية إلى أشكال جديدة من عدم الالتزام، من خلال ساعات عمل مرنة أو عمالة خارجية، موفرة القليل من شبكات الأمان الاجتماعي، وكاسرة روابط الولاء بين العمال وأماكن العمل، مستندة إلى تشريعات وممارسات قللت بشكل هائل من التزامات الشركات اتجاه العمال. كما طورت الرأسمالية المعاصرة أيضا أدوات لاستغلال غياب اليقين – مثلا، المشتقات – بل إنها ذهبت إلى جعل قيمة السلع والبضائع غير يقينية بخلق «**أسواق فورية**»، تعرض أسعارا تغير باستمرار حسب الطلب، فتخلق في نفس الوقت حالة من عدم اليقين وتستغلها. تمكن ممارسات عدم الالتزام وعدم الاختيار الشركة من الانسحاب بسرعة من صفقة تجارية وإعادة تعديل الأسعار بسرعة، تسمح هذه الممارسات للشركات بوصل وفصل سريعين لروابط الولاء، والتجديد والتغيير الخاطف لسلاسل الإنتاج وصرف اليد العاملة بلا قيود. كل هذه الممارسات هي ممارسات لعدم الاختيار. هذا الاختيار، الذي كان الشعار الأول «للرأسمالية الصلبة»، تحول إلى لا-اختيار، قوامه تعديل الفرد المستمر لتفضيلاته «بلا كلل»، وعدم الالتزام، أو اقتفاء أي علاقة كانت بصفة عامة، كيفما كانت سواء اقتصادية أو رومانسية. تتآلف هذه الممارسات من اللا-اختيار بطريقة أو بأخرى مع استراتيجيات حسابية مكثفة لتقييم المخاطر.

دأبت السوسيولوجيا – التفاعلية الرمزية بخاصة – على تركيز اهتمامها، بشكل بدهي تقريبا، على التكوين الميكروسكوبي للروابط الاجتماعية. وبهذا، فهي لم تتمكن من طبيعة الحال من أن تفهم حقا الميكانيزمات المضللة والمراوغة، التي تنتهي بها العلاقات أو تنهار أو تتبخر أو تتبدد. في الحداثة الشبكية، غدا موضوع الدراسة المناسب هو الطرق التي تتفكك بها الروابط، متى ما أخذ هذا التفكك على أنه شكل اجتماعي. إن هذا التفكك في العلاقات لا يحدث على إثر الانهيار المباشر للعلاقات – الاغتراب، التشييء، الأداتية، الاستغلال – ولكن من طريق أوامر أخلاقية زجرية تمثل النواة الخيالية للذاتية الرأسمالية، مثل وجوب أن تكون حرا ومستقلا، وبأن تغير وتطور ذاتك، وأن تدرك قواك الكامنة، وأن تصل

بمتعتك، وصحتك، وإنتاجيتك إلى أقصاها. فالإيعاز الإيجابي في صنع الذات وتطويرها هو ما يشكل «الاختيار السلبي». سأبين أن اختيار عدم الاختيار بات يمثل الآن كيفية أساسية للذاتية، التي صارت ممكنة من خلال تحولات مؤسساتية شتى: الطلاق بالتراضي (الذي يسّر قرار التحلل من زواج لأسباب عاطفية وذاتية)؛ حبوب منع الحمل، التي سهلت العلاقات الجنسية من دون الخطر المؤسسي للزواج ومن ثم دون التزام عاطفي؛ سوق الاستهلاك والترفيه، الذي يوفر عددا كبيرا من فضاءات الالتقاء وعرض دائم للشركاء الجنسيين؛ التكنولوجيا التي تتيحها الشبكة العنكبوتية، ولا سيما مواقع المواعدة مثل تيندر (Tinder) أو ماتش. كوم (Match.com)، التي حولت الفرد إلى مستهلك جنس ومشاعر، مخولة له حق أن يستخدم أو يستمتع بهذه السلعة أو تلك كيفما يشاء؛ وأخيرا، النجاح العالمي لمنصات مثل فايسبوك، التي تمكن في آن من مضاعفة أعداد العلاقات ومن «إلغاء دعوة صداقة» بنقرة واحدة كميزة تقنية للبرنامج. هذه السمات الثقافية، وسمات أخرى كثيرة أقل بروزا، التي سيوثق لها هذا الكتاب، تتخذ من اختيار عدم الاختيار كيفية غالبة على الذاتية في سياق الحداثة الشبكية والمجتمعات المطبوعة بمسارات متقدمة للتسليع، ومضاعفة الاختيار الجنسي، وتغلغل العقلانية الاقتصادية في كل مجالات المجتمع[52]. إن سؤال معرفة كيف ولماذا يقدم الفاعلون الاجتماعيون على قطع علاقة من علاقاتهم أو التحلل منها، أو تجاهلها أو إهمالها لهو من الأهمية بمكان لأن ثمة أدلة إمبريقية تشير إلى أن الفاعلين الاجتماعيين لديهم، بصفة عامة، «نفور من الخسارة» الذي يعني[53] أنهم يبذلون قصارى جهدهم حتى لا يخسروا شيئا كان في حوزتهم أو

---

(52) انظر:

Wolfgang Streeck, "How to Study Contemporary Capitalism?" *European Journal of Sociology/Archives Européennes de Sociologie* 53, no. 1 (2012): 1–28.

(53) انظر على سبيل المثال:

Peter Brooks and Horst Zank, "Loss Averse Behavior," *Journal of Risk and Uncertainty* 31, no. 3 (2005): 301–325; Matthew Rabin, "Psychology and Economics," *Journal of Economic Literature* 36, no. 1 (1998): 11–46; Colin F. Camerer, "Prospect Theory in the Wild:

يمكنهم امتلاكه. في الواقع، كما سيتبين ذلك في الفصلين الثاني والثالث، في الأنظمة السياسية فائقة الاتصال، يقهر الفاعلون بسهولة وانتظام النفور من الخسارة بفضل تضافر قوى السوق والتكنولوجيا والاستهلاك. بقدر ما كان «الاختيار السلبي» قويًّا وفعَّالًا وحاضرًا في حياة أفراد الحداثة فائقة الاتصال بقدر ما كان الاختيار الإيجابي، لما ولدت الحداثة، قويا وفعالا وحاضرا في نسج الروابط والعلاقات.

الآثار الاجتماعية للاختيار السلبي ظاهرة للعيان بكيفيات دالة شتى. الكيفية الأولى هي أن عديد البلدان عاجزة عن تجديد سكانها بسبب انخفاض معدلات المواليد. فمثلا، يعاني الشباب الياباني من صعوبات جمة في «إقامة علاقات عاطفية»، ما أدى إلى «انحدار معدل الخصوبة». يبلغ عدد الأطفال الذين يمكن لامرأة يابانية أن تتوقع إنجابهم في حياتها اليوم 1،42 أقل ب 2،13 في العام 1970 [54]. وإلى ذلك لوحظت معدلات نمو ديموغرافي سلبية في أوروبا الشرقية وفي قسم كبير من أوروبا الغربية أيضا، وهي تتهدد لا الديموغرافيا فحسب وإنما الاقتصاد كذلك. هذا الانكماش الديموغرافي له تداعيات سياسية واقتصادية وخيمة، بدءا بتدفق الهجرات وانتهاء بصعوبة تأمين معاشات التقاعد ودعم الساكنة المسنة. إذا كان توسع الرأسمالية متوقفا على النمو الديموغرافي وعلى الأسرة كبنية وسيطة بين الاقتصاد والمجتمع، بات هذا الرابط مهددا بشكل متزايد من الأشكال الجديدة للرأسمالية نفسها. فالرأسمالية ماكينة هائلة لإنتاج السلع والبضائع، ولكنها لم تعد قادرة على تأمين الحاجة الاجتماعية لإعادة الإنتاج، ما وصفته الفيلسوفة نانسي فريزر (Nancy Fraser) بـ «أزمة الرعاية»[55]. تبدو

Evidence from the Field," in *Choices, Values, and Frames*, ed. Daniel Kahneman and Amos Tversky (Cambridge: Cambridge University Press, 2000), 288–300.

(54) "I Don't," *The Economist*, September 1, 2016,
http://www.economist.com/news/asia/21706321- most-japanese-want-be-married-are finding-it-hard-i-dont.

(55) Fraser, Nancy. 2016. "Contradictions of Capitalism and Care, *New Left Review*, June–July, pp. 99–117.

العلاقات السلبية كذلك من خلال القرارات الواعية أو الممارسات اللاواعية لكثير من الرجال والنساء وتقوم على عدم إقامة روابط مستقرة أو عدم الإنجاب، وفي واقع الزيادة القوية خلال العقدين الأخيرين لأسر تتألف من شخص واحد(56). الأثر الثاني للاختيار السلبي يكمن في ارتفاع معدلات الطلاق. في الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال، زادت نسبة الطلاق عن الضعف بين سنتي 1960 و1980(57). وفي سنة 2014، بلغت أكثر من 45 ٪ بالنسبة إلى الأشخاص الذين عقدوا قرانهم في سنوات 1970 أو 1980(58)، ما جعل الطلاق واقعة محتملة بالنسبة إلى شطر كبير من الساكنة. الأثر الثالث أن عددا

---

(56) كما يصف ذلك كل من دانيال باشمان وأكرار باروا بناء على تقارير مكتب إحصاء السكان الأمريكي: "ما بين سنوات 1960 و2014 انتقل السن الوسيط للزواج الأول من 22,8 إلى 29,3 سنة بالنسبة إلى الرجال ومن 20,3 إلى 27,0 سنة بالنسبة إلى النساء. خلال هذه الفترة، كانت نسبة العوائل التي تتألف من شخص واحد في مجموع العوائل الكلي أكثر من الضعف، تناهز 27,7 %، ومتوسط الأشخاص في كل أسرة قفز من 3,33 إلى 2,54." "بين سنوات 1999 و2014 ارتفع عدد العوائل التي تتألف من شخص واحد من 26,6 إلى 34,2 مليونا، أي بارتفاع سنوي متوسط يقدر بـ 1,7 %. وقد كان تزايد العدد الكلي للعوائل في نفس الفترة أضعف بكثير (1,1 %)، ما أسفر عن زيادة بأكثر من نقطتين في نسبة العوائل المؤلفة من شخص واحد من مجموع العوائل." "تبين التوقعات أن العوائل المؤلفة من شخص واحد ستبلغ حوالي 41,4 مليونا في العام 2030، أي بزيادة سنوية متوسطة تقدر بـ 1,1 % بين 2015 و2030"،
US Census Bureau, "Families and Living Arrangements: Marital Status," October 21, 2015, https://www.census.gov/hhes/families/data/marital.html; US Census Bureau, "Families and Living Arrangements: Households," October 21, 2015. Ibid. Daniel Bachman and Akrur Barua "Singleperson Households: Another Look at the Changing American Family." (n.p.: Deloitte University Press, 2015), http://dupress.deloitte.com/dup-us-en/economy/behind-the-numbers/single-personhouseholds-and-changing-american family.html, accessed September 11, 2016.

(57) W. Bradford Wilcox "The Evolution of Divorce," *National Affairs* (Fall 2009), accessed September 11, 2016, http://nationalaffairs.com/publications/detail/the-evolution-of-divorce.

(58) كما تبين ذلك كلير كين ميلر بناء على بيانات "استطلاع الدخل والمشاركة في البرامج" (SIPP). من الأهمية تسجيل أن ميلر تشير أيضا إلى أن معدل الطلاق، منذ أن بلغ ذروته في سنوات 1970 وبداية 1980، قد انحدر عند الأشخاص الذين تزوجوا ابتداء من سنوات 1990، انظر:
Claire Cain Miller, "The Divorce Surge Is Over, but the Myth Lives On," *New York Times*, December 4, 2014, accessed September 11, 2016, http://www.nytimes.com/2014/12/02/upshot/the-divorce-surge-is-over-butthe-myth-lives-on.html.

متزايدا من الأشخاص باتوا يعيشون علاقات متعددة في نفس الوقت (علاقات تعدد الشركاء العاطفيين أو أنواع أخرى)، ما يسائل الطابع المركزي للزواج الأحادي والقيم المرتبطة به، مثل الولاء والإخلاص والالتزام طويل المدى. وهكذا، بات عدد الأفراد الذين يمرون بطريقة سلسلة من علاقة إلى أخرى على مدى حياتهم في تزايد. التجلي الرابع لغياب الاختيار، الذي يبدو نقيض ما سبق، هو الزواج الذاتي (sologamy)، هذه الظاهرة المحيرة التي تختار فيها النساء (على الأغلب) أن يتزوجن أنفسهن[59]، معلنات على هذا النحو حبهن لذواتهن ومؤكدات قيمة حياة العزوبية. وأخيرا، فالاختيار السلبي يتواجد فيما أسماه أحد المعلقين «وباء الوحدة»: «يقدر عدد الأمريكيين في عمر ينيف عن 45 سنة الذين يعانون من وحدة مزمنة بـ 42،6 مليونا، ما يزيد بشكل كبير من خطر الوفاة المبكرة، حسب دراسة أجرتها ج.أ.أ.م (الجمعية الأمريكية للأشخاص المنعزلين)[60]. وتصف إحدى الباحثات[61] وباء الوحدة «بأنها تنطوي على تهديد أخطر على الصحة من خطر السمنة»[62] يتخذ وباء الوحدة شكلا آخر. فمثلما افترضت ذلك جون توينج، أستاذة علم النفس بالجامعة الأمريكية سان دييغو، إن ممثلي جيل الإنترنت (المولودين بعد العام 2000) يملكون شركاء جنسيين أقل من ممثلي الجيلين السابقين، ما جعل غياب الجنسانية ظاهرة اجتماعية جديدة. هذه

(59) Charlotte Lytton, "I Me Wed: Why Are More Women Choosing to Marry Themselves?" *The Telegraph* (London), September 28, 2017 http://www.telegraph.co.uk/women/life/womenchoosing-marry/, accessed February 13, 2018.

(60) G. Oscar Anderson, *Loneliness among Older Adults: A National Survey of Adults 45+*. Washington, DC: AARP Research, September 2010, https://doi.org/10.26419/res.00064.001.

(61) Julianne Holt-Lunstad, "So Lonely I Could Die," *American Psychological Association*, August 5, 2017, https://www.apa.org/news/press/releases/2017/08/lonely-die.aspx.

(62) Jane E. Brody, "The Surprising Effects of Loneliness on Health," *New York Times*, December 11, 2017, accessed February 13, 2018, https://www.nytimes.com/2017/12/11/well/mind/howloneliness-affects-our-health.html?_r=0.

الظاهرة هي بحسبي تجسيد للتطور الثقافي نحو الاختيار السلبي أو الانسحاب السريع من العلاقات أو حتى لواقعة أن العلاقات نفسها لن يكتب لها أن تنتسج أبدا[63].

في دائرة العلاقات الحميمة، يمارس الاختيار في سياق مختلف تمام الاختلاف عن سياق بيير بيزوخوف، حيث كان الاختيار بين بديلين واضحين. لكن مع التأثير المكثف للمنصات التكنولوجية الجديدة، باتت الحرية تضعنا أمام كثير من الإمكانات إلى درجة أن الشروط العاطفية والمعرفية للاختيار العاطفي تحولت جذريا. ومن ثم ينطرح هذا السؤال: أي ميكانيزمات ثقافية وعاطفية، إرادية ولا إرادية تدفع الأفراد إلى مراجعة وتعديل، وحل، ورفض ونبذ وتجنب العلاقات؟ أية ديناميكية عاطفية تحدث تغييرا في التفضيل (وضع حد لعلاقة كنا ملتزمين بها)؟ رغم أن عددا هاما من الأشخاص، بل الأغلبية، يعيشون حياة زوجية رضية (أو يتوافقون على علاقة جنسية وعاطفية مؤقتة)، فمناط عناية هذا الكتاب اقتفاء الطريق الشاق والطويل الذي يقطعه كثيرون ليبلغوه، ولكن أيضا من حقيقة أن كثيرين، سواء باختيار منهم أم لا، ما عادوا يعيشون علاقات مستقرة ودائمة. هذا الكتاب ليس لا إدانة لمثال الزوجين، ولا مرافعة من أجل العودة إلى وسائل أكثر أمانا لتكوين بيت زوجية؛ إنه يصف بالأحرى كيف أن الرأسمالية قد استحوذت على الحرية الجنسية، وكيف ضلعت في عدم استقرار وتقلب العلاقات الجنسية والرومانسية بصورة مربكة ومحيرة.

انكبَّ قطاع واسع من الناشطين في علم الاجتماع على دراسة البنيات المنتظمة والاعتيادية للحياة اليومية وقد طورت لهذه الغاية تشكيلة مذهلة من الطرائق والمناهج. لكن لربما تستدعي الفترة المعاصرة صنفا جديدا من السوسيولوجيا، سأطلق عليه مؤقتا دراسة الأزمات وغياب اليقين. لقد اختل التنظيم التراتبي

---

(63) Julian, Kate. 2018. "Why Are Young People Having So Little Sex?" in *Atlantic* 2018 December, https://www.theatlantic.com/magazine/archive/2018/12/the-sex-recession/573949/.

وقابلية المؤسسات الحديثة للتنبؤ بالنسبة إلى قطاع كبير من السكان، والبنيات التقليدية والبيروقراطية تتعايش اليوم مع إحساس طاغ ومزعج بغياب اليقين والأمن. إذا لم يعد بوسعنا التعويل على عمل أبدي، وعلى عوائد أسواق سريعة الزوال، وعلى أبدية الزواج، وعلى الاستقرار الجغرافي، فقد أمسى عدد كبير من المفاهيم السوسيولوجية التقليدية بالية. لقد آن الأوان لنستمع إلى الفاعلين الأساسيين في هذه الثقافة الجديدة للاحب. ولهذه الغاية، فقد استجوبت اثنين وتسعين شخصًا، تتراوح أعمارهم بين تسعة عشر واثنين وسبعين عاما، في فرنسا، وإنجلترا، وألمانيا، والولايات المتحدة[64]. تمثل رواياتهم الهيكل الإمبريقي لهذا الكتاب - وتحمل كل آثار ما تسميه لورين بيرلانت (Lauren Berlant) «أزمة اليومي/ الاعتيادية» (crisis of ordinariness)، أي الطرق والأساليب الخفية التي يتشابك بها فاعلون متحدرون من مواقع سوسيواقتصادية وسياقات ثقافية مختلفة مع المآسي الصغيرة للهشاشة وغياب اليقين[65]، التي تجمع سمات ما أسميه العلاقات السلبية. تتخذ العلاقات السلبية بالطبع أشكالا مختلفة حسب السياقات الوطنية والطبقات الاجتماعية، لكنها تنطوي على بعض العناصر المتكررة: إنها تعيد إنتاج الخصائص الاقتصادية والتكنولوجية؛ إنها لا تتطور نحو

(64) استجوبت بعض الأشخاص في مقاه وقد اختيروا حسب منهج كرة الثلج. فيما البعض الآخر كان من بين معارفي الذين تقاسموا معي تجاربهم. غيرت أسماؤهم الحقيقية بأسماء مستعارة. حينما تكون التفاصيل الخاصة بالشخص المستجوب موحية بهويته المحتملة، كنت أعمد إلى تغييرها لأوفر أكبر قدر من السرية (مثلا، إذا كان الشخص يشغل منصبا مهنيا وحيدا، أغير عن قصد مسمى وظيفته، مع الاحتفاظ بتكوينه ووضعه الاقتصادي متماثلين). قابلت أغلبية من الرجال والنساء متغايري الجنسانية، لكني كنت ألجأ أحيانا إلى بعض الأشخاص مثليي الجنسانية حين أحسب أنهم يعكسون سيرورات تعمل أيضا عند الأزواج غيريي الجنسانية. تتألف عينة بحثي من أربعة وعشرين شخصا مطلقا، وأربعة وثلاثين شخصا متزوجا وأربعة وثلاثين شخصا يعقد علاقات عابرة أو لا علاقة إطلاقا. إن العينة تتكون من سبع وأربعين امرأة وخمسة وأربعين رجلا. فنظرا للطبيعة الحساسة لهذه المقابلات، سرعان ما تخليت عن جهاز التسجيل وبروتوكول المقابلة، وأجريت في المقابل محادثات غير رسمية وحصلت على تقارير هرعت إلى تحريرها من ذاكرتي فور انتهاء المقابلات. كانت هذه الطريقة بلا ريب أقل إزعاجا وتطفلا، ومتماشية مع أسلوب التحليل الإثنوغرافي. لكن بين حين وآخر، كنت أسجل كل شاردة وواردة من الأفكار الرئيسية في المحاورة. دامت هذه المحاورات ما بين ثلاثين دقيقة وساعة ونصف.

(65) Lauren Berlant, "Slow Death (Sovereignty, Obesity, Lateral Agency)," *Critical Inquiry* 33, no. 4 (2007): 754–780.

شكل اجتماعي ثابت ولكنها تقدر نظرا لطابعها العابر والمؤقت؛ إنها تُمَارَسُ رغم الخسارات والمعاناة التي تسببها. سواء أسفرت هاتان السيرورتان عن المتعة أو الألم، فهما تمثلان، كما سنبين ذلك، شكلا للاحب، حيث تعبر السابقة «لا» في آن عن فض أو تفكيك ما هو قائم (مثلما هو الحال في «حل» عقدة أو أنشوطة)، أو العجز عن إنجاز شيء ما (مثل «عاجز أو غير قادر»). يسبق شكل اللاحب بالضرورة الحب (مثلا، مغامرة ليلة واحدة) الذي يحل محله شكل آخر (الطلاق). هاتان الحالتان ستسمحان لنا بفهم وضعية العواطف والعلاقات في عصر الحرية الشخصية الجذرية. إن هذه الوضعية بالذات هي ما سأنبري لفك شفراتها في هذا الكتاب.

الفصل الثاني

المغازلة ما قبل الحديثة، واليقين الاجتماعي وظهور العلاقات السلبية

«وعلى أي حال، إن كان جيل الكتاب الذي أنتمي إليه يمثل أي شيء، وإن كان ثمة شيء ناضلنا من أجله، فهو الثورة الجنسية».

نورمان ميلر[66]

تجسد رواية **حب رجل عجوز**، التي ألفها أنتوني ترولوب (Anthony Trollope) وصدرت سنة 1884، تجسيدا أدبيا رائعا للكيفية التي كانت تتوافق بها العواطف والمعايير الاجتماعية للزواج في القرن التاسع عشر. يحكي لنا المؤلف قصة الشابة ماري لوري، اليتيمة التي آواها السيد ويتلستاف، الرجل العجوز، في بيته. لأن هذا الأخير لم يسبق له أبدا الزواج، فإن ماري سوف تتنبأ بالقرار الذي عليها اتخاذه في اللحظة التي سيطلب يدها هي للزواج. لقد تفكرت في قرارها بالكيفية التالية:

قالت لنفسها إن الرجل كان من الناحية الشخصية كثير المواهب. كان الأمر ليكون مختلفا لو أن من «خطب ودها» كان أحد أولئك العجزة الذين تقع أعينهم

---

(66) Interview with the Realist, no. 40, December 1962, p. 15; Cited in Charles I. Glicksberg, *The Sexual Revolution in Modern American Literature,* La Haye, Martinus Nijhoff, 1971, p. 4. (المرجع غير وارد في طبعة 2019 الإنجليزية، الأمر الذي أخل بترتيب باقي الإحالات في هذا الفصل/المترجم)

عليها في الخارج! كم كان يتمتع هذا الرجل من ملكة ليجعلها تدرك بأن بإمكانها أن تتعلم الحب؟ كان يتعلق الأمر بشخص لن تخجل منه بأي حال. كان نبيلا، تبهج رؤيته النفس، رقيقا ومهذبا في تصرفاته، وسيما وحسن المظهر نقي الثياب. فإن حدث وأصبحت السيدة ويتلستاف، ألن يقول الناس عنها إنها كانت محظوظة جدا؟ [...] بعد ساعة من التأمل، حسبت أنها ستقبل السيد ويتلستاف إن طلب يدها [...][67].

لا تعكس هذه التأملات تساؤلا عن مشاعرها أو مشاعر السيد ويتلستاف. في حقيقة الأمر، رغمَ أنَّهُ ما من شيءٍ قد صدر عنه صراحة، فإنها كانت تعرف يقينا أنه سيطلبها للزواج. ما دفعها إلى أن تتلقى بصدر رحب هذا الطلب المفترض الواضح والجلي. وفي غضون ساعة واحدة، كانت ماري قد حسمت أمر مستقبلها الزوجي باستحضارها وبتكرارها ذهنيا سلسلة من الحجج تحثها على قبول طلب ويتلستاف، وهذه الحجج وثيقة القربى بفضائل وخصال هذا الرجل وما تتصور أن «الناس سيقولونه» إن أصبحت زوجة له. إنها ترى فيه عين الفضائل والمناقب التي يراها فيه عامة الناس، الأمر الذي يشي بتشابك أو تداخل بين الأحكام الخاصة والأحكام الجمعية. فتماشيا مع نظريات «الذات المرآوية» (looking glass self)[68] السوسيولوجية، يُدمجُ قرار ماري رأيَ المجتمع في ما أزمعت

(67) Anthony Trollope, *An Old Man's Love* (1884; Oxford: Oxford University Press, 1951), 33.

(68) انظر:

Charles Horton Cooley, *Human Nature and the Social Order* (1902; Pisataway, NJ: Transactio Publishers, 1992), 184; David D. Franks and Viktor Gecas, "Autonomy and Conformity in Cooley' Self-theory: The Looking-glass Self and Beyond," *Symbolic Interaction* 15, no. 1 (1992): 49–68 George. H. Mead, "Cooley's Contribution to American Social Thought," *American Sociologica Review* 35, no. 5 (1930): 693–706; George H. Mead, *Mind, Self and Society* (Chicago: University o Chicago Press, 1934); J. Sidney Shrauger and Thomas J. Schoeneman, "Symbolic Interactionis View of Self-concept: Through the Looking Glass Darkly," *Psychological bulletin* 86, no. 3 (1979 549–573; Dianne M. Tice, "Self-concept Change and Self-presentation: The Looking Glass Self I Also a Magnifying Glass," *Journal of Personality and Social Psychology* 63, no. 3 (1992): 435–

اختياره. إن تقييم ويتلستاف، سواء الخاص بها أو الخاص بعامة الناس، يتشكل بواسطة سيناريوهات اجتماعية معلومة للرجل الفاضل، من خلال معايير الزواج ومواضعات الدور المناسب للمرأة، علما أن تقييمها له والعاطفة التي تمحضه بها مترسخان في نظم الجماعة ومعاييرها. فهي لما عقدت النية وأزمعت أمرها فاختيارها لا يخرج عن دائرة هذا المجتمع المشترك والمعروف. وأحاسيسها وقرارها يدمجان في كلٍّ واحدٍ مشاعرها، والامتيازات الاقتصادية للزواج والانتظارات الاجتماعية من امرأة في وضعيتها. فالمشاعر والمعايير تشكل قالبا واحدا وتتحكم مباشرة في قرارها.

إن قرار ماري، وقطعها وعدا بزواج الرجل العجوز فيما بعد، سيتحول إلى معضلة حين يُحاط القارئ علما بأنها كانت قبل ثلاث سنوات «مخطوبة» لجون غوردون. لقد التقى الشابان قبلا بضع لقاءات خاطفة، كانت كافية كي يتواعدا على الزواج بعد عودته من جنوب أفريقيا حيث سافر بحثا عن الثروة. بعدما انقطعت أخباره لثلاث سنوات، تحللت ماري من التزامها وقبلت عرض الزواج الذي تقدم به السيد ويتلستاف. وسوف تبدأ مأساة الرواية في اللحظة التي سيظهر فيها جون غوردون من جديد، مرغما ماري على أن تنبري لاختيار ثان أكثر دراماتيكية، هذه المرة بين شخصين وبين شعورين مختلفين. كان عليها، على وجه التحديد، أن تختار بين نكث عهد قطعته «لرجل عجوز» تخالجها حياله مشاعر ميل ودود وبين التصرف بناء على الالتزام العاطفي الذي يجمعها برجل شاب كانت تهيم بحبه قبل ثلاث سنوات. فنظرا لأنه كان لاحترام كلمة قطعتها قيمة عظمى، في طبقة النبلاء الصغيرة والطبقة المتوسطة الإنجليزية في القرن التاسع عشر، فقد اتخذت القرار المشرف ولم تخن العهد الذي قطعته للرجل العجوز.

قد يغرينا اعتبار أن معضلة هذه الرواية تقابل بين قرار عاطفي وآخر عقلاني، بين الواجب الاجتماعي والهوى الفردي. لكن ذلك يعني الخلط بين علم النفس

451.

وعلم الاجتماع. في الواقع، كل اختيار من الاختيارين الذي أتيح لماري هو في آن عاطفي – المودة أو الحب – ومتوافق مع معايير ونظم وسطها الاجتماعي. في كلتا الحالتين، تأتمر مشاعر ماري بأوامر نظام معياري. الزواج من رجل قابلته ثلاث مرات من دون أن تجامعه هو أمر محبذ اجتماعيا من الزواج من «الأشيب» ويتلستاف. حتى لو كانا خيارين مختلفين، فإنهما يستهدفان نفس المسار الأخلاقي والاجتماعي: الزواج. وفي كلتا الحالتين، تتحرك عواطف ماري في كوسموس (كون) أخلاقي هرمي. في واقع الأمر، مشاعرها هي التي جعلتها منغمسة في الكوزمولوجيا المعيارية للزواج للقرن التاسع عشر.

من وجهة نظر سوسيولوجية، أكثر منها من سيكولوجية، إنَّ المودة المعقلنة التي تكنها ماري لويتلستاف وحبها المندفع لغوردن، ومشاعرها الشخصية والأعراف الاجتماعية تشكل قالبا واحدا. وعلاوة على ذلك، بقدر ما كانت ماري مشوشة بقدر ما كانت بقية الشخصيات، فهم يعرفون جميعا حدود التردد الذي كان يساور كل واحد منهم. يتعلق الأمر بعالم حيث يتشاطر الجميع نفس المعلومات المعيارية عن الكيفية التي ينبغي للشخصي والمعياري أن ينتظما عليها. وبالتحديد فلأن ويتلستاف كان واعيا بالقيود المعيارية التي تكبل يدي ماري فهو يهم إلى تحريرها في خاتمة المطاف من وعدها. إن الوفاء بالوعود ومؤسسة الزواج هما بمثابة أنظمة معيارية تخترق الرغبة والحب، وتنظمهما من الداخل.

***

يمكن اعتبار إميل دوركايم أول من أدرك مغزى انهيار هذا النظام العاطفي، والمعياري والمؤسساتي(69). فنادرًا ما تفطن علماء الاجتماع إلى أي مدى يحيل مفهَومه عن **الأنوميا**، الذي بلوره في دراسته السوسيولوجية عن الانتحار، وهو

(69) شهدت نهاية القرن التاسع عشر ظهور نوع اجتماعي جديد، الرجل العازب اللاهث وراء اللذة، الذي جرى تصويره بغزارة في الأدب من قبل غوستاف فلوبير، وشارل بودلير، ومارسيل بروست، أو لاحقا من قبل ستيفن زفايغ وإيرين نيميروفسكي. هذا النوع الأدبي والاجتماعي الجديد تميز بعدم الرغبة في الزواج، لاتذا مما كان بالنسبة إلى كثيرين طريقا ملكيا إلى الحركية الاجتماعية والمادية.

المؤلف الذي بات اليوم جديرا بالدراسة، إلى الرغبة الجنسية والزوجية. في ملاحظات تتنبأ بعالمنا، يصف دوركايم البنية العاطفية لنمط اجتماعي جديد ظهر في المجتمع الفرنسي – الرجل العازب[70]:

فإذا كانت متعه [الرجل المتزوج] محددة ومعلومة، فهي مؤمنة، وهذا اليقين يحصِّنُ حالته النفسية. وحال العازب مختلفة تمام الاختلاف. فبما أن من حقه أن يتعلق بمن ينال إعجابه، فنفسه تهفو إلى كل شيء ولا شيء يرضيه. لعنة اللانهائي هذه، التي تحملها الأنوميا أينما حلت وارتحلت يمكنها أيضا أن تطال هذا الجزء من وعينا مثلما تطال أي جزء آخر؛ إنها تأخذ في أغلب الأحيان شكلا جنسيا سبق لموسيه أن وصفه من قبل. ففي اللحظة التي لا يردعنا فيها أي رادع أو زاجر، لن يتأتى لنا ردع أنفسنا. ففيما وراء المباهج والمتع التي عشناها، نتخيل ونرغب في مباهج ومتع أخرى؛ وإن اتفق لنا وجبنا تقريبا كل نطاق الممكن، فإننا نتطلع إلى المستحيل؛ إن بنا ظمأ إلى ما ليس بكائن وموجود. فكيف للحساسية ألا تثور ثائرتها في هذه الملاحقة التي لا تنتهي وراء كل شيء؟ ولكي تبلغ الحساسية هذه الحالة، فلسنا في حاجة إلى أن نراكم تجارب عاطفية لا حدودَ لها وأن نعيش كدون جوان. فالحياة المتواضعة لعازب من عامة الناس تفي بالغرض. إذ إن آمالا جديدة تستيقظ دون انقطاع، ثم تحبط، مخلفة وراءها آثارا بالتعب وخيبة الأمل. وفضلا عن ذلك، كيف للرغبة أن تثبت ويخمد لها أوار، ما دامت غير واثقة من الاحتفاظ بما يستثيرها؛ ذلك أن الأنوميا مزدوجة. فمثلما أن الشخص لا يبذل نفسه بنحو نهائي، فهو لا يملك أي شيء بنحو نهائي. لذا فلايقين المستقبل، مشفوعا بلاتحدده والتباسه، يورطه في حركية أبدية لا يقر لها قرار. وينتج عن كل هذا حالة من الاضطراب والبلبلة والاستياء، التي تزيد بالضرورة من احتمالات الانتحار[71].

(70) تورد المؤلفة في الحاشية الاقتباس باللغة الفرنسية، وهذا مرجعه:
Durkheim, *Suicide*, 234; Émile Durkheim, *Le suicide: Étude de sociologie* (Paris: F. Alcan, 1897 , 304–305.

(71) Idem, 304-305.

يقدم دوركايم هنا برنامجا رائعا لما يمكننا تسميته بسوسيولوجيا الرغبة واتخاذ القرار العاطفي: بعض الرغبات تترجم باتخاذ قرار مباشر، والبعض الآخر لا. فرغبة الرجل العازب رغبة أنومية (لامعيارية) لأنها تؤثر على قدرته على أن يريد شيئا معينا لسبب محدد. إن الرغبة الأنومية ليست لا اكتئابية ولا فاترة أو متبلدة. بل هي على العكس من ذلك رغبة جزعة ضجرة، مفرطة النشاط، دائمة البحث عن شيء ما، عن حالة ذهب دوركايم إلى وصفها بـ«المرضية». إنها رغبة لا يمكن أن تشبع بالزواج لأنه لا يمكن أن يخلق الشروط النفسية للرغبة في موضوع وحيد. إنها رغبة تفتقر إلى موضوع محدد والتي، لهذا السبب بالذات، مستحيلة الإشباع. تسفر هذه الوضعية عن شكل خاص من الفعل، يتميز في آن بحركة دائمة (المرور من موضوع إلى آخر) وبغياب لهدف رئيس.

تتصف الرغبة الأنومية، حسب دوركايم، بعدد من الخصائص: 1) إنها تفتقر إلى غائية، أي ليس لها غاية. إنها تتحرك وتتنقل بحرية ولا تقر لها قرار. 2) إنها من دون غاية لأنها تفتقد أيضا إلى نقطة ارتكاز معيارية داخلية يمكن انطلاقا منها بلورة بنية سردية شاملة. 3) بالنسبة إلى الرجل العازب، فالمستقبل غير يقيني ولا يمكن أن يرشده في الحاضر. في المقابل، يتمتع الرجل المتزوج بمستقبل معلوم ويقيني، يستند على معارف ومشاركة معيارية: إن لديه فكرة دقيقة عن المتع والمباهج التي تنتظره، وبفضل مؤسسة الزواج، هو على يقين باستمرارية حيازتها. أما من جانب الرجل العازب، فلا يمكنه أن يتخيل المستقبل ويبقى محبوسا في حاضر لا يعده سوى بآمال (espérance)، شعور أمعن في الغموض من مجرد الانقذاف في المستقبل. فمن خلال الأمل، نتخيل إمكانية متعة جديدة من المحتمل أنَ تدوم لنزر يسير من الوقت. تتجلى في هذا النوع من الرغبة كل خصائص **الأنوميا**: تعوزها القدرة على الإدماج (إنها لا تنبثق من المعايير الاجتماعية) ولا تهدف إلى المشاركة أو الانتماء إلى وحدة اجتماعية. 4) وأخيرا، في الرغبة الأنومية، تصبح الحياة الداخلية للفرد – أي ما يسميه دوركايم بـ«حالته النفسية» (mental plate) – غير محددة، تتنقل باستمرار من موضوع إلى آخر؛ في حالة اللايقين هذه،

يكون الفرد عاجزا عن اتخاذ قرار لأنه غير قادر على تثبيت رغبته على شخص وعلى مؤسسة. الرجل المتزوج هو، بطبيعته، ذلك الرجل الذي اتخذ قرارا، على نقيض الرجل العازب الذي ليس في وسعه سوى أن يراكم، بشكل لانهائي، تجارب، ورغبات وشركاء، من دون أن ترسو الحركة الدائبة لرغبته على بر أو يتخذ قرارا عاطفيا يغلق قوس سرديته. اللايقين، المراكمة، الحركة، العجز (أو الإحجام) عن تخيل المستقبل - كل هذا يشكل ماهية ما يعتبره دوركايم رغبة أنومية، غير قادرة على التوافق مع المعايير الاجتماعية أو التماهي مع المؤسسات. توجد الرغبات الأنومية على مستوى أفقي متكافئ. بخلاف رواية ترولوب، فإن الرغبات الأنومية ليست منظمة طبقا لكوسموس هرمي معياري أو غائي.

تمثل الأنوميا الجنسية إذن أشياء كثيرة في نفس الآن: رغبة مسرفة، شكل من الرغبة مصدره ذات متحللة من المعايير الاجتماعية، وبسبب هذا بالتحديد، يتميز بشيء ما غير مبهم وغامض، ويعجز عن أن يثبت ويستقر على موضوع محدد وأوحد. مثل هذه الذاتية المتمركزة على نفسها ليس لها لا حاجات ولا رغبات واضحة؛ إنها، على العكس من ذلك، غير واضحة النطق، وغامضة، وملتبسة وبلا هدف. ولأن هذه الذاتية عاجزة عن الشعور بعواطف واضحة، فلا يمكنها أن تتطور على مسار سردي ومعياري. وبعبارة أخرى، إن كان الرجل العازب لدوركايم عاجزا عن اتخاذ قرار، فذلك لأن «حالته النفسية» ليست منتظمة باليقين. بالنسبة إلى دوركايم، لا يمكن للعواطف إذن أن تكون مصدرا لليقين واتخاذ القرار إلا إذا كانت متجذرة في بنية معيارية واضحة.

يضع دوركايم هنا الأسس الأولى لسوسيولوجيا الرغبة واتخاذ القرار العاطفي ما يسمح بصياغة نحوين أو قاعدتين للروابط الاجتماعية والاختيار العاطفي: القاعدة الأولى تكون فيها الرغبة طليقة الحركة ومتقلبة، وبلا غاية وتنشأ من الذاتية؛ وفي الثانية تستند الرغبة إلى أشياء خارجية عن الذات، مثل المصلحة الاقتصادية، وعادات الزواج والأدوار الجندرية. توحي هاتان القاعدتان بمفارقة تمس التحرير الجنسي في صميمه: الرغبة المتحررة من القيود المعيارية والبنى

الطقوسية تعيق الاختيار العاطفي. سوف نكرس بقية هذا الفصل لسبر هاتين القاعدتين والكيفيات التي تتشابك بها.

الغزل بوصفه بنية اجتماعية

لم نلاحظ بما يكفي أن الانتقال من الرومانسية التقليدية إلى النظام الجنسي الذي تلا سنوات السبعينيات من القرن العشرين يتصادف مع الانتقال من الغزل بوصفه نمط التفاعل السائد بين الرجال والنساء إلى نظام تغيرت فيه جذريا مبادئ الارتباط وقواعدِه، فأصبحت مبهمة وغير يقينية، وفي نفس الآن، منظمة بإحكام بأخلاقيات الموافقة. إن اختفاء الغزل لهو سمة فارقة في الممارسات الرومانسية الحديثة، وهي تشي باختلاف ملحوظ بين الممارسات العاطفية التقليدية والمعاصرة. ولهذا فإن هذه الظاهرة تستحق منا دراسة وبحثا صارمين أكثر مما كرسه لها لحد الساعة علماء اجتماع الجنسانية والزواج. فبتناول ممارسات الغزل التقليدي بالبحث والدرس، آمل عقد مقارنة بين قاعدتي الروابط الاجتماعية والرغبة؛ ولهذا المسعى، سوف أبسط بإسهاب ممارسات الغزل ما قبل الحديثة وأقيم تعارضا صارما أحيانا بين التقليدي والمعاصر (الأنوميا الجنسية قائمة الذات قبل الحداثة؛ والغزل استطاع البقاء هنا وهناك في المجتمع الحديث). ومن ثم، فإن استراتيجيتي لا تعدم حدودا: إنها لا تأخذ في عين الاعتبار تعدد السلوك الذي يجعل الماضي شبيها بالحاضر ولا تأخذ في الحسبان الطرق التي يتواصل بها الماضي في الحاضر ويستمر في بنيته. إنّني واعية بهذه الحدود، وكلّي ثقة بأنَّ هذه الاستراتيجية تراعي طبيعة التحول الذي حدث في ممارسة الغزل، أي تغيرات قواعد وأنماط التزام الذوات العاطفية في العلاقات الاجتماعية. فممارسات الغزل في أوروبا المسيحية، وبنيته ومحتواه، لا يمكن أن تفهم من دون الرجوع إلى القوانين التي تحكم الجنسانية.

لفهم خصوصية الجنسانية في العالم المسيحي، يمكننا مقارنتها لبرهة مع جنسانية عالم اليونان القديمة، حيث الجنس لا يتصور بمصطلحات علائقية، أو بأنه «تجربة مشتركة تعكس حميمية عاطفية، ولكن بما هو أمر – اختراق – حصل لشخص آخر»[72]. يعكس الجنس ويؤسس علاقات كانت مرتبطة بسلطة الرجل ومقامه. بالنسبة إلى رجل شاب أو عجوز، يمكن للجنس أن يكون «شرفا» أو «عارا»، على صورة السلوك في ساحة المعركة. بهذا المعنى، كانت الجنسانية محكومة بتشريعات سياسية واجتماعية للذكورة وتأتي مباشرة من المقام العمومي والسياسي للفرد. كانت المسيحية هي من حولت بالتدريج الجنسانية إلى رابطة جنسانية غيرية وعلائقية تعكس وتضبط الحياة الداخلية للفرد، وتربطها بالسلوك الروحي للنفس. اجترح القديس أوغسطين للأجيال اللاحقة عقيدة الخطيئة الأصلية القائلة إن الرغبة الجنسية هي تذكير بتناهينا، ووصمة عار دائمة على جبين الكائنات البشرية كافة[73]. بإحالة الجنس إلى إشكالية الإغواء، وإلى الخطيئة التي يقترفها القلب، تهوي هذه العقيدة بالجنس إلى داخل الأفكار، والنوايا والرغبات الخاصة. حددت الجنسانية محتوى «النفس» الفاضلة (أو الفاسدة) وحدودها، لتمسي محور الحياة الداخلية، وتتحرى وتراقب باستمرار لإشباع ظمأ حاجات روحية لدين رهن خلاصنا بعفتنا وطهارتنا الجنسية. وبذلك، فقد كانت الجنسانية، في المسيحية، أخلاقية بعمق – مكمن الخطيئة والخلاص – وموسومة بسمة عاطفية، ومستقر النوايا، والمشاعر والرغبات. كان الحب والمتعة، بوجه

---

(72) Véronique Mottier, *Sexuality: A Very Short Introduction* (New York: Oxford University Press, 2008, 5.

(73) انظر بصدد هذا الأمر:
William. E. Mann, "Augustine on Evil and Original Sin," in *The Cambridg Companion to Augustine*, ed. Eleonore Stump and Norman Kretzmann (Cambridge: Cambridg University Press, 2001), 40–48; Marjorie Hewitt Suchocki, *The Fall to Violence: Original Sin i Relational Theology* (New York: Continuum, 1994).

الإجمال، عائقين يحولان دون سمو النفس وعظمتها[74]. بما أن الكنيسة كانت واعية بأن الجنسانية لا يمكن أن تفرض على كل امرئ الإحصان والطهر[75]، فقد اهتدت إلى اعتبار الزواج توفيقا يتماشى ومثالها التزهدي الخاص، وإلى رسم الحدود الشرعية للجنسانية بالتدريج على مثيل تلك التي وضعها الزواج[76]. إن كانت العلاقات الجنسية قبل الزواج غير ممكنة إلا بين الأزواج، فالزنا والجنسانية قبل الزواج كانتا محرمتين لا محالة. تمتكك أغلب المجتمعات الأوروبية «جهازا قضائيا أنشئ من أجل مراقبة الأشخاص الداعرين، والزناة، والمومسات وآباء الأبناء غير الشرعيين. المقامات الاجتماعية، الحق المشترك، العادات الإقطاعية والمحلية، ناهيك عن محاكم الكنيسة يؤيدون جميعا فعليا القانون الذي يقول إن العلاقات الجنسية المحرمة كانت بمثابة إخلال بالآداب العامة لا ينبغي التساهل معه[77]». كانت انتهاكات المعايير الجنسية منتشرة نسبيا، لكنها كانت تعتبر بمثابة تهديد لأفراد الجماعة بأسرها. بسبب سطوة المسيحية على الممارسات الجنسية، انتهى الجنس إلى إدماج واحتواء معنى دينيا. فمفاهيم مثل «الزنى» تتضمن اعتقادات عن طبيعة الروح الإنسانية، وتحيل ضمنيا إلى موضوعات من الارتقاء والسمو مثل تلك المتعلقة بأصل العالم، ولعنة أو خلاص الروح، سواء بالنسبة إلى

---

(74) انظر:

John Giles Milhaven, « Thomas Aquinas on Sexual Pleasure », *The Journal of Religious Ethics*, 5, no 2, 1977, p. 157-181.

(75) بالنسبة إلى توما الأكويني، عالم اللاهوت الذي عاش في القرن الثالث عشر والذي يستعيد أطاريح أوغسطين، فإن الجنس لا ينبغي ممارسته إلا من أجل التكاثر والتناسل، وليس من أجل المتعة. يبيح توما الأكويني للأشخاص المتزوجين ممارسة الجنس، ولا يستسيغ المتعة الجنسية إلا على مضض، هذه الأخيرة التي لا يمكن أن يسمح بها إلا في إطار الزواج.

(76) انظر بخصوص هذا الأمر:

Jack Goody, *The Development of the Family and Marriage in Europe* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983); Philip Lyndon Reynolds, *Marriage in the Western Church: The Christianization of Marriage during the Patristic and Early Medieval Periods*, vol. 24 (Leiden: Brill, 1994).

(77) Faramerz Dabhoiwala, "Lust and Liberty," *Past & Present* 207, no. 1 (2010): 89–179, esp. 90.

الفرد أو الجماعة، التي تستبيح السلوك الانتهاكي. وكما كتب ذلك المؤرخ ريتشارد غودبير (Richard Godbeer): «كان الأمريكيون الأوائل يخشون الجنس لأنهم يعتقدون بأنه يجسد، حرفيا، هويتهم وقيمتهم، فرديا أو جماعيا على حد السواء»[(78)]. تجلت الانشغالات اللاهوتية في المعارك السياسية للكنيسة الأنجليكانية والجنسية كانت مجالها الأثير لتوطيد سلطتها[(79)]. في أمريكا الكولونيالية (early America)، نزع فتيل الفتن والقلاقل السياسية للأمة الصاعدة بجهود تسعى إلى السيطرة على السلوك الجنسي. ومن ثم، فقد كانت الجنسانية أساسية في الشأنين الأخلاقي والميتافيزيقي للمسيحيين، لأنها توحد الفرد بالسرديات الكبرى للخلاص، والفداء، والسقوط، والخطيئة الأصلية والروحانية. كان هذا التصور للجنسانية متغلغلا ومحددا أساسا بالاعتقادات اللاهوتية، مثل تلك الخاصة بطقوس الزواج المقدسة. تنعكس هذه السرديات الكبرى بدورها من خلال مشاعر أساسية مثل العار، والذنب، والإغواء، وضبط الذات.

وقد بدأ هذا الوضع في التغير في نهاية القرن الثامن عشر، مع التباشير الأولى للعلمانية وتزايد منسوب التسامح الجنسي، واللذين كانا بمثابة «قطيعة حاسمة» مع الماضي[(80)]. كما في ميادين أخرى، أحدثت أفكار قرن الأنوار تغيرات هامة، حتى إن كانت لم تتصدى بشكل أساسي للفكرة بضرورة تنظيم وضبط الجنسانية والجسد (باستثناء النخب المتحررة، التي رفضت هذه الفكرة). فديفيد هيوم وإيمانويل كانط، اللذين كانت أفكارهما عن أسس الأخلاق متعارضة فضلا عن ذلك، انتفضا معا ضد تراخي الآداب الأخلاقية الجنسية[(81)]. ذهب كانط إلى حد

---

(78) Richard Godbeer, *Sexual Revolution in Early America* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2002), 10–11.

(79) Ibid., 3.

(80) Faramerz Dabhoiwala, "Lust and Liberty," *Past & Present* 207, no. 1 (2010): 89–179, esp. 90.

(81) لمراجعة الآداب الجنسية الغربية، انظر:

Richard A. Posner, *Sex and Reason* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1994), 37–

اعتبار الجنس متناقضا مع الأخلاق، لأنه يجلب المتعة، فيلطخ من ثم العلاقات بوصمة الأداتية. «الحب الذي يمليه الميل الجنسي وحده يجعل من الشخص الآخر موضوع شهوة؛ فبمجرد ما نطفئ لهيب هذه الشهوة، يطرح الشخص الآخر جانبا كما نطرح ليمونا بعد أن نعصره تماما.»[82] بالنسبة إلى كانط، فالحب الجنسي ليس «سوى شهوة» و«منظورا إليه لذاته، [...] فهو انحطاط للطبيعة الإنسانية[83]». لكن الفكرة الجديدة، كانت، بالنسبة إلى كانط، أن الجنس كان بمثابة إساءة ننزلها بساح كائن إنساني آخر وليس بالله، ناقلا هكذا الجنسانية من مجال اللاهوت إلى مجال الأخلاق الإنسانية. في القرن التاسع عشر، انبرى كل من النخب التحررية والاشتراكيون الطوباويون الذين يدافعون عن الحب الحر، فضلا عن الناقدات النسويات الأوليات للزواج[84]، ليتصدوا بشراسة لسيطرة الكنيسة على الجنسانية. لكن حتى إن ارتفعت أصوات تنادي بالمزيد من التسامح الجنسي، فالعلاقات الجنسية قبل الزواج بقيت مقننة حتى عهد قريب نسبيا (حتى سنوات 1960، كانت المرأة التي «تلطخت سمعتها» تنتظر من الرجل أن «يتحمل مسؤوليته»). في نظام معياري مقنن بإحكام، تميل الجنسانية إلى اتباع قاعدة اجتماعية وأخلاقية للغزل واضحة، وهي إطار واضح للشباب لينخرطوا في روابط رومانسية.

المغازلة بوصفها أسلوبا لاتخاذ القرار العاطفي قبل الحديث

إن المغازلة تفاعل اجتماعي رسمي، ينتظم حول القيود الجنسية المفروضة من

65.

(82) Immanuel Kant, "Duties to the Body and Crimes against Nature," in D. P. Verene, *Sexual Love and Western Morality* (1972; Boston: Jones and Bartlett, 1995), 110.

(83) Ibid.

(84) انظر:

Ann Heilmann, "Mona Caird (1854–1932): Wild Woman, New Woman, and Early Radical Feminist Critic of Marriage and Motherhood," *Women's History Review* 5, no. 1 (1996): 67–95; Joanne E. Passet, *Sex Radicals and the Quest for Women's Equality*, vol. 112 (Urbana and Chicago: University of Illinois Press, 2003).

الأسر ورجال الدين. في نسختها الفرنسية للعصر الوسيط، فهي تتوافق مع السلوك الرسمي والطقسي الذي يتبناه الفارس (تابع لسيد في أغلب الأحيان) إزاء سيدة (أحيانا زوجة السيد نفسه). إنها خليط بين لغة ذكورية بلاغية منمقة عن البسالة والشجاعة ودوافع دينية للورع والحمية[85] (بعض أشكال الحب كانت تمتد إلى مغازلة نساء قضين نحبهن، كما فعل بيترارخوس مع لورا أو دانتي مع بياتريشي[86]). وبتشييد القصور والبلاطات في أوروبا، أمست المغازلة تعبر عن سلوك المغازل في رحاب البلاط[87]، وأخذت فيها بعد معنى أكثر عمومية للانخراط في تفاعل طقسي مع امرأة لغايات جنسية و/ أو رومانسية[88]. عاكسا

(85) بخصوص موضوع الحب والغزل والجنس في فرنسا العصور الوسطى، انظر:
E. Jane Burns, *Courtly Love Undressed : Reading Through Clothes in Medieval French Culture*, Philadelphie, University of Pennsylvania Press, 2005 ; Laurie A. Finke, « Sexuality in Medieval French Literature : "Séparés, on est ensemble" », *in* Vern L. Bullough et James A. Brundage (dir.), *Handbook of Medieval Sexuality*, New York et Londres, Taylor & Francis, 1996, p. 345- 368 ; Simon Gaunt, *Love and Death in Medieval French and Occitan Courtly Literature : Martyrs To Love*, Oxford University Press, 2006 ; Robert W. Hanning, « Love and Power in the Twelfth Century, With Special Reference to Chrétien de Troyes and Marie de France », *in* Robert R. Edwards et Stephen Spector (dir.), *The Olde Daunce : Love, Friendship, Sex, and Marriage in the Medieval World*, Albany, SUNY Press, 1991, 87-103.

(86) ثمة قصص شهيرة عن الحب في العصور الوسطى مثل تلك التي عاشها دانتي وبيترارخوس تبين أن الرجل بإمكانه أن يحب امرأة وأن يكرس لها عبادة شاعرية تمتد لردح طويل من الزمن بعد وفاتها، كما لو أن الغزل كان طقسا يعبر عن أنوية خالصة للحب، بدلا من أن يكون تفاعلا حقيقيا مع الآخرين، فيطلق سورة عاطفة شبه دينية، شبيهة بالصلاة.

(87) كما تصفه كاثرين بيتس:"أفسح "التودد أو المراودة" المجال لفن ممارسة الحب لأن التودد إلى شخص من الجنس المقابل اعتبر في المطاف الأخير عملية بلاغية استراتيجية وتاكتيكية بالغة التعقيد. أدرك الشركاء كما لو أنهم شخصان متباعدان وقصيان، كان التواصل بينهما في غاية الصعوبة وخاضعا لكثير من الضغط. يذهب نوربرت إلياس إلى أن هذا التحول في السلوك العاطفي والرومانسي كان نتيجة مباشرة لـ"السيرورة التحضيرية (من الحضارة)" الشاملة، التي كانت، بدءا من العصور الوسيطة، نتيجة للسلطة المتمركزة في يد الحكام المستبدين الذين احتكروا السلطة بقمع أي مظهر من مظاهر العنف أو العواطف الطبيعية بين رعاياهم. وفي المقابل، كان يستحث الأفراد على إعلاء أو إسماء رغباتهم، الأمر الذي حول بشكل دائم أوامر السلوك الاجتماعي "المتحضر" إلى أشكال من الرقابة الذاتية". انظر:
Catherine Bates, *The Rhetoric of Courtship in Elizabethan Language and Literature* (Cambridge: Cambridge University Press, 1992), 11.

(88) لمزيد من المعلومات عن تاريخ الغزل، انظر:
Ibid.; Catherine Bates, *Courtship and Courtliness* (PhD diss., University of Oxford, 1989);

هذه السيرورة، انطلاقا من عصر النهضة فصاعدا وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر على وجه التخصيص، تطور نظام اجتماعي للتودد إلى النساء في البلاط الفرنسي. وكما يحدده نيكلاس لوهمان (Niklas Luhman) فالتودد كان «الأسلوب الذي لا غنى عنه في المجتمع الذي بقدر ما كان من أجل الخداع والإغواء، كان من أجل المغازلة التي تنم عن الود فعلا». (89) يمكن للتودد إلى النساء أن يكون واجهة خالصة للاجتماعية (sociality)، واستيطيقا للتفاعلات بين الجنسين المختلفين، التي لها قوانينها، وقواعدها وآدابها. فأحيانا كان التودد يلتف على القيمة المتصلة بالعذرية. بما هو تفاعل استيطيقي، فإن التودد ليس بالضرورة موجها نحو الزواج، وإنما يعكس بالأحرى القواعد المعقدة للآداب الأرستقراطية ويتحول أحيانا إلى إباحية ومجون.

في البلدان البروتستانتية، حيث للبرجوازية تأثير أكبر على تعريفات الأخلاق، كان لتنظيم الجنسانية وتقنينها وقع أكبر، سواء على الزواج أو على إدراك النظام الاجتماعي(90). فهنا، لا تتعلق المغازلة بالتودد وكانت تهدف صراحة إلى الزواج. وهكذا، فأثناء المغازلة، تتداخل المدونات الأخلاقية والدينية للجنسانية كما تتجلى بواسطة الرجال والنساء بأساليب التعبير اللغوي والسلوكي لطبقاتهم(91).

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، أخذت المغازلة تعكس تغيرات أخرى، اعتبرها لاورنس ستون (Lawrence Stone) إرهاصا على نشأة الفردانية العاطفية بين الطبقات المتوسطة

Ilona Bell, *Elizabethan Women and the Poetry of Courtship* (New York: Cambridge University Press, 1998); Ellen K. Rothman, *Hands and Hearts: A History of Courtship in America* (New York: Basic Books, 1984).

(89) Niklas Luhmann, *Love as Passion: The Codification of Intimacy* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1986), 77.

(90) لمراجعة تاريخ هذا المذهب في أمريكا، انظر:

John D'emilio and Estelle B. Freedman, *Intimate Matters: A History of Sexuality in America* (Chicago: University of Chicago Press, 1998).

(91) ولهذا فإن دون جوان – منتهك الأخلاق الدينية في القرن السابع عشر الذي استحق عقابا إلهيا – كان مراودا للنساء. لأن خرق القواعد الأخلاقية للمغازلة، كان انتهاكا للمجتمع والأخلاق بمعناها العام.

والأرستقراطية[92]. يمكن أن تبدأ المغازلة الغرامية من اللحظة التي أخذ فيها الزوجان موافقة والدي المرأة الشابة، وبذلك تصبح التعبير العلني عن مباركة الأسرة الزواج والموافقة على استكشاف الزوجين الشابين لمشاعرهما الخاصة؛ ومع تزايد الفردية، أصبحت المغازلة إطارا موجها إلى التثبت وسبر العواطف واتخاذ قرار الزواج (قبولا أو رفضا). إنها كانت إطارا اجتماعيا للتداول المنظم والمطقسن للمشاعر وفقا لقواعد تعبير، وتبادلية معروفة في العادة لدى كلا الطرفين. النتيجة كانت قبولا أو رفضا صريحا، لكن أن تبدأ مغازلة لمجرد المغازلة يشير في أغلب الأحيان إلى أن كل طرف يهتم بالزواج ويستحث الشابين معا إلى تقصُّد هذا الهدف. بهذا المعنى، كانت المغازلة الغرامية إطارا لاتخاذ القرار أو لتأكيد قرار مسبق لاستكشاف المشاعر بِنيَّة الزواج.

وبناء على ذلك سوف أعرف المغازلة العاطفية بأنها إطار اجتماعي مبنين لاتخاذ القرار، سواء كان هذا القرار عاطفيا («أتراني أحبه؟»)، أو عمليا («هل أرغب في الزواج منه؟»)، أو الاثنين معا. إن لها بداية، ومجموعة من القواعد المطقسنة التي تنظم تطورها، وغاية رسمية (التي تؤول عامة إلى خطبة، وأحيانا أيضا إلى إنهاء الارتباط). المغازلة إذن هي تقنية ثقافية لاتخاذ القرار لأنها توفر إجراءات تمكن الحياة الباطنية من أن تثبت وتستقر وتنتظم حول قواعد معروفة. يمكن قول ذلك بطريقة أخرى بافتراض أن المغازلة الغرامية بنية اجتماعية يمكن فيها للفاعلين اتخاذ قرار محفوف بالمخاطر (الزواج) في شروط اجتماعية تزيد من اليقين (وكذلك مما يسميه أنتوني غيدنز الأمان الأنطولوجي)[93].

بما هي شكل اجتماعي، ولدت المغازلة قبل الحديثة يقينا، ليس بالمعنى الذي تضمن فيه النتيجة (رغم أنها تساهم في ضمانها)، ولكن بالمعنى المزدوج، الذي لا

---

(92) Lawrence Stone, *Uncertain Unions: Marriage in England, 1660–1753* (Oxford: Oxford University Press, 1992), 8).

(93) Anthony Giddens, *Modernity and Self-identity: Self and Society in the Late Modern Age* (Stanford, CA: Stanford University Press, 1991).

تحول فيه من جهة المستقبل إلى مشكلة (لأن هدفها معروف ومقبول من كل الأطراف)، والذي ترتكز فيه من جهة أخرى على مجموعة واضحة من القواعد التي تنظم المشاعر والعواطف والتفاعلات في مسارات ثقافية معروفة. إن اليقين العاطفي – فك شفرات مشاعر المرء الخاصة ومشاعر الآخرين، ومن ثم اتباع سلسلة من المتواليات المنتظرة – أضحى ممكنا من خلال حقيقة أن المغازلة تنتظم غائيا حول هدف الزواج.

اليقين بما هو بنية اجتماعية

جعل عالم الاجتماع الألماني نيكلاس لوهمان (Niklas Luhmann) من «اليقين» سمة مركزية في التفاعلات الاجتماعية. وحسبه، فالحد من التعقيد وعدم اليقين هو عنصر أساسي في السيرورات الاجتماعية[94]. إن الحب – مثل الحقيقة أو المال أو السلطة – هو وسيط من وسائط التواصل يساهم في خلق انتظارات وتوقعات، واتخاذ قرار من بين خيارات كثيرة، وفي ربط الدافعية بالفعل، وتوليد اليقين وإمكانية التنبؤ في العلاقات. تخلق وسائط التواصل تلك أدوارا تتأدى بدورها إلى نتائج متوقعة (ولنستعيد نفس مثال لوهمان، فالمرأة لن تُقابل بالصد إذا سألت زوجها: «لماذا عدت متأخرا إلى البيت اليوم؟»)[95]. التنبؤية هي بعد أساسي من أبعاد التفاعلات الاجتماعية، ويمكن تلمسها في الطقوس على سبيل المثال. فحين تطقسن التفاعلات، فهي تضفي يقينا سواء على التعريف الذي يحدد به الفاعلون العلاقة، أو مكانهم في تلك العلاقة أو القواعد التي ينبغي اتباعها لتوجيه تلك العلاقة. يمكن وصف اليقين بأنه «يحيل إلى قدرة شخص على

(94) انظر:

Niklas Luhmann, *Love as Passion: The Codification of Intimacy* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1986), 147–148; and Niklas Luhmann, *Social Systems* (Stanford, CA: Stanford University Press, 1995).

(95) Niklas Luhmann, *Love: A Sketch* (Cambridge: Polity Press, 2010), 10.

الوصف، والتنبؤ وتفسير السلوك في مواقف اجتماعية»[96]. أو على العكس من ذلك كما عرفته **موسوعة بلاكويل لعلم الاجتماع**، بأن عدم اليقين هو «بناء معرفي غير واضح المعالم، أو غامض أو متناقض يتسبب في إثارة مشاعر عدم اليقين[97]». يولد الوضوح الطقسي مثل الوضوح المعياري – التعرف على المعيار، والقاعدة والدور – اليقين بشأن تعريف الوضعيات وموقع الفرد في وضعية معينة. إذ إن اليقين صفة نفسية للأفراد، لكنه أيضا صفة للتفاعلات. فما هي عناصر أو مكونات هذا التفاعل؟

اليقين المعياري

يتصل اليقين المعياري بالإدراك الواضح للمعايير والقيم التي تحضر في تفاعل معين. فكلما كانت هذه المعايير سهلة التعيين (بشكل واع أو لا)، كلما كانت هذه الأخيرة قوية وكلما كان التفاعل متوقعا أو قابلا للتنبؤ به (فأن تحضر مثلا في موعد ثالث بثياب أنيقة لهو أمر متوقع أكثر من إهداء باقة ورد).

شكلت محافظة النساء على عذريتهن أحد المعايير الأكثر أساسية في الغزل التقليدي حتى فترة حديثة من القرن العشرين. كان على النساء أن يحمين طهارتهن الجنسية في حين كان على الرجال أن يتحملوا مسؤولية كل انحراف عن قوانين السلوك الجنسي[98]. فلما اكتشفت مثلا آديل شوبنهاور، الأخت المخلصة

(96) Denise Haunani Solomon and Leanne K. Knobloch. "Relationship Uncertainty, Partner Interference, and Intimacy within Dating Relationships," *Journal of Social and Personal Relationships* 18, no. 6 (2001): 804–820, esp. 805.

(97) *The Blackwell Encyclopedia of Sociology*, ed. George Ritzer, s.v. "Uncertainty" (Hoboken, NJ: Blackwell, 2007), http://www.blackwellreference.com/public/tocnode?id=g9781405124331_chunk_g978140512433127_ss1-1#citation, accessed June 21, 2017.

(98) انظر بهذا الخصوص:

Anthony Fletcher, "Manhood, the Male Body, Courtship and the Household in Early Modern England," *History* 84, no. 275 (1999): 419–436; Marie H. Loughlin, *Hymeneutics: Interpreting Virginity on the Early Modern Stage* (Lewisburg, PA: Bucknell University Press, 1997); Kim M. Phillips and Barry Reay, *Sex before Sexuality: A Premodern History*

للفيلسوف آرثر فضلا عن أنها كانت امرأة منفتحة ومتحررة إلى أقصى الحدود، اكتشفت أن أخاها قد تسبب في حمل خادمتهم، كتبت: «أجد هذا مقرفا.» فلاذ آرثر هاربا، لكن التشريعات والأعراف في ذلك الزمن أرغمته على «أن يتحمل مسؤوليته»، أي أنه طلب من أخته (بلا حياء) بأن تتولى نيابة عنه النهوض بأعباء أم الطفل[99].

كثيرا ما كانت النساء من الأوساط الدنيا ضحايا اعتداءات جنسية من دون عقاب يقترفها رجال الطبقات الاجتماعية الأعلى (مثلا في المنازل التي تعملن فيها كخادمات)، ولكن بما أن معايير السلوك الجنسي كانت تعتبر بمثابة قوانين أخلاقية، كان على الرجال أن يعطوا الانطباع باحترام هذه القوانين، ما يعني أن عددا كبيرا من السلوكيات الجنسية كان مستترا أو يجب تضمينه في أفق الزواج أو مظهر الزواج. في إنجلترا بداية الحداثة، في القرن السابع عشر، مثلا، «كانت العلاقات الجنسية قبل الزواج، واسعة الانتشار، لا تمثل رفضا مستهترا وطائشا للأعراف الأخلاقية من جانب أناس عاديين. بل تأتي هذه الممارسة من الاعتقاد المشترك الذي مفاده أن الحد الفاصل بين الجنس المباح والجنس غير الشرعي كان ينتهك بمجرد ما يتعاهد الشريكان»[100]. مثلما نظهر استعدادا للزواج من خلال القدرة على العزف على البيانو، أو ركوب الخيل أو كتابة رسائل، نعبر عن هذا الاستعداد أيضا باحترامنا لقواعد المغازلة، بتحفظ جنسي واعتبار لقواعد السلوك المناسبة. وأمثلة هذا الوعي بالمعايير المترسخة في المغازلة كثيرة لا عد لها.

خلال المغازلة الطويلة بينهما في القرن التاسع عشر، كان على القس جون ميلر

(Cambridge: Polity Press, 2011); Ulrike Strasser, *State of Virginity: Gender, Religion, and Politics in an Early Modern Catholic State* (Ann Arbor: University of Michigan Press, 2004).

(99) ذكرت آديل شوبنهاور في:

Diethe Carol, *Towards Emancipation: German Women Writers of the Nineteenth Century* (New York/Oxford: Berghahn Books, 1998), 55. Victoria Gairin depicts the episode in "Comment devient-on-misogyne," in *Le Point Hors-série* 2´ (2016): S. 23.

(100) Richard Godbeer, *Sexual Revolution in Early America* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2002), 3.

وسالي ماكدويل أن يتحملا عديد العقبات. إليكم كيف يستكشف جون ميلر، في بداية مراسلاتهما، مشاعره في رسالة كتبت في أيلول/ سبتمبر 1854: «بالسير على حرم تاريخك الخاص، ولو بالخطى الأكثر رشاقة وخفة، أخشى بفظاعة أن أتصرف بطريقة فظة [...] أسعى وكلي ألم أن أكون أغر موقرا وقد أبليت بلاء حسنا معي بتصورك أنني أريد أن أحسن التصرف، وأنني ربما بالنسبة إليك فوق أي شبهة من أي فظاظة متعمدة.

وأدعو الله أن يكون الأمر كذلك، وأن تنسبي إلى غياب الحس السليم ما يمكنك أن تعزيه إلى طيش مستهتر»(101). يبحث هذا الرجل «مهما كان الألم أن يكون محترما» إلى درجة أنه يفضل أن يظن بأنه غبي أبله («يفتقد إلى الحس السليم») من أن يعتبر جلفا غليظ الطبع، ويفتقد إلى الكياسة وإلى وقواعد الأدب المناسبة لتشريف امرأة. وبذلك، فقد كانت القدرة على احترام المعايير الاجتماعية ضرورية من أجل الإحساس بالذات [والآخر] في علاقة رومانسية. فالتوافق مع بعض قواعد السلوك، المبنية في آن على الطبقة الاجتماعية وعلى الأخلاق، يعني بأننا جديرون بأن نحب ونكون محبوبين في المقابل. كان الحب متشربا بالكامل بالمعيارية.

إذا أخذنا مثالا آخر: جورج هيربرت بالمر يغازل آليس فريمان(102)، التي ترتاب من لباقة هذه المغازلة. ردا على شكوكها، كتب لها سنة 1887: «عندما تزوج روبرت برونغ إليزابيث باريت، رأى الجميع صواب وثراء هذه الحياة الجديدة، وابتهجوا بها. فكل واحد منا يجلب للآخر وجودا ليس أقل ملاءمة وتكاملا. على هذا النحو يدرك الأمر. فمشاعر الفخر التي تساورنا سيشعر بها الناس على أنها

---

(101) Thomas E. Buckley, ed. *"If You Love That Lady Don't Marry Her"*: *The Courtship Letters of Sally McDowell and John Miller, 1854–1856* (Columbia: University of Missouri Press, 2000, 6), التشديد من عندي.

(102) Georges Herbert Palmer was an American scholar and author who translated many classics such as *The Odyssey* (1884);

آليس فريمان، مؤسسة جامعة ويلسلي، كانت مربية أمريكية تناضل من أجل حق النساء في ولوج الجامعة.

موافقة. أثق كثيرا في كرم الناس، وفي ملكة تعرفهم على ما هو مناسب، والاعتقاد بأننا يمكن أن نكون عرضة للرقابة.»[103] بالإحالة إلى القصة الشهيرة للشاعرين اللذين تحدَّيَا رفض والد إليزابيث تزويجها إلى خاطبها بالفرار سرا، طمأن بالمر آليس عن القبول المعياري المستقبلي لحبهما من قبل «الناس». تبين مثل هذه التطمينات إلى أي مدى كان كل منهما واعيا بأحكام الآخرين وسعيا إلى الحصول على مباركتهم. لقد اختبرت المشاعر باستبطان حكم اجتماعي معياري وخارجي واستدماجه في كيان الذات (وهذا بالضبط ما فعلته ماري لاوري). فحقيقة أنها يمكنها أن تقلق من موافقة المجتمع لا تجعل السيد ويتلستاف يشك للحظة في حبها له. على الضد من ذلك، فالمخاوف التي قضت مضجعها والكلمات المطمئنة التي كتبها لها توحي بأنهما كانا يكافحان سوية لترسيخ مشاعرهما وتثبيتها في المعايير المتعارف عليها، التي تمثل النُهج المشروعة لتنظيم المشاعر.

اليقين الوجودي

يسفر اليقين المعياري عما دأبت على تسميته باليقين الوجودي، أي التواؤم أو التوافق المدرك بين تجربة ذاتية وتجربة موضوعية (اجتماعية). يتيح اليقين الوجودي للفرد الإجابة بسهولة عن أسئلة مثل «من أنا في هذا الموقف؟ ما الآخر بالنسبة إلي؟» وبالنتيجة، يغدو من المتيسر أيضا الإجابة على السؤال: «بأي شيء أدين لهذا الشخص في هذا الموقف؟» تمييز وتقسيم أدوار النوع الاجتماعي هما مظهران أساسيان لإمكانية التنبؤ بنظام المغازلة الغرامية. كانت المغازلة موجهة نحو موضوع – امرأة – الذي عليه أن يقرر ما إذا كان سيرد بالمثل أو لا على عاطفة أوَ فعلٍ بَدَرَ من رجل، وفي هذا الصدد، كانت هذه الممارسة مبنينة بتوزيع واضح

(103) ورد في:

M. A. DeWolfe Howe, "An Academic Courtship: Letters of Alice Freeman Palmer and George Herbert Palmer," *The New England Quarterly* 14, no. 1 (March 1941): 153–155, التشديد من عندي.

للأدوار الجندرية. وكما تؤكد جين أوستن (Jane Austen) على لسان هنري تيلني في رواية **دير نورثانغر** (1818): «يملك الرجل امتياز الاختيار والمرأة القدرة على الرفض فحسب.»[104] بمجرد ما يختار الرجل موضوع مغازلته، فمن واجب المرأة أن تقبل أو ترفض أن يتودد إليها، والمغازلة تستمر من ثم وفق مسار ينظم تبادل واختبار وتبليغ المشاعر. فواقع أن النساء كن موضوع رغبة الرجال بدلا من أن يكن صاحبات رغبتهن الخاصة يرتكز على تقسيم ثنائي للأدوار الجندرية، الذي بدوره، جعل ممكنا إضفاء الطابع الرسمي على المغازلة. يأتي اليقين الوجودي من قدرتنا على تعيين إطار دلالة تفاعل ما نعرف مكاننا ودورنا فيه. ويزيد هذا اليقين في التفاعلات التي تكون فيها الحدود بين الطبقات والجندر واضحة المعالم لا تفاوض فيها ولا خيار نسبيا، مما يخلق «إحساسا بالمكانة التي نشغلها».

لنأخذ مثال الطريقة التي يتبادل فيها زوجان ريفيان من ولاية تكساس عبارات الغزل. إليكم كيف يخاطب ديفيد فاين، في العام 1892، جيسي بليدسو التي التقى بها للتو:

آنستي العزيزة، آمل أن تغفري لي تجرئي على أن أكتب لك هذه الرسالة القصيرة، فقد خلت أنني سأحظى بفرصة رؤيتك من جديد قبل مغادرة شيفرد ومحادثتك. الموضوع الذي أود أن أحدثك عنه في غاية الأهمية، ويجب أن يُفكَّر فيه مليا وهو موضوع يتعلق بالزواج [...][105].

على الرغم من أن فاين كان قد التقى بليدسو لتوه، فقد أمكنه أن يفاتحها بسرعة

(104) مقتبس عن:
John Mullan, *Courtship, Love and Marriage in Jane Austen's Novels: Discovering Literature*, Romantics and Victorians, British Library, May 15, 2017, http://www.bl.uk/romanticsand-victorians/articles/courtship-love-and-marriage-in-jane -austens-novels#, accessed June 21, 2017.

(105) Marilyn Ferris Motz, "'Thou Art My Last Love': The Courtship and Remarriage of a Rural Texas Couple in 1892," *The Southwestern Historical Quarterly* 93, no. 4 (1990): 457–474, esp. 457.

كبيرة عن موضوع الزواج، لأن ذلك كان دوره كرجل (كان الرجل من يمكنه أن يطلب اليد للزواج). في هذه الحالة، فعرض الزواج كان يعني أيضا عرض الاعتناء بأبنائه (الذين أنجبهم من امرأة وافتها المنية لحظتها). بعبارات أخرى، كان عرض الزواج بمثابة عرض دور واضح للمرأة. وهذا هو السبب في أن إثارة مسألة الزواج بهذه السرعة لم يهدد لا رجولة ولا سمعة فاين.

اليقين الأنطولوجي

الآلية الثالثة المولدة لليقين في المغازلة الغرامية تكمن في موضعة المشاعر بواسطة العالم المادي للعُهَد والرهون والهدايا. فرغم قوتها الهائلة فإن العواطف والمشاعر تعاني من طبيعتها المتقلبة غير المستقرة. لكن، في المغازلة العاطفية قبل الحديثة، كان تبادل الهدايا والرهون (بقيم شتى) بمثابة علامة وختم على نية كلا الطرفين. فلم يكن تبادل الهدايا من الأهمية لتعبيره عن السرائر بل لقدرته على ربط نوايا ومشاعر الطرفين. وكما يلاحظ المؤرخ جون غيليس (John Gillis): «إن نية مقدم [الهدية] وثيقة الصلة بالقدرة الملزمة للهدية.»[106] تلعب الأشياء دورًا مهمًّا في موضعة العلاقات، وذلك بتحديد مسارات تقدمها وتنظيم إيقاعاتها، وبتعيين نقطة بداية، وتطورها وانتهاء بالتعهد بالعلاقة. فقد جرت العادة مثلا في بريطانيا على شطر قطعة نقدية بقيمة ثلاثة بنسات إلى شطرين والاحتفاظ بهما كتعهد على نية الالتزام. إن انتهت المغازلة، على كل طرف أن يعيد نصف القطعة النقدية[107]. بكلمات أخرى، تنتظم المشاعر في الإطار الملموس والمادي لتبادل الهدايا؛ تكتسب المشاعر موضوعية أنطولوجية من واقع أن العلاقة ترجمت إلى أشياء، ما يجعل المشاعر ملموسة وموضوعية، خارج الذات. في رواية أخرى لأنتوني ترولوب، عنوانها **هل يمكن أن تغفر لها؟** (1864-1865)، كانت البطلة آليس فافاسور

---

(106) John R. Gillis, *For Better, for Worse: British Marriages, 1600 to the Present* (New York: Oxford University Press, 1985), 33.
(107) Ibid.

مخطوبة إلى ابن عمها جورج، لكنها كانت لا تبدي له أي أمارة على الحب أو الاهتمام. وهو في سَوْرة غضب شديد من لامبالاتها الظاهرة، راح إلى غرفة الفتاة الشابة، وجعل يبحث عن شيء فاستولى عليه، كما لو أن الشيء بديل عن المشاعر التي ترفض إبداءها وكما لو أنه سيدمغ بالختم خطوبته لها. «يعتقد بأن للهدايا قوة سحرية، بحيث إن إهداءك خصلة من الشعر، وقطع ملابس، وحتى القبلة يعني أن تكون في ملك يمين شخص آخر». (108) وكما يشير إلى ذلك جون غيليس، فمن أجل التثبت مما إذا كان رجل ما مراودا لاهيا أو طرفا جادا، كان من جري العادة الاستعانة بوسطاء، كشهود على أقوال وأفعال الشريكين(109) - إن الأمر يتعلق بنظام لتثبيت وتدوين الوعود، والنوايا، والكلمات والمشاعر في أشياء وشهود، الذين سيخرجون المشاعر من سرائر الأفراد لعرضها في عالم عام ومرئي. لقد حولت الموافقة المقدمة علنا أصدقاء إلى عشاق، وعشاقا إلى أزواج مستقبليين، مما يعني أن نظاما موضوعيا بتبادل الهدايا والشهود يؤسس العلاقة بكيفية أدائية (إنجازية)، وليس عن طريق استبطان ذاتي أو تعبير عاطفي. في الحالة التي نرفض فيها الزواج، كانت العادة رد الهدايا التي نقبلها، مما يثبت أن اقتصاد تبادل الأشياء كان اقتصادا للتقيد والالتزام، لأنه يندرج في عالم خارجي يحول المشاعر والعواطف إلى كيانات محسوسة غير ممكنة التقلب من حال إلى حال.

اليقين التقييمي

اليقين التقييمي هو القدرة على جمع معلومات موثوقة عن الآخرين و/أو معرفة كيفية تقييمهم تبعا لمعايير ومقاييس تقييم معمول بها. في المغازلة قبل الحديثة، كانت هذه المهمة من السهولة بمكان لأن الشركاء المحتملون كانوا ينتمون إلى شبكات اجتماعية متقاربة. «كان الشركاء يأتون من نفس القرية أو المدينة، أو يتعارفون لأنهم كانوا يَؤمّون نفس المقر حيث كانوا يعملون. أغلب

---

(108) Ibid.

(109) Ibid., 33–34.

الأزواج يتعرفون إلى بعضهم جيدا قبل الزواج بفضل أخويات دينية أو جماعات طائفية، وقد عقدت الكثير من الزيجات بين خادمات وخدم مبتدئين في قلب نفس المنزل.»[110] أغلب الأفراد كانوا يعرفون جيدا الشخص الذي سيتزوجونه، سواء بسبب سمعته أو لأنهم ينحدرون من نفس المدينة أو القرية. سمح هذا النمط من جمع المعلومات بتقييم شخصي وجماعي، حيث لعب الصيت الطيب دورا هاما في انتقاء الشركاء. بالطبع، لم يكن هذا النمط في جمع المعلومات أكثر موثوقية من النمط الحديث الأكثر فردانية. استمر هذا الوضع إلى فترة متأخرة جدا من القرن العشرين.

في العام 1932، توصلت دراسة موسعة لتأثير قرب السكن في اختيار الزيجات إلى اكتشاف مذهل: في ساكنة تتألف من عشرة آلاف شخص مسجلين في سجلات الزواج، كان يعيش أكثر من ستة آلاف شخص على بعد عشرين مجمعا سكانيا أو أقل عن شركائهم أو شركائهن، وأكثر من النصف كانوا يعيشون في الواقع على بعد أقل من خمسة مجمعات سكنية عن بعضهم البعض[111]. وحتى نهاية ستينيات القرن الماضي، ظل التماثل المكاني المؤشر الرئيس لاختيار شريك – مثلما ظل أداة لجمع المعلومات عن أشخاص آخرين، لأن احتمالية خلق شبكات اجتماعية متجانسة [أي بالمماثلين والأكفاء لنا] كانت أرجح. بمعنى آخر، فحتى حينما لا تفرض الأسرة مراقبة مباشرة على اختيار شريك، فالتماثل المكاني كان يضمن أن يكون هذا الاختيار مرتبطا بالشبكات الاجتماعية المتعارف عليها. الأمر الذي كان يخفف من حالة عدم اليقين التقييمي والمعياري. حتى لو لعب التفضيل الفردي دورا في اختيار الشريك – وهذا ما كان بالطبع – فقد كان هذا الميل يستند على شبكات اجتماعية للقرب التي تسمح بالتبعة بتعزيز اليقين التقييمي.

(110) Richard Bulcroft, Kris Bulcroft, Karen Bradley, and Carl Simpson, "The Management and Production of Risk in Romantic Relationships: A Postmodern Paradox," *Journal of Family History* 25, no. 1 (2000): 63–92, esp. 69.

(111) James H. S. Bossard, "Residential Propinquity as a Factor in Marriage Selection," *American Journal of Sociology* 38, no. 2 (1932): 219–224.

اليقين الإجرائي

يتصل اليقين الإجرائي بالقواعد التي تسمح للفرد بأن يمضي بنواياه وعلاقاته إلى منتهاها. تختلف القواعد عن المعايير لأنها تتعلق بالترتيب التسلسلي الذي تتم به الأمور والقدرة على المضي بالتفاعل قدما. فمثلا، في بيوت الطبقات المتوسطة في القرن التاسع عشر، كانت الممارسة الشائعة «للزيارة» تتبع بروتوكولا يجب بمقتضاه على الخاطب أولا أن يخضع نيته التودد إلى مخطوبته إلى موافقة والديها ثم تقبل لاحقا. سيتيح لنا أحد الأمثلة الأدبية، وهو الوصف الواقعي لغوستاف فلوبير للآداب والأعراف الريفية في فرنسا إبان القرن التاسع عشر في رواية **مدام بوفاري** (1856)، سيسمح لنا بتقييم دور هذه القواعد في ممارسة الغزل. في المقطع الذي يلي، ما زلنا لا نعرف شيئا عن مصير إيما رُوُّو وشارل بوفاري. نعرف فقط أن شارل كان خجولا وأخرق، وأنه كان يضع إيما نصب عينيه. إن خجل شارل يعد طريقة جيدة لتقييم أهمية القواعد الاجتماعية ودورها في اللحظة التي يعلن فيها البطلان عن مشاعرهما ورؤية كيف تتجسد هذه المشاعر إلى قرارات. يصف فلوبير أفكار السيد روو، والد إيما، بخصوص هذه العلاقة:

ولما لاحظ أن وجنتي شارل كانتا تتوردان كلما كان على مقربة من ابنته، ما كان يشي بأنه سوف يطلب منه يدها ذات يوم، فأخذ [مسيو روو] يمعن الفكر في الأمر بأكمله مقدَّمًا. كان يراه أهيف القد قليلا، وليس الصهر الذي كان يتمناه؛ لكن قيل له عنه إنه شاب حسن السلوك، وحريص على ماله، ورفيع التعليم، ولا شك أنه لن يماحك كثيرا بخصوص أمر الصداق. والآن، وإذ كان مسيو روو مضطرا إلى أن يبيع اثنين وعشرين فدانا من «أرضه»، ليتخفف من دين كبير عليه للبناء والسراج، ولإصلاح عمود تدوير المعصرة، فقد أسر في نفسه قائلا: «لسوف أعطيه إيما إذا طلبها!»(112)

وقد جاءت اللحظة الموعودة.

---

(112) Gustave Flaubert, *Madame Bovary*, trans. *Margaret Mauldon* (1856; Oxford: Oxford University Press, 2004), 23–24.

إذ كان شارل قد منح نفسه مهلة تنتهي ببلوغه ركن سياج الضيعة. ولما تجاوزه أخيرا تمتم قائلا: «- سيدي روو، أريد أن أفاتحك في أمر». ووقف السيدان، لكن شارل أخلد إلى الصمت! فقال الأب روو ضاحكا في رفق: «حدثني بقصتك! أو تظن أنني لا أعرف ما يدور في ذهنك؟» فغمغم شارل قائلا: «أيها الأب روو [...]، أيها الأب روو!» فواصل المزارع حديثه قائلا: «إنني لا أتمنى أفضل منك.» ولو أن الصغيرة سيكون لها من غير شك نفس رأيي إلا أن من الواجب طلب رأيها [...] وفي غداة اليوم التالي، عند الساعة التاسعة صباحا، كان [شارل بوفاري] في المزرعة. وتضرج وجه إيما خجلا حين دلف إلى الدار، وهي تسعى جاهدة إلى أن تفتر عن بسمة صغيرة، كأمارة على رباطة جأشها. وعانق الأب روو صهر المستقبل. ثم أخذا يتحدثان في الترتيبات المادية؛ وإن كانت أمامهم فسحة من الزمن[113].

في هذين المقطعين القصيرين، يفهم أب إيما على الفور خرق شارل العاطفي، هذا الأب الذي يمكنه تبليغ طلبه الرسمي إلى إيما ومن ثم بدء سيرورة المغازلة. ومرة أخرى، إن كان مثل هذا الأمر ممكنا، فذلك لأننا في عالم كانت فيه القواعد واضحة لكل الأطراف المعنية. ثمة في هذا المقطع مزيج غامض ومُشكِل من المشاعر الشخصية والأعراف الاجتماعية: يختلط تحفظ الأبطال مع قدرتهم على فك شفرة مستويات ودرجات مشاعر الآخرين الخفية وتفعيل نواياهم وفق سيناريوهات وقواعد محددة بدقة. فالأعراف والقواعد الاجتماعية هي ما يضع موضع التنفيذ إرادة ونوايا شارل، وليست مشاعره. في عالم كهذا، ليس من الضروري أن نتدبر أمر مشاعرنا وأحاسيسنا. فبين الخجل الصامت لشارل والضحك الحرج لإيما، فكل شيء جرى ترتيبه لأن الأمر يتعلق بعالم تعمل فيه القواعد الاجتماعية على المضي قدما بالتفاعلات الاجتماعية والمشاعر. فالقواعد والإجراءات الاجتماعية، أكثر من العواطف الذاتية، هي التي تعمل على التقريب

(113) Ibid., 24.

بين الأشخاص.

علاوة على القواعد والإجراءات، كان للغزل بنية سردية. كان الغزل تجربة تمر عبر مراحل ومتواليات مختلفة. ولهذا السبب، فالتبادل العاطفي يرتقي في أرجح الظن وفق مسار سردي. تدور المغازلة خطوة خطوة، مع حس «بالاتجاه»، و«اتجاه» التفاعل يمنح يقينا فيما يهم دلالتها والدور الذي يفترض بكل طرف أن يلعبه. «ثمة متوالية راسخة من الأحداث التي تقود رأسا إلى الزواج، بما فيها نشر إعلانات الزواج طلبا لمشورة ورأي المجتمع.»[114] نشأت السردية والطابع التسلسلي للمغازلة العاطفية من حقيقة أن التفاعلات الاجتماعية والعواطف كانت متشابكة مع الكوزمولوجيات الثقافية الدينية، التي كرست عاطفة الحب والجنسانية في الطقوس المقدسة للزواج.

اليقين العاطفي

يتصل البعد الأخير لليقين الذي تتناقله الأشكال التقليدية للمغازلة بواقع أن الفاعلين يتصرفون كما لو أنهم يعرفون طبيعة وحدة عواطفهم، وأن بوسعهم أن يتيقنوا بسهولة من عواطف الآخرين. يرتبط اليقين العاطفي ارتباطا وثيقا بالقدرة على ترجمة العواطف إلى متواليات، وإلى سرديات، وإلى أهداف وعلامات موضوعية التي تعبر في آن واحد عنها وتستحثها بكيفية إنجازية. لقد نشأت العواطف من خلال التفاعل وكانت بمثابة الحافز على ذلك التفاعل. وهكذا، فبمجرد ما تبدأ مغازلة غرامية فإن ذلك يحرك في أغلب الظن كل عواطف الفرد. على سبيل المثال، في سنة 1836، سيلتقي ثيودور دوايت ويلد (Theodore

(114) Richard Bulcroft et al., "The Management and Production of Risk in Romantic Relationships: A Postmodern Paradox," *Journal of Family History* 25, no. 1 (2000): 63–92, esp. 69.

انظر بخصوص هذا الأمر أيضا:

John R. Gillis, *For Better, for Worse: British Marriages, 1600 to the Present* (New York: Oxford University Press, 1985).

Dwight Weld)، أحد مهندسي الحركة الأمريكية لإلغاء الرق، الأختين غريمكي – سارا وأنجيلينا – اللتين تناضلان ضد عنف الرجال اتجاه النساء. عقب بضعة لقاءات، كتب ويلد في شباط/ فبراير 1838 رسالة محررة بعناية اعترف فيها بحبه لأنجيلينا غريمكي. لقد كتب: «منذ عهد بعيد، ملكت شغاف قلبي.»(115) وبعد أسابيع قليلة، بعد أن وافقت على أن يتودد إليها، كتب لها: «أشعر أن الأسى يعذبني، وبأنني أتعلق بك، كما لو أننا لسنا جسدين، بل جسد واحد». (116) يدرك الحب هنا ويمارس كشعور يمكن التعرف إليه سريعا، والذي بسبب هذا، ما يحتاج سوى «الاعتراف» به، غالبا من جانب الرجل وليس المرأة. يشكل هذا الاعتراف البداية وليس نهاية المغازلة الغرامية والنساء كن في أكثر الأحيان يغازلن في اللحظة التي تتأكد فيها مشاعر الرجل. وفي رسالة له إلى أنجلينا بعدما التقاها لوقت وجيز في شهر آذار/ مارس، يعترف ويلد عينه أن مشاعره «تتسارع جميعها كأن مشاعرك تمتصها امتصاصا سريعا وفوريا». (117) وفي ظرف أسابيع، تعهد ويلد وأنجلينا إلى الأبد، بمقتضى نفس التصور الروحي عن الزواج. وفي مثال آخر، تكتب سالي ماكدويل إلى جون ميلر في 13 تشرين الأول/ أكتوبر 1854:

كانت تغمرني [أي مشاعرك] من كل جانب فيما كنت حتى ذلك الحين لا أملك أدنى فكرة عن وجودها. إن إيقاظها كان بالنسبة إلي مدهشا، وما يزال لغزا لم أفهمه. لكن، بمجرد ما بيح بها، عزمت أمري على التعامل معها بما في نفسي من رحابة صدر. لأول مرة منذ سنين عديدة، استمعت لعرض مثل عرضك. فإلى الآن، لأسباب ذكرتها في رسائلي السابقة، كنت ألوذ هاربة منها وفرائصي ترتعد

---

(115) ورد في:

Carol Berkin, *Civil War Wives* (New York: Vintage, 2009), 58.

(116) مذكور في:

Robert K. Nelson, "'The Forgetfulness of Sex': Devotion and Desire in the Courtship Letters of Angelina Grimke and Theodore Dwight Weld," *Journal of Social History* 37, no. 3 (2004): 663–679, esp. 670.

(117) مذكور في:

ibid., 671. والتشديد من عندي.

من الذعر. لكن في حالتك (كلماتي كانت شديدة الصراحة حتى لا يساء فهمها) تسمَّرت في مكاني، ليس لأن عزيمتي خارت، ولكن لأن الاحترام الذي أحمله لك وجهني إلى مسار مختلف وودود. أجدك متعجلا كثيرا. لا أفهم كيف أمكنك أن تحبني هكذا في وقت قصير. تبدو منهوك القوى وغارقا في شعور قد يخمد في أول مناسبة. لكنك كنتَ صادقا بصورة مؤلمة وقد تركتُ أي تصنع بالقسوة بتوجيه الضربة التي كنت مضطرة إلى توجيهها[118].

يتم «الإفصاح» عن المشاعر منذ البداية وبمجرد الإعلان عنها، فإنها تتبع مسارا معروفا مسبقا من قبل جميع الأطراف، وهو أمر يجعل «الإفصاح» ذاك لحظة حاسمة. يغازل كالفن ليندلي رون (Calvin Lindley Rhone) معلمة مدرسة أمريكية من أصل أفريقي تقطن في مدينة برينهام، في ولاية تكساس، تدعى لوتشيا ج. نوتس. اتخذت مغازلته نفس شكل البوح الذي وصف أعلاه. في 31 مايو/ أيار 1886، كتب كالفن رسالة إلى لوتشيا مدشنا مغازلة ستدوم مدة تسعة عشر شهرا وستنتهي بقرار بالزواج. جاء في رسالته: «ألا تفكرين بي أبدا؟ آنسة لوتشيا، لست في حاجة لأن أقول إني أحبك من كل قلبي.»[119] في عديد حالات الغزل في القرن التاسع عشر، كان يعلن عن الحب منذ البداية، وكان نقطة بداية وليس نقطة نهاية التفاعل. وبناء عليه، فإن إعلان الحب في بداية المغازلة كان يحيد أي لايقين عاطفي. علاوة على ذلك، كان اليقين العاطفي في أغلب الأحيان شرطا كيما تتفاعل المرأة مع الرجل. بإعلان نواياه، يزيد الرجل من حظوظه في الظفر بقلب محبوبته. يقدم أنتوني ترولوب، وهو مصدر معلومات لا ينضب فيما يتصل بالمغازلة في الطبقة الوسطى الإنجليزية في القرن التاسع عشر، لحظة «الإعلان» في روايته **آل كليفيرين** (The Claverings) التي صدرت عام 1867. يعلن السيد

---

(118) McDowell and Miller. "*If You Love That Lady Don't Marry Her,*" 15, والتشديد من عندي.

(119) Darlene Clark Hine and Earnestine L. Jenkins, eds., *A Question of Manhood: A Reader in U.S. Black Men's History and Masculinity*, vol. 2: *The 19th Century: From Emancipation to Jim Crow* (Bloomington: Indiana University Press, 2001), 234.

سول لفاني كليفيرين التي لم يداخلها الشك في نواياه:

أجل، آنسة كليفيرين، يجب أن أمضي قدما الآن؛ ولكن لن أجبرك بأي حال على أن تجيبيني اليوم. لقد تعلمت أن أحبك، وإذا كان في مستطاعك أن تحبيني بالمثل، فسوف أشبك يدي في يدك، وتكونين زوجة لي. لقد وجدت فيك ما لا يمكنني ألا أحبه - ألا أتشوف إلى ما يمكنني أن أرتبط به وأتملكه إلى الأبد. هل لك أن تفكري في الأمر، وتجيبينني بعد أن تستفرغي فيه كل فكرك؟[120]

كما كانت الحال في الغالب، فإعلان الحب مصحوب هنا فورا بطلب للزواج، الذي على المرأة أن تقبله أو ترفضه.

إن مختلف أشكال اليقين الموصوفة أعلاه وثيقة الصلة بخاصية سوسيولوجية أساسية للمغازلة، وهي أنها مبنية مثل طقس. لا تتعلق الطقوس بمعرفيات (cognitions)[121] أو تمثلات. إنها تخلق بالأحرى مجالا ديناميكيا للطاقة يربط بين الفاعلين من خلال تبني القواعد المشتركة والمشاركة في واقع رمزي محموم[122]. فالطقوس، مثل المعايير، تحدد الشدة والكثافة، والحدود الفاصلة وموضوع العواطف. كما يبين ذلك دوركايم بوضوح، فإنها تخفف من وطأة اللايقين والغموض[123]. يهدد الواقع الاجتماعي دائما بفقد نظامه، وبترك الفوضى واللاتوقعية تكتسح مجال وعينا. وعلى وجه التحديد تصلح الطقوس كأدوات لتحييد تهديد الفوضى ذاك. وكما كتب بسداد كبير جويل روبينز (في إحالته إلى أعمال روي رابابورت عن الطقوس)، إنها تحمل «وضوحا، ويقينا،

---

(120) Anthony Trollope, *The Claverings* (1867; 2008), 120.

(121) جاء في معجم الجمعية الأمريكية لعلم النفس أن المعرفية تعني كل سيرورات المعرفة والوعي من قبيل الإدراك والتصور والتذكروالاستدلال والحكم واتخاذ القرار وحل المشكلات... وهي واحدة من مكونات الذهن الثلاثة: المعرفية (cognition)، الانفعالية/العاطفية (Affect)، الإرادة (Conation). انظر: APA Dictionary of Psychology, 2015, 201. (المترجم).

(122) Émile Durkheim, *Elementary Forms of the Religious Life* (1912; New York: Free Press, 1995).

(123)Ibid. انظر أيضا

Douglas A. Marshall, "Behavior, Belonging and Belief: A Theory of Ritual Practice," *Sociological Theory* 20, no. 3 (November 2002): 360–380.

وموثوقية وأرثوذوكسية[124] إلى المعلومات [التي تنقلها]»[125]. تلم الطقوس شمل الأفراد حسب قواعد مشتركة يمكن التنبؤ بها تعمل على زيادة شدة وحدة المشاعر، وتضعف الوعي بالذات وتزيد من القدرة على تصديق واقعية الموقف. ونظرا إلى أن الطقس سلوك مبنين، فهو يوجه الانتباه إلى موضوع التفاعل بدلا من سريرة الفرد. وهذا هو السبب الذي حدا بدوغلاس مارشال (Douglas Marshall) إلى افتراض أن الفاعلين المنخرطين في الطقوس يختبرون إرادتهم ذاتها: فحين يتركز انتباههم على موضوع خارجي، فالعلاقة العاطفية بالموضوع هي التي تحتل مركز الوعي. إن تركيزا استبطانيا على قواعد التعبير عن المشاعر من شأنه أن يجعل في المقابل التفاعل مريبا وغير يقيني أكثر، وسيجعله موضوع تفاوض وليس نقطة نهاية مسارات محددة ومعروفة[126]. هذا فضلا عن أن طقس المغازلة العاطفية له بنية سردية ومتسلسلة في جوهرها، ناجمة عن معياريتها القوية. فحتى حينما تكون اللغة عملية وواقعية، يكون للمغازلة غايات وأهداف، ما يوجه التفاعل نحو هدف محدد ومبنيا على متواليات متدرجة.

وإجمالا، كانت المغازلة الغرامية ما قبل الحديثة منظمة في إطار سيميائي، واجتماعي ومعياري خلق مسارات ثقافية حتى تنتظم العواطف بصورة غائية وسردية حول معايير وأعراف وقواعد مشتركة. صحيح أن هذه المسارات كانت مبنية على لامساواة الجنسين، وعلى النظر إلى الجنسانية كنظير للخطيئة، وعلى معيارية مغايرة يكفلها القانون، وعلى مركزية الزواج في المنزلة الاقتصادية والسمعة الأخلاقية. هذا الشكل من اليقين غير مقطوع الصلة إلى البطريركية الدينية، وصنوف اللامساواة الجندرية واعتبار الجنس نظيرا للخطيئة. على الرغم من تزايد الاعتراض على هذا الإطار الأخلاقي والثقافي، إلا أنه ظل سائدا حتى

(124) أي تعصبا وتصلبا وتشددا وتزمتا إلى ما في طياتها من المعلومات. (المترجم).

(125) Joel Robbins, "Ritual Communication and Linguistic Ideology: A Reading and Partial Reformulation of Rappaport's Theory of Ritual," in *Current Anthropology* 42, no. 5 (December 2001): 591–614, esp. 592.

(126) Ibid.

سنوات 1960. وعلى سبيل المثال، فالفيلسوف الأمريكي مايكل والزر (Michael Walzer)، وهو يستعيد ذكريات من حياته في حديث جمعه بهاري كريسلر (Harry Kreisler)، تذكر أنه في العام 1957 كان يتأهب للسفر إلى إنجلترا ليدرس في كامبريدج. أرادت صديقته في ذلك الوقت – جودي – الانضمام إليه، لكنها لم تتمكن من فعل ذلك إلا بعد الزواج به، حتى تتجاوز عقبة معارضة والديها[(127)].

بالنسبة إلى نيكلاس لوهمان، فقوام الحب هو خلق عالم مشترك بين ذاتيتين، وهو يتطور في إطار من الدلالات الثابتة والمعروفة[(128)]. لكن، وربما بسبب أن لوهمان لا يعير كبير أهمية إلى المشاعر، فهو لم يدرك التمييز بين شعور الحب والطقوس التي تسمح لهذا الشعور بأن يتطور ويزدهر. يولد الحب يقينا حينما ينتظم في أشكال اجتماعية تدمج في التفاعل مستقبلا معقولا وممكنا[(129)]. ففي غياب بنية اجتماعية مولدة لليقين، لا يمكن للحب ذاته أن يولد اليقين. وإلى جانب ذلك، فاختفاء المغازلة الغرامية – مع بنياتها الثقافية والعاطفية – عائد على ما اتفق على تسميته بالحرية الجنسية، التي شاعت من خلال جهاز مؤسسي معقد. سوف يتناول القسم الذي سيأتي انهيار اليقين والانتقال إلى حالة اللايقين عبر تعميم الحرية الأخلاقية والمؤسسية.

الحرية الجنسية بوصفها حرية استهلاكية

في كتابها **الجنسانية: مقدمة قصيرة جدا** تتساءل عالمة الاجتماع فيرونيك موتيي

(127) "Conversations with History: Harry Kreisler with Michael Walzer," Institute of International Studies at the University of California, Berkeley (November 12, 2013), accessed June 21, 2017, http://conversations.berkeley.edu/content/michael-walzer.
(128) Niklas Luhmann, *Social Systems* (Stanford, CA: Stanford University Press), 1995; Niklas Luhmann, *Die Gesellschaft der Gesellschaft* (Frankfurt: Suhrkamp, 1997).
(129) Åsa Boholm, "The Cultural Nature of Risk: Can There Be an Anthropology of Uncertainty," *Ethnos* 68, no. 2 (2003): 159–178; Niklas Luhmann, *Trust and Power* (New York: John Wiley & Sons, 1979).

(Véronique Mottier): «كيف انتهينا إلى الاعتقاد بأن الجنس في غاية الأهمية لنا نحن إياه[130]؟» أظن أن الجواب على هذا السؤال يتلخص في ما يأتي: تعاش جنسانيتنا على أنها قيمة وممارسة للحرية، وهي حرية بلغت من القوة والتفشي والتعميم حد أنها غدت ممأسسة في كثير من الميادين.

كما سبق بيان ذلك في الفصل الأول، لما استحضرت الحرية بصفة عامة والحرية الجنسية والعاطفية بخاصة، لم أُحِل إلى المثال الأخلاقي الخالد الذي وجه الثورات الديموقراطية[131]. فسيرا على هدي فوكو[132]، أعتبر الحرية ممارسة ممأسسة تعيد تنظيم العلاقة بين الإكراه والاختيار، وكمجال للنشاط المنتج، ومصدرا للممارسات جديدة ومتنوعة، سواء كانت اقتصادية أو تكنولوجية أو طبية أو رمزية. وإلى ذلك، فالحرية ليست ثابتة؛ إنها تتطور وتغير شكلها ودلالتها؛ لأنها لا تعمل بنفس الطريقة في سياقات اجتماعية للحرمان من الحقوق المدنية، وفي سياقات اجتماعية حيث الحرية والاستقلالية الذاتية مكفولتان أخلاقيا وقانونيا. إن الحرية التي باسمها يناضل النساء والمثليون الجنسيون ولا يزالون ضد البطريركية ليست نفسها حرية الانغماس في نشاط جنسي داخل غرف مجهزة بكاميرات الويب (ليس لهذه الأخيرة غرض سياسي أو أخلاقي، وإنما غرضا مرآويا).

كيف صارت الجنسانية حرة؟

إن ما يبدو أقرب إلى تحرير تدريجي من الدين هو نتيجة قوى اقتصادية وثقافية

(130) Véronique Mottier, *Sexuality: A Very Short Introduction* (New York: Oxford University Press, 2008, 1).

(131) للاطلاع على تحليل ثاقب للعلاقة بين الأنظمة السياسية المختلفة والجنس، انظر:
Dagmar Herzog, *Sex after Fascism: Memory and Morality in Twentieth-century Germany* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2007).

(132) Michel Foucault, *The History of Sexuality: An Introduction*, vol. 1, trans. Robert Hurley (1976; New York: Vintage, 1990); James O'Higgins and Michel Foucault. "II. Sexual Choice, Sexual Act: An Interview with Michel Foucault," *Salmagundi* 58/59 (1982): 10–24. For a discussion dealing with Foucault's view on freedom (and truth), see Charles Taylor, "Foucault on Freedom and Truth," *Political Theory* 12, no. 2 (1984): 152–183.

جبارة، التي حولت بصورة بطيئة وغير مرئية معنى الجنسانية. لاحت القوة الاجتماعية الأولى التي أدت إلى إعادة تعريف الجنسانية في قاعات المحاكم. سادت، في منتصف القرن التاسع عشر، فكرة تقول إن الجنسانية كانت مسألة خاصة ولا ينبغي أن تكون موضوع مراقبة عمومية وعقاب[133]. فـ «الحق في أن يترك المرء وشأنه» يوضح جيدا هذه النظرية. وقد عبر عن هذا الأخير في مقال بالغ التأثير عنوانه «الحق في الخصوصية»، الذي حرره محاميان أمريكيان شهيران، صامويل وارين (Samuel Warren) ولويس برانديس (Louis Brandeis): «الموضوع العام قيد نظرنا هو حماية الحياة الخاصة.»[134] يمثل هذا النص سابقة لا عهد لنا بمثلها برسمه حدود حياة خاصة يمكن فيها ممارسة الجنسانية بعيدا عن الأعين ورقابة المجتمع. إن «الحق في أن يترك المرء وشأنه» قد أول على أنه يدل على حق الشخص في التحلل من أعين الآخرين المتلصصة وأن يبقى في منأى عن النظرات في معقله الخاص به. فتح هذا المفهوم القانوني المبكر – الحق في العيش بعيدا عن الأعين –الطريق لأحكام قانونية أخرى تحمي الحق الحرية الجنسية، كما مهدت الطريق لوجهات نظر قانونية لاحقة تكفل الحرية الجنسية وثقافية القائلة إن الجنسانية هي حق في الاختيار الشخصي للفرد وفي الحرية بالتبعة.

ثمة تغيير آخر هام في تاريخ الجنسانية الحديثة يتمثل في ظهور علم للجنسانية في نهاية القرن التاسع عشر. في الماضي، كان يعتقد أن أجساد النساء بمثابة نسخ ناقصة من أجساد الرجال – تشويه بسيط لجسد الجنس الذكوري الذي انقلبت أعضاؤه الجنسية إلى الداخل. لكن الدراسة العلمية للجنسانية حولت كلا من الرجال والنساء إلى مخلوقات جنسية وبيولوجية متمايزة أنطولوجيا بوضوح سافر[135]. باتت الفروق بين الرجال والنساء بيولوجية، تندرج في مادية جسميهما

(133) Faramerz Dabhoiwala, "Lust and Liberty," *Past & Present*, no. 207 (May 2010): 89–179, esp. 92.

(134) Samuel D. Warren and Louis D. Brandeis, "The Right to Privacy," *Harvard Law Review* 4, no. 5 (December 1, 1890): 5; 193–220.

(135) Mary Beth Oliver and Janet Shibley Hyde, "Gender Differences in Sexuality: A Meta-

المجنسيين ومتجلية فيها. هذا يعني أن الجنسين لم يكونا مختلفين فحسب، بل متناقضان أيضا. «لقد غدا الرجال والنساء مختلفين بتميز ووضوح، ويتمتعان بمواطن قوة ومظاهر ضعف تكاملية.»[136]

إن كانت الجنسانية عبارة عن نزوع بيولوجي، فهذا يعني أنها كانت طبيعية ومن ثم غير مدنسة بالخطيئة[137]. وإذا لم تكن متصلة بالخطيئة، فيمكن إدراك الجسد الجنسي بسهولة على أنه كيان منذور للذة، كمقر للمتعة والإشباع. ثبتت الثورة الفرويدية هذا التصور من الجنسانية كمبدأ للذة، الذي رغم قمعه من المجتمع، فإنه يستتر خلف صفحة الوعي، زاجًّا بالذوات التحليلية النفسية في مسعى تحرير هذه اللذة. يصبح جسد اللذة البيولوجي الموضوع الأساسي وهدف قوة ثقافية ثالثة هائلة، هي دائرة الترفيه الاستهلاكي[138]. فتحت تأثير التمدين وظهور دائرة الترفيه الاستهلاكي، غدت الجنسانية ترفيهية، تلهث وراء مزيد من المتعة واللذة بدلا من التناسل والتكاثر، ومكان سبر وتحقيق ذات «غير مكبوتة» في أمكنة شتى من الاستهلاك[139].

---

analysis," *Psychological Bulletin* 114, no. 1 (1993): 29–51; Véronique Mottier, *Sexuality: A Very Short Introduction* (New York: Oxford University Press, 2008), 187.

(136) Lisa Wade, *American Hookup: The New Culture of Sex on Campus* (New York: W. W. Norton & Company, 2017), 57.

(137) انظر بهذا الخصوص:

Mari Jo Buhle, *Feminism and Its Discontents: A Century of Struggle with Psychoanalysis* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2009); Thea Cacchioni, "The Medicalization of Sexual Deviance, Reproduction, and Functioning," in *Handbook of the Sociology of Sexualities*, ed. John DeLamater and Rebecca F. Plante (New York: Springer International Publishing, 2015), 435–452; Eva Illouz, Saving the Modern Soul: Therapy, Emotions, and the Culture of Self-help (Berkeley: University of California Press, 2008); Janice M. Irvine, *Disorders of Desire: Sexuality and Gender in Modern American Sexology* (Philadelphia: Temple University Press, 2005); Jeffrey Weeks, *Sexuality and Its Discontents: Meanings, Myths, and Modern Sexualities* (New York: Routledge, 2002).

(138) T. J. Jackson Lears, *No Place of Grace: Antimodernism and the Transformation of American Culture, 1880–1920* (Chicago/London: University of Chicago Press, 1981); Lawrence Birken, *Consuming Desire* (Ithaca: Cornell University Press), 1988.

(139) David Allyn, *Make Love, Not War: The Sexual Revolution: An Unfettered History*

لقد شهدت الجنسانية إذن تغيرات ثقافية جذرية، التي تغذت على بعضها البعض. فمن خلال المجال القانوني، أصبحت الجنسانية قضية خاصة وحقا شخصيا للفرد. فبفضل العلم والتصورات البيولوجية للجسد، انفصلت عن الأخلاق الدينية. وأخيرا، فالفرويدية والثقافة الاستهلاكية حولا الجسد الجنسي إلى وحدة لذة. أصبحت الجنسانية موضوعا مركزيا للثقافة الشعبية والتجارية والمرئية، وللدراسة العلمية للرجل (والمرأة)، وللفن والأدب[140]؛ لقد أضفت معنى جديدا على رفاهة العيش وتحولت إلى سمة أساسية للذات التي تتمتع بالصحة الجيدة، التي ينبغي تحريرها من نير الأعراف الاجتماعية القمعية[141]. كل هذه التغيرات حدثت في خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وسريعا ما امتدت إلى المجتمع بأسره لأنها كانت، إن لم تكن تحظى بالتأييد، فهي كانت على الأقل تمارس من قبل النخب الثقافية والاجتماعية، حتى قبل سنوات 1960: من قبل بعض المشاهير و«حياتهم الفاضحة»؛ ومن قبل ممثلين (إنغريد برغمان، التي تطلقت)، ومفكرين (سيمون دو بوفوار وجان بول سارتر)، وكتاب (ديفيد هربرت لورانس، فرانسيس سكوت فيتسغيرالد، هنري ميلر، فلاديمير نابوكوف، أنابيز نين وغيرهم)، وفنانين وشخصيات طليعية[142]، فضلا عن

(London: Routledge, 2016); Attwood Feona and Clarissa Smith, "More Sex! Better Sex! Sex Is Fucking Brilliant! Sex, Sex, Sex, SEX," in *Routledge Handbook of Leisure Studies*, ed. Tony Blackshaw (London: Routledge, 2013), 325–336. See also Jay A. Mancini and Dennis K. Orthner, "Recreational Sexuality Preferences among Middle-class Husbands and Wives," *Journal of Sex Research* 14, no. 2 (1978): 96–106; Edward O. Laumann, John H. Gagnon, Robert T. Michael, and Stuart Michaels, *The Social Organization of Sexuality: Sexual Practices in the United States* (Chicago: University of Chicago Press, 1994).

(140) Charles I. Glicksberg, *The Sexual Revolution in Modern American Literature* (The Hague: Martinus Nijhoff, 1971); Charles I. Glicksberg, "The Sexual Revolution and the Modern Drama," in *The Sexual Revolution in Modern English Literature* (The Hague: Springer Science+Business Media, 1973), 43–70.

(141) من أجل الاطلاع على تحليل للثورة الجنسية في أوروبا، انظر:
"Pleasure and Rebellion 1965 to 1980" in Dagmar Herzog, *Sexuality in Europe: A Twentieth-century History*, vol. 45 (Cambridge: Cambridge University Press, 2011).

(142) John Levi Martin, "Structuring the Sexual Revolution," *Theory and Society* 25, no. 1

بعض العلماء (سيغموند فرويد، ألفريد كينزي، وليم ماسترز وفيرجينيا جونسون، مارغريت ميد). كان الجميع يرى في الجنسانية الحرة على النحو الذي عرفت به مجددا جوهر الحداثة، ودافعا بيولوجيا حرا وليس خطيئة، وسمة جذابة لنمط حياة صفوة المجتمع. كان يروج لنموذج الجنسانية الجديد هذا ممثلو وممثلات السينما، وعارضو وعارضات الأزياء والفنانين والفنانات، ومن قبل أشخاص يعملون في العلاقات العامة و«صناعة الجمال»، والذين كانوا يستنبتون في آن الجاذبية الجنسية، والجمال وحياة أيروتيكية-رومانسية تنتمي إلى مجال الترفيه[143]. فمن خلال ترسيخ مظهرهم الجسدي و«هيئتهم»، فكل هؤلاء الأشخاص ينشئون ويبثون أعراف جنسية جديدة تدمج في آن أزياء الموضة، والجنسانية وسلع الترفيه.

طوال القرن العشرين، أصبح من البديهي شيئا فشيئا أن على الفرد وقتئذ أن يشكل جنسانيته بنفسه، من أجل تحقيق الرفاهية، ويبلغ السحر والفتنة والجاذبية والحميمية. كانت الثقافة الاستهلاكية المصدر الرئيس لهذا المشروع وقد أنجزته بطرق شتى.

الاستهلاك بوصفه لاوعي الجنسانية

منذ بداية القرن التاسع عشر، أخذت صناعات الصورة (السينما والإشهار) في إنتاج صور الأجساد المثيرة جنسيا من أجل إثارة الرغبة في المشاهد. فمن خلال هذه الثقافة المرئية، أصبحت الجنسانية مكونا مرئيا للذات. ما بقيت الجنسانية جزءا خفيا في دواخل الفرد أو وصمة عار نتخفف من عبئها في حجرة مستقلة لمحلل نفسي؛ لقد باتت أداء مرئيا، مجسدا في موضوعات الاستهلاك المرئية بدلا

(February 1996): 105–151.

(143) انظر:
Richard Dyer, *Heavenly Bodies: Film Stars and Society* (London: Psychology Press, 2004).

من أفكار ورغبات (آثمة)[144]. كانت موضوعات الاستهلاك (مثلا، أزياء الموضة أو مواد التجميل) تقوم مقام الوسيط بالنسبة لهذه الجنسانية التي أبرزت مزاياها أيضا من طريق قصص وصور ينبغي استهلاكها (في السينما على سبيل المثال). لقد اتخذت الجنسانية شكل نظام من النشاط البصري، وباتت تستهلك عبر مجموعة من الصور لأجساد مثيرة جنسيا وعرضها على الجمهور من خلال مختلف الموضوعات الاستهلاكية (انظر الفصل 4). إن الجاذبية الجنسية تدمج الجنسي والاستهلاك في لحمة واحدة. وقد تعزز مجال الاستهلاك البصري، الذي ظهر في نهاية القرن التاسع عشر، بشكل كبير في المجال الثقافي والاقتصادي طوال القرن العشرين لأنه جعل من الهوية الجنسية أداء بصريا بوساطة السلع الاستهلاكية[145] ومن التحرير الجنسي ممارسة ثقافية مبنية على مجموعة من الدوال والرموز والأساليب المرئية. علاوة على ذلك، فقد انعقدت اللقاءات الجنسية بشكل متزايد في الأماكن ذات الصلة بالترفيه وأصبحت سلعة غير مباشرة، يتم استهلاكها من خلال مجموعة من ممارسات الاستهلاك المباشرة (الحانات، قاعات الرقص، النوادي، المطاعم، المقاهي، المنتجعات السياحية، الشواطئ).

لقد أصبحت الجنسانية مكونا من مكونات ثقافة الاستهلاك بطريقة ثالثة: بما أن الجنسانية تحررت من أغلال الأوامر والنواهي الدينية، فهذا يعني أن سوقا

---

(144) بخصوص هذه المسألة انظر:

Elizabeth Goren, "America's Love Affair with Technology: The Transformation of Sexuality and the Self over the Twentieth Century," *Psychoanalytic Psychology* 20, no. 3 (2003): 487–508; Brian McNair, *Striptease Culture: Sex, Media and the Democratization of Desire* (London: Psychology Press, 2002).

(145) انظر بصدد هذا الأمر إلى:

Heather Addison, "Hollywood, Consumer Culture and the Rise of 'Body Shaping,'" in *Hollywood Goes Shopping*, ed. David Desser and Garth Jowett (Minneapolis: University of Minnesota Press, 2000), 3–33; Mike Featherstone, "The Body in Consumer Culture," *Theory, Culture & Society* 1, no. 2 (1982): 18–33; Valerie Steele, *Fashion and Eroticism: Ideals of Feminine Beauty from the Victorian Era to the Jazz Age* (New York: Oxford University Press, 1985); Elizabeth Wilson, *Adorned in Dreams: Fashion and Modernity* (1985; London: IB Tauris, 2003).

للإرشاد الجنسي يمكن أن يزدهر. لقد توزع هذا السوق بصورة عامة إلى أربعة أنواع كبرى من الصناعات: الصناعة الأولى تهم الخدمات العلاجية والصيدلية (التي يقدمها العلاج وعلم الجنس والمستحضرات الصيدلانية)؛ والثانية هي صناعة الإكسسوارات الجنسية (sex toys) التي يفترض فيها أن تساعد وتحسن الأداء الجنسي؛ الثالثة هي المركب الصناعي الإشهاري (الإعلاني) والسينمائي الذي يقدم المبادئ التوجيهية للسلوك والأداء الجنسي، والإغراء، والتفاعلات؛ والرابعة هي صناعة البورنوغرافيا، التي توظف أجساد الرجال والنساء الجنسية العارية جهارًا نهارًا. بالتزامن «حررت» جميع هذه الصناعات، وشكلت ووجهت الجنسانية وفق توجيهات بصرية جديدة. بالنسبة إلى المعالجين، أضحت الجنسانية الحرة خاصية للهوية والصحة الذهنية، التي ينبغي أن تتشكل من خلال السبر الدقيق لنفسية الفرد. وبالنسبة إلى الأشخاص الذين يشتغلون في صناعات الصورة، فالجنسانية المتحررة تسمح بإنشاء محتويات بصرية جديدة، التي من خلال ربطها إيروسية ناعمة بمشهد السلع الاستهلاكية الجذابة، تثري الحبكات والسرديات السينمائية [146]. وبالنسبة إلى صناعة الأكسسوارات الجنسية، فالجنسانية المثلى قوامها استخدام أشياء أو أجهزة تكنولوجية أعدت بهدف تعزيز المتعة والأداء الجنسيين. وأخيرا، في البورنوغرافيا، الإثارة الجنسية نفسها تصبح سلعة. وفي هذه الأسواق تصبح الجنسانية سلعة لتستهلك من أجل تحصيل مزيد من الرفاهية والمتعة.

لقد أصبح كل من الجنسانية والثقافة الاستهلاكية ممارستين متلازمتين ومتداخلتين إحداهما في الأخرى، من خلال موضوعات ثقافية أخذت تلعب

---

(146) انظر:

Peter Biskind, *Easy Riders Raging Bulls: How the Sex-Drugs-and Rock 'n' Roll Generation Saved Hollywood* (New York: Simon & Schuster, 1999); Thomas Doherty, *Pre-Code Hollywood: Sex, Immorality, and Insurrection in American Cinema, 1930–1934* (New York: Columbia University Press, 1999); Juliann Sivulka, *Soap, Sex, and Cigarettes: A Cultural History of American Advertising* (Boston: Cengage Learning, 2011).

دورا هاما في استثارة الأمزجة الجنسية. يصف جون غانيون (John Gagnon) هذه الظاهرة (من غير أن يدري) في دراسته عن تحول الرغبة الجنسية في أعقاب الحرب العالمية الأولى:

كانت هذه العقود أيضا حقبة ظهرت فيها أشكال اجتماعية جديدة للرغبة، ولا سيما بين الشباب. الفتاة المتحررة، بساقين عاريتين وشعر قصير، والشبان الذين يرقصون على أنغام موسيقى الجاز، ثم موسيقى السوينغ، يتلاقون أزواجا في سيارات وهم يستمعون إلى غلين ميلر وغاي لومباردو، فقد كانت المتع والمخاوف اللذيذة للستر بأزرار مفتوحة وتحسس الجسد الممنوعة والخطيرة ابتكارات هذه الحقبة[147].

يحيل غانيون إلى الجنسانية، وإلى الرغبة الجنسية والتحرر الجنسي كأمر يستحث ويستثار بواسطة موضوعات الاستهلاك (السيقان العارية، الشعر القصير، مغنو الجاز، الراديو والسيارات هي جميعها موضوعات استهلاك تهيئ جوا أيروتيكيا) ويتداخل معها. مهرجان الموسيقى في وودستوك، الذي نظم سنة 1969 على إثر انتفاضة 1968، هو مثال على الكيفية التي انتهت بها منتوجات ثقافية «جذابة» ومتحررة إلى أن تصبح مرتبطة بالجنسانية.

وقد ازداد دور الموضوعات في بناء الأجواء الأيروتيكية بروزا منذ أن اصطدمت الرأسمالية بالحاجة إلى توسيع حدودها، بعد سنوات 1960، حيث أصبحت الأسواق زاخرة بالسلع «الصلبة» والموحدة والمنمطة. وقد نجحت في ذلك بالنهل من منابع جديدة في الذات، وفي الحياة الحميمة والمشاعر والأحاسيس، التي صارت جميعها موضوعا لعملية تسويق قوية[148]. وكما عبر عن ذلك عالم الاجتماع الألماني فولفغانغ شتريك (Wolfgang Streeck):

---

(147) ورد في:

Esteban Buch, *La musique fait l'amour: Une enquête sur la bande-son de la vie sexuelle* (submitted for publication), 7.

(148) انظر:

Eva Illouz, ed., *Emotions as Commodities* (London: Routledge, 2018).

إن تسويق الحياة الاجتماعية [...] يهدف إلى إنقاذ الرأسمالية من شبح الأسواق المشبعة بعد منعطف هذه العقود. [...] تتوازى سنوات 1970 و1980 أيضا مع المرحلة التي فقدت فيها الأسر والعوائل والجماعات التقليدية بسرعة سلطتها، مانحة الأسواق فرصة سد فراغ اجتماعي يتزايد حثيثا، كان قد خلطه منظرو التحرير المعاصرين ببداية عصر جديد من الاستقلالية والانعتاق[149].

انتشرت الجنسانية المتحررة بين أغلب الطبقات الاجتماعية، منتقلة شيئا فشيئا من اقتصاد استهلاك فوردي (نسبة إلى فورد) إلى اقتصاد ما بعد فوردي مستخدمة الصور ومُثُل الأصالة، والتسلية، والانبساط والاسترخاء والمتعة. لقد أصبحت الجنسانية قيمة وممارسة ثقافية أساسية، منشئة رابطا بين مشاريع التحرير «الحقيقي» وتسويق الحياة الاجتماعية[150]. وأصبح «التحرير» سوقا خاصا وأسلوب حياة. فمثلا، كتبت الناشطة النسوية الأمريكية سوزي برايت مذكراتها عن استيقاظ جنسانيتها في أعقاب سنوات 1960. وفي إحالتها إلى سنوات 1990، كتبت: «في الصائفة الماضية في المتنزه، كانت الموضة ارتداء سراويل بيضاء ضيقة وتسريحات الشعر الطويل – أو بدون شعر بالمرة –، إضافة إلى الوشوم التي تختفي تحت تقويرة الثوب. لم يكن الجميع «جميلا»، ولكن كان الجميع تقريبا مثيرا. كانت تلوح في المكان عبارة ضاجعني.»[151] وبخلاف الجمال، الذي كان موروثا، فالإثارة الجنسية يمكن أن تكون مكتسبة، لأن المسألة كانت مسألة موضة ووضع جسدي. فبفعل التأثير القوي لوسائل الإعلام والإشهار، ولصناعات الموضة

(149) Wolfgang Streeck, "Citizens as Customers: Considerations on the New Politics of Consumption," *New Left Review* 76 (2012): 27–47, esp. 33.

(150) انظر:

Stuart Hall, *The Hard Road to Renewal: Thatcherism and the Crisis of the Left* (London: Verso, 1988). See also Thomas Frank, *The Conquest of Cool: Business Culture, Counterculture, and the Rise of Hip Consumerism* (Chicago: University of Chicago Press, 1997).

(151) Susie Bright, *Full Exposure: Opening Up to Sexual Creativity and Erotic Expression* (New York: HarperCollins, 2009), 52–53.

ومستحضرات التجميل، باتت رغبة الاستهلاك تمر عبر الرغبة الجنسية، والعكس بالعكس، تثبتت الرغبة الجنسية على الموضوعات والأشياء (انظر الفصل الرابع). وكما تكتب ذلك سوزي برايت في بيانها الجنسي:

كانت هذه الأغاني الأربعون التي استمعت إليها في المذياع مسرفة في الإثارة الجنسية أكثر من مئة صورة لنساء عاريات. كانت موسيقى الروك أند رول جنسا، مثل جميع هذه الروايات والأفلام التي تثيرني – لأن في كل هذه الأشياء إبداعا جنسيا حقيقيا، ومن ألفها كانوا ربما أكثر إلهاما مني لما خطرت ببالهم هذه الأفكار لأول مرة.[152]

جَنسنت سراويل الجينز، والموسيقى والصور الإعلامية الرجال والنساء على حد سواء؛ توجد كل هذه الأشياء في حالة من التضافر والائتلاف في جو يطبعه التحرر والحرية. تصير الموضوعات أيروتيكية وهذه الأيروسية تنتشر عبر موضوعات الاستهلاك. توضح برايت هنا التداخل الوثيق بين مصطنعات الثقافة والاستهلاك والجنس والإثارة الجنسية، ما يؤدي إلى خلق أجواء ثقافية وجنسية جديدة.

لقد وفرت الجنسانية للرأسمالية فرصة رائعة لتتوسع لأنها تتطلب بناء مستمرا للذات؛ وبالمثل، وفرت فرصا لا تنتهي لخلق أجواء مثيرة جنسيا. لقد صارت الجنسانية منصة ثقافية لاستهلاك سلع صلبة وموحدة (مثلا، الصدريات، الملابس النسائية الداخلية، أو الفياغرا أو البوتوكس)، سلع مرتبطة بتجاربنا (مثلا، المقاهي، حانات العزاب أو مخيمات العراة)، ومزيد من السلع غير المحسوسة، مثل استشارات العلاج النفسي من أجل تحسين الخبرة والكفاءة الجنسيين، والسلع المرئية (مثل المجلات النسائية أو البورنوغرافيا)، وما أسميته السلع التي يفترض فيها أن تخلق جوا مثيرا. وبذلك، أصبحت الجنسانية موضوع استهلاك متعدد الأوجه يشبع في آن ثقافة الاستهلاك والهوية الخاصة: كانت هذه

(152) Ibid., 6, والتشديد من عندي

الصورة للجمال طاغية الحضور في صناعات الإعلام؛ وشكلا من الكفاءة يستوجب إكسسوارات، وآراء خبراء أو أدوية؛ وممارسة تظهر في فضاءات الاستهلاك؛ وشكلا من صناعة الذات يرتكز على مجموعة متنوعة من موضوعات الاستهلاك. ومجمل القول، كانت الجنسانية مشروع استهلاك، يهدف إلى تحقيق الذات ومشاريعها الحياتية من خلال مختلف ممارسات الاستهلاك. وعلى نحو لافت للانتباه، فلا تمثل الجنسانية لاوعي الثقافة الاستهلاكية، ولكن الثقافة الاستهلاكية هي التي استحالت دافعا لاواعيا يبنين الجنسانية.

الجنسانية بوصفها أخلاقا والتحرر بوصفه سلطة

تشدد فيرونيك موتيي على أن:

إن نداء اليسار الفرويدي إلى التحرر الجنسي من القمع الرأسمالي والبطريركي كان له التأثير العميق على الحركات اليسارية والنسوية التي رأت النور في سنوات 1960 و1970، لكن كان له تأثير أيضا على أساليب جديدة من العلاج الجنسي الذي يشجع على تحرير الطاقة الجنسية. إنه يحيي مفهوما بيولوجيا للجنسانية باعتبارها قوة طبيعية، طالها قمع المجتمع البرجوازي[153].

كان لهذا التصور الثوري للجنسانية عميق الأثر على المجتمع، كما على الاقتصاد وتنظيم الأسرة. كان هدف الثورة الجنسية، حسب بعض أشياعها، «تحرير النساء من استبداد البيولوجيا، واستئصال شأفة الأسرة النواتية، والعودة إلى الجنسانية المنحرفة متعددة الأشكال، والسماح للنساء والأطفال بأن يختاروا الجنسانية التي يريدون[154]». كان ينظر إلى الأسرة متغايرة الجنس – المتألفة من رجل يملي الأوامر وامرأة في المطبخ أو بقرب المهد – أدركت على أنها مصدر اضطهاد ووعي

(153) Véronique Mottier, *Sexuality: A Very Short Introduction*, vol. 187 (New York: Oxford University Press, 2008), 44.

(154) Stephen Garton, *Histories of Sexuality: Antiquity to Sexual Revolution* (New York: Routledge, 2004), 210.

زائف بالنسبة إلى النساء[155]. تطالب الناشطات الحقوقيات النسويات، اللائي كن في طليعة هذه المعركة الجنسية، بـ «الحرية الجنسية، وحقوق السحاقيات، وتحديد النسل والحق في الإجهاض، والتحرر من الخوف من الجنسانية»[156].

طوال القرن العشرين، عبر عن المطالبة بالحرية الجنسية بقوة من طرف فاعلين اجتماعيين متعددين: علماء الاجتماع، والمحللون النفسيون، وصناعات الموضة، والإعلام المرئي، والممثلون والفنانون. لكن إن استطاعت أن تخترق ممارسات الاستهلاك، فلأنها أصبحت سمة أساسية للأخلاق في الوقت الذي بدأ فيه النسويون والنسويات، والتحرريون والأقليات المثلية يطالبون بالمساواة والحرية الجنسيتين، بما هما القيمتان الأساسيتان للأخلاق الحديثة. وبهذا تحولت الجنسانية إلى مشروع سياسي وأخلاقي. لقد أصبحت مكونا أساسيا من الهوية الذاتية، سواء على مستوى الأخلاق أو على صعيد الاستهلاك. يقدم أحد المدافعين المعاصرين عن الحرية الجنسية، وهو عالم الجنس والاجتماع الألماني كورت شتاركه (Kurt Starke) مثالا ملائما عم الكيفية التي آلت فيها الحرية الجنسية بصورة واضحة إلى أن تتبوأ مكان الصدارة في الهوية.

ليس الكائن الإنساني في حاجة إلى أي حظر أو أمر. إنه ليس في حاجة سوى لفضاءات حرة. وهذا ما أناضل من أجله في الواقع في أبحاثي. فمن خلالها اكتشف إلى أي مدى الكائنات البشرية هي كائنات شهوة ورغبة؛ وكم هي كائنات لا ترغب في كبح مشاعرها، وإنما تتوق إلى استدامتها؛ وكم ترغب في أن تكون عرضة للأذى والخطر، لأن من الجميل أن نكون كذلك، ولكن شرط ألا تجرح مشاعرها؛ لأن من الرائع أن يخول لنا الحق في اختبار مشاعر فوضوية؛ وبأن نترك لحالنا كي نكون ضعفاء؛ وأن يكون للرقة والإحساس المرهف فرص وجود أكثر

(155) Kate Millett, *Sexual Politics* (New York: Doubleday Publishers, 1970).

(156) ورد في:

Micaela Di Leonardo and Roger Lancaster, "Gender, Sexuality, Political Economy," *New Politics* 6, no. 1 (1996): 29–43, esp. 35.

من الوحشية والقسوة. وعلى المجتمعات أن تنتظم على نحو يحمي الكائنات البشرية، حتى تتمكن من عيش كل هذا[157].

يوضح شتاركه بوضوح الكيفيات التي أعادت بها الجنسانية الحرة تشكيل تصورات الذات والعلاقات الاجتماعية. فنظرا إلى تعدد مظاهر المجتمع التي تتصل بها الحرية الجنسية، فهي لم تتأخر في إظهار آثارها:

في سنة 1963، قدر 65 ٪ من الأشخاص المستجوبين أن «التقبيل» كان، باعتباره نموذجا جنسيا معياريا، السلوك المناسب والمتوقع في أثناء مواعدة عرضية في الحرم الجامعي. وإضافة إلى ذلك، قدر 23 ٪ أنه لا يجب توقع أي شكل للسلوك الجنسي. في سنة 1971، على الرغم من أغلبية الأشخاص المستجوبين رأوا دائما في التقبيل على أنه العادة المناسبة، فثمة أقلية لا يستهان بها اختارت الفئة أعلاه، أي المداعبات الخفيفة والمعتدلة. وفي سنة 1978، انحسر اختيار القبلة في ثلث الأجوبة، في حين أن فئة المداعبات الخفيفة والمعتدلة كانت وقتئذ الخيار الأكثر تكرارا.[158]

فالجيل الذي ولد في فترة طفرة المواليد[159] غيّر الأعراف والعادات الخاصة بالعلاقات الجنسية قبل الزواج: هذه العلاقات لم تتوقف عن التطور والازدياد منذ سنوات 1970[160]، وقد أصبحت شائعة في حياة الرجال والنساء الشباب،

---

(157) ورد في:

Dagmar Herzog, "What Incredible Yearnings Human Beings Have," *Contemporary European History* 22, no. 2 (May 2013): 303–317. Originally located in Kurt Starke [in conversation with Uta Kolano], "...ein romantisches Ideal," in Uta Kolano, *Nackter Osten* (Frankfurt and Oder: Frankfurter Oder Editionen, 1995), 103–104.

(158) Robert Sherwin and Sherry Corbett, "Campus Sexual Norms and Dating Relationships: A Trend Analysis," *Journal of Sex Research* 21, no. 3 (1985): 258–274, esp. 265.

(159) بين سنوات 1945-1965، أي بعد الحرب العالمية الثانية. (المترجم).

(160) Paula England, Emily Fitzgibbons Shafer, and Alison CK Fogarty, "Hooking Up and Forming Romantic Relationships on Today's College Campuses" in *The Gendered Society Reader*, 3rd ed., ed. Michael S. Kimmel and Amy Aronson (New York: Oxford University Press, 2008), 531– 593.

وحتى في حياة المراهقين.

اتخذت الثورة الجنسية الأخلاقية والسياسية من الجنسانية مجالا أثيرا للمعارك النسوية، موزعة النسويين والنسويات إلى ليبرتاريين من جهة (يرغبون في مضاعفة وتأكيد المتعة الجنسية بكل أشكالها) وإلى متشككين من جهة أخرى، الذين يرون في الجنسانية مجالا للهيمنة الذكورية. لكن كيفما كانت فحوى هذه السجالات، فقد استحوذت وسائل الإعلام على صورة المرأة المتحررة والقوية، وأعادت تحوير (recycled) رسالة نسوية أساسية: رسالة امرأة قوية، متحررة ومتفائلة، مبتهجة بجسدها وجنسانيتها، هذا وتلك اللذين تتوسطهما موضوعات الاستهلاك. في سنوات 1980، وكذلك في سنوات 1990، قدم كل من الإشهار (مثلا فكتوريا سكريت)[161]، والتلفزيون (مثلا سلسلة **سيكس آند ذ سيتي** [المدينة والجنس]) والسينما (انظر، من بين أمثلة عديدة من الأفلام، فيلم **المفترسون** [1983] (The Hunger) وهو يظهر سوزان ساراندون وكاثرين دونوف في مشهد جنسي سحاقي) الجنسانية بوصفها فضاء لتجسيد «قوة المرأة»، ومماثلة القوة بالسلطة. يلجأ الإشهار والموسيقى الشائعة أكثر فأكثر إلى عرض الجسد شبه عاريا من أجل إشهار مواد متنوعة، تبدأ من المقاطع الموسيقية إلى الملابس الداخلية، مرورا بالمواقع السياحية والسيارات[162]. وبذلك، فقد لعبت وسائل الإعلام دورا حاسما في الترويج للجنسانية، من خلال إعادة تحوير نسخة جزئية أو مشوهة من الخطاب النسوي، حيث المساواة والحرية الجنسيتين كانتا مرادفتين للقدرة الشرائية والجنسانية المعروضة للمشاهدة[163]. ما عادت أجساد

---

(161) Vanessa Friedman, "Pinups in the Post-Weinstein World," *New York Times*, November 27, 2017, https://www.nytimes.com/2017/11/27/style/victorias-secret-fashion-show-love-adventweinstein.html?emc=eta1&_r=0.

(162) Ibid.

(163) انظر:

Gill Rosalind and Angela MacRobbie for excellent discussions in Rosalind Gill, *Gender and the Media* (Hoboken, NJ: Wiley, 2015); and Angela McRobbie, *The Aftermath of Feminism: Gender, Culture and Social Change* (London: SAGE Publications, 2009).

النساء فضاء مباشرا للرقابة والعقاب الذكوري، ولكن فضاء للتجربة وممارسة فاعليتهن من خلال الحرية الاستهلاكية. السلسلة الأمريكية الشهيرة **سكس آند ذ سيتي** (التي تم بثها من سنة 1998 إلى سنة 2004) توضح هذه المعادلة ما بعد النسوية «لقوة المرأة» من خلال جنسانية حرة قائمة على السوق. قدمت هذه السلسلة للعالم عرضا لقوة النساء الاقتصادية الآخذة في المتزايدة، وجسارتهن ومغامراتهن الجنسية واندماجهن القوي في صناعات الجمال، والأزياء، ومستحضرات التجميل، والتنحيف، والرياضة والترفيه. كانت تعكس **سكن آند ذ سيتي** واقع أن النساء اعتنقن كلهن الحرية الجنسية وحرية الاستهلاك. وإلى ذلك تبين السلسلة أيضا أن اللقاءات الجنسية باتت تتبنين شيئا فشيئا **كأنها** سوق، وحلبة منافسة اجتماعية، تتحدد فيها القيمة حسب العرض والطلب[164]. في هذا السوق، يسيطر رجال المكانة الاجتماعية المتوسطة والعالية بمهارة على المجال الجنسي **من خلال** الحرية الجنسية، وليس من خلال المراقبة المباشرة لأجساد النساء. وكما سيتبين ذلك في الفصول الثلاثة التي ستلي، فالبطريركية تقاطعت مع الرأسمالية وبسطت سطوتها من خلال خلع طابع جنسي كثيف على النساء، ومن خلال تعميم جنس عرضي، من خلال أساطير الجمال، ومن خلال معايير أخذت تتقوى أكثر فأكثر للجاذبية الجنسية الأنثوية[165] ومن خلال المواقع المختلفة التي يحتلها الرجال والنساء في المجالين الرومانسي والجنسي، وكلها عناصر من الرأسمالية المرئية (scopic capitalism). تتحدد هذه الرأسمالية المرئية باستخلاص فائض القيمة من المشهد والعرض المرئي للأجساد. إنها أساسية لفهم كيف أن التغيرات التي طالت الجنسانية كانت مصحوبة بأدوات جديدة للسلطة

(164) عن استخدام هذا النوع من المنطق في مواقع المواعدة الرومانسية، انظر:
Eva Illouz, "Romantic Webs," in *Cold Intimacies: The Making of Emotional Capitalism* (Cambridge: Polity Press, 2007), 74–114.

(165) Rosalind Gill, *Gender and the Media* (Hoboken, NJ: Wiley, 2015); Catharine A. MacKinnon, *Feminism Unmodified: Discourses on Life and Law* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1987); Naomi Wolf, *The Beauty Myth: How Images of Beauty Are Used against Women* (New York: Random House, 2013).

الثقافية أظهرتها الشركات والمقاولات الرأسمالية.

قواعد نحو اجتماعية وجنسية جديدة

لقد ترافق التحرر الجنسي بتغيرات قانونية التي منحت مزيدا من الحقوق إلى النساء وزادت من استقلاليتهن، ناهيك عن سلطة الفعل (agency) على أجسادهن[166]. كانت هذه الثورة السياسية والقانونية كامنة، كما بينا ذلك أعلاه، وكانت تقف وراءها ثورة اقتصادية[167] اخترق فيها سوق الاستهلاك جزء واسعا من الهوية والشخصية (selfhood) وأعاد تنظيمه[168]. وبالنظر إلى

---

(166) انظر:

Barbara A. Brown, Thomas I. Emerson, Gail Falk, and Ann E. Freedman, "The Equal Rights Amendment: A Constitutional Basis for Equal Rights for Women," *The Yale Law Journal* 80, no. 5 (1971): 871–985; Nicola Lacey, "Feminist Legal Theories and the Rights of Women," in *Gender and Human Rights: Collected Courses of the Academy of European Law (XII/2)*, ed. Karen Knop (Oxford University Press, 2004), 13–56; Diane Richardson, "Constructing Sexual Citizenship: Theorizing Sexual Rights," *Critical Social Policy* 20, no. 1 (2000): 105–135.

(167) انظر:

Ester Boserup, *Woman's Role in Economic Development* (Routledge: Abingdon-on-Thames, 2007); Derek H. C. Chen, "Gender Equality and Economic Development: The Role for Information and Communication Technologies," World Bank Policy Research Working Paper 3285 (Washington, DC, 2004); Matthias Doepke, Michèle Tertilt, and Alessandra Voena, "The Economics and Politics of Women's Rights," *Annual Review of Economics* 4, no. 1 (2012): 339– 372; Esther Duflo, "Women Empowerment and Economic Development," *Journal of Economic Literature* 50, no. 4 (2012): 1051–1079; Ronald F. Inglehart, "Changing Values among Western Publics from 1970 to 2006," *West European Politics* 31, nos. 1–2 (2008): 130–146.

(168) انظر:

Robert G. Dunn, "Identity, Commodification, and Consumer Culture," in *Identity and Social Change*, ed. Joseph E. Davis (New York: Routledge, 2000), 109–134; Yiannis Gabriel and Tim Lang, *The Unmanageable Consumer* (London: SAGE Publications, 2015); Margaret K. Hogg and Paul C. N. Michell, "Identity, Self and Consumption: A Conceptual Framework," *Journal of Marketing Management* 12, no. 7 (1996): 629–644; Alan Tomlinson, ed., *Consumption, Identity and Style: Marketing, Meanings, and the Packaging of Pleasure* (New York: Routledge, 2006).

أن الحرية الجنسية قد أعيد تنظيمها أساسا وغالبا تحت مظلة الحرية السلبية بفضل سلسة من الحالات القانونية الفارقة – إفساح الحرية للأشخاص ليفعلوا ما يشاؤون في غرف نومهم –، فقد أصبحت بهذا المقتضى موجه الحرية السلبية (فعل ما نشاء لكن دون إلحاق أذى بالأغيار). وبهذا النحو أمكن سوق الاستهلاك (المسنود لاحقا بالتكنولوجيا) والعلاج احتلال الفضاء الشاغر المفتوح من الحرية السلبية، بواسطة ما يسميه أكسل هونيث «الحرية الانعكاسية»(169). تتطلب الحرية الانعكاسية من الفاعلين أن يتأملوا في ما يريدون وتدفعهم إلى تفحص إرادتهم عن كثب. إنها تتعلق بحرية تحديد الذات (self-determination)، والتحقيق الذاتي للرغبات والذاتية. وحسب هونيث، فالحرية التأملية تنحل إلى نوعين: حرية عقلانية-كانطية (إنها تسأل نفسها إن كانت تتوافق مع الغايات العقلانية وتكافح من أجل الاستقلالية الذاتية) وحرية رومانطيقية-هيغلية (إنها تتساءل ما إذا كانت تعكس جيدا ما نحن إياه حقيقة). من الناحية السوسيولوجية، تطور الطابع الرومنطيقي للحرية التأملية بقوة في داخل سوق الاستهلاك وأفتاراته التكنولوجية (ما يسمح بالتعبير المستمر عن الرغبات، والحاجات والدوافع الغريزية الأصيلة). عبر الطابع العقلاني عن نفسه من خلال العلاج، الذي يمثل مؤسسة ضخمة تنظم الإرادة وتتفحصها، مسترشدة بمثال الاستقلالية الذاتية. لقد اكتسب تحالف سوق الاستهلاك وعلم النفس سلطة مشابهة لتلك التي عزاها بيتر براون (Peter Brown) إلى المسيحية، التي على حد قوله، مكنت «الإرادة من أن [تغزو] الكوسموس(170)». إذ حل علم النفس وسوق الاستهلاك محل «الإرادة» بوساطة «الرغبة (الفردية)»، بجعل الرغبة الجنسية النموذج الأول لباقي أشكال الرغبة، وبإسناد طابع أخلاقي إلى

---

(169) Axel Honneth, Freedom's Right: The Social Foundations of Democratic Life, trans. Joseph Ganahl (New York: Columbia University Press, 2014).

(170) Peter Brown, « Rome : Sex and Freedom », *The New York Review of Books,* 9 décembre 2013, http://www.nybooks.com/articles/2013/12/19/rome-sex-freedom/ accessed September 9, 2016.

الجنسانية، واقتراح تقنيات وممارسات من أجل تحرير وتحقيق الرغبات الجنسية. أضحت الجنسانية، التي كانت من الميادين السياسية الأولى للنسويين والنسويات والمثليين جنسيا، على المستوى السياسي، منطقة تشوش والتباس، فهي في آن المكان الملائم لتقويض أساس البطريركية نفسها وملتقى مجموعة واسعة من الممارسات الاستهلاكية. عدلت القوى الاجتماعية المختلفة هذه المكانة التي تحظى بها الجنسانية في القرابة، في الزواج وفي التصورات الفضفاضة للذات.

كان الأثر الأهم للثورة الجنسية، وما جعلها حديثة حقا بالمعنى الفلسفي للكلمة، هو انتقالها الجذري نحو المحايثة. حررت الثورة الجنسية الجنسانية من وثاق منظومة القرابة والكوزمولوجيا التي تربط الجنسانية بالدين. تحدد قواعد القرابة النسل، والأسلاف، والورثة والأقرباء. لكن الأهم من ذلك أنها تربط الجنسانية بالثقافة، والبيولوجيا لا تلعب إلّا دورًا ثانويًّا في تحديد علاقات القرابة (مثلا حين يعتبر أخ أم في بعض القبائل كأنه أم الطفل)[171]. وكما يعرفها مارشال ساهلينز (Marshall Sahlins)، فإن القرابة هي «تبادلية الوجود»: «أشخاص في غاية الأهمية في وجود شخص آخر[172]». بهذا المعنى، فالجنسانية التي تحكمها قواعد القرابة كانت منظمة في نظام للتبادلية ومن خلاله. وعلاوة على ذلك، كما يفترض ذلك إنريك بوركيريس وجيروم فيلغو، «فالمسيحيون، من خلال رسائل القديس بولس، ولكن أيضا تلمود نفس الفترة، كانوا يأخذون مأخذ الجد فكرة أن الزوج والمرأة لا يؤلفان بالجنس إلا «جسدا واحدا»[173]، يؤخذ هذا الالتحام

(171) Hauzel Kamkhenthang, *The Paite : A Transborder Tribe of India and Burma*, New Delhi, Mittal Publications, 1988, 161.

(172) Marshall Sahlins, *What Kinship Is-and Is Not*, Chicago, University of Chicago Press, 2013, 2.

(173) Enric Porqueres i Gené et Jérôme Wilgaux, « Incest, Embodiment, Genes And Kinship », *in* Jeanette Edwards et Carles Salazar (dir.), *European Kinship in the Age of Biotechnology*, New York, Oxford, Berghahn, 2009, 122.

التشديد من عندي.

هنا بمعنييه المجازي والحرفي على أنه اتحاد جسدين»[174]. يمجد التصور المسيحي قبل الحديث للجنسانية اتحاد الأجساد كما الأرواح. تعبر الجنسانية المقدسة عن مشاركة الأشخاص في كوسموس ثقافي يربط فيما بينهم.

فمن خلال فصل الجنسانية عن منظومة القرابة، أي عن أغلب قواعد زواج الأقارب، عن رؤية كوزمولوجية حيث الرجال والنساء والجنسانية والكوسموس لا تشكل سوى الكيان الواحد عينه، وعن تصور الأجساد المتزاوجة كما لو أنها تشكل جسدا واحدا، خلقت الجنسانية «الحرة» أو «المنعتقة» مستوى محايثة جديد حيث أصبح الجسد الجنسي المرجع الخاص بنفسه (ذاتي الإحالة)، مفصولا عن الأجساد الأخرى وعن باقي الأشخاص. إذا كانت الجنسانية «غريزة طبيعية»، فيمكن للجسد الجنسي أن يصير فيزيولوجيا خالصة، محكومة بالهرمونات والنهايات العصبية. لقد اتبعت نفس السيرورة التي فرضتها الطبيعة بالنظرة العقلانية للعلم: لقد أفرغت من الدلالات التي تربط الفردية بتصورات كوزمولوجية أو أخلاقية للذات. وبذلك، أمسى الجسد محض مادية، يتمتع بفاعليته الخاصة وقدرته على الفعل، ويسعى وراء إشباع متعة بات ينظر إليها كقوة بيولوجية (أو دافعا غريزيا) وعلى أنها ميزة فرد مستقل. وعلى وجه التدقيق، فقد أخذ هذا الجسد الجنسي ذاتي الإحالة في البحث عن المعنى في الأصالة، والمتعة وتأكيد الذات التي يوفرها سوق الاستهلاك والعلاج.

التحول الثاني الذي أحدثته الثورة الجنسية كان أن عدد الشركاء الذين نتعرف عليهم في حياتنا ارتفع بشكل كبير، والتجربة والاستكشاف الجنسي أصبحا يمثلان كليهما جانبا مهما ومستقلا بالنسبة إلى كثيرين، هذا إن لم نقل بالنسبة إلى أغلبية الأشخاص المنحدرين من جماعات سوسيو-اقتصادية مختلفة. مثلما يصف ذلك المؤرخ باري راي (Barry Reay):

من الجوهري أن نلفت إلى أن الأخلاق والممارسة قد تغيرا عبر الزمن. [...]

(174) *Ibid.*, 123.

الدراسة التي قام بها مارتن كينغ وايت سنة 1984 في منطقة ديترويت تبين أن زمرة النساء المتزوجات خلال الفترة الممتدة بين 1925-1944 قد أفصحن بأنهن عاشرن (في المتوسط) 4-7 رجال، ونساء جيل طفرة المواليد المتزوجات بين 1945-1964 رافقن 10-14 رجلا، والنساء الأكثر شبابا، أي نساء سنوات 1965-1984، قلن إنهن تعرفن على 12-15 شريكا جنسيا محتملا قبل الزواج. ومن بين أولئك اللائي أقمن اتصالا جنسيا قبل الزواج، انتقلت النسبة من 24 ٪ (1925-1944) إلى 72 ٪ (1965-1984). لكن إن عمدنا إلى إجراء توزيعات أكثر دقة على الزمرة الأخيرة، فالنسبة تقفز إلى 56 ٪ (1965-1969)، و67 ٪ (1970-1974)، و85 ٪ (1975-1979) و88 ٪ (1980-1984)[175].

وبعبارات أخرى، فالعلاقات الجنسية قبل الزواج أصبحت شيئا فشيئا مشروعة ومقبولة؛ فكلما استطال الأمد بين الشريك الأول واختيار شريك قار ومنتظم، كلما نزعت التجارب الجنسية إلى التراكم[176]. هذا يستلزم أن الجنسانية

(175) Martin King Whyte, *Dating, Mating, and Marriage*, Berlin, Aldine de Gruyter, 1990, p. 22-24, cité dans Barry Reay, « Promiscuous Intimacies : Rethinking the History of American Casual Sex », *Journal of Historical Sociology*, 27, no 1, 2014, p. 1-24.

(176) يؤكد مانين (Manning) وآخرون (ص. 116) أنه، منذ أن بلغ سن الزواج في الولايات المتحدة ذروته (27,6 سنة بالنسبة إلى الرجال و25,9 سنة بالنسبة إلى النساء)، أصبح للراشدين الجدد وقتا إضافيا ليربطوا علاقات قبل الزواج. في دراسة أنجزت سنة 1992 تتكون عينتها من 8450 رجلا وامرأة تتراوح أعمارهم بين 14 و22 سنة، تبين أن سن العلاقة الجنسية الأولى كان مرتبطا باحتمال كبير في أن يكون للرجال أو النساء شريكين أو أكثر خلال الأشهر الثلاثة الفائتة، وأن واقع أن يكون المرء متزوجا يقلل من هذا الاحتمال. وإضافة إلى ذلك، تأكد أن 31,1 % من النساء في سن الواحدة والعشرين و45 % من الرجال في عمر الواحدة والعشرين كان لهم بالفعل ستة شركاء جنسيين أو أكثر. انظر:
John S. Santelli, Nancy D. Brener, Richard Lowry, Amita Bhatt and Laurie S. Zabin, « Multiple Sexual Partners Among US Adolescents and Young Adults », *Family Planning Perspectives*, 30, no 6, 1998, 271-275, esp. 271.
وفي دراسة لومان الكلاسيكية فقد وجد أن 20,9 % من الرجال و8,2 % من النساء الذين ولدوا بين سنوات 1963 و1974 كان لهم أكثر من خمسة شركاء جنسيين قبل زواجهم الرسمي (Edward O. Laumann, *The Social Organization of Sexuality: Sexual Practices in the United States* (Chicago: University of Chicago Press, 1994), 208; Wendy D. Manning, Jessica A. Cohen, and Pamela J. Smock, "The Role of Romanti Partners, Family, and Peer Networks in Dating

باتت تعتبر تجربة تقوم على مراكمة اللقاءات ومواعدة عدد كبير من الشركاء. وفي ضوء هذا أصبحت الجنسانية أيضا شكلا جديدا للمكانة والكفاءة. ففيما كان مثال العذرية مقترنا بالسمعة والقيم الاجتماعية، وكان ينظر إليه على أنه مساواتي (بالمعنى الذي تكافئ فيه عذراء كل العذارى الأخريات بسبب عذريتها)، فـ «الإثارة الجنسية» و«الأداء الجنسي» باتا مؤشرين على موقع شخص في مجال جنسي حيث المقامات والمكانات الاجتماعية موزعة بشكل غير متساو.

يتمثل التأثير الثالث للثورة الجنسية في تقسيم اللقاءات الرومانسية إلى ثلاثة استدلالات منطقية، ومؤسسات وخطابات ثقافية مختلفة: أسواق الزواج، والتجارب العاطفية والممارسات الجنسية. توجد ثلاث بنيات ثقافية – عاطفية، وزواجية، وجنسية – على مستويات اجتماعية مختلفة، لكل منها بنياته الفينومينولوجية والمعيارية المتميزة، بل المتصارعة. ففي السوق الجنسي، على سبيل المثال، في وسعنا أن نقيم علاقات جنسية من دون الشعور بأننا ملزمون أخلاقيا على المحافظة على الاتصال مع الشريك، في حين أن في السوق العاطفي والزواجي، ثمة توقع أكبر بأن علينا تبرير سلوكنا[177]. إن إضفاء الاستقلالية الذاتية على هذه المسارات – العاطفية، والزواجية، والجنسية – يعني أن الجنسانية أصبحت مجالا للفعل بذاته، ومستقلة عن التبادلات العاطفية أو أي شكل من الحياة العائلية المشتركة، وأن مجالات السلوك، وإن كانت مترابطة، تخضع كلا على حدة اليوم لمنطقها الثقافي الخاص بها؛ أي أن كلا منها يمثل «نظام فعل»، على نحو ما دعواها عالما الاجتماع الفرنسيين لوك بولتانسكي ولوران تيفينو[178]. إن تقسيم اللقاء العاطفي والجنسي هذا إلى أنظمة فعل مختلفة هو أحد أبلغ آثار الحرية

Adolescent Research 26, no. 1 (2011): Couples' Views about Cohabitation," *Journal of* (115–149.

(177) لمزيد من المعلومات عن أنماط التبرير، انظر:

Luc Boltanski and Laurent Thévenot On Justification: Economies of Worth (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006).

(178) Ibid., 348

الجنسية وقد جر تبعات عميقة بجعله تفاعلات الرجال والنساء غير يقينية ومريبة أكثر (كما سأحلل ذلك في الفصل الثالث). إذا كانت النساء قد تبنَّينَ الثورة الجنسية بقدر ما فعل الرجال، فقد زجت بهم مسارات سوسيولوجية مختلفة جعلتهم يختبرون بشكل مختلف المشاعر، والزواج والجنسانية (انظر الفصلين الرابع والخامس). كما قلنا ذلك مرارا، إن الرجال ميالون بسهولة أكبر إلى فصل الجنسانية عن العواطف أكثر من النساء، في حين أن النساء يعتبرن أنفسهن غالبا أكثر كفاءة على المستوى الوجداني والعاطفي من الرجال (انظر الفصلين الخامس والسادس).

وأخيرا، فالجنسانية تفترض مسبقا إرادة حرة تستن تعريفات تعاقدية جديدة للعلاقات الاجتماعية وتعيد تعريف محتوى الأخلاق الجنسية. بالنسبة إلى الليبرتارية (التحررية) غايل روبن فإن أعظم شر يتهدد الجنسانية هو اللامساواة وازدواجية المعايير. تعقد روبن مقارنة بين الأخلاق الجنسية التقليدية بأيديولوجيا عنصرية، من حيث إنها تسمح لجماعة بالمطالبة بفضائل جنسية وتبعد أولئك الذين ليسوا أحصن جنسيا إلى مقام أدنى وأخطر أخلاقيا. تقترح روبن إيتيقا جنسية بديلة:

يتعين على الأخلاق الديموقراطية أن تحكم على الأفعال الجنسية وفق الطريقة التي يتعامل بها الشركاء الجنسيون فيما بينهم، وحسب مستوى الاحترام المتبادل، ووجود أو غياب الإكراه، وكمية ونوعية الملذات التي يقدمونها. وسواء كانت الأفعال الجنسية مثلية أو سوية، بين زوجين أو جماعية، بين عراة أو بملابس داخلية، مدفوعة الأجر أو مجانية، مع أو بدون تصوير، فلا ينبغي أن يكون ثمة أي هَموم أو هواجس إيتيقية.[179]

أدت إعادة تعريف الأخلاق الجنسية تلك، التي تعكس بحق انعطافة الجنسانية

(179) Gayle Rubin, Deviations: A Gayle Rubin Reader (Durham, NC: Duke University Press, 2011),
154.

التاريخية بعد سنوات السبعينات، إلى تحرير المجال الجنسي والرومانسي مما يمكننا وسمه بـالمعيارية السميكة من خلال تقديم معيارية شفافة وإجرائية. فمن جهة، تتألف المعيارية السميكة من سرديات وأوامر ونواهي وتعليمات مفصلة تصف الأفعال إن كانت جيدة أم سيئة، أخلاقية أم غير أخلاقية، طيبة أم غير طيبة، محمودة أم شائنة، فضيلة أم رذيلة، رابطة هكذا السلوك الإنساني بكوزمولوجيات ثقافية، وسرديات جماعية كبرى (مثل سردية الخطيئة الأصلية أو الطهرانية) بمفاهيمها المحددة للخير والشر، والأخلاقي واللاأخلاقي. ومن ناحية أخرى، فالأخلاق الشفافة والإجرائية تمنح الأفراد الحق في أن يقرروا بأنفسهم المحتوى الأخلاقي لتفضيلاتهم وتتركز على القواعد والإجراءات التي تكفل احترام الاستقلالية النفسية والجسدية لكل فرد. إنها تصمت عن القيمة الأخلاقية للأفعال، وتقيمها تبعا لدرجة احترامها لاستقلالية الفرد وقدرته على اختبار المتعة. إن كان من البديهي أن الجنسانية قد ظلت موضوع نزاعات محتدمة، سواء كانت هذه الأخيرة أخلاقية أو سياسية أو اجتماعية، فإن مركز ثقل هذه النزاعات قد تغير: لم تعد أسئلة العفة والإحصان أو الخطيئة هي شاغل المعاصرين، وإنما بالأحرى الأسئلة ذات الصلة بالمساواة الجنسية، والتراضي؛ بل أسئلة الاغتصاب، أو الإجهاض، أو الإباحية، أو التحرش الجنسي أو الحمل المبكر باتت في قلب النقاشات الاجتماعية والعامة. الأسئلة المتعلقة بتنظيم صورة الجسد الأنثوي في الصناعات المذكورة أعلاه، أو التحرش الجنسي أو الاغتصاب في إطار المواعدة[180] هي جميعها، في الجوهر، أسئلة ذات صلة بالرضا (هل يمكن للنساء أو هل يتعين عليهن أن يقبلن المشاركة في صناعات وممارسات تهينهن وتلوث سمعتهن وتجعل منهن سلعا؟ إلى أي حد يجب أن نكون صرحاء عند طلب الإذن

(180) عبارة نحتتها النسويات في سنوات الثمانينيات من القرن الماضي. تريد هذه العبارة القول إن المغتصب ليس بالضرورة مجهولا، وأسود على الأرجح، وإنما رجلا ينحدر من نفس وسط النساء، رجلا بنفس لون بشرتهن، قريبا منهن في الغالب أو حميما، وزوجا محتملا. ومعناها بعامة هو: اغتصاب قريب من المعارف، وليس من قبل شخص مجهول. (المترجم).

بممارسة الجنس؟). ينشأ الرضا من إبستيمولوجيا مبنية على الجسد (الأجساد المفصولة لا يمكن أن تغتصب) ويعتبر العلاقة كسلسلة من اللقاءات لأن عليه، من حيث المبدأ، أن يحصل عليه في كل لقاء. إن إدماج مفهوم الرضا أو الموافقة في الخطاب الإيتيقي المهيمن يقتضي تحولا جوهريا في الخطابات الإيتيقية والأخلاقية التي تنظم البينذاتية الجنسية، وله أيضا تأثير قوي على الطريقة التي تباشر بها العلاقة، التي تستند أكثر فأكثر على الإرادة والرغبة الذاتيتين (انظر الفصل الخامس).

إن هذه التحولات الأربعة في الجنسانية في سيرورة التحرر الجنسي – محايثة الجسد الجنسي الذي استعاده كل من سوق الاستهلاك وتكنولوجيا الإنترنت، وإنشاء مقولة للتجربة المؤسسة على مراكمة التجارب الجنسية، وتشعيب اللقاءات بين الجنسين المختلفين إلى عدة مسارات ممكنة، والتحول إلى إيتيقا إجرائية مبنية على الرضا والاقتناع – تمثل الأرض الجديدة لتكوين علاقات بين المتغايرين جنسيا. جعلت كل التحولات الموصوفة أعلاه الجنسانية قابلة لأن تصبح أكثر قابلية للاختراق بالقيم، بمعجم ونحو (grammar) السوق، التي حولتها إلى ميدان لإثبات الذات ومعتركا مناسبا للصراع بين الرجال والنساء.

ساهمت جميع هذه الخصائص والتغيرات الطارئة على الجنسانية في اختفاء الطابع الطقسي للتفاعلات الاجتماعية ونخرت العلاقات الجنسية بألوان اللايقين وأثخنتها بالروابط الاجتماعية السلبية، أي بروابط اجتماعية ينسحب فيها الرجال والنساء مرارا وتكرارا وبسرعة من العلاقة. في الفصول التالية، سأعرج على تحليل معمق أكثر للميكانيزمات التي تحولت بسببها العلاقات الاجتماعية الجنسية إلى ما أَدعوه بالعلاقات «السلبية».

الفصل الثالث

التباس في الجنس

كثيرا ما كان يغير النساء، لأنه كان يرى أن ما يستحق العناء هو أول عناق: كان خبيرا في هذا الفن الحديث أساسا المتمثل في خذلان النساء.

إرين نيميروفسكي[181]

لا يوجد سوى القليل من المشاريع الثقافية الراديكالية مثل مشروع الحرية الجنسية: لقد حررت الجنس من الخطيئة والعار، وبمساعدة علماء النفس، جعلت من الجنسانية شرط الصحة العاطفية والرفاهية. كان يهدف هذا المشروع أيضا إلى المساواة بين الرجال والنساء، كما بين مختلفي الجنسانية ومثليي الجنسانية[182]. لقد كان مشروعا سياسيا بالأساس. فقد أضفت الحرية الجنسية أيضا مشروعية على

---

(181) *The Misunderstanding*, 2013 [1926], London: Vintage Books: p. 17.

(182) انر بخصوص هذا الموضوع:

Drucilla Cornell, *At the Heart of Freedom : Feminism, Sex, and Equality*, Princeton, NJ, Princeton University Press, 1998 ; Naomi B. McCormick, *Sexual Salvation : Affirming Women's Sexual Rights and Pleasures*, Santa Barbara, Greenwood Publishing Group, 1994 ; Diane Richardson, « Constructing Sexual Citizenship : Theorizing Sexual Rights », *Critical Social Policy*, 20, no 1, 2000, p. 105-135 ; Steven Seidman, « From the Polluted Homosexual to the Normal Gay : Changing Patterns of Sexual Regulation in America », *in* Chrys Ingraham (dir.), *Thinking Straight : The Power, the Promise, and the Paradox of Heterosexuality*, Londres, Psychology Press, 2005, 39-61.

المتعة الجنسية لذاتها[183]؛ لقد غرست في الأذهان الحق في اللذة، هذا المعنى الثقافي الشائع الذي يتمتع الأفراد بموجبه بالمتعة الجنسية حتى يتنعموا بحياة سعيدة هنيئة. وأخيرا، تعد الحرية الجنسية جزءا لا يتجزأ من ثقافة الأصالة، وأيضا من ممارسة تبتغي تأصيل الذات: تكشف الجنسانية عن الذات وتفعلها[184]. لكن إذا كانت الحرية الجنسية قد تعممت في البنية الثقافية، فلأن المجال الاقتصادي قد استحوذ عليها وفعلها. لقد أصبحت الجنسانية أدائية بفعل الاقتصاد، وعكسيا، آلت الممارسات الاقتصادية إلى ذوات وأداءات مجنسنة.

لقد انبنت الرأسمالية الصناعية على أساسي المصنع والأسرة لتنظيم إعادة الإنتاج الاقتصادي والبيولوجي[185]. يندرج نظام المغازلة العاطفية الموصوف في الفصل السابق ضمن سيرورة تنشئة اجتماعية أوسع، تمتد إلى الأسرة البرجوازية التي ظهرت كأساس خفي للرأسمالية الصناعية. تربي الأسرة الفرد وتهيئه للعنايةِ بنفسهِ وإنكار ذاته، والانضباط الذاتي والتعاون الذي يقتضيه مقر العمل في الرأسمالية. بعد الحرب العالمية الثانية، وبصورة حاسمة أكثر بعد سنوات 1960، تغيرت معالم ثقافة الرأسمالية: كما يفترض جيل دولوز، «ما عادت الرأسمالية

---

(183) من أجل نبذة وصفية عن مختلف تعريفات الصحة الجنسية، التي تؤكد على أهمية الجنسانية في الصحة الجسدية والذهنية للأفراد، انظر:

Weston M. Edwards et Eli Coleman, « Defining Sexual Health : A Descriptive Overview », *Archives of Sexual Behavior*, 33, no 3, 2004, 189-195.

(184) انظر على سبيل المثال:

Ruth Colker, « Feminism, Sexuality and Authenticity », *in* Martha Albertson Fineman et Nancy Sweet Thomadsen (dir.), *At the Boundaries of Law (RLE Feminist Theory) : Feminism and Legal Theory*, New York, Routledge, 2013, p. 135-148 ; Fiona Handyside, « Authenticity, Confession and Female Sexuality : From Bridget to Bitchy », *Psychology & Sexuality*, 3, no 1, 2012, 41-53.

(185) انظر:

Friedrich Engels and Lewis Henry Morgan, *The Origin of the Family, Private Property and th State* (1884; Moscow: Foreign Languages Publishing House, 1978); Christopher Freeman and Lu Soete, *The Economics of Industrial Innovation* (London: Psychology Press, 1997).

رأسمالية إنتاج، بل رأسمالية منتج، أي رأسمالية البيع أو السوق[186]». وكما يؤكد دولوز دائما، فقد كان هذا الشكل الجديد من الرأسمالية مبددا ومشتتا بالأساس؛ لأن الأسرة توقفت عن كونها الدعامة الاجتماعية للإنتاج الاقتصادي. وبدل ذلك، حل الأفراد – من حيث هم عمال منتجون ومستهلكون أصلاء – محل العامل التقليدي، وفي إمكاننا أن نضيف، الأسرة نفسها بوصفها النواة الأثيرة لتكوين الذات[187]. لا يحتاج هذا الشكل من الرأسمالية المشتت إلى المؤسسات الاجتماعية التقليدية التي تنظم اللقاءات الجنسية وتوجهها بنحو يجعلها تؤول في النهاية إلى تشكيل الأسر. لا تقتصر الجنسانية على ما نفعله في غرفة النوم، بل تتحدد في عدد لا حصر له من ممارسات الاستهلاك التي تعيد تنظيم الجسد، ومظهره، والعلاقة بالذات، والرغبات وعرض الذات والعلاقات الاجتماعية بصفة عامة. في واقع الأمر، أصبحت الجنسانية في هذا الصدد غير مبتورة الصلة بالاقتصاد لدرجة أنه بات هنا من المشروع الحديث عن انبثاق شكل جديد من النشاط: **النشاط الجنسي**، حيث الجسد، والاستراتيجيات الثقافية، والقيم، والأهداف والوعي بالذات تنتظم انطلاقا من نواة تدرك على أنها في آن جنسية، ونفسية واقتصادية[188]. الشكل الاجتماعي الذي يعكس بشكل أمثل هذا التحول في الجنسانية في العصر الرأسمالي هو «الجنس العرضي»، مفهوما هنا كشكل من الجنسانية المتطرفة، التي تختلف شرعيا وبصورة تستحق الثناء عن الجنس في العلاقات المستقرة.

الآثار غير المدركة للجنسانية العرضية

إذا نظرنا إليها في ذاتها، فإن الجنسانية العرضية ليست أمرا طارئا في

(186) Gilles Deleuze, "Postscript on the Societies of Control," *October* 59 (Winter 1992): 3–7, esp. 6.

(187) Ibid., 6.

انظر أيضا:

Nicholas Thoburn, *Deleuze, Marx and Politics* (London: Routledge, 2003, 96.

(188) انظر الفصل الرابع.

التاريخ[189]. لكن في شكلها الحديث، فقد تمظهرت أولا كمطلب سياسي وأخلاقي بتحرير الجنسانية من التابوهات الدينية والتبادلات الاقتصادية؛ كان هذا الشكل من الجنسانية، على الأقل من حيث المبدأ، غير مُبالٍ بالجندر؛ وبالتدريج، بات مرتبطا بعدد واسع من ممارسات تأكيد الذات، والأصالة والاستقلالية. يمارَس الجنس العرضي في فضاءات حديثة، مثلًا في المدن أو الأحرام الجامعية، ما يمكن رجالًا ونساءً من أصول جغرافية، وإثنية واجتماعية شتى من التفاعل مع بعضهم البعض، بعيدًا عن الرقابة الاجتماعية التي تمارس بشكل رسمي أو غير رسمي من قبل جماعات أولية وثانوية. بهذا المعنى، إن الجنس العرضي هو تمظهر سافر للإلغاء الديموقراطي للحدود الاجتماعية، والإثنية والدينية التي كانت تفصل حتى ذلك الحين بين الجماعات الاجتماعية. وبذلك، كان ألجنس العرضي في نفس الوقت يتضمن معايير أخلاقية جديدة، ويَفيد كثيرًا من مجال الترفيه التجاري. انصهر هذان المظهران في بوتقة واحدة: لقد أصبح الجنس العرضي تعبيرا عن الحرية الفردية.

أن يصبح الجنس العرضي الآية الأكبر على الحرية تلخصه أظهر تلخيص عبارة إيريكا يونغ الشهيرة «الجنس من دون مقدمات ولا مشاعر» (zipless fuck) - باعتباره علاقة جنسية متجردة من تبكيت الضمير ومشاعر العار والخجل، أي علاقة لا يحركها أي دافع غير التجربة ذاتها، أي من دون غاية أخرى غير الفعل الجنسي ذاته[190]. لم يلبث الجنس العرضي شكلا ثابتًا. فقد تطور هو ذاته إلى أن أصبح شكلًا اجتماعيًا متميزًا معروفًا تحت مسميات مختلفة، مثل «الجنس بين غرباء» (hook-up) أو «أصدقاء السرير» (friends with benefits) أو «رفيق الجنس» (fuck buddy)[191]. وفي الفرنسية يعرف الجنس العرضي بـ «مضاجعة

---

(189) انظر:

Richard Godbeer, *Sexual Revolution in Early America*, Baltimore, John Hopkins University Press, 2002.

(190) Jong, Erica Jong, *Fear of Flying* (New York: Signet, 1973).

(191) انظر بخصوص هذا الموضوع:

ليلة واحدة» (plan cul)، ويعني حرفيًا «خطة كس» (pussy plan) (وهو تعبير يوحي بتحيز واضح للذكور في ممارسة الجنس العرضي). وعلى حد قول مؤرخ الجنسانية باري راي، فإن الجنس العرضي جنس «عابر، مؤقت، يمارس خارج أو في إطار علاقة جنسية طويلة الأمد»[192]. لأن هذا الشكل من الجنسانية عابر ومحدود نسبيا في الزمن، يمكنه أن يتخذ شكل سلعة ويتواءم تماما مع إيقاع اللهاث[193] المحموم وراء المغامرات، والتجارب وفضاءات الاستهلاك المعاصرة. أصبحت التشابهات الانتقائية بين الجنس العرضي والاستهلاك بادية للعيان في تكنولوجيا الإنترنت، التي سرعت وأبرزت تنظيم العلاقات الجنسية كسوق (يتلاقى فيه الناس وفقا للقيمة المسنودة لكل منهم) وحولت اللقاء إلى منتج نبتاعه ثم نتخلص منه. تتجلى هذه الظاهرة في عدد لا يحصى من المواقع والتطبيقات المتاحة من نوع تطبيق تيندر. وحسب مقال في مجلة **فانيتي فير** عن تطبيق تيندر:

أصبحت اللقاءات عبر الهاتف المحمول معممة منذ خمس سنوات خلت؛ في سنة 2012، فاقت عدد اللقاءات عبر الإنترنت. في شباط/ فبراير، أفادت دراسة أن حوالي مئة مليون من الأشخاص – ربما خمسون مليون في تطبيق تيندر وحده – يستخدمون هواتفهم كنوع من النادي الخاص بالعزاب النقال والمفتوح على مدار الساعة والأسبوع، حيث في إمكانهم العثور على شريك جنسي بنفس السهولة

Justin R. Garcia et al, « Sexual Hookup Culture : A Review », *Review of General Psychology*, 16, no 2, 2012, p. 161 ; Lisa Wade, *American Hookup, op. cit.* ; Jocelyn J. Wentland et Elke Reissing, « Casual Sexual Relationships : Identifying Definitions for One Night Stands, Booty Calls, Fuck Buddies, and Friends with Benefits », *The Canadian Journal of Human Sexuality*, 23, no 3, 2014, p. 167-177 ; Angela D. Weaver, Kelly L. MacKeigan et Hugh A. MacDonald, « Experiences and Perceptions of Young Adults in Friends with Benefits Relationships : A Qualitative Study », *The Canadian Journal of Human Sexuality*, 20, no 1/2, 2011, 41-53.

(192) Barry Reay, "Promiscuous Intimacies: Rethinking the History of American Casual Sex," *Journal of Historical Sociology* 27, no. 1 (2014): 1–24, esp. 13.

(193) حرفيا الاستهلاك ولكن المعنى لا يستقيم. (المترجم).

التي يحصلون بها على رحلة رخيصة إلى فلوريدا. «الأمر أشبه بطلبية على سيملس (Seamless)»، يقول دان، المستثمر المصرفي، مشيرًا إلى خدمات توصيل الوجبات المنزلية. «ما عدا أننا نطلب شخصًا. [...] إن تطبيقات المواعدة، هي اقتصاد السوق الحرة المطبق على الجنس.»[194]

أود هنا أن أسائل خصائص الجنس العرضي في ضوء التفاعلية الرمزية والفينومينولوجيا[195]: كيف أدى كل من الجنس العرضي والجنسنة المعممة للعلاقات إلى تحويل الطريقة التي تنتسج بها العلاقات؟ وكما سأبين ذلك، فالجنس العرضي بين جنسين مختلفين يتسبب في حالة عدم يقين عميقة، يرجع في نفس الآن إلى العدد الوافر من التفاعلات التي تتيحها التكنولوجيا، وإلى الثقافة الاستهلاكية التي تشرط التفاعلات باللذة وقصر الأمد، وإلى اللاتماثلات الجندرية التي ما تزال سارية المفعول وعظيمة الوقع في التنظيم التنافسي للرأسمالية.

حسب المعالج وعالم الاجتماع ليزلي بيل، يتحدد «متوسط العمر الحالي للعلاقة الجنسية الأولى بالنسبة إلى الفتيات في سبعة عشر عاما، ما يترك عشر سنوات من النشاط الجنسي والعلائقي قبل السن المتوسط الحالي للزواج في سن السابعة

(194) Nancy Jo Sales, "Tinder and the Dawn of the 'Dating Apocalypse,'" *Vanity Fair* (September 2015), http://www.vanityfair.com/culture/2015/08/tinder-hook-up-culture-end-of-dating, accessed April 27, 2017.

(195) انظر:

Kathleen A. Bogle, « The Shift from Dating to Hooking Up in College : What Scholars Have Missed », *Sociology Compass*, 1, no 2, 2007, p. 775-778 ; Kathleen A. Bogle, *Hooking Up : Sex, Dating, and Relationships on Campus*, New York, New York University Press, 2008 ; Christopher R. Browning et Matisa Olinger-Wilbon, « Neighborhood Structure, Social Organization, and Number of Short-Term Sexual Partnerships », *Journal of Marriage and Family*, 65, no 3, 2003, p. 730-774 ; Paula England et Jonathan Bearak, « The Sexual Double Standard and Gender Differences in Attitudes toward Casual Sex Among US University Students », *Demographic Research*, 30, 2014, p. 1327-1338 ; Edward O. Laumann, *The Social Organization of Sexuality : Sexual Practices in the United States*, Chicago, Chicago University Press, 1994 ; Edward O. Laumann, Anthony Paik et Raymond C. Rosen, « Sexual Dysfunction in the United States : Prevalence and Predictors », *Jama*, 281, no 6, 1999, 537-544.

والعشرين. لا تتردد هؤلاء النساء لبرهة في السكن المشترك مع شريك، أو في تأخير الزواج إلى أن يضعن مسارهن المهني على السكة الصحيحة»[196]. ووفقا لوجهة النظر هذه، فإن النشاط الجنسي يؤخر ببساطة الزواج، أي أنهن يختلقن فترة انتقالية أطول يستكشفن الجنسانية خلالها. يفترض هذا المنظور صراحة أن الجنسانية الحرة لا تقوض البنية التقليدية للعلاقات والزواج بالأساس، وإنما تعمل على تغيير حدوثها المفاجئ. لكن، يبدو ليزلي بيل متحيرا من القلق الذي يظهره مرضاه. كما سأبسط ذلك الآن، لا يؤدي النشاط الجنسي المتزايد وطغيان الجنس العرضي ببساطة إلى فترة انتقالية: إن لهما آثار على تكوين العلاقات، آثار بقدر ما هي فادحة الوقع بقدر ما تستعصي على الإدراك. تؤثر الجنسانية الحرة المؤطرة بثقافة الاستهلاك والتكنولوجيا على بنية العلاقات وتخلق أشكالا من عدم اليقين تتغلغل في العلاقات السلبية.

تظهر لنا قصص الجنس العرضي اللامتناهية أن بإمكان الناس الانخراط في علاقات جنسية حتى من دون معرفة اسم شريكهم الجنسي، ما يوحي هنا أن إخفاء الهوية خاصية تميز الجنس العرضي[197]. وكما تنقل ذلك ليزا وايد في دراستها التحليلية للجنس في الأحرام الجامعية الأمريكية، أن الرجال في الحفلات عادة ما يكشفون عن نواياهم الجنسية بلزق أعضائهم التناسلية بظهر امرأة. «لأن الرجال عادة ما يقتربون من النساء من الخلف، فأحيانا ما تبقى هوية الرجل الذي ينشب قضيبه خلف ظهرهن في طي الغيب.»[198] يتميز الجنس العرضي، بما هو شكل اجتماعي، باستراتيجيات رمزية تنزع عن الشريك الجنسي ما يفرِّده (الاقتراب من شخص من الخلف يطمس معالم الوجه وينزع التفرد والتميز عن

(196) Leslie C. Bell, *Hard to Get: Twenty-something Women and the Paradox of Sexual Freedom* (Berkeley: University of California Press, 2013), 4.

(197) حتى إن المسلسل التلفزيوني Crazy Ex-girlfriend عرض أغنية ساخرة عن هذا الموقف في الموسم الأول، الحلقة الرابعة "الجنس مع غريب"، ,https://www.youtube.com/watch?v=iH3FPrl_Cuw زيارة الموقع يوم 27 أبريل 2017.

(198) Lisa Wade, *American Hookup: The New Culture of Sex on Campus* (New York: W. W. Norton & Company, 2017), 33.

الشخص الآخر). تمح الأسماء، في المقابل، بالتعرف على هوية الشخص وتمييزه. مختزلا إلى صورته الخالصة، فالجنس العرضي يعني أن على الناس أن يظلوا غرباء في أعين أنفسهم. بهذا المعنى، فهذه الجنسانية تحاكي الطابع الغفلي والعابر الذي بات يميز التفاعلات في مجال الاستهلاك وتدمج بين عناصر موجودة على القطبين المتقابلين: البعد والغرابة من جهة (مثلما هو الحال في التفاعلات التي لا نعرف فيها اسم الآخر) والقرب من جهة أخرى (العلامات الثقافية للقرب تشمل التعري، ومشاركة غرفة أو سرير، والاستمتاع الجنسي). إنه يفصل الجسد عن الفرد لأنه ينظر إلى الجسد كمصدر مستقل للمتعة ومن ثم كأنه مجرد مادية. وأخيرا، يفرض الجنس العرضي على الشركاء بألا ينتظروا أي توقعات في المستقبل. تكون التفاعلات في هذه الحالة قصيرة الأمد بشكل مشروع، متمركزة حول المتعة، ذاتية الإحالة، ومرغوب فيها لذاتها. وبالنتيجة، وكما هي حال أي علاقة بهويات مجهولة، فالجنس العرضي يتفرد بخاصية جوهرية: إنه يضعف قواعد التبادلية(199). وهذا ما توضحه بشكل صادم مذكرات الباحث في الأدب الكلاسيكي دانيال مندلسون (Daniel Mendelsohn) في **العناق الأبق**:

لقد جربنا جميعنا ما جربه: رعدة الإغواء، هذه المتعة المطلقة، سريعة الزوال لكنها مسكرة، حين تعلمين أن هناك من يرغب فيك [...]. يجب علي أن أحصي عدد الفتيان الذين هربت أنا نفسي منهم بعدما قضيت وطري: الجار اللطيف من الجنوب، المفعم بالأمل، الذي كانت أنفاسه تعبق بعطر جاك دانييل حينما قبلنا بعضنا أخيرًا والذي توقفت عن الاتصال به في اليوم التالي، فكتب لي رسالة غاضبة تظاهرت بأنها مسلية، قبل أن أطرحها في سلة المهملات، كما لو أنه جرحني جسديًّا؛ والرجل فارع القامة قوي البنية في الصالة الرياضية، ذو الشعر النحاسي والعضلات الرائعة، الذي بدا، في العشاء، بُعيد لقائنا في غرفة تبديل الملابس،

(199) سبق لزيمل أن كتب سنة 1903 بخصوص المثيرات المفرطة وقلة الألفة مع الآخرين في المدن الكبرى، ما يخلق لامبالاة واغترابا في العلاقة مع البيئة الاجتماعية. انظر:
Georg Simmel, *The Metropolis and Mental Life* (1903; London: Routledge, 1997). London.

خجولًا بشكل لا يصدق وأراد التحدث في موضوع الكُتاب والكتابة، وهو ما اضطررت إلى فعله فقط لأنني كنت أرغب في اصطحابه إلى شقتي مهما كلف الأمر، حتى لو كنت أعلم، لأنه أخبرني بذلك، أنه لا يحب لقاءات ليلة واحدة، ولما حملتُه أخيرًا على مرافقتي إلى الشارع رقم 25، وبدأت في فك أزرار قميصه، تقهقر إلى الوراء، ثم أذعن في الأخير، وبعد أسبوعين، ترك الرسالة الأخيرة التي ستظل بلا جواب على جهاز الرد الآلي، بينما قعدت هناك أستمع، مذعورة للغاية حتى يمكنني الرد عليها؛ أو الرجال الآخرون، الذين نلتقي بهم عبر الإنترنت، الرجال الذين تحصل على رقم هاتفهم في المطاعم والحانات، الرجال الذين يراقبونك في اللحظة التي تدركين فيها أنك لا تفعلين أي شيء وتقولين أي شيء فقط من أجل إغوائهم، والحصول عليهم، وحين يتحقق ذلك، تكونين في حاجة إلى مراودة آخر، شخص آخر، شخص مختلف، كان عليك أن تتولي عن الشاب الأول ذلك الذي تحرقت شوقًا للحصول عليه في الليلة الأخرى، ، فكان عليك أن تتركيه يرحل لأنك إن رأيته ثانية سيصبح فتى مميزًّا وليس مجرد فتى، وليس فقط من سيرغمك على السهر الليل كله خارج بيتك أو تظلين مستيقظة الليل كله، أو متصلة عبر الإنترنت الليل كله بأمل أن يأتي، مثل آخرين كثيرين، إلى شقتك الصغيرة حيث الرغبة أمر لا يهم أحدا سواك، أمر تتحكمين فيه، أمر لا يمت بصلة، في النهاية، إلى الشخص الذي اتفق أنه في غرفتك[200].

في هذه الحكاية، الجنس العرضي مبهج ومثير، لأنه يؤكد حرية الفرد والتجدد المستمر لعرض ثابت من الرغبات، لكنه يقضي على أي إمكانية للتبادلية، والتعلق والارتباط. بالفعل، فإحدى متع هذا النوع من التفاعل تكمن ربما في أنها لا تلزم الفرد ولا تقتضي التبادلية. يوضح مقال صدر في جريدة **النيويورك تايمز** عن ثقافة «معاشرة ليلة واحدة» هذه المسألة بصورة أجلى. فبعدما قدم لنا دوفان جيرالدو، رجلا شابا نموذجيا، يفترض المقال أن الجنس العرضي لا ينبني على التبادلية.

---

(200) Daniel Mendelsohn, *Elusive Embrace: Desire and the Riddle of Identity* (New York: Vintage, 2012), 87–88.

مؤكدا أن إرضاء شريكته «كان دائما مهمته الأولى»، يضيف الشاب جيرالدو أن «[في الجنس العرضي]، لا أبذل جهدا كبيرا حينما أكون برفقة شخص أهتم لأمره فعلا». لأنه قد يكون من المحرج له الحديث إلى نساء قابلهن لتوه عن احتياجاته الجنسية. يقول «في هذه المرحلة، أنتم عمليا مجرد غرباء بالنسبة إلى بعضكم البعض»[201]. في الواقع، كما تكتب ليزا وايد: «للرجال شبق أكبر من النساء في ثقافة «مضاجعة ليلة واحدة»، لأن هذه الثقافة لا تشجع التبادلية. إنها مصممة خصيصا للشبق الذكوري.»[202]

وكما افترض ذلك عالم الاجتماع ستيفن سيدمان (Steven Seidman)، فالجنس العرضي «متمركز على المتعة» وعلى الفعل في حد ذاته، إنه قابل للتبادل فيما بين الشركاء، و«أي أفق للحميمية، والالتزام والمسؤولية مشروط باللقاء»[203]. بهذا المعنى، فالجنس العرضي هو شكل اجتماعي يشمل تعددية من العلاقات مع غرباء تطبع أمكنة الاستهلاك الحضرية الحديثة، وحيث الغفلية (أو خفاء الهوية) سمة طاغية فيها. ولأن جوهر اللقاء يكمن في بلوغ ذروة المتعة الجسدية، فهو خلو من أي غاية (على نموذج الرجل العازب لدروكايم الذي ذكرناه في الفصل السابق).

من حيث هو شكل اجتماعي، تطور الجنس العرضي بشكل لافت للنظر منذ «المضاجعة من دون مقدمات ولا مشاعر» لإيريكا يونغ. على موقع كورا Quora – الذي يهدف إلى «تقديم الإجابة المثالية عن أي سؤال ممكن» – نجد مثالا لهذا النوع من الجنسانية مثلما نمارسها اليوم (إجابة عن سؤال «هل سبق لك أن...؟»):

أجل. في الجامعة. التقيت فتاة في نادٍ ليلي. كنا معًا تحت تأثير المخدرات [كذا].

---

(201) Natalie Kitroeff, "In Hookups, Inequality Still Reigns" *New York Times*, November 11, 2013, http://mobile.nytimes.com/blogs/well/2013/11/11/women-find-orgasms-elusive-in-hookups/, accessed April 27, 2017.

(202) Wade, *American Hookup*, 167.

(203) ذكر في:

Barry Reay, "Promiscuous Intimacies: Rethinking the History of American Casual Sex," *Journal of Historical Sociology* 27, no. 1 (2014): 1–24, esp. 12.

لم نداعب بعضنا حتى ولا تبادلنا أكثر من كلمتين. كانت صديقة لزميلتي في السكن في المهجع (آبي، وهي فاتنة للغاية). كانت مجموعتنا تتألف من ثلاث فتيات وأنا.

لما بدأت المخدرات تفعل مفعولها، أخذت الفتيات في ملامسة بعضهن (لا يتلامسن، وإنما يربتن على الكتف أو يمررن أصابعهن على الشعر)، ثم في تبادل القبل برفق وهدوء. كنت جالسا أراقبهن فحسب، أبتهج وأستمتع بما أرى. كانت الفتيات الثلاث جالسات على أريكة وأنا على أريكة أخرى. كانت الأريكتان متقابلتين.

وفي لحظة معينة، بدأت صديقتي آبي وإحدى الفتاتين الأخريين في تقبيل بعضهما بشكل صريح أكثر. كانت الأخرى جالسة على جنبها وتحتك قليلا بالفتاتين الأخريين. لكن بما أنها شعرت بالإهمال قليلا، فقد أتت لتجلس بقربي. بدأنا في تبادل القبل، وعلى الفور تقريبا، زادت قبلنا الصغيرة التهابا. ثم سرعان ما خفضت يدها، وأمسكت بعضوي المنتصب وداعبته من فوق بنطالي.

وبعد حوالي عشر دقائق على هذا الوضع، أمسكت يدها واصطحبتها إلى الدهليز الذي يؤدي إلى المراحيض. يمتد الممر على طول مرحاضين، ثم كان هناك ركن وبابان موصدان مخصصان للموظفين أو للتخزين، وأخيرا كان ثمة طابق سفلي يؤدي إلى مخرج الطوارئ. سبق واستطلعت المكان وكنت أعرف أين يوجد. أخذتها إلى الجانب الآخر من الركن ونزلنا درجات السلم. كانت تعرف جيدا ما يدور في ذهني ... وإلا لماذا اصطحبتها إلى هذه المكان شديد الخصوصية من النادي.

ما إن وصلنا هناك بدأنا في تبادل القبل من جديد. كانت يدي تجوب كل تضاريس جسدها، لكن دون أن تذهب بعد لتتحسس ما تحت ملابسها. جعلت تسحب حزامي، لكنها وجدت صعوبة في فتحه لأنه لم يكن نموذجا تقليديا. فأخذت في مساعدتها فجثت على ركبتيها. ما إن فتح بنطالي، أخذت في مص عضوي. وقد كانت تجيد ذلك، وما كان علي أن أتركها تستمر كثيرا، لأنني إن لم

أفعل فسيكون موعدنا الصغير أقصر بكثير مما كنت أتمنى.

أمسكتها من ذراعيها ودفعتها على الحائط وأنا أقبلها. ثم أكببت على بنطالها، نزعت بنطالها وسروالها الداخلي، وفرجت ساقها لتضعها فوق كتفي حتى أتمكن من لعق فرجها. كان حليقا جزئيا، مما شجعني على مواصلة عملي. (من العسير أن تتقد نار شهوتنا ونحن نتجنب بعض الشعر كيلا يدخل إلى فمنا.) لقد استمتعت عدة مرات بينما أنا ألعقها، ثم جرتني نحوها لأقبلها من جديد.

بعدئذ، طلبت مني أن أنزل بنطالي وأستلقي على الإسمنت. جلست فوقي وامتطتني على طريقة راعي البقر. كانت المرة الوحيدة في حياتي التي لم أستعمل فيها واقيا ذكريا في قصة لم أكن فيها في علاقة أحادية وملتزمة. لكن بما أننا كنا تحت تأثير المخدرات فهذه المرأة الفاتنة الجالسة فوقي التي تمتطيني بدون سرج كانت إحدى أقوى التجارب الجنسية في حياتي. لم تكن تتحرك بقوة كبيرة، ولا تحرك سوى وركيها فوقي أو تضغط بخفة على جسدي وهي تضاجعني بحركات سريعة.

كنا نقوم بذلك لقرابة ساعة (من المدهش أن لا أحد اكتشف أمرنا)، لما وصلت صديقتي آبي إلى أعلى الدرجات ونادت علينا. لا شك أنها لم تستطع أن ترانا كليا، لكنها خمنت ما كان يحدث. كان على الفتاة الأخرى التي كانت تقبلها آبي أن تعود إلى بيتها، ولذلك بقيت وحيدة. واصلت التحدث إلينا. كان من الطبيعي أن يكون هذا غريبا، لكن ربما كان ذلك بسبب المخدرات، بدا كل شيء طبيعيا. طلبت آبي إن كان بإمكانها أن تنزل وقلت نعم قبل أن يكون لصديقتها حتى فرصة أن تجيب. لكن الفتاة ابتسمت، فقلت في نفسي إنها لن تمانع. نزلت آبي الدرجات، وأسندت ظهرها على الحائط ونظرت إلينا وهي تدس يدها تحت بنطالونها.

وبعد هنيهة، توقفت آبي عن النظر وأسندت رأسها إلى الخلف مغمضة عينيها. قالت إنها تعشق سماعنا ونحن نمارس الجنس. كنا بالأحرى هادئين، لكن هذا ما أثارها، التأوهات والشهقات الصغيرة والأصوات الخفيتة لالتحام الأجساد. استمرت في التحدث إلينا. اعترفت بأنها تناولت جرعة أخرى من المخدر وأنها في

حالة هلوسة. أنظر حينا إلى الفتاة التي كانت فوقي، وحينا إلى آبي. لا أدري من منهما أثارت انتباهي أكثر، أهذه الفتاة التي تمتطيني أم آبي الواقفة قبالتي ويدها تحت بنطالونها.

قلت لآبي إن عليها أن تخلع بنطالونها بينما كانت تستمني. سألتني لماذا. فقلت سيكون من المثير جدا رؤية كس فتاة بينما أخرى تعتني بقضيبي. لما قلت ذلك، نظرت إلى عيني مباشرة نظرة شزراء. اعتقدت أنها غضبت مني، ثم أحسست على الفور أن عضوي بدأ يسترخي. قررت أن آخذ الأمر ببرود وافتر فمي عن أروع ابتسامة لي. فردت علي بابتسامة خفيفة وأخذت في خلع بنطالها. بحلول تلك اللحظة، كان انتصاب قضيبي أقوى مما كان عليه طوال تلك الليلة. نزعت جواربها وبنطالها، واستندت إلى الجدار ودست يدها تحت سروالها الداخلي. وبالطبع، لم أكن أرى كسها لأنها لم تنزع سروالها الداخلي، لكنني قررت ألا أستغل الموقف أكثر.

أخذت صديقتها الآن تنظر إليها بنفس حماستي، بينما كانت تواصل تحريك وركيها فوقي. ثم قالت صديقتها «انزعي سروالك الداخلي أيضا، يا آبي!» وتبادلا النظرات فيما بينهما للحظة قبل أن تنقاد آبي وتنزعه. وبعد ذلك، توجهت آبي، لدهشتي، نحو الجانب الآخر من بسطة السلم حيث كنا، ووجدت مكانا لترفع ساقها وتضعها عليه بينما تستند بظهرها على الجدار من جديد. كان أعلى ظهرها مسنودا على الجدار، لكن ساقها كانت على بعد قدم منه. أتاح لنا ذلك مشهدا رائعا لكسها، ويبدو أنها كانت تستمتع بكشفه لنا. وبدل اليد الواحدة جعلت هذه المرة تستخدم كلتا يديها. فتحت شفتي فرجها الخارجيتين حتى نراها جيدا، وبينما كانت تداعب بظرها وتداعب فرجها بإصبع واحد، فإصبعين، ثم ثلاثة، تنشبها داخله وتخرجها.

بعد حوالي عشر دقائق، سألتها صديقتها الاقتراب، أخذت يد آبي التي صارت الآن مبللة وجعلت تمصها وتلحسها. بدأت آبي الآن تستخدم يدها الأخرى لتداعب فرجها. ثم أمسكت آبي من كاحلها وفرجت ساقيها برأسي وطلبت منها

أن تجلس فوقي.

بدأت في لعق كس آبي بينما كنت أرهف السمع للفتاتين وهما تتلاثمان بحرارة. والمثير للدهشة، أنهما قررتا أن تتبادلا المواقع فاستقررت الصديقة فوق وجهي فيما اقتعدت آبي قضيبي. وفي وقت وجيز، زاد الوضع اهتياجا، بلغت الفتاة نشوتها على وجهي، ثم بلغناها أنا وآبي في نفس الوقت، ثم اعترت الفتاة رعشة ثانية بعدنا.

بقيت متمددا للحظة بينما تتبادل الفتاتان القبل برقة ولطف. ثم نهضتا وغيرتا وضعيهما مرة أخرى. هذه المرة من أجل مسح ما أفرزت. تقبلني آبي وهي تتذوق إفرازات صديقتها، فيما كانت هذه الأخيرة تمص قضيبي الآخذ في التراخي، وتتذوق سائلي المنوي الممتزج بإفرازات آبي. لما فرغت من عضوي، أنهضت آبي، وأسندتها على الجدار، وأخذت في تنظيفها هي أيضا، حتى أنها ذهبت إلى إدخال لسانها وامتصاص ما كنت قد قذفته داخل فرجها.

بحلول تلك اللحظة، كان عضوي منتعظا مثل صخرة ومتأهبا لأن أعيد الكرّة، لكن كان على صديقة آبي أن ترحل ... بقينا هناك لأكثر من ساعتين. ما أزال أستغرب أن أمرنا لم يكتشف.

بعد حوالي شهر، ذهبنا أنا وآبي لإجراء اختبار الأمراض المنقولة جنسيا (STD). وبما أننا كنا سليمين، لم تكلف نفسها عناء مطالبة صديقتها بإجراء اختبار أيضا.

تواعدت أنا وآبي فترة قصيرة من الزمن، بل إننا جربنا تجارب جنسية أخرى مع صديقتها. ورغم ذلك لم يكتب لعلاقتنا أن تستمر بعد عطلة الصيف. فقد غيرت السَكن بعد التخرج وتابعت دراساتها في مكان آخر(204).

من الناحية السوسيولوجية، يتضمن هذا الاقتباس الطويل الكثير من العناصر

(204) "Have You Ever Had Sex with a Complete Stranger, and If So, What's Your Story?" *Quora*, https://www.quora.com/Have-you-ever-had-sex-with-a-complete-stranger-Whats-your-story, accessed April 27, 2017.

الهامة، بدءًا بالكفاءة الجنسية الواضحة للفاعلين المعنيين، إذ كل واحد منهم يبدو بليغا في نحو الروابط الاجتماعية المبنية على إنتاج متعته الجنسية الخاصة ومتعة شركائه. لن يتمكن القارئ من تبين الفرق بين الفاعلين السلبيين والفاعلين النشطين، الأكفاء وغير الأكفاء، والمكبوتين والمتحررين. كما افترضنا ذلك في الفصل السابق، فالكفاءة الجنسية هي شكل من الكفاءة الاجتماعية حديث العهد نسبيا، شكله وقننه علماء الجنس، والمساعدة العلاجية، والصور البورنوغرافية العنيفة واللطيفة، فضلا عن «الناشطين في مجال المتعة الجنسية» (مختلف الحركات الفرعية للنسويات والعاملات في الجنس)[205]. وعلاوة على ذلك، فنوع التفاعل الموصوف أعلاه يقتضي تنسيقا معقدا بين أجساد مختلفة في وضعية منظمة، الهدف منها إرضاء شركاء متعددين والإرضاء الذاتي على حد سواء. هذه القصة تظهر درجة عالية من التنسيق والتفاهم الضمني بين فاعلين لا يكادون يعرفون بعضهم البعض. لكن هذا يحدث لأن هؤلاء المشاركين يتمتعون بدرجة عالية من الكفاءة الجنسية. إنهم يتصرفون كما لو أنهم كانوا يتدربون على مشهد من فيلم بورنوغرافي معروف من لدن كل الأطراف، أي مشهدا يبدي فيه كل المشاركين سلاسة جنسية وتخطيطا مسبقا لأفعالهم الجنسية (scriptedness) (ربما المكتسب من خلال

---

(205) انظر بشأن هذه المسألة:

Kath Albury, "Porn and Sex Education, Porn as Sex Education," *Porn Studies*1, nos. 1–2 (2014): 172–181; Nicola M. Döring, "The Internet's Impact on Sexuality: A Critical Review of 15 Years of Research," *Computers in Human Behavior* 25, no. 5 (2009): 1089–1101; Panteá Farvid and Virginia Braun, "The 'Sassy Woman' and the 'Performing Man': Heterosexual Casual Sex Advice and the (Re)constitution of Gendered Subjectivities," *Feminist Media Studies* 14, no. 1 (2014): 118–134; Alain Giami and Patrick de Colomby, "Sexology as a Profession in France," *Archives of Sexual Behavior* 32, no. 4 (2003): 371–379; Julia Hirst, "Developing Sexual Competence? Exploring Strategies for the Provision of Effective Sexualities and Relationships Education," *Sex Education* 8, no. 4 (2008): 399–413; Brian McNair, 2002; Ross Morrow, "The Sexological Construction of Sexual Dysfunction," *The Australian and New Zealand Journal of Sociology* 30, no. 1 (1994): 20–35.

الولوج المعمم إلى المواقع البورنوغرافية[206]) ومن خلال مشهد مرئي حيث يؤدي المشاركون الآخرون أدوارهم في فانتازيا جنسية مكتوبة ثقافيا وكليشيه بورنوغرافي (تمارس امرأتان الجنس مع رجل واحد، تبهجان نفسيهما وتبهجانه). خاصية هذا المشهد المكتوب على شكل سيناريو هي على الأرجح بصرية وليست سردية أو معيارية. وجنسانيته عمومية (في نادٍ ليلي)، غير مخطط لها وعفوية، تقع خارج التصنيفات الجنسية الثنائية التقليدية (الحميمية مقابل العمومية، مثلي الجنس مقابل غيري الجنس، أحادية العلاقة مقابل تعدد العلاقات). يترجم هذا المشهد أيضا مساواة نسبية بين الجنسين: إنه لا يمنح الأفضلية لمتعة أحد النوعين. فرعشة الجماع التي انتابت المشاركين كافة هي القاعدة الضمنية التي تدفع بالتفاعل إلى الأمام. السلاسة الجنسية التي أبداها كل المشاركين لا تأتي من الأيديولوجيا السياسية بقدر ما تنبع من أن الجسد المجنسن يبحث عن متعته بعيدا عن التصنيفات الثنائية. فكل جسد، سواء أكان ذكوريا أو أنوثيا، يمكن أن يكون مصدر أو موضوع متعة، لأن الأجساد تدرك هنا في ماديتها، باعتبارها مصادر وظيفية للذة شبقية، بصرف النظر عن الفروق الجندرية (حتى لو كان الاقتباس السابق يتوافق مع فانتازيا ذكورية تقليدية). إن تعدد المشاركين في هذه القصة يرتبط بذيوع المتعة الجنسية بمعنيي كلمة «انتشار»: الجنس ينتشر، يصير عموميا وليس حصريا، غير متمركز حول شخص واحد؛ إنه يصبح أيضا خاصية متفشية غير مشروطة بالجندر، أكثر منها تبادلا أثيرا بين شخصين. وفضلا عن ذلك، فالمشهد ليس مشهد لقاء خاص بقدر ما هو مشهد أداء عام، وهذا على أنحاء عدة: إنه يحدث في فضاء عمومي (سلالم وغرفة خلفية في ناد)؛ إنه أداء تم تنفيذه من أجل عيون جماعة تتعالى على الثنائية التقليدية؛ وتحول فيما بعد إلى موضوع قصة

(206) Monique Mulholland, "When Porno Meets Hetero: SEXPO, Heteronormativity and the Pornification of the Mainstream," *Australian Feminist Studies* 26, no. 67 (2011): 119–135; Monique Mulholland, *Young People and Pornography: Negotiating Pornification* (New York: Springer, 2013); Brian McNair, *Striptease Culture: Sex, Media and the Democratization of Desire* (London: Psychology Press, 2002).

نشرت على موقع كورا، موقع «الجواب الأمثل عن كل أسئلتك». وبهذا المعنى، إنه يعكس طابع الجنسانية الذي أصبح أكثر فأكثر عموميا عبر الإنترنت. وأخيرا، وهذا من الأهمية بمكان، فهذا اللقاء ليس نقطة انطلاق قصة حياة. إنه مشهد من حلقة وحيدة، تتكرر كسلسلة من الحلقات المنفصلة، لكن من دون أن تفضي إلى قصة، أو ارتباط أو علاقة. يحطم الجنس العرضي الخطية السردية المتأصلة في العلاقات بين جنسين مختلفين التقليدية. إنه يعاش كحلقة سريعة تستهدف، لا شخصا أو فردا بعينه، وإنما جسدا غير محدد المعالم لكنه جذاب جنسيا. بهذا المعنى، فإن هذا النمط من الجنسانية هو عبارة عن شكل اجتماعي مجرد لا يبحث عن التفرد والتميز. زد إلى ذلك، أن الجنس العرضي يسلب الآخرين فرادتهم ويحيِّد ما أسماه لوك بولتانسكي «سيرورة التفريد» التي هي، حسبه، مظهر أساس من مظاهر الاجتماعية(207). أدت المتعة الجنسية، والاختيار الجنسي، وركام التجارب الجنسية مع شركاء متعددين إلى تحويل اللقاءات بين جنسين مختلفين، ما أدى إلى تغيير الطريقة التي تنشأ بها الأطر العاطفية والثقافية وتستمر في البقاء.

لأن الجنس غيري المعيارية كان جنسا يتحدد بغرض أو هدف (سواء أكان زواجا، أو حبا، أو حياة مشتركة أو إنجاب طفل)(208)، فالجنس العرضي ينسف الغاية السردية للمعيارية الغيرية(209). إنه يسعى بالأحرى إلى مراكمة تجارب ممتعة سرعان ما تستحيل، بدورها، علامة على مقام، وعلى امتلاك جسد معترف بجاذبيته من قبل الآخرين. مثلا، في مذكراتها الموسومة بـ «**ليس هذا الصنف من**

---

(207) Luc Boltanski, *The Foetal Condition: A Sociology of Engendering and Abortion* (Hoboken, NJ: Wiley, 2013), 28–29.

(208) انظر بخصوص هذا الموضوع:

Barbara Critchlow Leigh, "Reasons for Having and Avoiding Sex: Gender, Sexual Orientation, and Relationship to Sexual Behavior," *Journal of Sex Research* 26, no. 2 (1989): 199–209; Cindy M. Meston and David M. Buss, "Why Humans Have Sex," *Archives of Sexual Behavior* 36, no. 4 (2007): 477–507.

(209) من ناحية أخرى، يتفاعل المثليون جنسيا الذين يمارسون الجنس العرضي في أطر ثقافية واضحة؛ تكون انتظاراتهم متشابهة، ويدركون بعضهم البعض على أن لهم سلطة وهوية جندرية متماثلتين، ولهذا السبب بالذات، تميل هذه العلاقات في الأرجح إلى خلق الابتهاج أكثر من القلق.

الفتيات»، تستحضر مؤلفة الفتيات الشهيرة لينا دونهام ذكريات مراهقتها ودخولها مرحلة النضج في قصة تميزت بالقلق حيال كفاءاتها الجنسية(210). فقد وصفت ولوجها إلى سن الرشد بأنه كان بمثابة محاولة شاقة ومتكررة كيما تحافظ على عذريتها (ما يستتبع بوضوح أن العذرية مجلبة للعار). بالنسبة إلى الفتيان والفتيات، ففقدان العذرية شرط قبلي ضروري للاندماج في الفئة الاجتماعية الخاصة بالأشخاص المرغوب فيهم جنسيا. بهذا المعنى، فالجنس العرضي جزء من هذه الأشكال الجديدة للرأسمال الاجتماعي التي رأت النور، والتي يعتبر فيها الجنس، والنشاط الجنسي والكفاءة الجنسية مؤشرات جديدة على المكانة ومعايير للقيمة. وإجمالا، فمضاجعة ليلة واحدة، وعلاقة الليلة الواحدة، وحفل الجنس، والجنس من دون مقدمات، هي بالتعريف علاقات **بلا توقعات**، ينخرط فيها كل فاعل في السعي وراء رغبته الخاصة، من دون أن ينتظر أي توقع بأن يعامل بالمثل عاطفيا أو علائقيا أو يخطط لشيء في المستقبل. يفترض من كل لقاء أن يحقق المتعة ومن تراكم مثل هذه اللقاءات أن يجلب بدوره مكانة معينة لفاعليها.

ليس إذن من المدهش أن أصبحت الدعارة، بالنسبة إلى بعض الليبرتاريين الجنسيين، البراديغم الموجه لجنس متحرر غايته المتعة. توضح مارغو سانت جيمس (Margo St. James)، مؤسسة حركة الدفاع عن عاملات الجنس COYOTE (دعك من أخلاقك البالية): «لطالما اعتقدت أن المومسات كن المتحررات الوحيدات. نحن الوحيدات اللائي لهن مطلق الحق في معاشرة رجال كثيرين مثلما للرجال حق معاشرة نساء كثيرات.»(211) وفقا لوجهة النظر هذه تتحدد الجنسانية المتحررة والمساواة الجندرية بالقدرة على «المعاشرة الجنسية» لعدد كبير من الشركاء الجنسيين وبالقدرة على فصل النشاط الجنسي عن العواطف،

---

(210) Lena Dunham, *Not That Kind of Girl: A Young Woman Tells You What She's "Learned"* (New York: Random House, 2014).

(211) مذكور في:

Elizabeth Bernstein, *Temporarily Yours: Intimacy, Authenticity, and the Commerce of Sex* (Chicago: University of Chicago Press, 2007), 11–12.

والمشاعر الأخلاقية والأعراف الاجتماعية[212]. ومن حيث هو أداء اجتماعي، فاللقاء الجنسي العابر لا يكون ناجحا إلا إذا كان لا يحتمل أي توقعات أو انتظارات، وإن كان بلا أفق مستقبلي، وإن أتاح للشركاء فرصة أن يختبروا لذة حسية دون قيد أو شرط وأن يكونوا متساويين في استقلالهم (detachment) المتبادل. معرفا بهذا النحو، فالجنس العرضي أقرب إلى معنى تبادل الخدمات، المبني على أداء تحت هوية مجهولة وبطريقة لحظية عابرة، وعلى نزع خاصية الفرادة عن الآخر وعلى غياب الالتزام المتبادل. وبهذا المعنى، فالجنس العرضي يأخذ شكلا مجردا، تماما مثل المال بالنسبة إلى كارل ماركس وغيورغ زيمل. فالمال مجرد لأنه يجعل السلع قابلة للتبادل بإدراجها تحت قيم تبادلها (النقدي). في حالة الجنس العرضي، يصبح الأفراد متساوين، مثل السلع، ويدرجون تحت متعة النشوة الجنسية التي تحل محل عملة التبادل. بعبارة أخرى، فالجنس العرضي يصنف الأشخاص تحت قيمة نشوتهم الجنسية، ويجعلهم قابلين للتبادل ومن ثم مجردين، ومختزلين في وظيفة الإمتاع.

كانت السياسة المساواتية وراء هذا الجنس العرضي، الذي أمسى شكلا اجتماعيا شرعيا بالنسبة إلى الجنسين. لكنه غالبا ما اقترن بشكل من الجنسانية الذكورية، سواء في المنشورات الأكاديمية أو في الأفكار النمطية الشعبية[213].

---

(212) انظر:

Virginie Despentes, *King Kong Theory* for a position that is not far from this one. *King Kong Theory* (Paris: Grasset, 2006).

(213) Russell D. Clark, "The Impact of AIDS on Gender Differences in Willingness to Engage in Casual Sex," *Journal of Applied Social Psychology* 20, no. 9 (1990): 771–782; Catherine M. Grello, Deborah P. Welsh, and Melinda S. Harper, "No Strings Attached: The Nature of Casual Sex in College Students," *Journal of Sex Research* 43, no. 3 (2006): 255–267, esp. 255; Edward S. Herold and Dawn-Marie K. Mewhinney, "Gender Differences in Casual Sex and AIDS Prevention: A Survey of Dating Bars," *Journal of Sex Research* 30, no. 1 (1993): 36–42; Eleanor MatickaTyndale, Edward S. Herold, and Dawn Mewhinney, "Casual Sex on Spring Break: Intentions and Behaviors of Canadian Students," *Journal of Sex Research* 35, no. 3 (1998): 254–264; Jennifer L. Petersen and Janet Shibley Hyde, "A Meta-analytic Review of Research on Gender Differences in Sexuality, 1993–2007," *Psychological*

ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة. أولها أن الرجال استمتعوا دائما بحرية جنسية أكبر من النساء وكان بإمكانهم إذن أن يصولوا ويجولوا في المجال الجنسي من دون قيود معيارية صارمة. الاختلاط الجنسي هو مؤشر على القوة الجنسية بالنسبة إلى الرجال، أما بالنسبة إلى النساء فهو إما غامض وملتبس، وإما أنه علامة على مكانة أخلاقية أدنى. وثانيها، يتمثل في حقيقة أن الرجال ليسوا مجبرين على استعمال الجنسانية كوسيلة نفوذ للوصول إلى الموارد الاجتماعية والاقتصادية، فليس ثمة أي داع يدفعهم إلى الانخراط الكلي في جنسانيتهم الخاصة. في المقابل، فالمقاربة الأنثوية للجنسانية عاطفية أكثر لأنها اقتصادية أكثر، أي أنها تستعمل كمورد يقايض بموارد أخرى، مادية أو اجتماعية. وهذا هو السبب في أن المخاطر المرتبطة بالجنسانية أعلى أكثر بالنسبة إلى النساء وتورط ذواتهن أكثر. السبب الثالث الذي يجعل الجنس العرضي يميز بخاصة الجنسانية الذكورية هو أن الذكورة تتحدد بصورة شبه مكررة بالقدرة على امتلاك وإظهار عدد كبير من الشركاء الجنسيين. كما يقول ذلك روبرت كونيل، المتخصص في الذكورة، لرجال كثيرين، «أن تكون ذكرا، يعني أن تضاجع النساء[214]»، تأكيد تثبته على نطاق واسع راتشيل أونيل في دراستها عن الرجال الذين يحضرون «ورشات التدريب على الإغواء[215]» (ليتعلموا كيف يحصلون على أكبر عدد من العلاقات الجنسية الممكنة). وأخيرا، فالجنس العرضي يقتضي انفصالا يمنح بعض السلطة والذي، بما هو كذلك، بمثابة استعارة للذكورة. فعلى ذات الطريقة التي دافع بها العقل الذكوري عن فصل المشاعر والعواطف عن العقل في جميع مجالات الاقتصاد، والسياسة والعدالة، فالذكورة المهيمنة تميل إلى فصل المشاعر والعواطف عن الجنسانية[216].

Bulletin 136, no. 1 (2010): 21–38.

(214) Robert William Connell, *The Men and the Boys* (Berkeley: University of California Press, 2000), 120, quoted in Rachel O'Neill, *Seduction Men, Masculinity, and Mediated Intimacy* (Cambridge: Polity Press, 2018), 83.

(215) O'Neill, *Seduction Men,* 3–45.

(216) انظر الدراسة الواردة في نفس المرجع.

تتحدد الذكورة المهيمنة الكلاسيكية بأنها القدرة على مراكمة اللقاءات المحض جنسية وفي امتلاك النساء في آن (دونالد ترامب هو النموذج المثالي لهذه الذكورة، انظر الفصل التالي). انظر، مثلا، كيف تحدد أمبرواز، 49 سنة، أستاذة المالية في باريس، المرأة المثالية:

حينما تنام مع امرأة، فهي لا تغادر أبدا في منتصف الليل؛ لا تحلم حتى في ذلك. سيكون من الجميل جدا. لا، بل تبقى إلى صباح اليوم التالي، ترغب في عناق وحضن وتناول وجبة الإفطار. يا إلهي. المرأة المثالية هي تلك التي تغادر في منتصف الليل، وتترك كلمة وداع فوق الطاولة، قائلة إن الليلة كانت رائعة، ومن دون أن تترك رقم هاتفها. هي ذي المرأة المثالية.

وبطريقة ربما ساخرة، فالجنس العرضي كان أيضا مؤشرا على السياسة النسوية، وبخاصة لأنه علامة على الاستقلالية، والمتعة، والسلطة والتحلل من أي تعلق. إليكم مثال امرأة توضح على صفحات موقع شعبي Refinery29، المتعة التي تختبرها في الجنس العرضي:

كان لي كثير من مغامرات ليلة واحدة وكثير من العلاقات الطويلة الأمد. كلتاهما جزء من الحياة، إن أردتم رأيي. إنها مسألة اختيار. ساعدتني مغامراتي لليلة وحدة على أن أشعر في آن بأنني أقوى وأجمل لأن كل ما أريده، كان الجنس، فحصلت عليه وأرحل من دون انتظار شيء و(في رأسي) بشعور بالقوة. لكني تورطت في مغامرتي الأخيرة! فقد طلب رقمي، فقلت إننا لسنا مضطرين إلى التصنع، وأن كل الأمر كان مجرد مغامرة لليلة واحدة، وأنه على كل حال كان قد نسي اسمي[(217)].

من الواضح أن ما عاشته هذه المرأة هو طقس التحلل الوجداني وغياب الانتظارات، ما يمنحها شعورا بالقوة والاستقلالية، الذي يذكرنا بالنهج/ المسلك الذكوري للجنسانية. يمكننا إضافة إلى ذلك، أن نفترض أن هذه

(217) *Real Women One Night Stands,* http://www.refinery29.com/one-night-stand, accessed April 21, 2017.

المرأة كانت تبحث عن الجنس العرضي، لأنه سيجلب لها، من خلال التحلل وعدم التعلق وغياب أي انتظارات متبادلة، إحساسا بالمساواة. من وجهة نظر تاريخية، بما أن الرجال كان لهم دائما امتياز الجنسانية العرضية، فإن إحلال المساواة يقتضي من النساء نفس إرادة التحلل من الارتباط.

ثمة تأكيدا آخر (غير مباشر) للفرضية التي مفادها أن هذا الجنس العرضي هو شكل للجنس الذكوري (كما تعرف ثقافيا) في دراسة هامة عن النساء والجنس العرضي أنجزتها لورا هاميلتون وإليزابيث آرمسترونغ. فبدراستهما جنسانية الطالبات، اكتشفت الباحثتان أن هذا الشكل من الجنسانية هو في الواقع وسيلة تتوسلها هؤلاء السيدات ليضعن جانبا مثال الزواج ويكرسن أنفسهن على نحو أفضل من أجل مسارهن المهني(218). بالنسبة إلى الطالبات اللاتي لا ترغبن بالضرورة في أن تكون لهن علاقات متواصلة واللائي يبحثن عن عمل، يبدو الجنس العرضي كاستراتيجية لتحسين شروط البحث. الجنسانية العرضية هي، بالنسبة إليهن، وسيلة للمضي قدما بسرعة، وتركيز جهودهن على دراستهن وبلوغ أهدافهن المهنية. ما تسميه المؤلفتان «حتمية التنمية الذاتية» يجعل العلاقات المتواصلة والاحتكارية، في تقديرهن، أقل احتمالا وأكثر صعوبة، قبل أن بناء

(218) Laura Hamilton and Elizabeth A. Armstrong, "Gendered Sexuality in Young Adulthood: Double Binds and Flawed Options," *Gender & Society* 23, no. 5 (2009): 589–616.

كما تعبر المؤلفتان عن ذلك بشكل قاطع: "يميل الشباب الأمريكي الموسر، رجالا ونساء، إلى إرجاء لحظة بناء أسرة إلى حدود منتصف العشرينات، أو بداية الثلاثينات، حتى يركزوا جهودهم على دراستهم وتطوير مسارهم المهني – ما نسميه حتمية تنمية الذات" (Arnett 2004 ; Rosenfeld 2007). تجعل هذه الحتمية العلاقات الملتزمة أقل احتمالا من حيث هي سياق حصري للجنسانية قبل الزواج. مثل الزواج يمكن للعلاقات أن تكون "احتكارية greedy"، فتستأثر بالوقت والجهد اللذين هما في حاجة إليهما لينصرفوا إلى تنمية ذواتهم (Gerstel and Sarkisian 2006 ; Glenn and Marquardt 2001). وفي المقابل، فإن مغامرات ليلة واحدة تمنح المتعة الجنسية من دون أن تنحرف عن مسار الاستثمار في الرأسمال البشري وهي باتت تدرك شيئا فشيئا على أنها جزء لا يتجزأ من تجريب جنسي يتناسب ومرحلة من الحياة. الفكرة الجوهرية هي الحماية – جسديا وعاطفيا-، ما أسفر عن ظهور مقاربة استراتيجية للجنس والعلاقات (Brooks 2002 ; Illouz 2005). تنعكس هذه المقاربة في ازدهار الأسواق الأيروتيكية التي تعرض شركاء جنسيين لمدة وجيزة، ولا سيما في الحرم الجامعي" (Collins 2004).

مسار مهني. وبهذه الطريقة، فهاميلتون وآرمسترونغ توصيان، ضمنيا، بممارسة الجنس العرضي، لأنه يعمل كموجه للمساواة بين الجنسين (المرأة التي تقع في الحب لها فرص أكبر لتتزوج، وأن تنجب طفلا، وأن تحرم بسرعة من إمكانية أن يكون لها مسار مهني). هذا يلمع أيضا إلى أن الجنس العرضي هو سيناريو للاعلاقة[219]. إن كانت هذه الجنسانية وثيقة الصلة بالسياسات النسوية[220]، فلأنها أيضا بما هي استعارة للاستقلالية والتحلل من أي ارتباط، فهي تحاكي صفات السلطة الذكورية، ومجرد البحث عن مجرد المتعة، وتطمس أي شكل من العناية والتبادلية أو المعاملة بالمثل (الواسمات أو المعالم التقليدية للهوية الأنثوية)، وتسعى وراء ذاتية السوق. من وجهة نظر النساء، فالجنس العرضي هو، بغض النظر عن الانفصال المتبادل الذي يقتضيه، علامة على للمساواة.

بعيدا عن كونه شكلا اجتماعيا منغلقا على ذاته، فالجنس العرضي له تداعيات على كل بنية العلائقية (خاصة الجنسانية المتغايرة) ويعدل عميقا تكوين، ومحتوى ومدة العلاقات. بعبارة أخرى، يتعين على ممارسة الجنس العرضي أن تفهم في إطار إيكولوجيا أوسع للروابط الاجتماعية، لأنها تحول عميقا ما أسميته بهندسة وإيكولوجيا الاختيار، ونحو أو علم قواعد الاختيار الجنسي والرومانسي،

(219) Jerel P. Calzo, Epstein Marina, Andrew P. Smiler, L. Monique Ward, "'Anything from Making Out to Having Sex': Men's Negotiations of Hooking Up and Friends with Benefits Scripts," *Journal of Sex Research* 46, no. 5 (2009): 414–424.

(220) Melanie A. Beres and Panteá Farvid, "Sexual Ethics and Young Women's Accounts of Heterosexual Casual Sex," *Sexualities* 13, no 3 (2010): 377–393; Lisa Duggan and Nan D. Hunter, *Sex Wars: Sexual Dissent and Political Culture* (Abingdon-on-Thames: Taylor & Francis, 2006); Elisa Glick, "Sex Positive: Feminism, Queer Theory, and the Politics of Transgression," *Feminist Review* 64, no. 1 (2000): 19–45; Marcelle Karp and Debbie Stoller, eds., *The BUST Guide to the New Girl Order* (New York: Penguin Books, 1999), especially part 3: "Sex and the Thinking Girl," 75–124; Angela McRobbie, "Top Girls? Young Women and the PostFeminist Sexual Contract," *Cultural Studies* 21, nos. 4–5 (2007): 718–737; Lynne Segal, *Straight Sex: Rethinking the Politics of Pleasure* (Berkeley: University of California Press, 1994); Kate Taylor "Sex on Campus: She Can Play That Game, Too," *New York Times*, July 12, 2013, http://www.nytimes.com/2013/07/14/fashion/sex-on-campus-she-can-play-that-game-too.html? pagewanted=1&_r=1, accessed April 21, 2017.

الطريقة التي يدخل فيها الأفراد في علاقة ويتحللون منها، أو يختارون بعضهم أو العكس[221]. إن قصر تحليلنا على هذه الجنسانية فحسب من أجل المتع والملذات التي توفرها يكافئ الاهتمام بشعار شركة بيع بالتجزئة مثل وولمارت فقط من أجل المتعة التي تمنحها للأشخاص الذين يبحثون عن صفقات رخيصة. يمكن للناس أن يختبروا المتعة بشراء منتجات وسلع رخيصة الثمن، لكن تحليل هذه المتعة لن يسفر على الإطلاق عن أي فكرة ثاقبة عن مجال اشتغال وطبيعة تأثير شركة وولمار. وعلى ذات النحو، فالمتع غير المشينة والمتنوعة التي يجلبها الجنس العرضي سواء للرجال أو النساء لن تساعدنا في معرفة أمثل بالبنية الشاملة للعلاقات التي يقيدها هذا الشكل من الجنسانية أو يقويها. وبناء عليه، يتعين على الجنس العرضي أن يفهم في سياق الإيكولوجيا الاجتماعية للعلاقات غيرية الجنس بالمعنى الواسع، التي تتحدد بالحرية في نسج علاقات وإنهائها. هذه الحرية، كما أتهيأ إلى بيانه، أدت إلى لايقين أساسي فيما يخص سيرورة الدخول في علاقة واختيار شريك لأن، في حالة الحرية، يمارس الرجال سلطة غير مباشرة وخفية في بداية التبادل الجنسي.

العرضية وعدم اليقين

لا يرتبط عدم اليقين بالغموض الذي يلازم قدرة الكلمات على أن تدل على أشياء عديدة، ولا إلى واقع أن نوايا ومقاصد الفاعلين ليست دائما شفافة. يمكن أن يكون للايقين الأول حتى جانب ممتع، فيما الثاني لا يؤدي في العادة إلى القلق. لا يرجع عدم اليقين إلى واقع أن «أسس وأسباب التفاعل لا يمكن أن تؤخذ على أنها أمر مسلم به[222]»، وإلى أن تعريف وضعية يظل مفتوحا وفي متناول الجميع، وأن قواعد توجيه التفاعل مبهمة وغامضة، على الرغم من أن الفاعلين يسعون

(221) Eva Illouz, *Why Love Hurts: A Sociological Explanation* (Cambridge: Polity Press, 2012).

(222) François Berthomé, Julien Bonhomme, and Grégory Delaplace, "Preface: Cultivating Uncertainty," *HAU: Journal of Ethnographic Theory* 2, no. 2 (2012): 129–137, esp. 129.

إلى الوضوح. لذلك فإن لعدم اليقين تأثيرا سيكولوجيا مباشرا يمكن أن يتراوح بين إحساس بالعار والخجل، والإحراج والارتباك وإحساس بالقلق وعدم الأمان. ومن ثم فعادة ما يولد عدم اليقين القلق ونادرا ما يتم التعاطي معه باستخفاف ولامبالاة. في مقدمتهما **إثنوغرافيات اللايقين في أفريقيا**، يشدد كل من إليزابيث كوبر وديفيد براتن على المحتوى العاطفي لعدم اليقين هذا، الذي يعتبرانه «بنية الإحساس [...]، التجربة الحية لإحساس قوي بالوهن والضعف، والقلق، والأمل والإمكان الذي يعبر عن نفسه من خلال التجمعات المادية التي توطد، وتشبع وتغذي الحياة اليومية[223]». بعض التجارب الاجتماعية المتناقضة والمضطربة تثوي تحت سطح هذه التجارب الشبقية المتعددة والمبهجة، وتنبني هذه التجارب الاجتماعية المربكة في الأساس من خلال تدبير حالة عدم اليقين. بعض الفاعلين بارعون في تدبير حالة اللايقين، في حين أن آخرين يتعلمون تدبيره في متاهات خدمات المساعدة والاستشارة الذاتية، وآخرون أيضا يتبنون موقف انسحابٍ انهزامي.

أطر غير يقينية

حسب إرفين غوفمان، كل التفاعلات بين الكائنات البشرية منظمة بواسطة أطر. منظورا إليها بوصفها سيرورة معرفية، وإدراكية واجتماعية، تسمح هذه الأطر للفاعلين برصد وفهم مؤشرات، وخطاطات ونماذج تفاعل من التفاعلات من أجل التمكن من تسمية هذا التفاعل والتوجه داخله[224]. كما رأينا ذلك في الفصل السابق، فإن النتيجة الرئيسية لاستقلالية الجنسانية كمجال فعل هي أن العلاقات الحديثة بين جنسين متغايرين ليس لها غاية مدمجة وأن مسارها مجزأ.

---

(223) Elizabeth Cooper and David Pratten, eds., *Ethnographies of Uncertainty in Africa* (New York: Springer, 2014), 1.

(224) Erving Goffman, *Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1974).

إليكم مثالا الذي، رغم ظرافته، يكشف عن الكيفية التي تتجزأ اللقاءات بها إلى ثلاثة أنظمة فعل ممكنة ومنفصلة – عاطفية، جنسية، زواجية – يقود إلى حالة من عدم اليقين فيما يختص بإطار وتعريف التفاعل ذاته. في فيديو منشور على الموقع الإلكتروني للمجلة الأمريكية **ذي النيو يوركر**، يدور الحوار الكوميدي التالي الذي جمع خمس نساء. تخاطب الأولى جماعة صديقاتها وتعهد إليهم بمهمة مستعجلة تتمثل في فك طلاسم وضعية تؤرقها:

المرأة الشابة الأولى – سيداتي، أشكركم على حضوركن اليوم. نحن أمام وضعية حيوية، أحتاج بخصوصها إلى رأيكن، وخبرتكن وتكتمكن. سأختصر لكن المسألة سريعا. قابلت كيفن هاربر قبل أسبوع فقط في سهرة عيد ميلاد أحد أصدقائي الأباعد. تجاذبنا أطراف الحديث قليلا، لكنه لم يسألني عن رقم هاتفي. بعد ثلاثة أيام، أرسل إلي دعوة صداقة على فايسبوك ودعاني لنشرب كأسا في وقت لاحق من الأسبوع. عندما أقبلت، كان برفقة أصدقائه، ومن بينهم فتاة كانت أجمل مني، لكن ليس كثيرا أيضا، ثم غادر أصدقاؤه، وشربنا كأسا آخر نحن الاثنين فقط، ولكننا لم نقبل بعضنا. السؤال الذي يشغل بالي اليوم [تتوقف الموسيقى] هو التالي: هل كان لقاؤنا موعدا غراميا أم لا؟

المرأة الشابة الثانية – هل دعاك إلى بيته؟

المرأة الشابة الأولى – لا، لكن ربما لأنه عاطل عن العمل ويقطن بمعية عمته في هذه الفترة.

المرأة الشابة الثالثة – أتلامستما؟

المرأة الشابة الأولى – لامست يده نهدي بعدما عببنا كأسنا الثالثة. لربما كان ذلك حادثا غير متعمد.

المرأة الشابة الرابعة – أكان الجو مناسبا للمداعبة؟

المرأة الشابة الأولى – أعتقد أن نعم!

المرأة الشابة الثانية – أكان هو من سدد ثمن المشروبات؟

المرأة الشابة الأولى – لا، لكن لربما كان السبب أنه فقير، أليس كذلك؟

المرأة الشابة الخامسة – لنأمل ذلك. هل حدثك عن فتيات أخريات؟

المرأة الشابة الأولى – كلا...

المرأة الشابة الثالثة – أليس... مثليا؟

المرأة الشابة الخامسة – لا، وجدت أدلة على حبيبتين سابقتين له على فايسبوك وإنستغرام.

المرأة الشابة الثالثة – لا أدري، أيتها الفتيات... لا قبل؟ ليست هذه بشرى طيبة.

المرأة الشابة الرابعة – لا يعني ذلك أي شيء! لربما كان متوترا قليلا.

الفتاة الشابة الثانية – لا أصدق ذلك! كأني به مات وايزمان العام 2009 وقد بعث من جديد. ثلاثة مواعيد من دون أي قبلة؟ لا يمكننا البدء من جديد.

المرأة الشابة الثالثة – إننا نتذكر جميعنا مات وايزمان، أليس كذلك؟ إنه ليس جديرا بها! لماذا تتحدثين عن ذلك؟

المرأة الشابة الثانية – إنها نفس إشارات التحذير!

المرأة الشابة الثالثة – آه، الإشارات! الجميع كان يعلم أنك تحبين مات وايزمان. كنت ترغبين فيه! [تنازعها القول]

المرأة الشابة الخامسة – سيداتي! من فضلكن! لا نخرجن عن موضوعنا! هذا مهم للغاية!

المرأة الشابة الثالثة – هل عاودتما الاتصال ببعضكما هذا الصباح؟

المرأة الشابة الأولى – أجل، أرسلت له رسالة قصيرة: «مرحبا، كانت ليلة أمس رائعة» مشفوعة بغمزة صغيرة. فرد علي «نعم».

المرأة الشابة الرابعة – بواسطة أيقونة؟

المرأة الشابة الأولى – لا.

المرأة الشابة الثانية – في رسالته الأولى على فايسبوك، هل دعاك إلى «شرب كأس» أو «شرب كؤوس» أو «أخذ رشفة»؟

المرأة الشابة الأولى – قضاء بعض الوقت معا... ماذا يعني؟

المرأة الشابة الرابعة – الجميع يعرف ماذا يعني هذا... في أي ساعة وصلت إلى الحانة؟

المرأة الشابة الخامسة – أكانت تمطر؟

المرأة الشابة الثالثة – أين كنت في دورتك الشهرية؟

المرأة الشابة الأولى – الساعة العاشرة والربع؛ نعم، كانت تهطل الأمطار؛ أسبوع بعد فترة الإباضة.

المرأة الشابة الثانية – [وهي تقوم بعملية حسابية] – لا زال الوقت مبكرا لتتصلي... [رنة رسالة على الهاتف]

المرأة الشابة الأولى – إنه هو! «مرحبا، هل يمكنك ألا تحدثي أحدا عن ليلة البارحة؟ لا أرغب في أن تعرف صديقتي ذلك.ههه.»

المرأة الشابة الخامسة – إنه لا يرغب في أن تعرف صديقته؟

المرأة الشابة الرابعة – هذا يعني أن لقاءكما كان موعدا حقيقيا!

المرأة الشابة الثالثة – آه! يا إلهي! [تهتف الفتيات بحماس][225].

هذه القصة القصيرة ليست مضحكة إلا لأنها تصف موقفا نموذجيا، قريبا مما يمكن للنساء أن يعشنه اليوم. تندفع صديقات هذه المرأة معها في تمرين تأويلي مستفيض لمساعدتها على أن تفك لغز لقاء كان إطاره غير يقيني يتحكم الرجل في دلالته النهائية. فبسبب تشذر بنية الجنسانية الغيرية إلى ثلاثة مجالات – الجنسي، والعاطفي، والزوجي –، فإطار التفاعل ذاته غير يقيني. لنأخذ مثالا آخر مقتبسا من الرواية الرومانسية الشعبية، **الحب الكبير**، التي عاشت فيها البطلة أليسون تجربتين جنسيتين طويلتين مع رئيسها هنري (يبدو أن لا المرأة ولا بطل الرواية الرجل قد وجدا إشكالا في أن يكون ثمة علاقة جنسية مع رب العمل). على إثر هذه التجارب، تدخل أليسون إلى مكتب هنري وتطرح عليه السؤال الآتي:

- «كنت أتساءل إن كان بإمكاننا الحديث عن علاقتنا [...].

(225) "Was It a Date?" *New Yorker Videos,* http://video.newyorker.com/watch/shorts-murmurs-was-it-adate, May 1, 2016, accessed April 21, 2017.

- أي علاقة؟ قال هنري، الذي كان مستغرقا في أوراقه. عن أي علاقة تتحدثين؟

- أنت تعلم جيدا، قلت. علاقتنا.»

رفع هنري رأسه عن أوراقه.

«إذن؟ قلت.

- أنا... لست أدري إن كنا على علاقة، قال هنري.

- حسنا، ماذا ستسميها؟

- لا أدري. لم أفكر في ذلك قط. لم أكن أعرف أننا بحاجة إلى أن نسميها.

- لقد نمنا معا أربع مرات، قلت.

[....]

- جيد، حسنا، ستعرف ردي»، قلت. فتوجهت إلى الباب.

- ما هو هذا الرد؟ قال هنري.

- إنها علاقة جنس فحسب. وهذا ما يناسبني جيدا. أردت فقط معرفة ذلك.

- لن أسمي هذا على هذا النحو، قال هنري.

- كيف ستسميه إذن؟

[...]

- إنه أمر ممتع للغاية. أمر يقع بين «مجرد الجنس» والعلاقة الحقيقية[226].

مدار هذا الحوار الاسم الذي يجب أن يطلق على علاقة، موجودة في مكان ما بين جنس عابر وعلاقة ينتظرها مستقبل معقول. ليس لهذه العلاقة اسم لأنها مبنية بلايقين هذه المرأة بخصوص نوايا ومشاعر الرجل، العناصر الوحيدة التي ستساعدها على أن توجه نفسها داخل هذا التفاعل. الرجل نفسه لا يملك أدنى

(226) Sarah Dunn, *The Big Love* (Boston: Little, Brown and Company, 2004), 102–104.

فكرة عن نواياه الخاصة، فكان من ثم عاجزًا عن إعطاء اسم لهذا التفاعل. إن تعدد حتى المصطلحات التي تصف هذه الجنسانية العرضية – الجنس العابر، مضاجعة ليلة واحدة، أصدقاء الجنس، إلخ. – يشي بصعوبة تسمية وتوصيف العلاقات العرضية، ومعرفة فحواها والغاية منها، أي «قصديتها»، وهي خاصية أولية نسبيا ومسلم بها في كل التفاعلات الاجتماعية. علاوة على ذلك، ففي كلتا الحكايتين أعلاه، لا تخلق الجنسانية العرضية الارتباك فحسب، وإنما تفتقر أيضا إلى التماثلية. في كلا المثالين، فالرجل هو من يملك مفتاح الإطار.

في دراسة تحت عنوان **علاقة جنسية عابرة** (Hooking Up)، تبين كاثرين بوغل أن التباسا سافرا يسود بخصوص سبب وجود هذه اللقاءات الجنسية العرضية، التي غالبا ما تقول النساء (كما الرجال) بشأنها إنها علاقات يمكن أن تأخذ اتجاهات عديدة مختلفة، لا يملكون أدنى معرفة قبلية عنها. في العلاقات الجنسية العابرة، يبدو عدم اليقين مطلقا بخصوص الهدف من التفاعل وإطاره العام. ليس ثمة اتفاق حول تعريف حتى عبارة العلاقة الجنسية العابرة؛ فالبعض يعرف الأخيرة بأنها مجرد تبادل قبلات، في حين أن آخرين يعرفونها بأنها الجنس الفموي من دون اتصال جنسي، فيما يذهب آخرون أيضا إلى تعريفها بأنها طريقة في الإبحار داخل العلاقات. أغلب النساء المستجوبات من قبل بوغل كان يساورهن الشعور بأنهن لا يستطعن التنبؤ بمآل ذلك اللقاء: «إنها ضربة نرد[227].» لقد هول من شأن عدم اليقين هذا بشكل مبالغ فيه من خلال إنشاء تطبيقات جديدة مثل تيندر. يعلق موقع مواعدات ذائع الصيت على الإنترنت، اسمه آسك مان (AskMen)، بهذا النحو على ثورة تيندر:

أصبح تيندر المركز التجاري الكبير بالنسبة إلى الشباب الذين يرغبون في المواعدة، أو الخروج في موعد مع شخص ما أو ببساطة التعرف على من يعيش في منطقتهم السكنية، وقد بدأت مواقع المواعدة عبر الإنترنت تتضاءل أمام شعبية

---

(227) Kathryn Bogle, Hooking Up: *Sex, Dating, and Relationships on Campus* (New York: NYU Press, 2008), 39.

تطبيقات مثل تيندر، الذي يعتبره الناس كوسيلة أكثر فعالية للالتقاء بشركاء محتملين. يقدر اليوم عدد الأشخاص الذين يستخدمون تيندر بحوالي خمسين مليون، وقد تباهى التطبيق أنه كان وراء أكثر من ثمانية مليارات «اتصال» منذ انطلاقته سنة 2012 - على الرغم من أننا لا نعرف إن كانت عبارة «اتصال» تعني «التوافق»، أو مواعدات في الحياة الواقعية، أو توليفة من الاثنين، أو أيضا أي شيء آخر. بات تيندر اليوم جزءا مهما من عالم المواعدة إلى درجة أنه أصبح، بالنسبة إلى كثير من الشباب، عالم المواعدات نفسه: أداة بحجم الجيب يسهل ولوجها دائما للعثور على الشخص الذي تحلمون به – أو، على الأقل، مغامرة لن تندموا عليها[228].

يمكن أن يقترح تيندر مضاجعة سريعة لليلة واحدة كما يمكنه أن يمنحك إمكانية مقابلة «المرأة المثالية»، ناهيك أنه يتيح، بين هذين الطرفين، مجموعة متعددة الأشكال ولا نهائية من الإمكانات. لكن هذا يوحي بما أسميه «التباس الإطار» و«عدم يقين الإطار»؛ أي الصعوبة التي يواجهها المرء في معرفة أي إطار يتصرف تحته، ومن ثم التنبؤ بمسار عمل مرجح واللجوء إلى أدوات مناسبة لاتباع مسار عمل محدد. ففيما تخضع المقابلات وممارسات المغازلة التقليدية لسيناريوهات محددة بدقة، سواء على المستوى المعرفي أو العملي (يأتي فتى بحثا عن فتاة في منزلها، ويصحبها للرقص أو مشاهدة فيلم، ويوصلها إلى بيتها، يقبلها، ثم يداعبها قليلا)، هذا النمط من الجنسانية العرضية الحديثة يفسد السيناريو الرومانسي الكلاسيكي. بالفعل، فقد باتت اليوم العلاقة الجنسية – التي كانت تأتي في نهاية ما كان في الماضي قصة مغازلة – تمثل بداية القصة، مما يجعل من ثم الهدف من العلاقة غير يقيني. بعبارة أخرى، فجنسنة العلاقات تعني أن نقطة بدايتها جنسية، والتي يمكن أيضا أن تعني نهايتها. في الثقافات المجنسنة، تصبح

(228) Madeleine Holden, "Dating with Tinder: Your Definitive Guide to Getting All the Tinder Matches,"https://uk.askmen.com/dating/curtsmith/dating-with-tinder.html, accessed April 21, 2017(2017 زيارة الموقع يوم 21 أبريل) ,التشديد من عندي.

الجنسانية الأرض الخصبة للانخراط في التفاعلات: ينظر إلى الرجال والنساء قبليا على أنهم فاعلون مجنسنون، لا سيما حين يعتبر الرجال النساء موضوعات إشباع جنسي.

لانا هي سكرتيرة إسرائيلية عمرها تسعة وثلاثون عاما تركت المدرسة الثانوية. كانت متزوجة مدة ثمان سنين، لها طفلان، وهي مطلقة منذ خمس سنوات على هذه المقابلة. تمتلك جميع مواصفات المرأة الجذابة. إليكم كيف تنظر إلى الطريقة التي يتودد بها الرجال إليها:

- **لانا**: كنت تحت مراقبة وتحكم أبي وزوجي، لكن اليوم لا أترك المجال لأي شخص ليتحكم بي. تعود زوجي أن يخبرني كيف ينبغي أن ألبس، وأي قصة شعر يجب أن تكون لدي، وما الذي يجب أن أتحدث عنه. لا أحد يستطيع أن يفرض علي ذلك اليوم. كذلك، نشأت في منزل حيث كان الأب مهيمنا للغاية، ذكوريا؛ كان يتحكم في كل شيء ويضربني. لجأت إلى الزواج لأهرب من المنزل، لكن زوجي كان أسوأ من أبي.
- **المستجوبة**: هل يمكنك أن تذكري لي أمثلة عن الرجال الذين ارتبطت بهم مؤخرا؟
- **لانا**: كانت لي علاقة مع جاكي، لكنها فشلت لأنه لا يحسن التحدث إلي. كان يهددني. الآن أنا أواعد كاي، ولقد أعجبت به كثيرا؛ كان رقيقا ولطيفا، لكنني قابلته على تيندر، وهو موقع للجنس، أتعلمين ذلك؟ لذلك كانت علاقتنا جنسية بحتة. وبالمناسبة، لم أكن أعرف أنه موقع جنسي، أردت شيئا آخر غير مجرد الجنس، لكن بالنسبة إليه كان يرغب في الجنس فقط. أعتقد أن الجنس هو ما كان يهمه، وما كان يرغب في شيء آخر. تضايقت حينما أدركت أنه موقع مخصص للجنس فحسب. قلت مع نفسي إنه سيظن أنني لم أكن هنا إلا من أجل ذلك. وأنني من هذا الصنف من النساء. وعلى أية حال، فقد اختفى. لم يتصل مرة أخرى. اليوم، أعيش قصة مع شخص عرفني عليه صديق مشترك.

[...]

- **المستجوبة**: في رأيك، ما هي أكبر مشكلة واجهتها في علاقاتك السابقة مع الرجال؟
- **لانا**: إنهم يتعاملون مع النساء كموضوعات جنسية. هذا مختلف تماما عن التساؤل ما إذا كان شخص ما يناسبك أم لا. على سبيل المثال، اصطحبني الرجل الذي أواعده الآن إلى بيت والديه. أظهر لي أنه كان جادا، وأنني لست مجرد موضوع جنسي فحسب، لكن أغلب الرجال لا يرون في النساء سوى موضوعات جنسية ويعاملونهن على هذا الأساس. ولا ندري أبدا ما يمكن توقعه معهم. ماذا يريدون منك. هذا إن كانوا يريدون منك أي شيء حقا. أحيانا، يرغبون فقط في إثبات قدرتهم على ممارسة الجنس. لكن ليس هذا هو السؤال فحسب. الصورة التي أعطيتها عن نفسي هي صورة امرأة قوية جدا وامرأة تملك زمام نفسها. أنا في غاية الاستقلالية. أخاف من أن يتحكم في رجل. أعرف أن المرء، في إطار العلاقة، يكون مكرها على بعض التنازلات، وغض الطرف عن بعض الأشياء، وبذل بعض التضحيات. لكن يراودني أيضا هذا الخوف من أن أكون تابعة لغيري. لذلك، أتظاهر بأنني امرأة قوية وغالبا ما أكون في موقف دفاعي، أسعى جاهدة إلى إعطاء الانطباع بأنني قوية، ولا يضايقني أن أكون وحدي، وأن من يريدني يتعين عليه أن يأخذني على طبيعتي. أقول دائما للرجل الذي أقابله: إذا لم تقبلني كما أنا، إذا كنت تريد أن تغيرني، فستخسرني. لست أنا الخاسرة. لا أظهر له أبدا أنني أجده رائعا وأنني سأكون محبطة إن فقدته.

[صمت]

عندما كنت أفتى سنا، كنت أجد نفسي دائما أقل جاذبية وجمالا من النساء الأخريات؛ بفضل عملي، تغيرت كثيرا. أنا سكرتيرة رئيسية في إحدى الجامعات. هناك عقدت صداقة مع هانا، التي علمتني أن أحب نفسي وأعرف قيمتي فعلا. أعلم الآن أن تقديري لذاتي كان متدنيا. ذهبنا معا إلى دورة التفكير الإيجابي وقد

غيرني ذلك تماما. بعد ذلك، قويت على طلب الطلاق. من قبل لم أكن لأجرؤ على ذلك. كنت خائفة من أن أكون وحيدة. كنت خائفة من النقد من عائلتي وأصدقائي. تلقيت الكثير من الدعم في مقر العمل. قيل لي أنني امرأة رائعة وجميلة وجذابة، وقد منحني ذلك الكثير من القوة. بفضل كل ذلك، لا يهمني اليوم حقا ما يقوله الناس عني أو يعتقدونه بخصوصي. لقد مررت بسيرورة تأكيد ذاتي حتى نهايتها وأشعر الآن بالاستقلالية التامة. اليوم، يقول لي صديقي: «عليك دائما أن تكوني الأقوى.» هذا صحيح. أنا دائما بحاجة إلى الشعور بأنني الأقوى.

بعض الثيمات التي أثيرت هنا لافتة للنظر. بالنسبة إلى هذه المرأة، تبدو علاقاتها غير ممكنة التنبؤ، لأنها تجد صعوبة في تعيين الإطار الذي تعمل تحته. ما يجعل الإطار غير يقيني هو طابعه المجنسن، أي أن نقطة بداية العلاقة كانت جنسية، ما يعني بالنسبة إليها أن الرجل من المرجح كثيرا أن يكون هناك «فقط من أجل الجنس»، الأمر الذي تدركه هذه المرأة على أنه يوحي بالاستغلال، أي أنه لا يأخذ في الحسبان «ما هي حقا». هذا هو السبب في أن النساء يتعاملن في أكثر الأحيان مع مسألة الجنسنة بريبة كانطية: إنهن يخاطرن بالنظر إلى الآخر كوسيلة، دون الاعتراف التام بفرادته وشخصه. بالنتيجة فهذا يدل، بالنسبة إلى بعض النساء على الأقل، على أن العلاقات «الجنسية البحتة» ينظر إليها على أنها تخدم مصالح الرجال وتهدد تقديرهن لذواتهن (شعور تخفف عند لانا بفضل صداقاتها مع نساء أخريات). دعونا الآن نستمع إلى شهادة فيرجيني، وهي امرأة فرنسية تبلغ من العمر سبعا وخمسين سنة وتعيش في إسرائيل. مطلقة منذ اثني عشر عاما، وتبحث عن شريك دائم، ولكن:

- **فيرجيني:** لا يرغب الرجال والنساء في نفس الشيء. لربما في لحظة من الزمن ينتهي شيء ما إلى أن يصبح ممكنا، لكن في بداية علاقة، يساورنا الشعور بأنهم يرغبون في أشياء مختلفة.
- **المستجوبة:** مثل ماذا؟
- **فيرجيني:** حسنا، سأضرب لك مثالا. لقد تسجلت في ورشة الكتابة

الإبداعية. وكان ثمة رجل شاب يتابع الدرس معي. كان شابا، شابا فعلا، عمره ثلاثا وعشرين سنة. ثم في الأسبوع الأخير، بعد الدرس، بقينا معا، تحدثنا قليلا، وفي لحظة قال لي: «اسمعي، أرغب فعلا في أن أمارس الحب معك.» وأجبت بأنني أحبه كثيرا كشخص، لكن لم أكن واثقة فعلا إن كنت راغبة في معاشرته وأنني بحاجة إلى التعرف عليه أكثر. على هذه الكلمات، نهض، دفع ثمن قهوته وغادر، هكذا دفعة واحدة. في اللحظة التي قلت له فيها إنَّني في حاجة إلى التفكير، قال من فوره، حسنا، عمتِ مساء، وغادر، كما لو كنت منديلا ورقيا رماه على الأرض، شيئا تافها لا طائل منه.

ابتداء من اللحظة التي أعادت فيها هذه المرأة تعريف الإطار المرجعي، غادر الرجل، ما يعني هنا أن الجميع لا يتوافق حول نقطة انطلاق العلاقات الجنسية؛ لأن النساء تختبر الجنسانية العرضية حينا كمتعة ومصدرا من مصادر الفاعلية، وطورا كإنكار لذواتهن («منديلا ورقيا رماه على الأرض»).

بالنسبة إلى أغلبية من النساء ممن قابلت، تفهم الجنسانية كشيء ينسف إمكانية أن يعترف بهن كأشخاص. يحول الجنس العرضي أحيانا المقابلة إلى لعبة متكافئة لا رابح فيها ولا خاسر؛ حيث يتعارض البحث عن المتعة الجنسية للشريك (المحتمل) مع تقديرنا لذاتنا، هذا التقدير المبني هنا على التبادلية والاعتراف. فبينما في المجتمعات البطريركية التقليدية، تصنف قيمة المرأة حسب طبقتها الاجتماعية وفضائلها الجنسية، ففي نظام للحرية الجنسية حيث ما تلبث ازدواجية المعايير سائدة، يصبح مكمن قيمة المرأة ضبابيا غامضا وغير يقيني. تخلق الاستقلالية الذاتية للجنسانية عدم يقين ضمني بخصوص مكمن القيمة، وبشأن إمكانية التفاعل العاطفي، وتعريف العلاقة، وغايتها ومراحلها، فضلا عن مقام حتى الذوات العاطفية وغير الجنسية. ولهذا السبب، فالنساء هن -على وجه الإجمال- ثقافيا أكثر ازدواجية من الرجال حيال الجنس العرضي.

وبالفعل، كما تبين ذلك بعض الأبحاث، فالممارسات الجنسية العرضية إرهاص على الندامة والتحسر بين طالبات الجامعات، وخاصة إن حدثت العلاقة في

غضون الأربع وعشرين ساعة عقب المقابلة وكانت غير مستمرة(229). بناء على تحليل دراسات ذات صلة(230)، يؤكد كل من إيلين إيشبو وغاري غوت أن النساء يشعرن بـ «الندم على ممارسة الجنس» بنسبة أكبر من الرجال (الذين، من جهتهم، ميالون بالأحرى إلى الندم على عدم إقامة العلاقة الجنسية) وأن «المشاركات الإناث كن أكثر عرضة من الرجال إلى «الشعور بالندم أو الإحباط»؛ لقد كن أيضا نزاعات أكثر إلى الندم على إقامة العلاقة العابرة ويشعرن بالعار والريبة من أنفسهن على إثر هذه التجربة. في المقابل، كان الرجال ميالين أكثر إلى الشعور بـ «الرضى»»(231). يبدو أن هذه النتائج تؤكد مرة أخرى حقيقة أن الجنس العرضي يوافق أكثر شكلا ذكوريا من الجنسانية. توجد هذه الفروق الجندرية أيضًا عند السحاقيات والمثليين جنسيا(232)، علما أن الأوليات هن أكثر ميلا إلى العلائقية من الثواني. في دراسية طولية عن النساء اللائي لم يمارسن الجنس مطلقا («العذارى») واكتشفنه لأول مرة، يستشف غريلو وآخرون أننا بفحص ومقارنة المراهقات

(229) Elaine M. Eshbaugh and Gary Gute, "Hookups and Sexual Regret among College Women," *The Journal of Social Psychology* 148, no. 1 (2008): 77–90.

(230) Elizabeth L. Paul, Brian McManus, and Allison Hayes, "'Hookups': Characteristics and Correlates of College Students' Spontaneous and Anonymous Sexual Experiences," *Journal of Sex Research* 37, no. 1 (2000): 76–88; Elizabeth L. Paul and Kristen A. Hayes, "The Casualties of 'Casual' Sex: A Qualitative Exploration of the Phenomenology of College Students' Hookups," *Journal of Social and Personal Relationships* 19, no. 5 (2002): 639–661; N. J. Roese, G. L. Pennington, J. Coleman, M. Janicki, N. P. Li, and D. Kenrick, "Sex Differences in Regret: All for Love or Some for Lust?" Personality and Social Psychology Bulletin 32 (2006): 770–780.

(231) Elaine M. Eshbaugh and Gary Gute, "Hookups and Sexual Regret among College Women," *The Journal of Social Psychology* 148, no. 1 (2008): 77–90, esp. 78.

(232) في دراسة عن الاختلافات بين جنسانية الرجال والنساء، تكتب ليتيسيا بيبلو: "مثل النساء الغيريات الجنس، تميل السحاقيات إلى اتخاذ مواقف أقل تسامحا مع الجنس العرضي والجنس خارج العلاقة الرسمية من الرجال غيريي الجنس أو مثليي الجنس. فكذلك مثل النساء غيريات الجنس، يكون للسحاقيات استيهامات جنسية تكون في أرجح الظن شخصية ورومانسية من استيهامات الرجال غيريي الجنس ومثليي الجنس. [...]. فالمثليون الملتزمون في علاقة رومانسية ميالون أكثر من السحاقيات أو غيريي الجنس إلى ممارسة الجنس خارج علاقتهم الرسمية"، انظر:

Letitia Anne Peplau, "Human Sexuality: How Do Men and Women Differ?" *Current Directions in Psychological Science* 12, no. 2 (2003): 37–40, esp. 38.

اللاتي عشن هذا الانتقال نحو العلاقات الجنسية الرومانسية مع أولئك اللائي يتجهن إلى العلاقات الجنسية العرضية، فإن هؤلاء الفتيات الأخيرات كن أكثر عرضة ليصبن بأعراض الاكتئاب، أو التعرض للعنف أو حتى ارتكاب جرائم[233]. في فصل عن الاكتئاب وعلاقات المراهقات الرومانسية، يكتب المؤلفان: «الفتيات المراهقات اللاتي كان لهن علاقات جنسية عابرة، وأولئك اللاتي كن أكثر انتظاما عليها يظهرن أقوى الأعراض الاكتئابية سواء قبل أو بعد خوض تجاربهن الجنسية الأولى[234].» واكتشف باحثون آخرون أن الطالبات اللاتي كانت لهن علاقات جنسية عرضية سابقة كان لهن مستوى ضعيف من تقدير الذات من النساء اللائي انخرطن في علاقات جنسية رومانسية أو حتى، وهذا أيضا أكثر إثارة للدهشة، من أولئك اللائي لم يكن لهن أي تجربة جنسية على وجه الإطلاق[235]. وفضلا عن ذلك، بالنسبة إلى النساء اللاتي يشعرن بتبكيت الضمير لأنهن أقدمن على علاقات جنسية عابرة، يفترض المؤلفان أن الشعور بالذنب يمكن أن يربكهن ويزعجهن أو يشعرهن بعدم الارتياح، الأمر الذي يرتبط بتقدير متدن للذات[236]. والأمر الأكثر إثارة للدهشة كذلك هو أن، على الضد من توقعات المؤلفين، اللذين يفترضان أن ازدواجية المعايير الجنسية تقلل من تقدير النساء لذواتهن بعد مضاجعة ليلة واحدة، يكتشفان أن الرجال أيضا لديهم تقدير متدن لأنفسهم بعد هذه العلاقات. في دراسات عديدة أخرى، كان

(233) C. M. Grello, D. P. Welsh, M. S. Harper, and J. W. Dickson, "Dating and Sexual Relationship Trajectories and Adolescent Functioning," *Adolescent & Family Health* 3, no. 3 (2003): 103–112.

(234) D. P. Welsh, C. M. Grello, and M. S. Harper, "When Love Hurts: Depression and Adolescent Romantic Relationships," in *Adolescent Romantic Relations and Sexual Behavior: Theory, Research, and Practical Implications*, ed. P. Florsheim (Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, 2003), 185–212, esp. 197.

(235) Elizabeth L. Paul, Brian McManus, and Allison Hayes, "'Hookups': Characteristics and Correlates of College Students' Spontaneous and Anonymous Sexual Experiences," *Journal of Sex Research* 37, no. 1 (2000): 76–88.

(236) Ibid., 85.

الارتباط بين تدني تقدير الذات وممارسة جنس عرضي ارتباطا قويا(237)، وحتى إن كان الباحثون يماحكون بشأن الاتجاه السببي لهذا الارتباط، يمكننا القول إنه، مهما يكن الأمر بالنسبة إلى النساء (أحيانا حتى الرجال) فالجنس العرضي لا يقوي تقدير الذات، وهذا على الرغم من حقيقة أن الجنسانية صارت شكلا جديدا من الرأسمال بالنسبة إلى الجنسين معا، وشيئا ما يبحثون عنه من أجل المتعة ومن أجل مكانتهم. تظل جنسانية النساء «مندمجة» في العلاقات الاجتماعية، فيما الجنسانية الذكورية تجنح أكثر إلى أن تكون «منفصلة» عنها، حتى أنها تتحول إلى ما يمكن أن نطلق عليه «جنسانية فارغة من المعنى». حتى نستعيد العبارة المرحة لهاميلتون وآرمسترونغ، جنسانية النساء تتحدد بـ «الأمر العلائقي(238)» (وجهة نظر تطرحها المؤلفتان مع ذلك، لأنهما تنظران إليها على أنها غير صحيحة إمبريقيا وغير مرغوب فيها معياريا على السواء).

أول كثيرون وجود المشاعر السلبية لدى النساء اللواتي يمارسن الجنس العرضي على أنه مؤشر على الشعور بالخزي والعار، والذي لا يزال واسع الحضور في ثقافتنا، وعلى طغيان ازدواجية المعايير - قد يمارس الرجال الجنس العابر دون أن يتعرضوا لأي عقوبة رمزية. المزية الأساسية لهذا التأويل هي تذكيرنا بأن سلطة البطريركية لا تزال شديدة الوطأة، وأن الرجال والنساء يخضعون لمعايير جنسية مختلفة، وأن الرجال يتمتعون بهامش أكبر من الحرية الجنسية وأن جنسانية النساء لا تزال ترزح تحت ضغوط معيارية وتمييزية. لكن يعتري هذا التفسير أيضا على عيب يكمن في أخذه جنسانية الرجال، ضمنيا، كنقطة مرجعية لتقييم الجنسانية.

(237) على سبيل المثال:
Amy L. Gentzler and Kathryn A. Kerns, "Associations between Insecure Attachment and Sexual Experiences," *Personal Relationships* 11, no. 2 (2004): 249–265; Elizabeth L. Paul, Brian McManus, and Allison Hayes, "'Hookups': Characteristics and Correlates of College Students' Spontaneous and Anonymous Sexual Experiences," *Journal of Sex Research* 37, no. 1 (2000): 76–88; Anthony Walsh, "Self-esteem and Sexual Behavior: Exploring Gender Differences," *Sex Roles* 25, no. 7 (1991): 441–450.
(238) Hamilton and Armstrong, "Gendered Sexuality in Young Adulthood," 593.

في الواقع، كما قلنا أعلاه، فإن الجنسانية العرضية قد شكلت بناء على التصور الذكوري للجنسانية. إن مزعمة أن الجنس غير الملتزم هو وحده الجنس المتحرر هو اعتراف ضمني بالتكافؤ بين الجنسانية الحرة والجنسانية غير الملتزمة وبين الجنسانية الذكورية والجنسانية الحرة. تعكس «الجنسانية المندمجة» على الأرجح موقع المرأة في المجال الجنسي، ليس فقط لأن النساء أصبحن عموما أكثر انخراطا - لأنهن يستبدلن جنسانيتهن بأشياء ذات أهمية ومغزى، مثل الموارد الاقتصادية والوضع الاجتماعي -، ولكن أيضا لأن الرجال والنساء يشغلون مواقع مختلفة جدا في الإنتاج الاجتماعي للرعاية. فبالنظر إلى أن الهوية الذكورية لا ترتبط بولادة طفل أو تقديم الرعاية، لأن التنظيم الاجتماعي للبطريركية يجعل الرجال موضوع اعتناء النساء بدلا من أن يكونوا موفري الرعاية، ولأن الزواج والأمومة يظلان بالنسبة إلى كثير من النساء أساسيين لهويتهن ووضعهن الاجتماعي والاقتصادي[239]؛ فمن المرجح كثيرا أن تكون جنسانية النساء أكثر علائقية من جنسانية الرجال. فالاعتناء والعلائقية، بالنسبة إلى النساء، ينهضان في الوقت نفسه بدور اجتماعي (كأمهات، على سبيل المثال)، ويحلان محل الوضع الاقتصادي (على سبيل المثال، الممرضات أو جليسات الأطفال)، والهوية العاطفية والثقافية. وبهذا الصدد، تظل العلائقية سمة مركزية في الجنسانية الأنثوية لأنها تعكس حقيقة أن النساء ينلن نصيب الأسد في الإنتاج الاقتصادي والثقافي والاجتماعي

(239) انظر بخصوص هذه المسألة:

Michele Hoffnung, "Wanting It All: Career, Marriage, and Motherhood during College-Educated Women's 20s," *Sex Roles* 50, nos. 9–10 (2004): 711–723; Eva Illouz, *Cold Intimacies: The Making of Emotional Capitalism* (Cambridge: Polity Press, 2007); Heather AK Jacques and H. Lorraine Radtke, "Constrained by Choice: Young Women Negotiate the Discourses of Marriage and Motherhood," *Feminism and Psychology* 22, no. 4 (2012): 443–461; Allan G. Johnson, *The Gender Knot: Unraveling Our Patriarchal Legacy* (Philadelphia: Temple University Press, 2005); Dennis K. Mumby, "Organizing Men: Power, Discourse, and the Social Construction of Masculinity(s) in the Workplace," *Communication Theory* 8, no. 2 (1998): 164– 183; Ann Shola Orloff, "Gender and the Social Rights of Citizenship: The Comparative Analysis of Gender Relations and Welfare States," *American Sociological Review* (1993): 303–328.

للرعاية[240]. هذا هو السبب في أن الرجال والنساء أميل إلى تبني موقف وموقع مختلفين في تجارب الجنس العرضي؛ حيث من المرجح أن تختبرها النساء كتجربة تتعارض مع ثقافة العلاقات والعواطف.

وتوضح هذا التوتر بين الأسلوب غير الملتزم والأسلوب العلائقي كلير، اثنان وخمسون سنة، رئيسة ومديرة عامة لمقاولة فرنسية. ليس لها أطفال وكان لها علاقتان مستقرتان انتهتا معا، الأولى بعد تسعة عشر عاما، والثانية في ظرف ثلاث سنوات. تؤكد إنها أقامت علاقات جنسية كثيرة مع الرجال.

- **كلير**: في هذه المرحلة من حياتي، كما تعلمين، أبحث خاصة عن رجل يمكنني أن أنام معه. ليس كثيرا بالضرورة. مرة كل أسبوع، هذا يناسبني كثيرا.
- **المستجوبة**: أترغبين في أن يكون لك علاقة جنسية مع رجل كل أسبوع؟
- **كلير**: لا، من طبيعة الحال، ليس هذا ما أرغب فيه. أفضل المجموعة الكاملة، كل المجموعة، الحب، والعيش في بيت واحد، ولكن هذا يبدو لي من الصعوبة حد أني مستعدة لأن أكتفي بالجنس كل أسبوع.

---

(240) Gaëlle Ferrant, Luca Maria Pesando, and Keiko Nowacka, "Unpaid Care Work: The Missing Link in the Analysis of Gender Gaps in Labour Outcomes," *Issues Paper, OECD Development Centre* (December 2014); Nancy Folbre, "Measuring Care: Gender, Empowerment, and the Care Economy," *Journal of Human Development* 7, no. 2 (2006): 183–199; Michele Hoffnung, "Wanting It All: Career, Marriage, and Motherhood during College-Educated Women's 20s," *Sex Roles* 50, no. 9–10 (2004): 711–723; Heather AK Jacques and H. Lorraine Radtke, "Constrained by Choice: Young Women Negotiate the Discourses of Marriage and Motherhood," *Feminism & Psychology* 22, no. 4 (2012): 443–461; Julia McQuillan et al., "The Importance of Motherhood among Women in the Contemporary United States," *Gender & Society* 22, no. 4 (2008): 477–496; Madonna Harrington Meyer, ed., *Care Work: Gender, Labor, and the Welfare State* (London: Routledge, 2002); Fiona Robinson, "Beyond Labour Rights: The Ethics of Care and Women's Work in the Global Economy," *International Feminist Journal of Politics* 8, no. 3 (2006): 321–342; Liana C. Sayer, "Gender, Time and Inequality: Trends in Women's and Men's Paid Work, Unpaid Work and Free Time," *Social Forces* 84, no. 1 (2005): 285–303; Linda Thompson and Alexis J. Walker, "Gender in Families: Women and Men in Marriage, Work, and Parenthood," *Journal of Marriage and the Family* (1989): 845–871.

- **المستجوبة**: إذن إن كانت المجموعة الكاملة هي ما تريدين، مثلما قلت، فلماذا ترغبين في شيء آخر من ثم؟
- **كلير**: أنا بحاجة إلى الجنس. اعتقدت أنه سيكون من الأسهل العثور على علاقة حقيقية، علاقة كاملة، لكن إذا لم أستطع العثور عليها، فسأقبل بالجنس [ضحك]. من المهم أن يكون لديك شخص يعانقك مرة واحدة في الأسبوع [صمت]. وأيضا، إذا لم تضغطي عليهم [الرجال]، إذا كنت لا تتطلعين إلى عبارة كهذه «أريد كل شيء»، فقد يرغبون أكثر في علاقة غير مشروطة. العلاقة بدون توقعات تكون أخف وطأة وأسهل في التدبير. لا يستطيع الرجال تحمل النساء اللواتي ينتظرن منهم شيئا. ها هنا تتعقد الأمور وتتشابك. عندما يكون لديك توقعات، فمن السهل أن تجرحي في مشاعرك وتصابي بخيبة أمل. عليك أن تبدئي في التفاوض. لا يرى أبدا شخصان نفس الشيء بنفس الطريقة. لذلك، فربما يكون الجنس بدون توقع أي شيء هو الطريقة الآمن لنسج علاقة. العلاقة الجنسية هي متعة وهذا كل شيء. دون عناء الاضطرار إلى تدبير ما يحمله الآخر من مشاعر وعواطف.

يثير هذا المقتطف عدة نقط هامة. يُنظر إلى الجنسانية على أنها ميدان يسهل فيه مقابلة الرجال، في حين أن العواطف، التي تكون متقلبة وغير يقينية، تستثير التوقعات وخيبات الأمل. اليوم، فالمشاعر، وليس الجنسانية، هي التي تولد القلق، لأنها تدرك على أنها تهدد رغبة الأشخاص في الاستقلالية (الرجال على وجه الخصوص)[241]. إذا بدت قواعد العلاقة الجنسية واضحة وبسيطة، فإن قواعد العلاقة العاطفية تبدو معقدة وصعبة الإدراك. ومن الأهمية أن نلاحظ أن هذه المرأة الجذابة والبليغة للغاية قد أخضعت بملء إرادتها توقعاتها من العلاقة إلى رباط جنسي محض، لأن الجنسانية لا تهدد رغبة الرجال في الاستقلالية. إنها مستعدة لتكون راضية عما تعتبره علاقة بلا مشاعر، طالما أنها تلبي احتياجاتها

---

(241) تقدم ليزا ويد حجة مماثلة بناء على أبحاثها عن ثقافة المغامرات الجنسية العابرة في الجامعات الأمريكية. انظر: Wade, *American Hookup*.

الجنسية بانتظام، مما يعني أن الجنسانية هي من ناحية فضاء للتفاعل حيث يسهل التفاوض عليها وتمتلك من ناحية أخرى واقعا أنطولوجيا أقوى من واقع العواطف. لا تخلق الجنسانية حالة من عدم اليقين، على نقيض ما يشكل «عناصر» الوعي التقليدية - النوايا والتوقعات والعواطف. تحل الجنسانية محل العاطفية كمصدر للعلائقية. وكما يعبر عن ذلك مقال في **فانيتي فير**:

في الماضي، كان الناس يقابلون شركاءهم في محيطهم القريب، عبر وساطة العائلة والأصدقاء، ولكن باتت اليوم المواعدة عبر الإنترنت تتجاوز كل الأشكال الأخرى. [...] يبدو أن عمليات تبادل الرسائل الإلكترونية التي لا تنتهي، والتي تكتبها الشخصيات الرئيسية في [فيلم] **تلقيت رسالة بريدية** (1998) من أعماق القلب، يبدو أنها تعود إلى العصر الفيكتوري حين نقارنها بالرسائل المرسلة اليوم في تطبيقات المواعدة. قالت جينيفر، 22 سنة، وهي طالبة في جامعة إنديانا الجنوبية الشرقية في نيو ألباني: «أتلقى رسائل نصية تقول 'هل ترغبين في ممارسة الجنس؟'. يكتبون لك: 'تعالي واجلسي فوق فمي'، تقول صديقتها أشلي البالغة من العمر تسعة عشر عاما[242].»

بالنظر إلى أن الجنسنة ترتكز على إبستيمولوجيا علاقات مبنية على الجسد، فإن الجسد هو الذي يوفر مصدرا موثوقا للمعرفة بخصوص التفاعل وأصبح من ثم مهمازه المحرك.

وبناء عليه، يعكس الجنس العرضي عملية جنسنة معممة، والتي، تتحدد وفقا لمجموعة من الباحثين، على أنها تنطوي على واحد على الأقل من العناصر الأربعة التالية[243]: 1) الجاذبية الجنسية هي المحدد الأوحد لقيمة الشخص؛ 2) الجاذبية الجنسية تقوم على الجاذبية الجسدية بالمعنى الضيق للكلمة؛ 3) يعتبر أحد

(242) Nancy Jo Sales, https://archive.vanityfair.com/article/2015/9/tinder-is-the-night, September 2015.

(243) كان هذا ملخص فريق بحث الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) بشأن جنسنة الفتيات. انظر: "Report of the APA Task Force on the Sexualization of Girls" (2010), 1, http://www.apa.org/pi/women/programs/girls/report-full.pdf, accessed April 21, 2017.

الشريكين على الأقل موضوعا جنسيا (الموضعة أو التشييء)؛ أو 4) الجنسانية واسعة الانتشار لدرجة أنها أمست في بعض الأحيان أمرا إجباريا لا مفر عنه[244]. هكذا، فإن الجنسنة تتمثل في واقع أن الجنسانية تتخلل وتسود كثرة من التفاعلات أو قل معظمها مثلما تتخلل وتسود كثرة من أو معظم المجموعات الاجتماعية. تعتبر جماعة التفكير في جمعية علم النفس الأمريكية أن الجنسنة هي نقيض جنسانية صحية وسليمة تفترض التبادلية أو المعاملة بالمثل. في مقابل ذلك، تختلف وجهة نظري حول الجنسنة. في رأيي، المشكلة الرئيسية في الجنسنة وتأثيرها تتمثل في أنه بجعلنا الجسم مركز التفاعل، فإنه يجعل أيضا التعبير والتبادل العاطفيين أقل شرعية وأكثر لايقينية، ويقدم الجسد على أنه مصدر للمعرفة البينشخصية. ومن ثم، فإنه يجعل سيرورات الاعتراف الاجتماعي متناقضة، توجد أحيانا (أي العمليات) في الجسد، وأحيانا أخرى في الذات، وهذان النمطان من معرفة الذات لا يتقاطعان دائما.

لأنه يُنظر إلى الأجساد على أنها منفصلة ومستقلة بذاتها[245]، من الصعب التوفيق بين إبستيمولوجيا علاقات قائمة على الجسد مع اجتماعية (sociality) قائمة على التبادلية[246]. بيَّن بيير بورديو، على سبيل المثال، أن الزمانية وتوقعات العوائد المستقبلية ينظمان تبادل الهبات، وبالتالي ترسيخ الاجتماعية التبادلية في

(244) يمثل تعريف الجمعية الأمريكية لعلم النفس أرضية لنقاش الجنسنة المعاصرة. انظر:
Linda Hatch, "The American Psychological Association Task Force on the Sexualization of Girls: A Review, Update and Commentary," *Sexual Addiction & Compulsivity* 18, no. 4 (2011): 195–211; Linda Smolak, Sarah K. Murnen, and Taryn A. Myers, "Sexualizing the Self: What College Women and Men Think About and Do to Be 'Sexy,'" *Psychology of Women Quarterly* 38, no. 3 (2014): 379–397.

(245) انظر:
Gerald Dworkin, *The Theory and Practice of Autonomy* (Cambridge: Cambridge University Press, 1988); Jerome B. Schneewind, *The Invention of Autonomy: A History of Modern Moral Philosophy* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).
وانظر أيضا إلى الفصل الثاني.

(246) Marcel Mauss and Wilfred Douglas Halls, *The Gift: The Form and Reason for Exchange in Archaic Societies* (1925; New York: W. W. Norton & Company, 2000).

الزمن[247]. الزمانية والمستقبل لا ينفصلان عن التبادلية. ومع ذلك، بما أن الجنسانية العرضية تجلب متعة فورية نسبيا (يشعر جسمان بالمتعة في نفس الوقت أو خلال فترة زمنية وجيزة)، فإن التبادل الاجتماعي منفصل عن المستقبل. لذلك، يختلف الجنس العرضي الذي لا غد له عن الاجتماعية التقليدية التي، اتفاقا وتواطؤا، تقوم على التبادلية والسردية والتوقعات واستشراف المستقبل (الهبة التعويضية تأتي مستقبلا بشكلٍ دائم). كما أنه يختلف أيضا عن التفاعلات مع الغرباء؛ حيث إن اللاتبادلية أمر مخطط له ومتوقع ولا تفاوض فيه. إن الجنس العرضي هو شكل لا يقيني من أشكال التفاعل لأنه يتيح طيفا واسعا من الاحتمالات. بالنسبة إلى علماء الاجتماع والاقتصاديين يتعلق عدم اليقين على وجه التحديد، بالتوقعات، وبشكل أكثر دقة بصعوبة بناء التوقعات وتصورها والتفاوض حولها.

> يحيل [عدم اليقين] إلى المستقبل وإلى معرفة ما إذا كان سيتم تلبية توقعاتنا أم لا، كما يحيل أيضا إلى الحاضر وإلى قدرتنا على بناء التوقعات. إجمالا، فإن المعايير والمؤسسات هي التي تبنين توقعاتنا وانتظاراتنا. إنها تسند أفكارا وتوقعات واضحة لا لبس فيها، حتى لو كانت - إلى حد ما - غير يقينية بصورة دائمة[248].

يخلق الجنس العرضي حالة من عدم اليقين لأنه يفتقر إلى نواة معيارية داخلية واضحة، لأن البنية المؤسساتية التي تكمن وراءه تتموضع في سوق استهلاكي موزع، قائم على سرعة الزوال والتقادم، ولأنه يستند على سيناريوهات علائقية جندرية مختلفة ومتباينة. بينما في العلاقات ما قبل الحديثة، أدرجت الأدوار الخاصة

---

(247) لمزيد من التفاصيل عن نظرية الهبة عند بورديو، انظر:
Ilana F. Silber, "Bourdieu's Gift to Gift Theory: An Unacknowledged Trajectory," *Sociological Theory* 27, no. 2 (2009): 173–190.

(248) *The Blackwell Encyclopedia of Sociology*, s.v. "Uncertainty."
وانظر أيضا بخصوص هذا الموضوع:
Niklas Luhmann, *Risk: A Sociological Theory* (New York: Aldine de Gruyter, 1993).

بالنوعين في إطار تعريف الزواج والأخلاقية، فإن التشابك بين الجنس وسوق الاستهلاك أبرز الاختلافات والتماهيات الجندرية. وبالتالي، فالجنس العابر عبارة عن سيناريو اجتماعي معكوس، أي سيناريو انتفاء العلاقة.

وبالجملة، يمكننا القول إن الحرية الجنسية بالنسبة للرجال تُمارس على أساس الاستقلالية والانفصال (عكس التعلق) والمراكمة، فيما تكون تلك الحرية، بالنسبة للنساء، أكثر تناقضا وازدواجية؛ إذ تختبر وتعاش بالتناوب على أساس الاستقلالية والعلائقية، بالسعي حثيثا لبلوغ هدف عاطفي مشترك بمعية الآخرين. بالنسبة إلى النساء، يخلق الجنس العرضي صراعا بين العلائقية واستقلالية الجسد، بينما يمثل للرجال فرصة لمراكمة رأسمال جنسي ووضع اجتماعي. تظل كينونة المرأة الاجتماعية علائقية إلى حد كبير لأن النساء ما يلبثن يؤدين الشطر الأكبر من خدمات الرعاية في المجتمع[249]، في حين أن الجنسانية العرضية بالنسبة للرجال هي وسيلة لتحقيق الاستعارات الرئيسية للذكورة: السلطة، والانفصال أو التحلل من أي ارتباط، والاستقلالية، والأداتية، الهادفة جميعها إلى إشباع متعة الرجل. وبهذا المعنى، فإن جنسنة العلاقات تتعارض مع الحتمية العلائقية وتضع الرجال والنساء في مواقع متمايزة، سواء في المجال الجنسي أو في البنية الاجتماعية للعلاقات الحميمة[250].

جغرافيا العلاقات غير اليقينية

تخلق الجنسنة الارتباك بطريقة أخرى أيضا. فبإتاحتها، بل وتشجيعها على

(249) Gaëlle Ferrant, Luca Maria Pesando, and Keiko Nowacka (December 2014); Nancy Folbre, "Measuring Care: Gender, Empowerment, and the Care Economy," *Journal of Human Development* 7, no. 2 (2006): 183–199; Madonna Harrington Meyer, eds., *Care Work: Gender, Labor, and the Welfare State* (London: Routledge, 2002); Fiona Robinson "Beyond Labour Rights: The Ethics of Care and Women's Work in the Global Economy," *International Feminist Journal of Politics* 8, no. 3 (2006): 321–342; Liana C. Sayer, "Gender, Time and Inequality: Trends in Women's and Men's Paid Work, Unpaid Work and Free Time," *Social Forces* 84, no. 1 (2005): 285–303.

(250) انظر الفصلين الرابع والسادس.

مراكمة التجارب الجنسية، فإنها تطمس الحدود بين العلاقات. في العصر الحديث، كانت طرق نسج العلاقات قائمة على القدرة على رسم الحدود بينها، أي تحديد البروتوكولات التي تسمح بمعرفة كيف وأين تبدأ العلاقة وأين تنتهي. لكن تراكم العلاقات يعقد إمكانية التشبث بمقولات مفهومية وعاطفية واضحة المعالم تمكن من رسم الحدود بين العلاقات، مثل التمييز القائم بين الأصدقاء والعشاق.

أرنو هو موظف حكومي فرنسي رفيع المستوى يبلغ من العمر ثلاثة وستين عاما، ويشغل منصبا رفيعا في إحدى الوزارات. أب لولدين، مطلق منذ أحد عشر عاما، ويستخدم مواقع المواعدة عبر الإنترنت:

- **أرنو**: عقدت الكثير من العلاقات منذ طلاقي، بعضها استمر لفترة طويلة، لكنها انتهت جميعها في لحظة أو أخرى.

- **المستجوبة**: هل تعلم سبب ذلك؟

- **أرنو**: بالتأكيد. لأنه بعد خمس دقائق، أنت تفهمين قصدي بالنهاية، ليس حرفيا خمس دقائق، لكن لنقل بسرعة كبيرة، ترغب المرأة في الاستقرار في منزلي، تأخذ في التفكير في المستقبل وأخذ العلاقة على محمل الجد، وهو ما كان مستحيلا علي. شعرت بالراحة معهن، أقدرهن، وأحيانا أحبهن حتى، لكنني لم أستطع التضحية بحريتي. كانت حريتي دائما أكثر أهمية بالنسبة إلي.

- **المستجوبة**: إذن عندما تواعد امرأة، هل تفضل أن يكون الجنس عارضا بدون سابق تخطيط؟

- **أرنو**: لا قطعا! أمقت الجنس من أجل الجنس، أكره مغامرات ليلة واحدة. أنا أحب العلاقات، لكنني لا أريد الوقوع في حبائل العلاقات. أريد أن أعيش في الزمن الحاضر، لا أريد أن أعرف ما كانت تفعله شريكتي في أوقات فراغها عندما لا تكون بمعيتي، ولا أريدها أن تعرف ما أفعله. يجب أن تكون حياتنا الجنسية حرة. منفصلة.

- **المستجوبة**: إذن، إذا فهمت ما ترمي إليه، فأنت لا تريد علاقة أحادية وملتزمة ومنتظمة؟

- **أرنو**: نعم تماما. ما الحاجة إلى تعريف العلاقات بأي ثمن؟ لماذا تحتاج النساء إلى معرفة «إلى أين يذهبن»؟ [يعبر بإيماءة «العبارة المقتبسة» بيديه]. لست بحاجة إلى معرفة إلى أين تتجه العلاقة. يجب أن يكون كل امرئ حرا إزاء الآخر.

- **المستجوبة**: إذن، بالنسبة إليك، على العلاقة أن تبقى مفتوحة لا تحتاج إلى هدف واضح.

- **أرنو**: تماما! أرى أنك تفهمينني جيدا [يطلق ضحكات]. نعم، فالعلاقة وجدت من أجل متعة اللحظة (بالفرنسية). فهي ليست في حاجة إلى أن تذهب أبعد من ذلك. ما كتب على الجبين لا بد أن تراه العين (بالفرنسية). لا مستقبل. لا تعريف. انتقل من لحظة ممتعة إلى أخرى. هذا هو السبب في أن فكرة امتلاك المرأة لجسدي تبدو سخيفة في تقديري.

- **المستجوبة**: إذن هل الحب بمعنى الحب الكبير، القائم على علاقة أحادية، هو تصور غير مناسب في نظرك؟

أرنو: الحب دائما ما ينتهي. لا أعرف أحدا استمر حبه للأبد. دائما ما ينتهي. ثمة دائما رغبات جديدة. أجسادا جديدة لتكتشفها. لقد تعلمت الدرس. ليس لي أي توقعات. لدي ما أسميه «التسويات» (بالفرنسية).

- **المستجوبة**: أيمكنك التوضيح؟

- **أرنو**: لقد أخبرتك سابقا [قبل المقابلة]، كانت لي علاقات عدة مع كثير من النساء في نفس الوقت. كل واحدة منهن كانت تعلم أنها لا تستطيع أن تمتلكني من أجل نفسها وحدها أو العيش معي تحت سقف واحد. أقول هذا منذ البداية حتى لا تشعر إحداهن بأنني خدعتها. أجد أن الأمر أكثر راحة على هذا النحو. أنا أحبهن جميعهن ولكني لا أشعر بأنني متعلق بأي واحدة منهن بشكل خاص.

- **المستجوبة**: لا واحدة منهن؟

- **أرنو**: بلى. أنا لا أوثر أيا منهن على وجه الخصوص. كل واحدة منهن تمنحني شيئا مختلفا. إنها طريقة مريحة للغاية لتكون لك علاقات. فلسفتي هي أن أمنح وآخذ المتعة قدر ما استطعت. من الأسهل والأكثر راحة أن تعيش هكذا.

يقول أرنو، الذي يواصل تلاوة إنجيله عن «الحرية السلبية»، «لا أطبق سوى قاعدة واحدة، لا تجرح مشاعر أحد؛ ما عدا ذلك، من المهم جدا بالنسبة إلي أن أحافظ على حريتي.»

يبين أرنو بوضوح أن الجنس العرضي يطغى على العلاقات الطويلة الأمد ويعيد تعريفها. يطّرح الجنس العرضي السمة المميزة للمعيارية المتغايرة التي تكون فيها الجنسانية تابعة إلى غاية محددة، والزواج، وإلى الزواج، والعلاقة الأحادية، والحياة المنزلية.

يتم توضيح هذه النقطة أكثر من خلال مثال آخر من موقع إلكتروني يسمى لوف شاك LoveShack؛ حيث يروي كاتبه القصة التالية، مفترضا طرقا أخرى تعمل من خلالها الجنسانية العرضية على تغيير إيكولوجيا العلاقات الرومانسية:

لقد انفصلت عن رجل قبل أسبوع، بعد مواعدة دامت أربعة أشهر؛ كان قد قر عزمه على أنه يجب عليه أن يستمر في إبقاء الخيارات مفتوحة. كانت النقطة التي أفاضت الكأس هي عندما رأيت عائلته مرتين خلال عطلة نهاية الأسبوع، واكتشفت أنه ظل متصلا على موقع ماتش.كوم طوال يوم الأحد. كانت هذه المراوحة بين الاهتمام واللامبالاة ما أتلقاه منه منذ بداية شهر شباط/ فبراير. سنقدم على خطوة كبيرة إلى الأمام في علاقتنا، ثم يتراجع بمجرد أن تمر هذه الخطوة الكبيرة بسلام. كنا نتبادل رسائل قصيرة ساخنة [كذا]، حين أخبرني ببساطة أنه خرج مع فتاة أخرى (لم أكن أعرفها) – التي تخلت عن الأمر عندما أدركت أنه يبحث عن علاقة حقيقية. أخبرني أنني كنت مخطئة عندما قلت إنه لا يبحث عن علاقة، لأن الفتاة الأخرى كانت تظن العكس... أخبرني أنه منحنا فرصة «لنتحول» إلى شيء ما، وأنه مهتم لأمري ومعجب بي، لكنه لم يكن متيقنا[251].

(251)SiaLv82, "Keeping His Options Open," March 13, 2016, http://www.loveshack.org/forums/breaking-up-reconciliation-coping/breaks-breaking-up/573363-keeping-his-options-open, accessed April 27, 2017.

تعكس هذه القصة جيدا الارتباك واللايقين العاطفي لدى بطلة القصة، التي تجد صعوبة في التعرف إلى مشاعرها ومشاعر حبيبها. إذا كانت سوسيولوجيا الثقافة التقليدية ترتكز على افتراض أن الفاعلين لديهم استراتيجيات فعل(252)، فإن هذه الأمثلة توحي بأن ما يطرح مشكلة بالنسبة إلى الفاعلين هو بلورة استراتيجية فعل على وجه التحديد. لا نعرف بيقين من الذي يواعد حبيب هذه المرأة، وليس الأمر واضحا سواء لها أو له؛ كما أنه من غير الواضح كيف يشعر تجاهها واتجاه المرأة الأخرى التي يواعدها؛ مثلما لا تفهم هذه المرأة تماما ما يريده، وبالتالي فهي أيضا غير متأكدة من أنها تعرف ما تريد. كل هذا يصف حالة تكون فيه الحدود غير واضحة وسائلة، على حد تعبير زيجمونت بومان(253)، والتي تبدو غايتها غير يقينية بالنسبة إلى أبطال القصة أنفسهم. يشوش الطابع المفتوح للعلاقات كلا من البعد التعبيري والبعد الأداتي للفعل، ويغرق الفاعلين في الارتباك؛ حيث لا يعرفون في أي نظام فعل هم متورطون. نظرا لأن الجنسانية تعاش وتختبر بشكل متسلسل ومفتوح، فإن الحدود الاجتماعية للعلاقات تتغير؛ تصبح هذه الأخيرة متجاورة، ومتراكبة بعضها فوق بعض، مع إطارات متداخلة وأهداف غامضة. تكون هذه الذاتية أقل قدرة على تفريد الآخرين والشعور بأنها متفردة من قبلهم.

إليكم ما يسرده فين (Venn) عن علاقة أخرى، وشهادته منشورة على منتدى للنقاش على الإنترنت يتناول العلاقات الصعبة أو حالات الانفصال.

(252) Pierre Bourdieu, *Marriage Strategies as Strategies of Social Reproduction* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1976); Pierre Bourdieu, *Outline of a Theory of Practice*, vol. 16 (Cambridge: Cambridge University Press, 1977); Pierre Lamaison, "From Rules to Strategies: An Interview with Pierre Bourdieu," *Cultural Anthropology* 1, no. 1 (1986): 110–120; Ann Swidler, "Culture in Action: Symbols and Strategies," *American Sociological Review* (1986): 273–286; Ann Swidler, *Talk of Love: How Culture Matters* (2001; Chicago: University of Chicago Press, 2013).

(253) Zygmunt Bauman, *Liquid Modernity* (2000; Hoboken, NJ: Wiley, 2013); Zygmunt Bauman, *Liquid Love: On the Frailty of Human Bonds* (2003; Hoboken, NJ: Wiley, 2013); Zygmunt Bauman, *Liquid Life* (Cambridge: Polity Press, 2005).

2009-2010 (كنت في سن التاسعة عشرة في السنة الثانية بالكلية، وهي كان عمرها خمسة عشر عاما، في السنة الثانية من التعليم الثانوي). في تلك الفترة، كنا في علاقة مفتوحة. لم أكن أبذل جهودا كبيرة في علاقتنا وكانت تشعر اتجاهي بمشاعر مختلطة. كان الأمر، كما لو كنت أفعل شيئا خاطئا ... كانت لا تتوقف عن المضي قدما في العلاقة والتراجع، لذلك كنت أقاتل من أجلها، كما لو كنت أجبرها على أن تبقى معي لأنني كنت هائما في حبها بصدق. في لحظة ما، انفصلنا، وعبثت مع عدد قليل من خاطبي ودها وعاشت قصص حب عابرة، لكن بما أنني أردت بشدة أن تعود إلي، فقد تخلصت منهم جميعا تقريبا ... إما لأنها تأثرت بحقيقة أنني كنت أقاتل من أجلها، أو لأنني أجبرتها على العودة إلي. لكن عندما عدنا معا، في علاقتنا المفتوحة، أوقفت جهودي ... كانت هي دائما من تبذل الجهد في علاقتنا... في الواقع، كنت أبذل القليل من الجهد، لكن ليس أكثر من ذلك. أنا من النوع الذي يحبها دائما، لكنني لا أبادر إلى الفعل كثيرا. بينما هي من جانبها، هي التي تأتي إلى بيتنا، وهي التي ترغب في الخروج والتي تخبرني دائما أن أذهب إلى اجتماعات الصلاة في الكنيسة، وأنا أرفض دائما الخروج... كنت أتصرف كما لو كان الأمر مفروغا منه لأنني كنت أشعر بالرضا في العلاقة واعتقدت أنها لن تتركني أبدا. ما لم أكن أعرفه هو أن حبها لي في وقت ما بدأ يتلاشى، حتى توقفت عن حبي ... لأنني كنت مستغرقا كثيرا في ألعابي وأشياء أخرى ... ومع ذلك، حتى لو حدث ذلك على هذا النحو، فقد تصرفنا كزوجين حقيقيين. كنا نقبل بعضنا، ونشبك أيدينا، وكنا نفعل أشياء حتى كدنا نمارس الجنس، وفي كل مرة كنا معا، كنا دائمًا على وشك القيام بذلك... الأمر وما فيه أن الجنس لم يهمني أبدا... ولهذا السبب لم أضاجعها أبدا طيلة ست سنوات.

ثم جاء الرجل الذي بدأ يغازلها وكان مصمما أكثر مني على أن يقوم بعلاقة جنسية معها... في الواقع، وقعت في حب شخص ما في فصلها، كان صديقا لذلك الذي كان يغازلها. أخبرتني عن الأمر، ولحظتها بالذات، أخبرتها ألا تبقى معه، لأننا نحن من كنا على علاقة مفتوحة وسيأتي يوم نصبح فيه معا رسميا. كنت أبعد

من أن أشك أنها كانت لا تزال تواعده لأن... هذا الرجل كان مهتما بها أكثر مني، وكان يرسل لها رسائل قصيرة أكثر مني، وكان يتصل بها طوال الوقت. ثم، في الوقت الذي كنا فيه معا، وكنا نقبل بعضنا ونشبك أيدينا، في اليوم التالي وافقت على أن يكون الشاب حبيبها... لذلك، كانت قد خدعتني بمعنى من المعاني، لكنني لم أكن أعلم ذلك بعد. اكتشفت ذلك بعد ثلاثة أسابيع فقط... توسلت إليها أن تعود إلي لكنها قالت إنها سعيدة بعلاقتها الآن[254].

كان منشور هذا الرجل بعنوان «على وشك الانتحار». تثير هذه الحكاية المفككة والغامضة علاقة استمرت عدة سنوات مع فتاة صغيرة، مع تقلباتها، التي انتقلت من علاقة مستقرة إلى علاقة مفتوحة، ومن علاقة ملتزمة إلى علاقة غير ملتزمة، ثم إلى علاقة ملتزمة مرة أخرى. بعبارة أخرى، فالقدرة نفسها على الحفاظ على إطار العلاقة تبدو هنا مهددة بالانفتاح والتعدد الجنسي. لا تتبع العلاقة سيناريو ثقافيا واضحا، ولكن يبدو أنها تتبع مسارا عشوائيا بالأحرى. ومن المهم أن نسجل، في قصة هذا الرجل، أن صديقته تركته تحديدا لأن صديقها الجديد كان قادرا على أن يمنحها إطارا واضحا.

على الرغم من أن الحصرية الجنسية تظل بالنسبة إلى معظم متغايري الجنس مؤشرا على علاقة ملتزمة، إلا أن التكنولوجيا المتاحة تجعل من الصعب للغاية التمسك بمثل هذا السيناريو، ومعرفة القواعد المتعلقة بقابلية تطبيقه. كما يقول روبير، رجل فرنسي يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاما، أعزب وموسيقي حسب قوله:

- **روبير**: دائما ما أكون على علاقات جنسية عابرة في نفس الوقت (بالفرنسية). معظمها لا ينجح. لذلك لا تنتظر كثيرا لتبدأ شيئا جديدا. لدي دائما من ثلاث إلى أربع مخططات تقريبا على الأقل قيد التنفيذ في نفس الوقت.

---

(254) Venn, "On the Verge of Killing Myself," February 26, 2016, http://www.loveshack.org/forums/breaking-up-reconciliation-coping/breaks-breaking-up/571318-verge-killing-myself, accessed April 27, 2017.

- **المستجوبة**: هل يكن على علم بذلك؟

- روبير: بالطبع لا. لماذا أفعل ذلك؟ هذه حياتي. لا أعرف ماذا يفعلن عندما لا يكن برفقتي. أنا لا أسألهن ولن يفاجئني إذا كن يعشن نفس الشيء من جانبهن.

هنا، يعتبر تعدد العلاقات الجنسية أمرا مفروغا منه لأنه يُنظر إليها على أنها حق للحياة الخاصة ولأن «معظم العلاقات لا تنجح.» وهكذا فإن الجنس العرضي يؤدي إلى عدم يقين ليس فقط فيما يتعلق بإطار التفاعل وهدفه، ولكن أيضا فيما يتعلق بحدوده (كيف وأين تنتهي علاقة جنسية وعاطفية، ومن أين تبدأ العلاقة التالية).

الجنس كمصدر لليقين

ومن المفارقات أن استقلالية الجسد تعني أن التجارب الجسدية هي مصدر يقين (نعلم ما هو الجسد أو التجربة الجنسية) وأن المشاعر والعواطف المرتبطة بهذه التجارب مآلها بين أن تصبح غير يقينية أو أن تتبع التجارب الجسدية. بالنظر إلى أن الجنسنة تمركز هوية الذات على الجسد، والذي يُعرَّف بأنه كيان بيولوجي ومصدر فيزيولوجي للمتعة، فإنه يجعل العواطف أقل ملاءمة لولوج علاقة ما. يغدو الجسد إذ ذاك المصدر الوحيد للمعرفة، وعلى الأقل أكثر مصادرها موثوقية. كما تقول ذلك لينا، فنانة سحاقية ونسوية عمرها ستة وخمسين عاما:

لينا: عندما أواعد امرأة، إذا ما اجتذبتني لا أفوت الفرصة لأنام معها. هذا أول شيء أفعله، ليس المطاعم، ولا كؤوس النبيذ، ولا السينما وما شابه جميع هذه الترهات. لا أسأل نفسي إذا كنت أرغب في ربط علاقة معها قبل أن أنام معها. يتعين أن أنام معها أولا لأعرف ما إذا كنت أرغب في العلاقة. من دون جنس لن أعرف ذلك.

أفيفا، طبيبة غيرية الجنس تبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاما، تردد ذات وجهة النظر:

- **أفيفا**: الاختبار الأول الذي يجب على الرجل اجتيازه هو اختبار السرير. أريد

أن أعرف ما إذا كنا متوافقين جنسيا، إذا كان يعرف كيف يلمسني، وإذا كان الأمر كذلك، فيمكننا أن نجرب العلاقة؛ وإلا فإننا نتوقف.

- **المستجوبة**: أتتوقفين، حتى لو كان، لنقل، كل شيء آخر على خير ما يرام؟

- **أفيفا**: هذا صحيح. لا أستمر في مواعدته. الحياة الجنسية مهمة للغاية.

تشير هذه الاقتباسات إلى طريقة جديدة تماما في الحديث إلى الآخر والتعرف إليه، حيث تلعب الجنسانية دورا إبستيمولوجيا، وهي وسيلة لمعرفة شخص وإثبات حقيقة العلاقة. بهذا المعنى، يمكن القول إن جنسنة العلاقات تفضي إلى مفارقة: إذا كان الجسد والجنسانية مصدرين لليقين (طريقة لمعرفة الذات العميقة لشريكنا المحتمل أو الفعلي)، فإن الإطار العام للعلاقات يظل غير يقيني. لا يتعلق اللايقين فقط بإطار التفاعل والهدف منه وحدوده، بل يتعلق أيضا بالدور الذي يجب أن يلعبه الانجذاب الجنسي والجنسانية عند التقرب إلى شخص ما. لأن الجسد والجنسانية أصبحا مستودعي إبستيمولوجيا علائقية جديدة، فإنهما يقومان مقام الحقيقة بالنسبة إلى العلاقة، لكنهما لا يمكنهما على أن يولدا بمفردهما استراتيجيات عاطفية للفعل.

فبينما كانت المغازلة ما قبل الحديثة تبدأ بالمشاعر وتنتهي بالجنس، الذي يثير مشاعر الذنب والقلق النفسي، فإن العلاقات المعاصرة تبدأ بالجنس (الذي يمنح المتعة) ثم يتعين عليها فيما بعد مجابهة العملية المقلقة التي هدفها توليد المشاعر. أصبح الجسد مقرا للتعبير عن المشاعر (انظر المقولة المأثورة «العلاقة الجيدة تترجم إلى جنس جيد»)، وأصبحت العواطف غريبة ودخيلة على التفاعلات الجنسية.

عدم اليقين والسلبية الاجتماعية

إنني أدعو هذه العلاقات بـ«السلبية». إن استخدامي لمصطلح «سلبية» ليس له ذات المعنى الذي يحمله في اللغة الدارجة («مؤذ»، «ضار»)، ولا المعنى الذي له في التقليد الفلسفي. بالنسبة إلى ثيودور ف. أدورنو، يعتبر الفكر السلبي سمة من سمات فكر اللا-هوية/ تطابق، وهذا النوع من الفكر الذي يمكن أن يساعدنا على

فهم بعض الخصوصيات والذي لا يقع في فخ العقلانية المجردة والأداتية[255].

إن استعمالي لمصطلح «سلبية» يختلف كل الاختلاف أيضا عن ذلك الذي أشاعه ألكسندر كوجيف في تفسيره **لفينومينولوجيا الروح** لهيغل[256]. في أحد تعاليقه على هيغل، كتب كوجيف:

كيما يكون ثمة وعي بالذات، ومن ثم فلسفة، فيجب أن يكون ثمة في الإنسان ليس فقط تأمل ثابت، منفعل وسلبي، يكشف عن الكينونة فحسب، بل أن تكون فيه أيضا رغبة سالبة، وبالتبعة، فعل تحويلي للكائن المعطى. يتعين أن تكون الأنا البشرية هي أنا الرغبة - أي الأنا الفاعلة، الأنا السالبة، الأنا التي تحول الكائن، وتخلق كائنا جديدا بتقويضها الكائن المعطى. لكن، ما أنا الرغبة - أنا الإنسان الجائع، على سبيل المثال - إن لم تكن فراغا متعطشا إلى محتوى، فراغا يريد أن يمتلئ بما هو ممتلئ، أن يمتلئ بإفراغ ذلك الامتلاء، ليضع نفسه - بعد أن يمتلئ - في مكان ذلك الامتلاء، ليشغل بامتلائه الفراغ الذي نشأ بنفي الامتلاء الذي لم يكن امتلاءه؟[257]

أشاع المعنى المعطى هنا للسلبية - الأنا كفراغ يهفو إلى الامتلاء - جاك لاكان ومدرسة فكرية كاملة بعده، إلى حد تعريف الرغبة نفسها عمليا[258]. إنها ميزة الذاتية التي تبحث عن الاعتراف من قبل الآخر، عن رغبة الآخر، والتي لا يمكنها مع ذلك أبدا أن تكتفي بنيل الاعتراف أو رغبة الآخر. يحدث أن يرغب المرء في شيء لا يمكنه أبدًا بلوغه أو امتلاكه، أو في مواجهة الفراغ الذي قد يترتب

(255) Theodor W. Adorno, *Negative Dialectics*, vol. 1 (London: A&C Black, 1973).

(256) Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Phenomenology of Spirit* (1807; Delhi: Motilal Banarsidass Publishers, 1998).

(257) Alexandre Kojève, *Introduction to the Reading of Hegel* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1980), 38.

(258) انظر بهذا الصدد:

Jacques Lacan, "The Subversion of the Subject and the Dialectic of Desire in the Freudian Unconscious," in *Hegel and Contemporary Continental Philosophy*, ed. Dennis King Keenan (Albany: SUNY Press, 2004), 205–235.

عن امتلاك مثل ذلك الشيء. هذه السلبية هي حركة إيجابية من جانب الأنا، بالمعنى الذي تتكشف وتتجلى به من خلال إسقاط الذات على رغبة الآخر الذي تريد امتصاصه أو محاربته، وفي هذا الصدد فهي مولدة في آن لكل من الهوية (أو البحث عن الهوية) والروابط الاجتماعية.

المعنى الذي أعطيه لـ «الروابط السلبية» مختلف أيضا (له دلالة غير هيغلية): تعني كلمة «سلبية» هنا أن الفرد لا يريد علاقات أو غير قادر على تكوينها بسبب بنية رغبته ذاتها. في «رابط سلبي»، تفلت الأنا كلية من ميكانيزم الرغبة والاعتراف. يتعلق الأمر برابط لا نسعى فيه إلى إيجاد ومعرفة وتملك واجتياح ذاتية الآخر. في الروابط السلبية، يعتبر الآخرون وسائل للتعبير عن الذات وتأكيد الاستقلالية - وليسوا موضوعات اعتراف. في الواقع، مفهوم جان بول سارتر عن «العدم» (على الرغم من أن نيته كانت وصف مجموعة مختلفة من الإشكالات) مفيدة هنا. تلخص سارة باكويل، مؤلفة تاريخ شعبي لكن شامل للحركة الوجودية، مفهوم «العدم» على هذا النحو:

لنتخيل، كما يقول [سارتر]، أنني رتبت موعدا مع صديقي بيير في مقهى على الساعة الرابعة زوالا. وصلت متأخرا بخمس عشرة دقيقة. نظرت حوالي، قلقة: هل ما زال بيير هنا؟ أرى كثيرا من الأشياء الأخرى: الزبائن، والطاولات، والمرايا والأضواء، وجو المقهى الملبد بالدخان وضجة الأطباق والصخب العام(259).

يهدف هذا المقتطف إلى توضيح شيء ما عن الوعي نفسه، أي أنه غير محدد ويدرك نفسه مثل بيير الغائب. العلاقة السلبية هي مثل البحث عن شخص ما في مجموعة تتألف من الأشخاص والأدوات والأماكن، وعدم العثور عليه؛ هي الشعور بهذا الغياب ولا تحدُّدِ نوايا ذلك الشخص ورغباته. وعلى ذلك، ليست العلاقة السلبية رفضا إراديا للجنس أو الحب بسبب أمر أعلى (حياة الرهبانية والزهد مثلا)؛ كما أنها ليست الفراغ الذي يثوي داخل فعل الرغبة (كوجيف

(259) Sarah Bakewell, *At the Existentialist Café: Freedom, Being and Apricot Cocktails* (London: Chatto and Windus, 2016), 153.

ولاكان)، بل هي إدراك آخر غائب في خضم الهرج والمرج المستمر لحشد من الآخرين وإدراك عدم تحدد نواياي الخاصة.

ثمة دلالة أخرى لمصطلح «سلبية»، تنتمي إلى نفس التقليد الفلسفي، مصدرها مارتن هايدغر (لقد قرأ سارتر **الكينونة والزمان**[260] بعناية وتأثر بهذا النص بشدة). فبغية الحديث عن علاقة الكائنات الإنسانية غير الإشكالية بالعالم، يتوسل هايدغر استعارة المطرقة. أنا أضرب بالمطرقة، وأنا لا أكاد أعي المطرقة وبنيتي في طرق هذه القطعة من الخشب. ولكن إذا حدث خطأ ما وانكسرت المطرقة أو المسمار، فإنني أنتبه فجأة لما أفعله وأنظر إلى نفسي بطريقة جديدة. «ما كان تحت اليد يصبح قائما أمامي (في الأعيان): شيء هامد لا يتحرك أنظر إليه في بإمعان[261]. من خلال هذا المعنى الجديد لكلمة «السلبية»، تتوقف العلاقات القائمة عن العمل كما ينبغي لها أن تعمل؛ ومن ثم فإنها تلفت انتباهي قسرا وتصبح «موضوعا للتأمل»، موضوعا للنقاش والتفكر العميق. تصبح العلاقة هنا نقطة بداية انفصال تأملي (انعكاسي) عن الطريقة المألوفة في الفعل والشعور.

تعتبر «الروابط السلبية» سلبية في أحد معنيين: إما أنها تعين موضوعا غائبا لا يمكنني بلوغه لأن الموقف غير محدد؛ أو أنها تكشف أن شيئا ما لا يعمل كما ينبغي له أن يعمل عندما تكون العلاقة قائمة. العلاقات السلبية لها أهداف غامضة أو غير واضحة أو غير محددة أو متنازع عليها؛ ليس لديها مبادئ مخطط لها مسبقا للالتزام والتحلل من الالتزام، ولا تجر على المرء سوى عواقب خفيفة أو معدومة في حالة إنهائها. يختفي الشكل الأول من الروابط السلبية سريعا، ليس لأنه يتحدد تعاقديا على أنه عارض وسريع الزوال (مثل علاقة صراف البنك مع زبون أو عميل)، ولكن بسبب افتقارها النسبي للمعايير والقواعد المقررة مسبقا وإطار

(260) Martin Heidegger, *Being and Time* (1927; Albany: SUNY Press, 2010).

(261) Bakewell, *At the Existentialist Café*, 69.

تصف بلاكويل أيضا الطريقة التي يلخص بها هايدغر هذه الحالة: ما كان تحت اليد وما لم يعد تحت اليد (*Das Nur-noch-vorhandensein eines Zuhandenen*). انظر المرجع نفسه.

المعنى المشترك. فيما يتعلق الشكل الثاني من الروابط السلبية بواقع أن ثمة شيء ما في ثنايا تلك العلاقات لا يعمل بشكل صحيح تماما.

من الواضح هنا أن «الإيجابي» و«السلبي» لا يحتملان أي تبعات أخلاقية. لا تحيل هذه الأشكال إلا إلى الطرق التي تنتسج من خلالها الروابط الاجتماعية، سواء تمت صياغتها بوضوح في السيناريوهات الثقافية (على سبيل المثال، أن تكون أستاذا أو والدا أو زوجا) أو كانت (نسبيا) غير مكتوبة قبليا وغامضة معياريا[262] (على سبيل المثال، الجنس العرضي). تكون العلاقة الاجتماعية السلبية مدفوعة بعدم اليقين، في حين أن العلاقة الإيجابية تكون مبنينة ومنظمة نسبيا حول معايير واضحة. إن «ضبابية» العلاقات السلبية لها نفس الدلالة عندما نتحدث عن «المنطق الضبابي» وتعكس حقيقة أن المعيارية لا تتحدد من خلال مقابلة ثنائية «منحرفة - معيارية»، ولكنها تنطوي بالأحرى على قواعد قليلة الوضوح ومتنازع فيها. على سبيل المثال، في الديانة اليهودية، يعتبر الزنى الذي ترتكبه امرأة لا لبس فيه من وجهة نظر القاعدة: فهو محرم دائما ويعاقب عليه بقسوة (بالرجم، على سبيل المثال). في المقابل، فإن زنى الرجل ضبابي ومستبهم لا يتبين من الناحية المعيارية؛ إنه محرم، كما هو الحال مثلا حينما يزني الرجل المتزوج بامرأة متزوجة أخرى، ولكن ليس دائما؛ على الرغم من عدم التسامح معه، فالزنى مع امرأة عزباء لا يجر عقابا زاجرا، كما أنه لا يهدد النواة المعيارية للقانون اليهودي والأسرة. لذلك يقع زنى الذكور على ما يمكن أن أسميه مقياسا معياريا ضبابيا أو غامضا، بينما يُحرم دائما على المرأة المتزوجة ويعاقب عليه.

لذلك، سأجازف بطرح الفرضية التالية: في مجالات الحب والجنسانية، انتقلنا من كيفية للفعل الثقافي عملت فيها الثقافة على وصف «كثيف» للعالم بالرموز والقصص الأخلاقية، وحددت ووجهت السلوك من خلال دلالات قوية أو مخططات عمل جد مبنينة (المغازلة خير مثال)، إلى كيفية ثقافية حيث الاستقلالية

(262) في الواقع، بالنظر إلى أن "العلاقات الإيجابية" تنبني على تقييدات أخلاقية وتفاوتات اجتماعية، فهي أخلاقيا أكثر سلبية من العلاقات السلبية ذاتها.

الذاتية والحرية تولد مبادئ تفاعل غير مخطط لها نسبيا وغامضة مع نتائج غير متوقعة، أي تفاعلات خالية نسبيا من المعايير، على الأقل في المجال الخاص والحميمي (يخضع مجال العمل، على العكس من ذلك، اليوم لسيناريوهات محكمة للغاية). فبغياب المعيار، لا أعني فحسب أن السلوك مرتجل وبأن قواعده مفتوحة أمام الجميع[263]، ولكن أعني كذلك أن المعايير التي تحكم سير الروابط الجنسية غير واضحة المعالم، وأنها لا تتبع سيناريو أخلاقيا معينا، وأنه إذا انتهكت قواعد التبادلية أو المعاملة بالمثل، فإن مخاطر العقوبة الاجتماعية تكون ضئيلة. التفاعلات بدون معايير لا تميز بوضوح بين السلوك المناسب والسلوك غير اللائق، لأنه ثمة عقوبات قليلة مرتبطة بالسلوك غير اللائق. هذا النقص في المعيارية «الكثيفة» (thick normativity) هو نتيجة مباشرة لممارسة الحرية، والأوامر الإيجابية المرتبطة بها، مثل الاعتماد على النفس والاستقلالية الذاتية والنزعة إلى اللذة، المعجم السائد للفردانية[264]. تسفر هذه الأوامر الإيجابية عن روابط سلبية، روابط غامضة وفوضوية، على المستوى المعياري، وتحتمل تعريفات وأهداف متعددة، وتمثل مكان التعبير عن استقلالية الفرد من خلال الانسحاب وعدم الاختيار. إذا كانت «فوضى الحب العادية» بالنسبة إلى أولريش بيك وإليزابيث بيك غيرنشايم مصدرا للاجتماعية الإيجابية، أي موردا للارتجال والعلائقية المنتجة، فإن الفوضى هنا هي مصدر للاجتماعية السلبية، وإعادة تنظيم لتكوين وتدبير العلاقات من خلال غياب اليقين.

---

(263) Ulrich Beck and Elisabeth Gernsheim-Beck, *The Normal Chaos of Love* (Cambridge: Polity Press, 1995).

(264) إذا كان فوكو قد شدد على أن مثل هذه الأوامر تسمح باستنفار جهاز المراقبة من خلال الضبط الذاتي، فإن أنتوني غيدنز وأولريش بيك وإليزابيث غيرنشايم - بيك ينظرون إلى هذه التغييرات على أنها التباشير الأولى لدمقرطة العلاقات. انظر:

Beck and Gernsheim-Beck, *The Normal Chaos of Love*; Michel Foucault, *Discipline and Punish: The Birth of the Prison*, trans. Alan Sheridan (1975; New York: Pantheon Books, 1977). See also Johanna Oksala, *Foucault on Freedom* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005); Anthony Giddens, *The Transformation of Intimacy: Sexuality, Love and Eroticism in Modern Societies* (Hoboken, NJ: Wiley, 2013).

وهذا يقتضي أيضا معاودة التفكير في مفهوم الثقافة. في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع التقليديين، تشكل الثقافة الروابط الاجتماعية من خلال الأدوار والنظم والمعايير والطقوس والشعائر والسيناريوهات الاجتماعية، أي من خلال الأوامر الإيجابية للانتماء والتماهي والتنفيذ وحتى الارتجال. في مقابل ذلك، يتصدى الفاعلون، في العلاقات السلبية، للطابع والمعنى المراوغ لأفعالهم. إذا أخذت الثقافة شيئا فشيئا شكل ثقافة الاستشارة أو التنمية الذاتية (self-help)، فذلك على وجه التحديد لأنه في مجالات الحب والتنشئة الوالدية والجنسانية، فإن قلة من الخطاطات الثقافية توجه الفعل بطريقة قسرية وتجبر الرجال والنساء على الامتثال لقواعد ومعايير مقبولة من لدن الجميع. إذا كانت ثقافة التنمية الذاتية والاستشارات النفسية تضم وتنتج سيناريوهات للعلائقية[265]، فإنها لا تقوم بذلك بوساطة مجموعة من الرموز المنظمة والمقدسة، ولكن انطلاقا من اجتماعية موسومة باللايقين. فالتدبير النفسي الذاتي ليس سوى تدبير لايقين حاضر بقوة في العلاقات بين الأشخاص؛ حيث إن كلا من الحرية الجنسية والمتعة، وكلاهما مبنين انطلاقا من نحو وسيمانطيقا (أو علم دلالة) السوق، قد قويضا (بودلا) باليقين النفسي.

***

في تحليله لما اعتبره أزمة كبرى قادمة، ولفهم نشأة نظام اجتماعي جديد، يلجأ المؤرخ كين جويت (Ken Jowitt) إلى استعارة جنسية. إنه يعتقد أن عالم ما بعد الحرب الباردة سيشبه حانة عزاب:

إنه جماعة من الأشخاص الذين لا يعرفون بعضهم البعض، والذين يتواصلون بلغة خاصة، يتواعدون، يقصدون المنزل، ويمارسون الجنس، ولا يرون بعضهم البعض مرة أخرى، لا يتذكرون أسماء بعضهم، يرجعون إلى الحانة ويواعدون أشخاصا آخرين. إنه عالم قوامه الانفصال.

---

(265) انظر الكتاب القيم "الجندر ووسائل الإعلام": Rosalind Gill, *Gender and the Media* (Cambridge: Polity Press, 2007).

يتكون هذا العالم الشجاع الجديد من أشخاص لا يعرفون بعضهم البعض، ويناموون مع بعضهم البعض، ويتركون بعضهم البعض دون معرفة أسمائهم، ويعودون أدراجهم في الأسبوع التالي بحثا عن شخص آخر[266]. هذا العالم، كما يقول جويت، متصل ومتفكك في آن واحد[267]. تعمل الجنسانية هنا كاستعارة تشد سدى النظام السياسي والاجتماعي - فهي تعكس في آن التنظيم واللاتنظيم. بتعبير أدق، أصبحت الجنسانية العرضية براديغم الاجتماعية السلبية. فحيثما يقوم «الاختيار الكلاسيكي» على اختيار شيء ما، وتنظيمه واستثنائه وتفريده، فإن اللا-اختيار الجنسي يتحقق من طريق المراكمة، سواء كممارسة تكديس (يتعايش الشركاء مع بعضهم البعض؛ والعلاقات تتشابك فيما بينها وتتداخل)، أو عن طريق التخلي عن موضوع جنسي بعد الاستمتاع به. وفرة الشركاء وقابليتهم للتبادل هما أسلوبان إجرائيان لجنسانية حرة يحكمها اللا-اختيار والجنسانية السلبية.

بالنسبة إلى فرويد، تأتي اللذة من السيطرة على المثيرات الخارجية، والألم يظهر عندما لا تستطيع الأنا التحكم في حدث خارجي، عندما تهدد المثيرات الخارجية ببلبلة الأنا. الجنس العرضي هو تجربة ممتعة طالما أنها تمنح كلا الطرفين شعورا بالسيطرة والاستقلالية الذاتية والتحكم. ولكنه غالبا ما يؤدي إلى تجربة عكسية من اضطراب الأنا وعدم اليقين لواحد على الأقل من الطرفين المتفاعلين. تتضاعف تجربة لايقين الإطار من خلال ما أسميه اللايقين الأنطولوجي، الذي سيتم تحليله في الفصل التالي.

---

(266) مذكور في:
Ivan Krastev, *After Europe* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2017), 24.
(267) Harry Kreisler, "The Individual, Charisma, and the Leninist Extinction," *Conversations with History*, quoted in [ورد في] Ivan Kratsev, "The Return of Majoritarian Politics" in *The Great Regression*, ed. Heinrich Geiselberger (Wiley: Hoboken, NJ, 2017), 69.

الفصل الرابع

الرأسمالية المرئية ونشوء اللايقين الأنطولوجي

أكتب من بين القبحى، ومن أجل القبحى، والباردين جنسيا، والبشعين الكريهين، والمنفرين جنسيا، لكل المنبوذات من سوق المرأة الفاتنة الكبير، كما أكتب من أجل الرجال الذين لا يودون أن يكونوا حماة أو أوصياء، وإلى الذي يرغبون في أن يكونوا كذلك ولكن حارت بهم السبل، أولئك الذين ليسوا طموحين، ولا تنافسيين، ولا أسوياء الأعضاء[268].

فيرجيني ديبونت، نظرية الكينغ كونغ.

خلال هذا الوقت، كان في إمكاني أن أتفرس فيك قليلا؛ علي أن أقول، فضلا عن ذلك، أن هيئة جسدك لا تهمني إطلاقا، وإنما كلماتك، كلماتك هي كل ما يهمني [...] ولشد ما كانت كلماتك بليغة السطوة علي، حد أني بت منذئذ أعشق كثيرا ما ترتدين.

فرانز كافكا[269]

المشكلة ليست كيف نفعل ما نريد فعله، ولكن معرفة ما يمكنه أن يرضينا.

---

(268) الاقتباس بالفرنسية وتترجمه المؤلفة. (المترجم).

(269) Franz Kafka, *Letters to Milena*, 1920–1923 (New York: Schocken Books, 1990, 49).

ستانلي كافل[270]

ستبقى قضية هارفي واينستين لحظة فارقة في العام 2017. اتُّهم قطب هوليوود هذا، على امتداد أكثر من عقدين، بالتحرش أو اغتصاب أكثر من مائة امرأة، وهذا في صمت متواطئ من زملائه ومساعديه وموظفيه[271].أثارت فضيحة واينستين ردود فعل في أرجاء العالم كافة، وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، تحت هاشتاغ MeToo# (أنا معنية أيضا)، حكت مئات الآلاف من النساء قصصهن عن الاعتداء الجنسي والتحرش والاغتصاب الذي تعرضن له. كشف حجم ردود الفعل للرأي العام عن سؤال مركزي للحركة النسوية: كيف أنه على الرغم من التقدم المتواضع ولكن المهم نحو المساواة، لا زالت الهيمنة الجنسية للرجال على النساء بهذه القوة ومنتشرة إلى هذا الحد[272]؟ تتجلى هذه الهيمنة الجنسية في العنف الذكوري، هذا لا غبار عليه، لكنها تتجلى أيضا في عمليات امتهان وحط من القيمة أمعن في الغموض وأكثر انتشارا ومراوغة. بناء على الفصول السابقة، يهدف هذا الفصل إلى فهم الآليات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تكشف كيف أن الجنسانية تبخس قيمة النساء وتحولهن إلى سلع وفق ميكانيزمات لا تزال بحاجة إلى توضيح.

سواء كانت الجنسانية هي الجزء الأكثر أصالة من ذواتنا والمكبوت عبر تاريخ ديني وبطريركي مديد، أو حقيقة نفسية أجبِرنا على الكشف عنها تحت أعين الخبراء المتنبهة، فثمة حقيقة واحدة لا جدال فيها، ألا وهي: لقد أصبحت الجنسانية بمثابة الحامل المتحرك للممارسات الاستهلاكية والتكنولوجية. «باتت الممارسات الجنسية والتفاعلات تندرج ضمن الاقتصاد[273].» إن الذات الجنسية،

(270) Stanley Cavell, *Must We Mean What We Say?*(New York: Scribner, 1969), 201.

(271) https://www.bbc.com/news/entertainment-arts-41593384.

(272) ثمة دراسات تناولت تداخل الجنسانية والعنف، وهي من الكثرة لنذكرها كلها هنا، لكن في وسعنا الإحالة إلى الدراسة الكلاسيكية لـ:

Catharine MacKinnon classic *Only Words* (Cambridge, MA: Harvard Universit Press, 1993).

(273) Adam I. Green, "Toward a Sociology of Collective Sexual Life," in *Sexual Fields:*

التي تصورها سيغموند فرويد كجملة دوافع لاواعية، حولت فيها بعد هذه الدوافع إلى حقيقة بالنسبة إلى الرغبة[274]، والتي تتحقق في الصور والقيم والقصص ومُثل رفاهية الحياة ورغد العيش التي يشجعها سوق الاستهلاك[275]، ومنذ عقد، من قبل مجموعة واسعة من الوسائط والأجهزة التكنولوجية. بعدما وظف من قبل سوق الاستهلاك والتكنولوجيا، أصبح الجسد الجنسي منتجا لفائض قيمة اقتصادية من الضخامة حد أنها أسيئت مفهمتها.

الذات الاقتصادية الجنسية هي ذات الحداثة الحقيقية. إنها تدرك فرديتها من خلال الحاجات والرغبات، ومن خلال الاختيارات، وبشكل متزايد، من خلال عدم الاختيار الذي يتجلى في مجال استهلاك مشبع بالحميمية[276] وفي مجال خاص تحول إلى سلعة[277]. اليوم، يكاد يكون من المستحيل فصل الجنسانية والحب عن مجالات الاستهلاك والتكنولوجيا التي يجريان فيها. تنتج الرغبة الجنسية قيمة اقتصادية، بينما تغدو السلع غير منفصلة عن إنتاج الرغبة الجنسية. بالتوليف بينهما، فإن شكلي الفعل الجنسي والاقتصادي يخلقان ما أسميه الذات الفائقة، وهي ذات تحدد باحتياجاتها ورغباتها، وكذلك بممارسات تهدف إلى إشباعها. ورغم ذلك، فإن الذاتية الفائقة تنطوي على مفارقة: فهي تنشط حالة عدم يقين أنطولوجي، عدم يقين بشأن طبيعة الذات نفسها. اللايقين الأنطولوجي هو نتيجة

Toward a Sociolog of Collective Sexual Life, ed. Adam I. Green (Chicago: University of Chicago Press), 1–24, esp. 15.

(274) Michel Foucault, *Histoire de la Sexualite*, vols. 1–3 (Paris: Editions Gallimard, 1976–1984).

(275) T. J. Jackson Lears, *No Place of Grace: Antimodernism and the Transformation of America Culture, 1880–1920* (Chicago: University of Chicago Press, 1981); Naomi Wolf, *The Beauty Myth How Images of Beauty Are Used against Women* (New York: Random House, 2013).

(276) Lauren Berlant and Michael Warner, "Sex in Public," *Critical Inquiry* 24, no. 2 (1998): 547–566 Lauren Gail Berlant, ed., *Intimacy* (Chicago: University of Chicago Press, 2000); Lauren Ga Berlant, *Cruel Optimism* (Durham, NC: Duke University Press, 2011).

(277) Michael J. Sandel, *What Money Can't Buy: The Moral Limits of Markets* (New York: Macmillan 2012).

لثلاث سيرورات – الرفع من القيمة والتقييم والحط من القيمة – التي تتحدد ثلاثتها من خلال هيمنة الرجال الاقتصادية والرمزية على النساء، التي ما تزال إلى الآن شديدة الوطأة. هذه السيرورات الثلاث، الاقتصادية والمعرفية والثقافية في آن واحد، تطبع مرحلة جديدة من تاريخ الرأسمالية والعلاقات الحميمة.

ليست القيمة متأصلة في الموضوعات والأشياء، وإنما هي نتيجة علاقة اجتماعية[278]. إن إضفاء القيمة بمثابة عملية تقوم على إنتاج القيمة من خلال آليات اقتصادية أو رمزية (على سبيل المثال، يؤدي عرض المرء لإبداعاته في متحف وطني إلى زيادة القيمة الاقتصادية لفنه). التقييم هو النشاط الذي يقوم على تقدير، ومقارنة، وقياس قيمة شيء ما[279]. التقييم وإضفاء القيمة هما عمليتان اجتماعيتان متلازمتان (يقوم كل من جامعي التحف الفنية ووكالات التصنيف الائتماني بالتقييم وإضفاء القيمة). على الضد من ذلك، يتمثل التبخيس أو الحط من القيمة في تخفيض قيمة سلعة، سواء من خلال الأفعال الرمزية، مثل خطابات رجالات السلطة[280]، أو من خلال آليات اقتصادية، مثل فائض الإنتاج عندما يكون إنتاج سلعة ما أكبر من الطلب. يرتبط التقييم وإضفاء القيمة وتخفيض القيمة ارتباطا وثيقا بتكثف وتفكك الذاتية في الثقافة الرأسمالية[281]. يتحكم في

(278) Karl Marx, "Part 1: Commodities and Money; Chapter 1: Commodities; Section 3: The Form of V *Production*, vol. 1 (1867; New York: Cosimo Classics, 2007, 54–80. See also Arun Bose, "Marx on Value, Capital, and Exploitation », *History of Political Economy* 3, no 2, 1971, 298-334.

(279) Michèle Lamont, "Toward a Comparative Sociology of Valuation and Evaluation," *Annual Review of International Journal of Politics, Culture, and Society* 18, nos. 3–4 (2005): 161–188.

(280) لنتذكر كلمات جورج سوروس عن عدم ثقته في الجنيه الإسترليني في أيلول/سبتمبر 1992، الأمر الذي بخس من قيمته. انظر:

Steve Schaefer, « Forbes Flashback : How George Soros Broke The British Pound And Why Hedge Funds Probably Can't Crack The Euro », *Forbes*, https://www.forbes.com/sites/steveschaefer/2015/07/07/forbes-flashback-george-soros-british-pound-euroecb/#668029186131, accessed December 12, 2017.

(281) عن مفهوم أكسل هونيث عن التناقضات المعيارية، انظر:

Martin Hartmann and Axel Honneth, « Paradoxes of Capitalism », *Constellations*, 13, no 1,

هذه السيرورات، التي تتبادل التأثير فيما بينها، السوق الاستهلاكية، وتكنولوجيا الإنترنت، وصناعات الإعلام.

قيمة الجسد

كما أكد ذلك كل من عالم النفس الاجتماعي روي بومستر والأنثروبولوجية النسوية باولا تابت، ففي جميع المجتمعات التي تُحرم فيها النساء من السلطة الاجتماعية والاقتصادية، تكون الجنسانية بالنسبة إليهن وسيلة يقايضنها مقابل سلطة الرجل. هذا ما تسميه باولا تابت المقايضة الاقتصادية الجنسية. في هذه المجتمعات، تعرض النساء خدمات جنسية للرجال الذين يتحكمون بها في مقابل أشياء مختلفة: يمكن أن تأخذ في العادة شكل مغازلة طويلة الأمد والزواج، كما يمكن أيضا أن تأخذ شكل هدايا في حال المواعدة، أو حتى المال كما هو الحال في الدعارة[282]. بعد سنوات السبعينيات (1970) ولاحقا في اقتصادي الاستهلاك، حدث تغييران جذريان. أولا، بفضل حبوب منع الحمل، فإن ولوج المرأة إلى الجنسانية بات غير مقيد عمليا، إذ صار لا يتطلب تكاليف باهظة من الرجال، سواء كانت زواجا أو مغازلة أو حتى مواعدة[283]؛ ثانيا، أسفرت جنسنة

2006, p. 41-58 ; Axel Honneth, «Organized Self Realization : Some Paradoxes of Individualization », *European Journal of Social Theory* 7, no 4, 2004, p. 463- 478 ; Axel Honneth, « Work and Recognition : A Redefinition », *The Philosophy of Recognition : Historical and Contemporary Perspectives*, 2010, 223-239.

(282) Roy F. Baumeister et Kathleen D. Vohs, « Sexual Economics : Sex as Female Resource for Social Exchange in Heterosexual Interactions », *Personality and Social Psychology Review*, 8, no 4, 2004, 339-363 ; Paola Tabet, *La Grande Arnaque. Sexualité des femmes et échange économico-sexuel*, Paris, L'Harmattan, « Bibliothèque du féminisme », 2004 ; Paola Tabet, « Through the Looking-Glass : Sexual-Economic Exchange », *in* Françoise Omokaro et Fenneke Reysoo (dir.), *Chic, chèque, choc. Transactions autour des corps et stratégies amoureuses contemporaines*, Genève, Graduate Institute Publications, 2012, 39.

(283) Baumeister and Vohs, "Sexual Economics"; Denise Brennan, *What's Love Got to Do with It?:: Transnational Desires and Sex Tourism in the Dominican Republic*, Durham, NC, Duke University Press, 2004 ; Carol E. Kaufman and Stavros E. Stavrou, « "Bus Fare Please" : The Economics of Sex and Gifts Among Young People in Urban South Africa », *Culture,*

الجسد الأنثوي من قبل وسائل الإعلام وصناعة الأزياء قيمة اقتصادية مذهلة، استفاد منها الرجال بشكل رئيسي (ولكن ليس حصريا). كما كتبت كارول بيتمان: «أمسى جسد النساء موضوع تجارة ضخمة تقدر بعدة ملايين من الدولارات[284]. » (من الأرجح أن تقدر هذه التجارة في الواقع بمئات المليارات من الدولارات).

في حين كانت حركات التحرير الأولى تتصور الجنسانية الحرة باعتبارها بُعدا للذات غير تجاري وغير نقدي بالأساس، صارت الجنسانية مصدرا لفائض القيمة، سواء المدفوعة أو غير المدفوعة، لعدد كبير من الصناعات التي يتحكم فيها الرجال.

يرجع إضفاء القيمة الاقتصادي على جسد الأنثى إلى تحوله إلى وحدة بصرية ممكنة التبادل. عبر شبكة واسعة من الصناعات، ظهرت معايير جديدة للجاذبية [والجمال]. ابتداء من فواتح القرن العشرين، بدأت وسائل الإعلام والمجمع الصناعي للأزياء ومستحضرات التجميل في نشر صور لنساء حسناوات وعصريات على نطاق غير مسبوق[285]. كانت هذه الصور وراء معايير جديدة للجاذبية تجاوزت قواعد اللباس الطبقية وكان جاذبية عبر طبقية من خلال ما تسميه عالمة الاجتماع آشلي ميرز «المظهر»[286]، الذي يمزج بين أسلوب اللباس والجاذبية وهيئة الجسد. «المظهر» هو أصل قابل للتداول في اقتصاد الصور. وهكذا، أصبح الجسد الفردي سلعة يمكن تبادلها بشكل قانوني من خلال سيرورة استعراضية؛ لقد استحال صورة تحاكي وتعكس صور الأجساد العمومية.

Health & Sexuality 6, no 5, 2004, 377-391.

(284) انظر:

Mark Regnerus, *Cheap Sex : The Transformation of Men, Marriage, and Monogamy*, New York, Oxford University Press, 2017.

(285) Carole Pateman, « What's Wrong With Prostitution ? », *Women's Studies Quarterly*, vol. 27, no 1/2, Teaching About Violence Against Women, *spring-summer* 1999, 53.

(286) Kathy Peiss, *Hope in a Jar : The Making of America's Beauty Culture*, Philadelphie, University of Pennsylvania Press, 2011 ; Naomi Wolf.

يعد الإنتاج الذاتي والعرض الذاتي عمليتين تعكسان دائما الاهتمامات الاقتصادية والثقافية السائدة في العصر(287). وبذلك، فإن الجاذبية الجنسية هي، بالنسبة إلى الجسد، طريقة جديدة ليعرض نفسه من خلال رموز الوسائط المرئية وموضوعات الاستهلاك. الجسد المثير جنسيا يوجد بدوره في قلب «الولوع المعمم بالجنس والافتتان بكل ما هو جنسي بشكل صريح في الصحافة المكتوبة ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية(288)». وهذا ما أدركه جيدا أمبرواز، الرجل المذكور في الفصل السابق:

أمبرواز: أنا ورفاقي، نتصل ببعضنا كثيرا ونقول لبعضنا: «إنه جنون، هناك الكثير من الفتيات الجميلات في الشارع، المؤخرات المذهلة، نساء بأجساد ساحرة، مع فساتين ضيقة جدا، أو بناطيل الجينز، لهن نهود رائعة، كاعبة، وهن يعرفن كيف يبرزنها»، وكل هذا هو ما أسميه إحباط الشارع، أترون، لقد أصبح أمرا مألوفا، وتثوب إلى المنزل مساء فيساورك شعور بأن هذا غير ممكن، ومستحيل، كل هذه الإغراءات الجنسية ... كل هؤلاء النساء الرائعات. هذا مستحيل ببساطة.

خلال جولاته وصولاته، كان **متسكع** فالتر بنيامين شاهدا، من خلال فن معماري جديد، وواجهات متاجر جديدة، ولكن أيضا من خلال جنسنة الأشياء، على تحول الشارع إلى معرض مبهر:

وحدها الحشود تسمح للموضوع الجنسي أن ينعكس بالتزامن في مئات أشكال الإغراء المختلفة التي أنتجها الموضوع نفسه. وفوق ذلك، يمكن أن يصبح إمكان البيع نفسه مثيرا جنسيا؛ وتزداد هذه الجاذبية حيثما شدد عرض وفرة من النساء

(287) Ashley Mears, *Pricing Beauty : The Making of a Fashion Model*, Berkeley, University of California Press, 2011.

(288) Alison Hearn, « Structuring Feeling : Web 2.0, Online Ranking and Rating, and the Digital "Reputation" Economy », *Ephemera : Theory & Politics in Organisation*, 10, no 3-4, 2010, p. 421-438 ; voir aussi Warren Susman, *Culture as History : The Transformation of American Society in the 20th Century*, New York, Pantheon, 1984.

على طابعهن السلعي. بعرض فتيات يرتدين لباسا رسميا متطابق تماما في فترة لاحقة، أدخل عرض قاعة الموسيقى بشكل صريح اللباس الرخيص في الحياة الغريزية لسكان المدن الكبرى[289].

كما يلاحظ بنيامين هنا بصورة قاطعة، فإن الموضوع الجنسي يتردد من في نسخ متعددة منه في ثقافة استهلاك تضفي على الدعاية وبيع البضائع طابعا آيروسيا. أمبرواز، **المتسكع** المعاصر، هو متفرج جنسي يستهلك أجساد النساء كعرض سلعي للجنسانية وموضوعات الاستهلاك[290]. ينظر هذا المتفرج إلى الجسم كسطح مرئي تترقرق فيه علامات الجنسانية ويختبر مجال الاستهلاك كتدفق مستمر ومحدد النطاق للرغبة الجنسية، المنظمة في الفضاءات الحضرية العامة[291].

تعتبر «الإثارة الجنسية» من مفاعيل الأيديولوجيات الجديدة، التي ترى إلى الجنسانية كسلعة والذات كصورة. إن الإثارة الجنسية تلجأ إلى موضوعات الاستهلاك لتكشف، وتعرض، وتسلط الضوء على الجسد الجنسي. إنها تعين الجسد العاري (المرغوب فيه)، وتتولى الملابس مسؤولة الإشارة إلى هذا الجسد العاري والإلماع إليه. أن تكون المرأة مثيرة جنسيا يعني أن ترتدي أنواعا معينة من الملابس (بنطلونات الجينز، على سبيل المثال) بطريقة معينة (تتناسب والجسد جيدا، مثلا). تتميز الإثارة الجنسية بأنها أكثر ديمقراطية من الجمال حيث يمكن لعدد غفير من الناس ادعاءها لأنفسهم، الأشخاص الوسيمين مثل الأقل وسامة، والمحظوظين جسديا كما الأقل حظا؛ لأنها نتيجة جمال مصطنع وليس فطريا، إنها تجعل الاستهلاك سمة مستمرة ودائمة في تجربة الفرد. بالنظر إلى أن الجاذبية الجنسية تنشأ بطريقة أدائية من خلال موضوعات وممارسات الاستهلاك، فإنها

---

(289) Feona Atwood, « Sexed Up : Theorizing the Sexualization of Culture », *Sexualities* 9, no 1, février 2006, 77-94.

(290) Walter Benjamin, *The Arcades Project*, ed. Rolf Tiedemann, *Trans. Howard Eiland and Kevin McLaughlin,(New York: Belknap Press, 2002),* 1999.

(291) Colin Campbell, *The Romantic Ethic and the Spirit of Modern Consumerism*, New York, Blackwell, 1987 ; Eva Illouz, « Emotions, Imagination and Consumption : A New Research Agenda », *Journal of Consumer Culture* 9, no 3, 2009, 377-413.

تصير، لذات السبب، أداء اقتصاديا: من خلال الرياضة، والموضة، ومستحضرات التجميل والمنتجات الطبية والصيدلانية، تحول الجسد إلى سطح استهلاك بصري، وإلى موضوع محدد بقدرته على إثارة الرغبة الجنسية. في حين أن مفهوم الهيكسيس (*hexis*)، مثلما أعاد تعريفه بيير بورديو[292]، يشير إلى أن الانتماء إلى طبقة اجتماعية يعبر عن نفسه في الجسد وعبر الجسد، فإن المجمع الصناعي المرئي (الذي تشكل عبر اتحاد صناعات التجميل والأزياء والرياضة والإعلام) يخلق نماذج للجذب والإثارة الجنسية لا تميز بين الطبقات، وتساهم في نشره فئات اجتماعية جديدة ترتبط بهذه الصناعات. يعمل مصممو الأزياء بمختلف مشاربهم، والمصممون، وعارضو الأزياء، والممثلون، والمصورون، ومحررو المجلات النسائية، وخبراء التجميل، ومصففو الشعر، والمخرجون، وغيرهم كثير - على الترويج للمظهر المرئي كسلعة قابلة للتبادل والمقايضة.

تلتقط النظرة الجنسية الأشياء والأشخاص دفعة واحدة، وتخلق وشيجة متصلة بين الاثنين من خلال المقولة الثقافية للجسد المثير والجذاب، الذي يعرض بالتبادل الجنسانية والاستهلاك على النظر. وهذا ما يوضحه يوري الإسرائيلي البالغ من العمر ثمانا وعشرين سنة في حديثه عن نوع المرأة التي يراها جذابة:

يوري: لا أحب كثيرا أسلوب «الأنثى»؛ أظافر مطلية بالصباغة، كعوب عالية، مكياج، ملابس معتنى بها بأناقة، لا أجد هذا جذابا. تبدو في عيني مثل صورة. أحب النساء اللواتي يبدين غير متكلفات، اللائي يرتدين بناطيل الجينز، على سبيل المثال. بنطلونات الجينز الضيقة والقمصان الضيقة. والأحذية الطويلة. أجد هؤلاء مثيرات للغاية.

وجدير بالإشارة أن المقولة الجنسية التي تجذب (أو لا تجذب) هذا الرجل تتوافق مع مجموعة تتكون من الأشياء والصور الاستهلاكية (أو تأتي منها). ثمة هنا خلط بين النوع الجنسي ونوع المستهلك (أنواع «الأنثى» هي أنواع المستهلك؛

---

(292) Rosalind Gill, *Gender and the Media* (Cambridge: Polity Press, 2007).

ويمكن ذكر مثال آخر، في ثقافة المثليين جنسيا، «ثقافة الجلد» («leather culture»)، التي تعني في آن كلا من النوع الجنسي ونوع المستهلك). وبناء عليه، فإن ما تم وسمه بالأنوثة أو الذكورة يتوافق مع أسلوب الاستهلاك، الذي يخضع لمنطق بصري للتعرف من جانب المستهلك. كما قال غي ديبور، فإن مجتمع الفرجة والاستعراض ليس مجرد مجموعة من الصور، بل هو بالأحرى علاقة اجتماعية بوساطة الصور[293]. هذا ينطبق بشكل خاص على العلاقة الجنسية التي هي، في الواقع، تحقيق لرابطة اجتماعية عن طريق صور للذات التي تعين هي نفسها موضوعات الاستهلاك وتتحقق من خلالها. تندُرج الهوية الجنسية في صميم عملية إضفاء الجمالية على التجربة اليومية من طريق موضوعات الاستهلاك[294]، فيغدو الجسد سلعة بصرية وإستيطيقية[295]. وعلى حد قول نيكولاس ميرزوف، فإن الذات البصرية هي في آن فاعل النظر، والشخص الذي ينظر، وموضوع نظرة الآخرين. الفاعل الجنسي والبصري هو خبير في قدرته البارعة على نسج العلاقات مع الآخرين بوصفهم أسطح بصرية (في لمح البصر يقوم بتقييم النحافة، وحجم النهود، وتوتر العضلات)، مع الوعي التام بأنه هو الآخر موضوع تقييم الآخرين

---

(293) Pierre Bourdieu, *Language and Symbolic Power* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991).

(294) Guy Debord, *Society of the Spectacle* (1967; Berlin: Bread and Circuses Publishing, 2012).

(295) على سبيل المثال:"فهويات الكوير وتمظهرها أصبحت نفسها ممكنة من خلال إعادة بنائها باعتبارها هوية مؤسلبة، ومصنوعة ومطواعة في ثقافة الاستهلاك. فالتجاوب بين أسلوب حياة الكوير وأسلوب اقتصاد السوق الرأسمالي هو من القوة إلى درجة أن نظرية الكوير نفسها يجب أن تفهم كطريقة للمشاركة في تجميل الحياة اليومية على حد تعبير هينيسي"، انظر:

Lisa Adkins, « Sexuality and the Economy : Historicisation vs. Deconstruction », *Australian Feminist Studies* 17, n o 37, 2002, 33 ; voir aussi Beverley Skeggs, *Formations of Class and Gender : Becoming Respectable*, Londres, Sage Publications, 1997.

البصري[296]. فما أسماه هيغل الاعتراف[297]، السيرورة البينذاتية للقاء ذاتين والاعتراف المتبادل بينهما، قد تحولت هنا إلى مستوى بصري وجنسي؛ حيث إن الذات هي متفرج ومؤدٍ بالتزامن. يختلف هذا الوعي بنظرة الآخرين عن السيرورات الرمزية التقليدية للاعتراف: إنه يأتي من المركب الذي تصنعه وسائل الإعلام والسوق والتكنولوجيا؛ إنه يتركز على السطح الجسدي و«سخونته» (الإثارة الجنسية)؛ أخيرا، إن الأمر يتعلق بسيرورة يتحكم فيها بشكل أو بآخر الرجال، الذين يملكون السلطة الرمزية والاقتصادية لتحديد قيمة امرأة ودرجة جاذبيتها[298].

ينقل هذا الشعور جيدا من قبل مدونة نصبت نفسها بـ «الصبية الحلوة (sugar baby)» والتي، عندما تتحدث عن الرعاية التي تخص بها جسدها لجذب انتباه رجل ثري، فهي تتحدث بلا شك نيابة عن كثير من النساء:

هل يمكنني أن أكون سعيدة حقا برفقة رجل قد يكون في سن والدي؟ نعم بالطبع نعم! كما ترون، بما أني دائما ما أكون على أتم الاستعداد والتأنق في أي ظرف من الظروف، فأنا لا يفوتني شيء. أحب تنسيق ثيابي، والعناية بتشذيب وتجميل أظافري وقدمي، وخاصة التسوق. أحب فعل كل هذه الأشياء، سواء أتاح لي ذلك مقابلة رجال أثرياء أم لا (وإن كنت أفضل مقابلتهم). أحب أن أظهر في أبهى حلة لأنني أنشد الكمال في قرارة نفسي، الأمر هكذا، هذا كل شيء. إلى جانب ذلك، إذا كنت متزوجة من رجل ثري، فلن أتصرف بطريقة أخرى [...]. المرأة

---

(296) Feona Attwood, « "Tits and Ass and Porn and Fighting" Male Heterosexuality in Magazines for Men », *International Journal of Cultural Studies*, 8, no 1, 2005, 83-100 ; Samantha Holland et Feona Attwood, « Keeping Fit in Six Inch Heels : The Mainstreaming of Pole Dancing », *in* Feona Attwood, (dir.), *Mainstreaming Sex : The Sexualization of Western Culture*, Londres, IB Tauris, 2014.

(297) Nicholas Mirzoeff, *An Introduction to Visual Culture*, Londres, Psychology Press, 1999.

(298) انظر:

Robert R. Williams, *Hegel's Ethics of Recognition*, Berkeley, University of California Press, 1997.

التي ترونها تمشي في الشارع هي تحفة فنية. الكثير من العناية - تشذيب الأظافر وتجميلها، والعناية بالقدمين، وتصفيف الشعر، وإزالة الشعر ونتفه، وتبييض البشرة، و**التسوق** – كل هذا يدخل في هذا العمل الفني. يعكس الفن أسلوب حياتك ومكانتك. إذا كنت ترغبين في الحصول الجائزة الكبرى، فعليك أن تكوني مستعدة لدفع الثمن[299].

هنا يقوم كل من الجمال والجاذبية الجنسية على نظرة الرجل، ويحتاجان في المقابل إلى عناية فائقة وبناء للذات بناء يندرج في دائرة الاستهلاك؛ ثم ليعاد تدوير هذه الصورة الذاتية ونشرها، ولتستهلك بعدئذ من قبل الرجال الذين يستأثرون بالسلطة الاقتصادية. توحي كلمات هذه «الصبية الحلوة» بأنها في آن فاعلة جنسية واقتصادية، مستهلكة ومنتجة قيمتها الخاصة.

إنتاج القيمة الرمزية والاقتصادية

حولت ثقافة الاستهلاك أنطولوجيا الجنسانية إلى مسرح للذات[300]، إلى أداء عمومي ومرئي تتوسطه موضوعات استهلاكية. ففيما كانت الجنسانية البرجوازية محصورة في حميمية غرف النوم، باتت الجنسانية اليوم سمة مرئية للذات، ينظمها نظام بصري للاستهلاك. كما كتب دانيال مينديلسون: «أنا وأصدقائي المثليين من سكان ثقافة يكون فيها الليبيدو [...] منتجا استهلاكيا[301]». وبالمثل، فإن الأنوثة بدورها أداء مرئي في سوق يتحكم فيه الرجال، ومخصصة لنظرة الذكور وموجهة

(299) انظر بهذا الصدد:
Holland and Attwood, *Keeping Fit in Six Inch Heels*; Annabelle Mooney, « Boys Will Be Boys : Men's Magazines and the Normalisation of Pornography », *Feminist Media Studies* 8, no 3, 2008, 247-265 ; Laramie D. Taylor, « All for Him : Articles About Sex in American Lad Magazines », *Sex Roles* 52, no 3, 2005, 153-163.

(300) « Wannabe Sugarbaby », http://spoilmedaddy.blogspot.co.il/search?updated-min=2004-01-01T00:00:00-05:00&updated-max=2005-01-01T00:00:00-05:00&max-results=17, accessed December 12, 2017.

(301) Lisa Adkins, « Sexuality and the Economy : Historicisation vs. Deconstruction », *Australian Feminist Studies*, vol. 17, no 37, 2002.

لاستهلاك الرجال. إذا تمت مقايضة الجنسانية التقليدية للمرأة بالمال والسلطة اللذين يستولي عليهما الرجال[302]، فهي تتموقع الآن في سوق يلاءم فيه جسد المرأة المجنسن دائما وباستمرار وفق نظرة الرجل. لكن فمن خلال ممارسة حريتهن، تجد النساء أنفسهن مجبرات على إظهار جنسانيتهن. إنهن يبدين سلطتهن وقوتهن من طريق تحويل القيمة الجنسية لأجسادهن إلى أداء استيطيقي ورمزي واقتصادي. وبالتبعية، إذا كان الجسد الأنثوي مجنسنا ومسلعنا (من السلعة) على نطاق كبير، فذلك لأن الجنسنة هي في آن قيمة اقتصادية ورمزية: إن الجسد الجذاب، حجر الزاوية في ثقافة الاستهلاك، يمكن إعادة إقحامه في مجال الإنتاج وبالتالي تخليق رأس المال.

يوجد رأس المال هذا، على سبيل المثال، في وفرة الخدمات التي تقدمها صناعات تفرض على النساء أن يكن بهيئة جسدية جذابة «تسر الناظرين»: يجب أن تكون مضيفة الاستقبال في مطعم، ومضيفات الطيران، والمكلفات بالعلاقات العامة، وما شابههن - جميعهن جذابات أو يتمتعن بها وصفته كاثرين حكيم بشكل أثار جدلا «الرأسمال الآيروسي»[303]. بهذا المعنى، تنتمي الجنسانية إلى مجال العمل غير المادي[304]؛ إنها مجموعة من المهارات والكفاءات التي يستنفرها الفاعلون الاجتماعيون في بيئة مهنية معينة والتي تحدد، في بعض الحالات، طبيعة الوظيفة. كما لاحظت آشلي ميرز: «أخذت الشركات تبحث بشكل متزايد عن موظفين وموظفات يجسدون المظهر الحسن.[305]» فأهمية الجاذبية والجمال في

(302) Daniel Mendelsohn, *The Elusive Embrace: Desire and the Riddle of Identity* (1999: New York: Vintage).

(303) Roy F. Baumeister and Kathleen D. Vohs, "Sexual Economics."

(304) Catherine Hakim, "Erotic Capital," *European Sociological Review* 26, no. 5 (2010): 499–518.

(305) Michael Hardt and Antonio Negri, *Multitude: War and Democracy in the Age of Empire* (London: 2004) ; Rosalind Gill and Andy Pratt, « In the Social Factory ? Immaterial Labour, Precariousness and Cultural Work », *Theory, Culture & Society* 25, no 7-8, 2008, 1-30.

مكان العمل تؤدي إلى طريقة جديدة في تدبير الصورة، والتي هي أقرب إلى شكل من أشكال العلامات التجارية الشخصية (أي أن المرء يقدم نفسه على أنه يتمتع بمجموعة من الكفاءات الفريدة والجذابة). في الواقع، «يمكن اعتبار تحسين الصورة الشخصية (التجارية) (self-branding) شكلا من أشكال العمل العاطفي وغير المادي الذي يقوم به الفرد قصدا ليسترعي الانتباه، ويكتسب الشهرة، ويجني فائدة محتملة من وراء ذلك[306]».

الطريقة الثانية لإنتاج القيمة هي استخدام صناعات الصورة (وسائل الإعلام)؛ حيث يستهلك كل من الجنس والجنسانية بوصفهما صورا، أي في الإعلان والسينما والتلفزيون، وكذلك صناعة البورنوغرافيا (المواد الإباحية). بينما كانت السينما، حتى الخمسينيات من القرن الماضي، تعرض جسد الأنثى علانية من خلال عرض نوع من الملابس التي تكشف وتخفي أعضاء جنسية معينة، أصبح العري والجنسانية بعد الستينيات من القرن ذاته عملة رائجة في شاشات السينما، وبعد ذلك في التلفزيون. أكثر بما لا يقارن بالرجال، ظهرت النساء باستمرار وهن يكشفن عن زينتهن. «في عام 1999، كان أكثر من ثلثي البرامج التلفزيونية المسائية يضم محتوى جنسيا، أي بزيادة قدرها 12 ٪ قياسا إلى العام السابق. إذا كان للجنس من سمة محددة في سنوات التسعينات، فستكون حضوره الطاغي[307].»

في وسعنا، والحالة هذه، القول إن استهلاك صور الأجساد الجنسية والجذابة قد نما بشكل كبير على امتداد القرن العشرين، مما أدى إلى زيادة رقم معاملات الكثير من الصناعات المرئية التي تعرض النساء، والتي يستحوذ عليها ويديرها الرجال

---

(306) Mears, *Pricing Beauty*, 75.

(307) Laura Marsh, « Being Charlie », *The New York Review of Books*, http://www.nybooks.com/articles/2018/04/05/naughty-nineties-being-charlie/?utm_medium=email&utm_campaign=NYR%20Hamlet%20slavery%201990s&utm_conte t=NYR%20Hamlet%20slaver= Newsletter, 5 april 2018

في أغلبيتها[308]. كما كتبت مورين دود، كاتبة عمود في صحيفة **النيويورك تايمز**:

على الرغم من أن النساء يشكلن نصف شراء التذاكر، إلا أن 4 ٪ فقط من أفضل 100 فيلم في شباك التذاكر في العقد الماضي كانت من إخراج النساء. تمثل

---

(308) على هذه الحال كان الوضع في المجموعات الإعلامية (في نهاية سنة 2017): كل من المديرين التنفيذيين والرئيس التنفيذي ورئيس شركة الإعلام الأمريكية متعددة الجنسيات 21 Century Fox كانوا رجالا ؛ رئيس استوديو الأفلام، وشركة الإنتاج والتوزيع Columbia Pictures Industries، Inc. (المملوكة حاليا لشركة Sony Corporation) هو أيضا رجل؛ ومن الرجال أيضا رئيس ومدير شركة Metro-Goldwyn-Mayer Studios Inc. الأمريكية، واستوديو الأفلام الأمريكي Paramount Pictures Corporation، والتكتل الأمريكي متعدد الجنسيات للإعلام والترفيه Time Warner Inc. نائب الرئيس والمدير التنفيذي لمجموعة وسائل الإعلام الأمريكية NBCUniversal هم أيضا من الرجال. والوضع ذاته في صناعة الأزياء: الرئيس التنفيذي والمدير العام لمجموعة الملابس الفاخرة الأوروبية LVMH رجال؛ الرئيس التنفيذي لمجموعة الملابس الفاخرة الدولية Kering رجل هو الآخر؛ الرئيس التنفيذي لهولدينغ الملابس الفاخرة Compagnie Financière Richemont SA رجل؛ الرئيس التنفيذي للشركة التي تعمل في قطاعي الأزياء والعطور هو أيضا رجل؛ الرئيس والمدير التنفيذي للشركة الأم لماركات الأزياء العالمية OTB هما أيضا من الرجال. وإلى ذلك، أشارت جيسيكا عساف في عام 2015 إلى أن الرؤساء التنفيذيين لشركة لوريال L'Oréal وريفيلون Revlon وإيستيه لودر Estée Lauder وOPI Nail Polish وماك كوسميتيكس MAC Cosmetics هم جميعا من الرجال. نجد نفس التوجه في الإعلان والإشهار. تصف حنان علي في مقال لصحيفة الغارديان يتناول أبحاثها حول هذا الموضوع: "في عام 2008، كان 3.6 % فقط من مديري الابتكار من النساء. ومنذئذ، تضاعفت هذه النسبة ثلاث مرات لتصل إلى 11 %. في لندن، وفقًا لبحثي، تبلغ النسبة حوالي 14 % - وهي لا تزال نسبة ضئيلة بشكل صادم. كما قد نتوقع، تبين الدراسات أن نسبة 91 % من المستهلكات تعتقدن أن المعلنين لا يفهمون عقلية النساء. سبع من كل عشر نساء يذهبن إلى حد القول إنهن يشعرن "بالاغتراب" بسبب الإعلانات. يهيمن الرجال بأغلبية ساحقة على أقسام الابتكار والإنتاج ... أعرف ذلك عن كثب، حيث عملت كمبتكرة فنية في الصناعة لمدة ناهزت الخمسة عشر عاما. خلال هذه المدة، بالكاد تغير تمثل المرأة في أقسام الابتكار: معدودات على الأصابع مديرات الابتكار اللاتي أعرفهن. وبنبرة مماثلة، يقول آفي دان في مقال نشرته مجلة فوربس في العام 2016 أنه في شركات الإعلان في شارع ماديسون في نيويورك: «لا توجد حتى رئيسة تنفيذية واحدة في أي من الشركات الست للهولدينغ، تكتلات المعلنين هذه التي تتحكم في 75 % من نفقات الإعلانات. وتدير امرأة واحدة فقط، هي تمارا إنغرام من JWT، واحدة من خمس عشرة شبكة عالمية ... » انظر:

Jessica Assaf, « Why Do Men Run the Beauty Industry ? », Beauty Lies Truth, February 9, 2015, http://www.beautyliestruth.com/blog/2015/2/why-do-men-run-thebeauty-industry, Accessed December 12, 2017 ; Ali Hanan, « Five Facts that Show How the Advertising Industry Fails Women », The Guardian, February 3, 2016, https://www.theguardian.com/women-inleadership/2016/feb/03/how-advertising-industry-fails-women, accessed Decem,ber 12, 2017 ; Avi Dan, « Why Aren't Women Starting Their Own Ad Agencies ? », June 1, 2016 , https://www.forbes.com/sites/avidan/2016/06/01/why-arent-women-starting-their-own-adagencies/#17b684981b98, accessed December 12, 2017.

النساء 11 ٪ من كتاب السيناريو، و3 ٪ من مديري التصوير، و19 ٪ من المنتجين، و14 ٪ من فنيي التركيب أو المونتاج (editors)[309].

البورنوغرافيا هي الصناعة الأكثر صراحة ووضوحا في التعامل مع أجساد النساء كسلع، وهي صناعة ذكورية في المقام الأول، سواء من ناحية الإنتاج أو الاستهلاك[310]. كما عبر عن ذلك كل من هيذر راب وكيم والن: «المجلات ومقاطع الفيديو الإباحية الموجهة إلى الرجال تمثل صناعة تقدر بمليارات الدولارات، في حين من العسير العثور على منتجات مماثلة تستهدف النساء. تشير التقديرات إلى أنه من بين 40 مليون راشد الذين يزورون المواقع الإباحية كل عام، 72 ٪ من الذكور و28 ٪ فقط من الإناث[311].» لا تعمل صناعة المواد الإباحية سوى على تفاقم ما هو موجود بالفعل، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في ميادين أخرى حيث يعرض الجسد الجنسي الأنثوي كسلعة بصرية موجهة لتستهلكها النظرة الذكورية (ويتجلى ذلك سافرا في واقع أن عديدا من الممارسات الجنسية العنيفة ضد النساء ممارسات آيروسية).

بمجرد أن يتحول الجسد إلى وحدة بصرية جاهزة للاستهلاك الجنسي، يمكن تحويله أيضا إلى شكل ثالث من القيمة الاقتصادية تخلقها عملية إضفاء القيمة على الجسد الجنسي نظرا لأدائه وكفاءاته. هذه الكفاءات - «كيف تصل إلى النشوة الجنسية»؛ «كيفية العثور على المناطق المثيرة للشهوة الجنسية الخفية»؛ «كيفية أداء الجنس الفموي» - يتم الترويج لها وبيعها على نطاق واسع من قبل قطاعات

(309) Maureen Dowd, « Bringing Down Our Monsters », New York Times, December 16, 2017, https://www.nytimes.com/2017/12/16/opinion/sunday/sexual-harassment-salma-hayek.html.

(310) بخصوص الإنتاج، المدير التنفيذي والرئيس التنفيذي لميندجيك Mindgeek، الذي يملك ويستثمر في العديد من المواقع الإباحية المشهورة، هما من جنس الرجال. في أكبر موقع إنترنت للبورنوغرافيا، بورن هاب (في ملكية ميندجيك)، نائب الرئيس التنفيذي، ونائب رئيس الإنتاج، والمطور الرئيس ومنسق المجموعة من الرجال أيضا.

(311) Heather A. Rupp et Kim Wallen, « Sex Differences in Response to Visual Sexual Stimuli : A Review », *Archives of Sexual Behavior* 37, no 2, 2008, 206-218.

اقتصادية متعددة: أدبيات التنمية الذاتية، وخدمات الاستشارة والعلاج، وصناعة الأدوية[312]، وصناعة الألعاب الجنسية، والدعارة، وخدمات المرافقة (التي تشارك فيها النساء من مختلف الطبقات الاجتماعية بشكل متزايد). كل هذه العناصر مجتمعة تمثل سوقا تنتج وتتداول فيه مئات من مليارات الدولارات[313].

يأتي الشكل الرابع لخلع القيمة على الجسد من طريق جنسنته في اقتصاد السمعة الذي أنشأته منصات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، التي تبثها تكنولوجيا الهاتف المحمول، والتي تنشر على نطاق واسع صور أجساد جذابة، عارية وترتدي ملابس. إن نشر هذه الصور هو جزء من اقتصاد رمزي للسمعة[314] الذي يمكن، على الإنترنت، تمويله من قبل الشركات الراعية أو عن

---

(312) حسب بوابة الإحصائيات ستاتيستا (Statista)، ارتفعت عائدات الفياغرا التي تبيعها شركة الأدوية الأمريكية فايزر Pfizer إلى أكثر من 1,5 مليار دولار كل سنة في العقد الأخير، إلى أن بلغت سنة 2012 أكثر من ملياري دولار. يعلن مكتب الخبرة والاستشارة .Grand View Research Inc، بناء على تقرير أنجزه، أن السوق العالمي لأدوية الضعف الجنسي عند الرجال قد تصل إلى 3,2 مليار دولار سنة 2022؛ انظر:

Grand View Research, « Erectile Dysfunction Drugs Market Worth $3.2 Billion by 2022 », juillet 2016, https://www.grandviewresearch.com/press-release/global-erectile dysfunction-drugs-market, accessed December 12, 2017 ; Statista. « Worldwide Revenue of Pfizer's Viagra from 2003 to 2017 (in million U.S. dollars) », https://www.statista.com/statistics/264827/pfizers-worldwide-viagra-revenue-since-2003/, accessed may 23, 2018.

(313) تكتب إيميلي بادغر (Emily Badger) في مقال على الواشنطن بوست موضوعه الحجم الاقتصادي لهذه الأنشطة. تقول بادغر إن "الباحثين في أوربان يقدرون أنه في سنة 2007، سيمثل الاقتصادي غير القانوني للجنس في أطلنطا – الماخورات وخدمات الدعارة وصالونات التدليك المشبوهة – 290 مليون دولار. وفي ميامي، ستصل إلى 205 ملايين من الدولار (أكثر من ضعف سوق المخدرات غير القانونية). وفي واشنطن، سيبلغ 103 ملايين دولار..."،

Emily Badger, « We Now Know More About the Economics of Prostitution Than Ever », *Washington Post*, 12 mars 2014, https://www.washingtonpost.com/news/wonk/wp/2014/03/12/we-now-know-moreabout the-economics-of-prostitution-than-ever/?utm_term=.22c20bb8e508, accessed December 12, 2017.

(314) Ori Schwarz, « On Friendship, Boobs and the Logic of the Catalogue : Online Self-Portraits as a Means for the Exchange of Capital », *Convergence* 16, no 2, 2010, 163-183.

طريق الإشهار والإعلان[315]. على سبيل المثال، يمكن استخدام مدونات الفيديو الخاصة بالجمال التي أنشأتها نساء لا يعملن في صناعة الجمال كمنصات من قبل شركات كبيرة مثل لوريال، والتي تصل من ثم إلى النساء من خلال فاعلين عاديين لا يبدو أنهم جزء من هذه الصناعة[316]. يمكن دفع عشرات الآلاف من الدولارات للمنشور الواحد لعارضة أزياء تظهر على إنستغرام أو على منصات أخرى[317].

أخيرا، يمكن تحويل صورة الهوية الجنسية إلى رأسمال في سوق سريع التوسع تعقد فيه صفقات جنسية قصيرة أو طويلة الأمد، وهو سوق عززته وزادته تكنولوجيا الإنترنت كثافة وغدا رسميا بفضلها (انظر، على سبيل المثال، مواقع «sugar-daddies»[318] التي تشجع على نموذج بغاء الطبقة الوسطى تحت غطاء «الهدايا» و«الترفيه المشترك»). إن السوق الجنسي والرومانسي والزوجي

(315) Jessica Ringrose, Laura Harvey, Rosalind Gill et Sonia Livingstone, « Teen Girls, Sexual Double Standards and Sexting », *Feminist Theory* 14, no 3, 2013, 305-323.

(316) انظر:

Kelly Bryant, « YouTube and L'Oréal Paris Are Launching a Beauty Vlogger School », *Instyle*, 21 avril 2016, http://www.instyle.com/beauty/youtube-and-loreal-paris are-launching-beauty-vlogger-school, accessed February 1, 2018 ; Eva Wiseman, « Lights, Camera, Lipstick : Beauty Vloggers are Changing the Face of the Makeup Industry », *The Guardian*, 20 juillet 2014, https://www.theguardian.com/fashion/2014/jul/20/beauty bloggerschanging-makeup-industry, accessed February 1, 2018 ; « L'Oreal Finds a New Way of Working with Top Beauty Vloggers, *thinkwithgoogle*, février 2015, https://www.thinkwithgoogle.com/intl/en-gb/advertisingchannels/video/loreal-finds-a-new way-of-working-with-top-beauty-vloggers/, accesssed February 1, 2018.

(317) أصبحت الشركات والمقاولات مستعدة لأن تشتري مئات الدولارات من أجل صورة واحدة تسلط الضوء على منتجها، وآلاف الدولات من أجل حملة تشهر العلامة التجارية في منشورات متعددة وتمتد عَلى مرحلة معينة. انظر مثلا:

Ross Logan, « Instagram Model : I Make More Money from Posting a Single Selfie than Doing Four Days' Work », *Mirror*, October 4, 2015, https://www.mirror.co.uk/news/worldnews/instagram-model-make-more-money-6569672, accessed February 26, 2018.

(318) معناها الحرفي: بابا الحلو، وتشير في الواقع إلى شخص كَبير السِّنّ وثريّ، في أغلب الظن، يُنْفِق بسخاء على فَتاة ويَسْتَغِلُّها جِنْسيًّا. إن هذا النوع من المواعدة أشبه بالدعارة المقنعة. (المترجم).

يطمس التمييز القائم بين النقدي وغير النقدي، ويتخذ أشكالا شتى: الجنس العرضي، مضاجعة ليلة واحدة، المواعدات قصيرة أو طويلة الأجل، المساكنة، الزواج. ثقافة الجاذبية الجنسية هي شكل من صور العلامات (التجارية) الشخصية المتداولة في الأسواق الاقتصادية والجنسية. تمثل مواقع المواعدة عبر الإنترنت بين العشاق الأسخياء (sugar daddies) والصبيات الحلوات (sugar babies) تجسيدا مثاليا للكيفية التي بدأ بها هذا النوع من السوق في الترسخ في المواعدات الجنسية، مما يضع الرجال والنساء في موقف ينظم فيه العرض المباشر والتنافس من خلال آليات العرض والطلب. على نحو ما يمكننا أن نقرأ في أحد المواقع: «لقد أطلق موقع "Sugar Daddy For Me" في عام 2004. وهو يروج لكل ما يرغب فيه العشيق السخي: نساء شابات بارعات الجمال وطموحات يرغبن في الإمتاع؛ رجال أثرياء، حسنو العشرة وأسخياء، يرغبون في تدليع وتدليل شخص مميز[319].» تعرض النساء وجوههن وأجسادهن في سوق منظم في ملفات تعريف يراها الجميع، وبالتالي يحولن أجسادهن إلى صور تصبح بدورها سلع يمكن تبادلها، بل حتى بيعها لمن يدفع أكثر[320]. يلتقي منتجو القيمة (النساء) ومستهلكو القيمة (الرجال) في حيز اجتماعي يتخذ شكل سوق. توضح علاقة دونالد ترامب مع نجمة أفلام إباحية وزواجه من عارضة أزياء سابقة تماما الكيفية التي يمكن فيها لرأس المال الآيروسي أن يصبح سلعة قابلة للاستبدال في سوقين اجتماعيين متميزين، وفي سوقيين بصريين مختلفين (البورنوغرافيا وعرض الأزياء)، ولكن أيضا في السوق الجنسي والزوجي.

---

(319) ورد في: .http://www.sugardaddysite.org/, accessed December 12, 2017

(320) بالفعل، تبيع بعض المواقع خدمات الفتيات الحلوات للعرض الأكبر قيمة. هكذا يوصف موقع WhatsYour Price.com في موقع يقارن بين عدة مواقع للعشاق المسنين (sugar daddies): "على موقع WhatsYourPrice.com يدخل رجال أسخياء وأثرياء في مزادات ليظفروا بموعد مع نساء حسناوات... العملية سهلة. تعرض المرأة السعر الذي تقدر أنها تساويه ويبدأ المزاد على الموقع. يمكن للرجال الأسخياء أن يبدؤوا في المزايدة، ومن يدفع العرض الأكبر يظفر بالحق في مواعدة الفتاة. ويتوجب على العارض الأكبر في المزاد أن يدفع سعرها"،

http://www.sugardaddysite.org/whats-your-price.html, accessed February 26, 2018.

ومجمل القول: إن جاذبية النساء الجسدية وجنسانيتهن سلعتان يمكن استبدالهما. تستهلك أجساد النساء مجموعة واسعة من المنتجات التي تهدف إلى تحسين مظهرهن وتشكيله، التي «تستثمر» بدورها في أسواق متعددة لإنتاج رأس المال. إن تداول المال في هذه الأسواق يدعمه اقتصاد رمزي يجعل الجنسانية والجاذبية الجنسية صفة من صفات الأنوثة بما هي سلعة حقيقية منذورة لنظرة الرجال. إن مدونة خاصة بالجمال على موقع يوتيوب، أو فيلم إباحي، وظيفة ممثل خاص لشركة، زوج ثري، عاشق عجوز سخي يدفع كي يتسلى، صديق عرضي يدفع مصاريف رحلة – كل هذه أمثلة عن الكيفية التي تبدو فيها الجنسانية على صورة سلعة قابلة للتبادل. لذلك، يمكننا أن نفترض أن صورة الجسد الجنسي لا تنفصل عن ظهور ما أسميه بالرأسمالية المرئية، وهي الرأسمالية التي تخلق قيمة اقتصادية هائلة بفضل استعراضية الجسد والجنسانية، وتحويلهما إلى صور متداولة في أسواق مختلفة. يتحول الجسم المرئي إلى سلعة، ويشكل بواسطة أشياء استهلاكية؛ وهو بدوره يتحول إلى أصل (تجاري) في المجال الإنتاجي للعمل في شكل صورة موجهة إلى البيع عبر صناعات الصورة؛ بما هو كذلك، يعرض الجسم المرئي الجنسانية بوصفها شكلا من أشكال الكفاءة التي تقتضي اللجوء إلى استشارة الخبراء؛ تبث صورته في وسائل الإعلام من خلال اقتصاد السمعة؛ وأخيرا، يمكنها أن تمنح فاعليها مكانة عالية في المجال الجنسي. في الرأسمالية المرئية، يمثل «المظهر» شكلا من أشكال الاستثمار الذاتي الذي يتداول في شبكات المال والجنس. في هذه السلسلة التي تمزج بين الاستهلاك والجنسانية، يشكل البعدان الاقتصادي والجنسي بعضهما البعض بسلاسة، وتصير الجنسانية فضاء يَتداول فيه المال بشكل دائم. في وسعنا أن نتحدث حرفيا عن شبكة متداخلة من الأسواق على مفترق طرقها تعبر الأجساد والمبادلات الجنسية. ينتج عن ملتقى الطرق هذا **أسواق بصرية** تحدث فيها القيمة من خلال الرفع من قيمة صور الأجساد الجنسية الموجهة لأن تستهلك بواسطة النظرة في الأسواق الاقتصادية والجنسية. سلسلة دائبة من تحويل أيقونات الجمال المرئية وموضوعات الاستهلاك

إلى أجساد مثيرة جنسيا يتم تغذيتها وإعادة تغذيتها باستمرار في الاقتصاد من خلال تحويل الأجسام الجذابة إلى مصدر للقيمة. النظرة وسيلة أساسية لاستخلاص فائض القيمة الجنسية والاستيطيقية. لقد جرى تضخيم النظام المرئي وتكثيفه من خلال ظهور مواقع المواعدة عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي التي تضع الشخص في موضع يجبره على أن يقدم ذاته بطريقة مثالية وجذابة على منصات مرئية مختلفة. هذه المنصات ترعى مأسسة تسليع الأجساد والمواعدات الجنسية.

قدمت النظرية النسوية معلومات مضيئة حول دور عمل النساء غير المأجور في تكوين وتحصين الآلة الرأسمالية داخل الأسرة[321]. تسخر الرأسمالية الاستهلاكية النساء بطريقة مختلفة، بتشجيعهن على تشكيل أجساد جذابة. في المجتمع المدني للرأسمالية الصناعية، قبل الرجال أن تباع أجساد النساء وتشترى، ولكن «فقط» من خلال الزواج والدعارة[322]. لقد غيرت الرأسمالية الاستهلاكية هذا الأمر. لم تعد البنية الاجتماعية والاقتصادية التي تحكم الجنسانية هي بنية الجسد الأنثوي التي تنظمها الأسرة؛ لقد خضعت لسيرورة تسليع **معممة** انتشرت في الأسواق الاقتصادية والجنسية، من ناحية، والجنسية والزوجية من ناحية أخرى. يشكل هذا الاستيلاء على جسد الأنثى المجنسن مصادرة للقيمة بالمعنى الماركسي للكلمة: طبقة واحدة من الأفراد (الرجال) تستخلص القيمة من

(321) Ann Ferguson, Rosemary Hennessy et Mechthild Nagel, « Feminist Perspectives on Class and Work », *in* Edward N. Zalta (dir.), *The Stanford Encyclopedia of Philosophy,* 2004, 2018, https://plato.stanford.edu/archives/spr2018/entries/feminism-class/ ; Catherine Hoskyns et Shirin M. Rai, « Recasting the Global Political Economy : Counting Women's Unpaid Work », *New Political Economy* 12, no 3, 2007, p. 297-317 ; Ann Shola Orloff, « Gender and the Social Rights of Citizenship : The Comparative Analysis of Gender Relations and Welfare States », *American Sociological Review,* 1993, p. 303-328 ; Carole Pateman, *Le Contrat sexuel,* traduit de l'anglais par Charlotte Nordmann, Paris, La Découverte, 2010 ; Marilyn Waring et Gloria Steinem, *If Women Counted : A New Feminist Economics,* San Francisco, Harper & Row, 1988 ; Lise Vogel, *Marxism and the Oppression of Women : Toward a Unitary Theory,* Leiden, Brill, 2013.

(322) Pateman, *Sexual Contract,* 17.

جسد طبقة أخرى (النساء). وهذا يفسر سمة متناقضة لوضع النساء الاجتماعي اليوم: ففيها اكتسبت النسوية القوة والشرعية، ووجدت النساء أنفسهن مرة أخرى، من خلال الجسد الجنسي، متورطات في علاقات الهيمنة الاقتصادية.

التقييم

وفقا لأكسل هونيث، فإن الاعتراف له مظهران: أحدهما مرتبط بالإدراك (رؤية شخص ما؛ رصد حضور شخص ما) والآخر رمزي (القيام بما يلزم فعله للتعرف على المكانة والقيمة الاجتماعية لشخص آخر)(323). بالنسبة إلى هونيث، فإن المظهر الأول للاعتراف يسبق الثاني بل ويشكل شرطه القبلي. ومع ذلك، فإن التعرف الإدراكي ليس مجرد فعل إدراكي فحسب. فتبين وجود الآخرين يعتمد على جملة من الأدوات الأخلاقية والمعرفية المتغيرة تاريخيا. بالفعل، يقتضي إبداء الهوية الفردية والعلاقات الاجتماعية للعيان أنماطا جديدة من الاستيعاب والإدراك، والتي بدورها تؤثر جوهريا على الاعتراف. إن التقييم هو أحد أنماط الاستيعاب التي تؤثر على الفعل الإدراكي للاعتراف.

بات يُنظر إلى التقييم بشكل متزايد على أنه سمة معرفية واجتماعية جوهرية في التفاعلات الحديثة، لا سيما في المنظومة التعليمية والشركات والمقاولات من خلال اختبارات رسمية(324). إن التقييم عبارة عن ممارسة شائعة في التنظيمات

---

(323) انظر:

Axel Honneth, « Invisibility : On the Epistemology of "Recognition" », *Supplements of the Aristotelian Society* 75, no 1, 2001, p. 111-126 ; Axel Honneth, *Unsichtbarkeit. Stationen einer Theorie der Intersubjektivität*, Francfort, Suhrkamp, 2003 ; voir aussi James Jardine, « Stein and Honneth on Empathy and Emotional Recognition », *Human Studies*, 38, no 4, 2015, 567-589.

(324) Luc Boltanski et Laurent Thévenot, « Finding One's Way in Social Space : A Study Based on Games », *Social Science Information*, 22, no 4-5, 1983, p. 631-680 ; Luc Boltanski et Laurent Thévenot, « The Reality of Moral Expectations : A Sociology of Situated Judgement », *Philosophical Explorations*, 3, no 3, 2000, p. 208- 231 ; Annick Bourguignon et Ève Chiapello, « The Role of Criticism in the Dynamics of Performance Evaluation Systems », *Critical Perspectives on Accounting*, 16, no 6, 2005, p. 665-700 ; Peter Dahler-

البيروقراطية المهتمة بالتقديرات والأداءات والإنتاجية. لكنه أصبح نشاطا اجتماعيا معمما، وقد امتد حتى إلى وسائل الإعلام - على سبيل المثال في برامج تلفزيون الواقع - وشبكات التواصل الاجتماعي من خلال أزرار «أعجبني» و«أشارك». لا يمكننا حتى تخيل وسائل التواصل الاجتماعي دون اعتبار الدور الحاسم للتقييم كنشاط اجتماعي وتكنولوجي، مندمج في منصات الإنترنت ولكن الممارس أيضا في الشركات والمدارس. لقد أسمى التقييم سمة اعتيادية ومألوفة للتوجه المعرفي للفاعلين، حيث يوجه إلى تعيين القيمة، وحيث يكون الفاعلون مقيِّمين ومقيَّمين في وقت واحد، بنفس الطريقة التي يكونون بها في آن مستهلكين للصور وصورا في أعين الآخرين. إن جنسنة الهوية الفردية يحول المواعدات إلى أداءات تقييمية بصرية. وبالنظر إلى أن التقييم البصري ينطوي على عدد من الخصائص المعرفية الرئيسية، فإن له عواقب وتبعات على الكيفية التي تتشكل بها العلاقات وتتقوض.

يستدعي الجسد المرئي تقييما سريعا وفوريا؛ وعادة ما تدرك الأشياء وتقيم بصريا في غضون أجزاء من ألف الثانية[325]. وكما كشف علماء النفس المعرفي، فإن التقييم البصري هو نوع من التعرف «السريع والاقتصادي»، والذي يرتكز ويحتاج إلى الحد الأدنى من المعلومات ليبدي تفضيلا إلى شيء ما[326]. فنظرا إلى

Larsen, *The Evaluation Society*, Stanford, CA, Stanford University Press, 2011 ; Michèle Lamont, « Toward a Comparative Sociology of Valuation and Evaluation », *Annual Review of Sociology*, 38, 2012 ; Peter Wagner, « After Justification : Repertoires of Evaluation and the Sociology of Modernity », *European Journal of Social Theory*, 2, no 3, 1999, 341-357.

(325) انظر على سبيل المثال:

Simon Thorpe, Denis Fize et Catherine Marlot, « Speed of Processing in the Human Visual System », *Nature*, 381, no 6582, 1996, p. 520-522 ; Holle Kirchner et Simon J. Thorpe, « Ultra-Rapid Object Detection with Saccadic Eye Movements : Visual Processing Speed Revisited », *Vision Research*, 46, no 11, 2006, 1762-1776.

(326) Juliet A. Conlin, « Getting Around : Making Fast and Frugal Navigation Decisions », *Progress in Brain Research*, 174, 2009, p. 109-117 ; Pierre Jacob et Marc Jeannerod, *Ways of Seeing : The Scope and Limits of Visual Cognition*, Oxford, Oxford University Press, 2003

سرعة التقييم البصري، يجنح الفاعلون إلى البحث عن الخصائص المتعارف عليها للجاذبية وتفضيلها، والتي يتم ترميزها بواسطة صور وسائل الإعلام وصناعات الأزياء (الثوب المقور، القوام النحيف، الأرجل الطويلة، الشعر الأشقر، البشرة الفاتحة والناعمة، التخسيس أو التنحيف، إلخ.). وبذلك، فإن التقييم البصري يميل إلى تفضيل أولئك الذين يقتربون أكثر من نماذج وقوانين الجاذبية المعيارية وينبذ الذين يبتعدون عنها، مما يخلف حشدا كبيرا من الأشخاص الذين يفتقدون إلى الجاذبية.

تجعل سرعة التقييم البصري أيضا من التقييم الجنسي مكونا غير تفاعلي نسبيا وأحادي الجانب للتفاعلات الاجتماعية. على عكس الاعتراف الذي يتطلب تبادلا رمزيا واجتماعيا، يمكن أن يحدث التقييم البصري من حيث المبدأ دون تفاعل ذي بال ويكون من جانب واحد. تحكمه نظرة المقيم الذي يقرر بنفسه ما إذا كان الشخص جذابا وآسرا أم لا.

ثمة سمة ثالثة تميز التقييم البصري، وثيقة الصلة هي الأخرى بسرعته، وهي أنه يحول إسناد القيمة إلى سيرورة ثنائية: إما أن يكون الشخص مثيرا جنسيا أم غير مثير، جذابا أم دميا. وكما يقول دان، وهو صحفي إسرائيلي يبلغ من العمر واحدا وأربعين عاما: «عندما أواعد امرأة، أعرف على الفور ما إذا كانت شخصا أرغب في تقبيله أم لا.» يقوم هذا التصنيف الثنائي مرة أخرى على شكل من أشكال التقييم ناجم عن صور الوسائط المعتادة التي صنفت الأنوثة، وبشكل هامشي أكثر، الذكورة، كشكل من أشكال الجاذبية والإثارة الجنسية.

وقد أضفي الطابع الرسمي والمؤسسي على هذه السمات الثلاث للتقييم البصري - السرعة، والأحادية والثنائية - من خلال تطبيقات مثل تيندر، والتي تحول الأشخاص إلى صور وبروفيلات للاستهلاك. في الواقع، يتمثل الابتكار التكنولوجي الرئيسي في تيندر على وجه التحديد في توفير السرعة والثنائية (الأمر

; Daniel Kahneman, *Thinking, Fast and Slow*, New York, Farrar, Straus and Giroux, 2011.

الشهير: «اسحب إلى اليمين أو اليسار»). وبناء على هذا تشكلت سمة رابعة للتقييم البصري، باتت رسمية من خلال تكنولوجيا الإنترنت، وهي أن سرعتها زادت من حجم التفاعلات بشكل هائل. يفترض السحب إلى اليمين أو اليسار شكلا من أشكال التقييم السريع مبني بصورة خالصة على الإظهار المرئي، مما يسمح بالاختيار الفوري والتفاعل السريع، الذي يتوجه بشكل أكثر فاعلية نحو شركاء مرغوب فيهم جنسيا. يزيد تيندر من الطابع الفوري للتقييم البصري، والذي يتحقق من خلال التعرف على السمات المرمزة جيدا والنتيجة الحاسمة (سواء كان (ت) «مثير (ة)» أم لا). يصبح الأشخاص أجسادا؛ تمسي الأجساد المتحركة والناطقة صورا ثابتة أو فورية؛ ويصبح التقييم نفسه فعلا شبه آني تقريبا لتقييم صورة ثابتة تحول انجذابا إلى «نعم» أو «لا» عاجلة وسريعة وواضحة، ما يؤدي من ثم إلى خلق انسجام تام بين إظهار (أو مرئية) الشخصية الجنسية والتكنولوجيا.

فانيسا مؤلفة إعلانات ولدت بأستراليا تعمل في شركات تسويق. تقطن في لندن وتبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاما. تعرض هنا مثالا نموذجيا يوضح كيف أن إظهار الشخصية الجنسية يتناسب بشكل خاص مع تكنولوجيا الإنترنت:

- **فانيسا:** في برلين، كان أصدقائي لا يستخدمون تيندر على الإطلاق، لكن الآن باتوا يستخدمونه جميعا.

- **المستجوبة:** وأنت، هل تستخدمين تيندر؟

- **فانيسا:** نعم بالطبع.

- **المستجوبة:** هل يمكن أن تخبريني كيف يمر تفاعل نموذجي على تيندر؟

- **فانيسا:** عليك أولا بتفحص الملفات الشخصية. في معظم الأحيان، لا أبدي إعجابا بوجوههم. في الحقيقة، من المسلي سحب الملف الشخصي إلى اليسار. من المتعة بمكان أن تفعلي ذلك لوجوه الرجال الذين يبدون إما متعصبين للذكور أو متعجرفين أو أغبياء.

- **المستجوبة:** لكن البعض منهم ينال إعجابك؟

- **فانيسا:** هذا أكيد.

- **المستجوبة:** ماذا الذي يحدث إذن؟

- **فانيسا:** نقوم بسحب الملف الشخصي إلى اليمين، وإذا قاموا بسحبك إلى اليمين أيضا، نبدأ في الدردشة، وتبادل الرسائل النصية القصيرة. عموما، سرعان ما تأخذ المحادثة منحى جنسيا.

- **المستجوبة:** كيف مثلا؟ ألا يضايقك أن تخبريني؟

- **فانيسا:** لا، بالطبع! يحدث ذلك على النحو التالي: «مرحبا. هل ترغبين في أن نتقابل؟»، «نعم، يسعدني ذلك.» أخبريني فيم تفكرين؟وها هنا، بصفة عامة، ترد بجواب يلمح إلى شيء جنسي. «بدأت أتهيج. يمكنني أن ألاقيك بعد عشر دقائق في [اسم حانة]. أنا متهيجة حقا، هنا.» يمكنك أن تضيفي إلى ذلك أيضا، إذا كنت تريدين حقا تهييجهم: «سوف ترى كيف سأمتص أيرك.»

- **المستجوبة:** قلت إن هذه طريقة طبيعية وعادية للتفاعل قبل اللقاء؟

- **فانيسا:** نعم. طبيعية تماما. لا أحد يرى فيها أي شيء غير عادي. أعني القول إنك لهذا السبب، قبل أي شيء، دخلت في اتصالك بذلك الشخص.

ينطلق تيندر من مسلمة أن الذات الجنسية صورة ويؤسس التفاعل على تقييم بصري ثنائي - الاختيار أو عدم الاختيار، السحب يمينا أو يسارا. تتداول الصورة الجنسية على منصات تكنولوجية ووسائل تواصل اجتماعي متعددة حتى يتم تقييمها[327]. على سبيل المثال، أصبحت ممارسة «إرسال المحتوى الجنسي» - إرسال صورة جنسية للذات مشفوعة برسالة نصية (إظهار النهدين أثناء مناقشة أو إرسال صورة للأعضاء التناسلية) - وسيلة تواصل واسعة الانتشار للغاية، مما يشي بوجود تفاعل بين الجنسانية، الرؤية والإظهار، التكنولوجيا والتقييم (انظر أدناه).

يؤسس تعميم التقييم البصري سيرورة مقارنة مرجعية تذكرنا بطريقة شائعة

---

(327) Jessica Ringrose, Laura Harvey, Rosalind Gill, Sonia Livingstone, « Teen Girls, Sexual Double Standards and Sexting », *Feminist Theory*, 14, no 3, 2013, 305-323.

في الشركات والمقاولات.

المقارنة المرجعية هي تقنية يستخدمها المديرون لتحسين أداء مصالحهم أو تنظيماتهم [...]. تتألف هذه التقنية من عنصرين: قياس أداء وفعالية العمليات الرئيسية التي تتم في الشركة، ثم المقارنة مع أفضل الأداءات في شركات أخرى من أجل استهداف أمثل لجوانب التطوير(328).

تفترض المقارنة المرجعية إحالة واعية أو غير واعية إلى معايير (الأداء أو الجمال، إلخ.) وتتطلب روح المقارنة (مقارنة موضوع التقييم بموضوعات أخرى، بغاية السعي إلى التجويد والتطوير). لقد ضخمت المقارنة المرجعية الجنسية ومأسستها أيضا من خلال ثقافة الإنترنت، كما تشهد على ذلك الجهود المبذولة من قبل المستخدمين في ملفهم الشخصي (المهني أو الشخصي) وطريقتهم في تقديم أنفسهم من أجل زيادة جاذبيتهم. قام تيندر بمأسسة هذه الممارسة باستخدام خوارزميات ليربط بين المستخدمين من خلال مقاييس الجاذبية، وبالتالي إخضاع السوق البصري للأجساد الجذابة لشكل من المقارنة المرجعية المدققة بواسطة الحساب الخوارزمي(329). كطريقة أساسية لعرض الذات، أصبحت الذات المرئية المتداولة على وسائل التواصل الاجتماعي، على حد تعبير أحد كتاب عمود في **النيويوركر**، «شكلا مفروضا من أشكال المثلنة(330)». يبدو لي أن هذا هو أحد

(328) Matt Hill, Mann Leon et J. Wearing Alexander, « The Effects of Attitude, Subjective Norm and Self-Efficacy on Intention to Benchmark : A Comparison between Managers with Experience and No Experience in Benchmarking », *Journal of Organizational Behavior*, 17, no 4, 1996, 314. Les auteurs font référence à Carol Jean McNair et Kathleen H. J. Leibfried in *Benchmarking : A Tool for Continuous Improvement*, New York, John Wiley & Sons, 1992.

(329) Rhiannon Williams, « How Tinder Ranks Its Users With a Secret "Desirability Score" », *Telegraph* http://www.telegraph.co.uk/technology/news/12094539/How-Tinder-ranks-its-users-with-a-secret-desirabilityscore.html, 12 janvier 2016, accessed December 12, 2017.

(330) Alexandra Schwartz, « What Teen-Age Girls See When They Look in the Mirror », *The New Yorker* https://www.newyorker.com/culture/photo-booth/what-teen-age-girls-see-when-they-look-in-the-mirror, 7 mai 2017, accessed December 12, 2017.

أسباب انتشار الرسائل الجنسية، لأنه يمكن اعتبارها ممارسة تسمح بتقييم الجسد الجنسي وتقييمه وفقًا لذلك.

المواعدة بوصفها مقابلة تقييمية

بات التقييم البصري فارضا نفسه اليوم في المواعدات الغرامية، بل إنه شرط قبلي لها. ولكن، بما أن الأشخاص الذين يلتقون ببعضهم هم بالفعل ذوات موسومة بعلامة تجارية - يحاولون إظهار أنفسهم في أفضل حلة لهم - فإن التقييم غير البصري لسمات الشخصية يطغى أيضا على المواعدات، خاصة عندما يكون غرضهم إقامة توافق بين الأذواق وأنماط الحياة والطباع النفسية. فبسبب تأثير مواقع المواعدة عبر الإنترنت، يتخذ هذا النوع من التقييم شكل مقابلة بشكل متزايد. مثل نظيرتها المرئية، تميل «المقابلة» إلى أن تصبح شكلا من أشكال التقييم الثنائي.

كاتيا امرأة فرنسية تبلغ من العمر واحدا وستين عاما، مطلقة منذ تسع سنوات من تاريخ المقابلة. تتأمل هنا ضروب الضغوط التي يتعرض لها الأشخاص في الموعد الأول:

- **كاتيا**: عندما أواعد شخصا، أكون فعلا تحت الضغط، لأنك حين تلتقين به، فإنك تتساءلين باستمرار عما إذا كان هو الأنسب أم لا، ومن الجيد أن تخبري نفسك أنه ليس هو. إذ أن أدنى خطأ يستبعده.

- **المستجوبة**: أي نوع من الأخطاء؟

- **كاتيا**: ثمة الكثير من الأشياء. فمثلا، إذا تحدث عن نفسه طوال المساء ولم يَسألني كثيرا عن نفسي. أو إذا كان يتباهى بشيء: «كنت أول من يفعل كيت وكيت» أو «في هذا الأمر، لا يعلى علي». أجدهم سخيفين عندما يتفاخرون أو يتصنعون الفحولة. أو إذا كان يشرب الكثير من الكحول، أو يتذمر من الطعام، أو يعبر عن نفوره من الأشياء التي تهمني، مثل الأوبرا. في مثل هذه المواقف، تنظر إلى الأشخاص وتمنحهم تقييما جيدا أو ضعيفا. هذا يلقي على كاهلي كثيرا من

الضغط [...]. لم يكن الأمر يجري على هذا النحو من قبل. لنفترض جدلا أنك تعرفت على شخص ما في العمل أو من خلال الأصدقاء، فستتاح لك الكثير من الفرص لتريه مرة ثانية أو ثالثة. أتذكر حينما كنت في ريعان شبابي، قابلت رجالا في الأمكنة التي كنت أتردد عليها، أو في الجامعة أو في العمل. أتذكر رجلا، اسمه فيليب، لم أنتبه إلى وجوده في البداية. لقد كان منسحبا قليلا، ولم يكن وسيما كثيرا، ولم يكن ذلك النوع من الرجال الذي يثير انتباهك. ثم في أحد الأيام، عندما تعرفنا على بعضنا لبضعة أشهر، كنا نتناول العشاء مع الأصدقاء، وبدأ في إلقاء نكات مضحكة، وفجأة نظرت إلى هذا الرجل بشكل مختلف، وقلت في نفسي، حسنا، إن هذا الرجل يمكن أن يكون ممتعا، فأخذت أهتم لأمره. تواعدنا لمدة عامين. هل شاهدت **بريدجيت جونز**؟ هل شاهدت هذا الفيلم؟

- **المستجوبة**: نعم، لقد قرأت الكتاب أيضا.

- **كاتيا**: لم أقرأ الكتاب، لكن على الرغم من أنها ليست من الروائع الفنية، فقد أحببت تلك الأفلام، كان هناك ثلاثة أفلام في السلسلة. كانا في البداية لا يحبان بعضهما البعض، لكنهما يستمران في الالتقاء ببعضهما لمدة عشرين عاما، أو ربما عشر سنوات، ثم يبدآن في النظر إلى بعضهما البعض بشكل مختلف، والأمر الذي لم يسر كما ينبغي بينهما في المرة الأولى ينجح في المرة الثانية. إنهما يمنحان نفسيهما الكثير من الفرص الثانية. إنهما ينتميان إلى نفس الدوائر: يرتكبان أخطاء فادحة، ثم يصححان أخطاءهما، وهما يخطئان بشأن بعضهما، لكنهما بعد ذلك يدركان شيئا لم يرياه من قبل. شيئا فشيئا، أخذا في الإعجاب ببعضهما. ولكن ليس على طريقة «هيا! علينا أن نقرر على الفور».

تعبر كاتيا عن حق تماما عن تحول في أنماط التقييم التي تعمل بطريقة سلبية، أي بالإحالة إلى نموذج ضمني ومكتوب كسيناريو للشريك المثالي، والذي تكون نتيجته، كما هو الحال في المجال المهني، إحصائيا في كثير من الأحيان «لا» أكثر من «نعم». لقد تسلل شكل المقابلة، الشائع كثيرا في الشركات، إلى المواعدات الرومانسية: والغرض منها هو انتقاء وإقصاء المرشحين الذين لا يتناسبون مع

المأمول. ثمة مثال آخر هو رالف، وهو إداري يبلغ من العمر أربعة وأربعين عاما يعمل في شركة للاستثمار في لندن وزيورخ. حسب المناقشة التي أجريناها قبل المقابلة، فقد كان يبحث منذ عشر سنوات عن امرأة يعيش معها، ولكن دون جدوى. إليكم ما قال:

- **رالف**: لقد كنت أواعد الفتيات منذ أكثر من عشرين عاما ويمكنني أن أخبرك أن شيئا ما قد تغير منذ أن بدأت في البحث، منذ أن كنت في الخامسة والعشرين أو نحو ذلك. لم يكن عمري كبيرا، لكني لمست تغييرا.

- **المستجوبة**: كيف تصف هذا التغيير؟

- **رالف**: يبدو لي أنه أصبح من الصعب كثيرا لفت انتباه المرأة. يبدين جميعهن وكأنهن غارقات تماما في هواتفهن المحمولة، وصفحاتهن على فايسبوك وإنستغرام، وكل ما يقوله الناس عنهن. إنهن يتحققن باستمرار من رسائل البريد الإلكتروني الخاص بهن. عندما كنت في العشرين من عمري وأنا أواعد فتيات، لم تكن الأمور هكذا. اليوم، يساورني انطباع بأنهن ساهيات لاهيات. لا يكن حاضرات البديهة في المواعدة. يجدن صعوبة في أن يركزن اهتمامهن عليك. لربما كانت عيّنتي منحازة، لكن أولئك اللاتي يبقين في السوق هن فعلا كذلك. لكني لا أصدق ذلك. أعتقد أن في الأمر شيئا من التعميم.

[لاحقا أثناء المقابلة]

في آخر مرة قابلت امرأة، لم تكن تعلم حتى أين توجد ميامي. حسبت أن لوس أنجلوس أقرب إلى أوروبا من ميامي. لقد وجدت هذا محرجا. ليس لدي وقت لأهدره مع هذه الطينة من الأشخاص. فأخليت سبيلها. في ظرف ثانية من الزمن. لا أطيق صبرا. ثمة المئات من الأخريات ينتظرنني على تيندر.

إن الجنسانية المفتوحة، المنظمة في سوق مواعدات مفتوحة، تثير مشكلة تقييم الأشخاص. إن وفرة الشركاء المحتملين الذين توفرهم التكنولوجيا تضفي على التقييم طابعا رسميا، يمكن مقارنته بـ «المقابلة» التي من شأنها أن تجعل من الممكن التمييز بسرعة بين المرشحين «المناسبين» و«غير المناسبين». فبالنظر إلى أن

الشركاء المحتملين يكونون منتزعين من السياق، أي معزولين عن بيئتهم الاجتماعية، يصبح الفاعلون مقيِّمين انتقائيين خلص، يحاولون تمييز قيمة شخص في سياق مجرد له هو ذاته شكل سلعة مجرد (بنفس الطريقة التي تكون بها الشركات والمقاولات فضاءات مجردة أو التي تكون بها المقاهي أو الحانات أو المطاعم فضاءات استهلاك مجردة وموحدة). بالإضافة إلى ذلك، فغالبا ما تتخذ الأسئلة المطروحة شكل اختبار مقنن. بالنسبة إلى كاتيا ورالف، فالمواعدة عبارة عن مقابلة تتصف بجميع خصائص اختبار نجاح/ رسوب. إذا لم يكن لدى «القائمين بالمقابلة» دائما فكرة واضحة عن تفضيلاتهم، فإنهم يعرفون بوضوح ما لا يريدونه، ويعتبرون هذه اللقاءات فرصة لإعلان أحكام «الرسوب»، والتعبير عن أذواقهم وأحكامهم الشخصية من خلال قرارات عدم الاختيار الشبيهة بخاصية السحب يسارا في تطبيق تيندر.

تقييات المستهلك

لا تفترض المبادلات الجنسية والرومانسية أفعالا استهلاكية مسبقة في أماكن الاستهلاك فحسب، ولكن يقيِّم الشركاء أيضا بصفتهم مستهلكين. يكمن أحد التغييرات السوسيولوجية الرئيسة والجوهرية في تكوين المشاعر والتعلق العاطفي في القرن العشرين في ارتهان وتبعية التفاعلات الرومانسية المحتومة لأذواق المستهلكين. في بداية القرن العشرين استبدل الزواج التقليدي بتصور آخر للزواج، قائم على مشاركة التسلية والترفيه[331]. منذئذ باتت اللقاءات تتبنين في مجال الاستهلاك ومن خلاله، حيث شكلت المطاعم والحانات وقاعات السينما

(331) Beth L. Bailey, *From Front Porch to Back Seat: Courtship in Twentieth-century America* (Baltimore: John Hopkins University Press, 1989) ; Eva Illouz, *Consuming the Romantic Utopia : Love and the Cultural Contradictions of Capitalism* (Berkeley: University of California Press, 1997); Steven Mintz and Susan Kellogg, *Domestic Revolutions : A Social History of American Family Life* (New York : Simon & Schuster, 1989)

والمواقع السياحية والنوادي الليلية مجالات أثيرة للتفاعل[332]. ثمة خبر منشور على عمود **النيويوركر** يعلق بتهكم على حالة المواعدات والحب في زمننا المعاصر، ويوضح بطريقة ممتعة الوشائج بين الحب ومجال الترفيه وأذواق المستهلك:

كنتما تلتقيان لفترة قصيرة من الوقت في المطاعم والحانات، لكنكما قررتما الليلة البقاء في المنزل والطهي معا. يقول الناس أن المكون السري لوجبة منزلية رائعة هو الحب. هذا صحيح. المكونات المهمة الأخرى هي نوبة الهلع الصغيرة والتبضع لشراء جبن الموزاريلا الخاص بك في المتجر الذي يومئ إلى الرسامين الانطباعيين في أوصافه للجبن[333].

يبين هذا المثال بتهكم وسخرية سمة أساسية من سمات المواعدة الغرامية الحديثة: فهذه الأخيرة تتم في أماكن تجارية أو ترفيهية وتقوم على تعيين أذواق المستهلكين المتماثلة، المبنية على الحواس (الجبن الجيد) وعلى الكفاءة الثقافية (الرسامون الانطباعيون). في عمود شهير في **النيويورك تايمز** يصف طرق الوقوع في الحب المتعددة، يسأل كاتبه السؤال الآتي: كيف تعرف أنك وقعت في الحب؟ هنا جواب من الأجوبة:

عندما يخالجك الانطباع أنك قابلت الشخص الذي كنت تحلم به. لما كان مراهقا ناشئا في لو مارس بولاية أيوا، كان بول روست، الذي بلغ من العمر ستة وثلاثين عاما، والذي يعمل كمؤلف ومخرج ومنتج سلسلة **نيتفليكس لوف** (حب على الإنترنت)، يحلم بمقابلة شخص مثله يحب موسيقى **الأندرغروند بانك روك** ويمتلك «روح فنان» [...]. بعد سنوات، بينما هو يلوذ إلى المطبخ خلال حفلة عيد ميلاد مروعة في لوس أنجلوس، التقت عيناه بليزلي أرفين، البالغة من العمر

---

(332) Bailey, *From Front to Back Seat*; John D'emilio and Estelle B. Freedman, *Intimate Matters : A History of Sexuality in America* (Chicago : University of Chicago Press, 1988) ; Paula S. Fass, *The Damned and the Beautiful : American Youth in the 1920s*, book 567 (New York : Oxford University Presss, 1979) ; Illouz , *Consuming the Romantic Utopia.*

(333) Jason Hayes, « The Six Pizzas of Your Failed Relationship », *The New Yorker,* 7 mars 2017, https://www.newyorker.com/humor/daily-shouts/the-six-pizzas-of-your-failed-relationship, accessed December 12, 2017.

ثمانية وثلاثين عاما، كاتبة سيناريو سلسلة **غيرلز** (فتيات) على قناة إيتش بي أو (HBO)، التي كانت تنحدر من نيويورك. بدآ في تجاذب أطراف الحديث. كانت تحب موسيقى **البانك الروك**. وكانت كاتبة. كانت ذكية وجميلة بشكل لا يصدق[334].

لنلاحظ هنا أهمية موسيقى البانك روك، أي الذوق الموسيقي الذي يعتبر، بالنسبة إلى هذا الرجل، إحدى الصفات المحددة للشخص الذي يحلم به والتي تميزه من بين العديد من الأشخاص الآخرين. لذلك، فالوقوع في الحب هنا يتحدد وفقا لتقييم المستهلك. منذ العقود الأولى من القرن العشرين، ولكن بشكل أكثر حسما بعد السبعينيات منه، أصبحت القدرة على تقاسم أنشطة ترفيهية وأذواق ثقافية مشتركة أساسية في سيرورة التوافق بين الأفراد، ما قوى ذاتية المستهلك من خلال تجربة الحميمية. ومن ثم فإن أذواق وتقييمات المستهلكين تبنين من الداخل عملية التوافق والرغبة نفسها. إنها تقوي إحساس المرء بذاتية فريدة. فيما يلي مثال يوضح، **خلافا لذلك**، كيف يمكن لتقييم المستهلك أن يؤثر على العلاقة. فهذه تينا، وهي سحاقية ألمانية تبلغ من العمر خمسين سنة، تروي تفاصيل آخر علاقة لها:

- **تينا**: أنا أعاني من مرض بطني. أتعرفين هذا المرض؟

- **المستجوبة**: إنه مرض من أمراض المناعة الذاتية يجعلك شديدة الحساسية تجاه الغلوتين.

تينا: بالضبط. لذلك لا يمكنني تناول الغلوتين على الإطلاق. لا أرغب في أن أرى له أثرا. وأحد الأشياء التي ضايقتها [صديقتها السابقة] هو أنني لم أستطع

---

(334) Brooke Lea Foster, « When You Know It's Love : A Vision Out of Your Dreams, » New York Times, May 9, 2017, https://www.nytimes.com/2017/05/09/fashion/wedding/when-you-know-its-love-paul-rust-lesley-arfin-dreams.html?emc=edit_tnt_20170509&nlid=47676527&tntemail0=y&_r=0, accessed December 12, 2017, (التشديد من عندي)

تذوق ما تأكله. أنحت باللائمة علي لأنني لم أتذوق الأطعمة التي تحبها. في عدم قدرتي على مشاطرتها حبها للأكل.

يمكن أن تستمر صديقة هذه المرأة السابقة في أكل ما تحبه، لكنها أعربت عن تذمرها لأن صديقتها لم تستطع مشاركة أذواقها الخاصة بالطبخ، مما يوحي من ثم بفكرة عن دور الأشياء وممارسات الاستهلاك في بنية الحميمية. تعمل مشاركة الأذواق كمنصة عاطفية وحسية تسمح بنسج روابط حميمة. فحول أوقات ترفيه مشتركة، وتذوق الطعام أو النبيذ، والأسفار، والرياضات، والاستهلاك الثقافي، ينتظم التعلق الآن، مما يجعل عادات المستهلكين موضوع تقييم. تؤدي صعوبة مشاركة شيء ما في مجال الترفيه، في امتلاك نفس الأشياء، إلى صعوبة في تنظيم الحميمية ومن ثم الرغبة. تعمل السلع الاستهلاكية هنا كأشياء انتقالية لتشكيل الروابط وتوطيدها، ولكنها يمكن أن تؤدي أيضا إلى التبخيس والقطيعة. إنها أشياء انتقالية بالمعنى الذي قدمه المحلل النفسي دونالد و. وينيكوت[335]. إنها تبنين الحدود بين العالم الخارجي والأنا الداخلية، وتتفاوض على الاستقلالية والتعلق، بما هما في آن تعبير عن الفردية والأرضية التي تسمح بنسج رابط مع الآخرين. إن الجسد والشخصية والأذواق هي موضوع تقييم دائم، وكذلك المسائل الانتقالية لإنشاء أو قطع الروابط.

التبخيس الجنسي

وفقا للمنظرة النسوية أليس إيكولز، كان الهدف الرئيس للموجة الثانية من الحركة النسوية اقتراح استراتيجيات لمواجهة «التقدير الثقافي للرجال وتبخيس قيمة الأنثى[336]». ومع ذلك، إذا كانت النساء قد أحرزن بعض التقدم (الذي ما

(335) Donald. W. Winnicott, "Transitional Objects and Transitional Phenomena: A Study of the First Not-Me," *International Jounal of Psycho-Analysis* 34 (1953) : 89-97.

(336) مقتبس عن:

in Micaela Di Leonardo, "White Ethnicities, Identity Politics, and Baby Bear's Chair," *Social Text* 41 (1994) : 165-191, esp. 178 ; Alice Echols, *Daring to Be Bad : Radical Feminism in*

يزال متواضعا) في المجالين الاقتصادي والسياسي، فإنهن بتن ضحايا تبخيس سافر في قيمتهن في المجالين الجنسي والعاطفي[337]. وقد كان هذا التبخيس موضوع تحليل من قبل العديد من النسويات والباحثين في الاقتصاد الجنسي، الذين أصبح الجنس بالنسبة إليهم «رخيصا»[338]، حرفيًا لأن الرجال لم يعودوا بحاجة إلى الدفع مقابل ممارسة الجنس. بالنسبة إلى مارك ريغنيروس، فإن مجانية الجنس هي نتيجة لثلاثة «تطورات» تكنولوجية متمايزة: 1) التبني المعمم لحبوب منع الحمل والعقلية الناجمة عنها، التي قوامها أن الجنس عقيم «طبيعيا»، 2) مواد إباحية عالية الجودة منتجة على نطاق واسع، 3) ظهور وتطور خدمات المواعدة/ اللقاء عبر الإنترنت. بعبارة مجازية، يدعو هذه التطورات مجتمعة «بمصاصي الأسعار»، أي العوامل التي تؤدي إلى انخفاض تكلفة وقيمة المواعدات والجنس، ومن المفترض (على الرغم من أنه لم يقل ذلك)، حتى قيمة النساء[339].

ومع ذلك، تتجاهل هذه الحجج بأريحية حقيقة أن الرجال قد يقدرون الأنشطة التي لا يدفعون مقابلها (الذهاب إلى الكنيسة، والتطوع، والمشي على الشاطئ، وما إلى ذلك)، تاركين بلا تفسير السبب في أن العلاقات الجنسية مع النساء (وبالتالي، النساء أنفسهن) ليس لها إلا قيمة ضئيلة أو معدومة طالما أن الرجال لم يعودوا مضطرين إلى «دفع» ثمنها. إن واقع أن الجنس غير المأجور يمكن أن يؤدي إلى تبخيس قيمة النساء يحتاج مع ذلك إلى تفسير.

وهناك استشارية نفسية تروج لما تسميه برنامج «إعادة التأهيل للمواعدات الغرامية» تصف - دون تسميتها في الواقع - ظاهرة تبخيس قيمة المرأة:

ثمة خلل ما في المواعدة الغرامية في أيامنا، والدليل على ذلك تشهد عليه

America, 1967–1975 (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1989), 6.

(337) Eva Illouz, *Why Love Hurts* (Cambridge: Polity Press, 2012).

(338) Mark Regnerus, *Cheap Sex* (New York: Oxford University Press, 2017)

(339) Ibid., 11.

الأعراض. تحقق مما إذا عرضت لك الوقائع أدناه:

تقابل شخصا يبدو مهتما بك للغاية، لكن حماسته التي يبديها إزاءك سرعان ما تختفي - ويخرج من حياتك بأسرع ما دخلها. يتربص الخوف بما تعقده من آمال لأنك لا تريد أن تخذل مرة أخرى. تشعر بأنك تميل إلى شخص ما في حفلة وتشعر أن هناك تناغما بينكما، لكنه لا يتخذ الخطوة الأولى. تتساءل عما إذا كنت قد أسأت تأويل تلميحاته - أو اكتشفت لاحقًا أنه كان يواعد شخصا آخر. لماذا إذن كان يداعبك؟ - وكيف يمكنك الوثوق بأي كان - ناهيك بغرائزك؟ لديك محادثات مكثفة مع شخص «قابلته» عبر الإنترنت، وأنت تطفح إثارة في الموعد الأول. لكن الواقع مختلف كل الاختلاف - هذا الشخص لا علاقة له بما قاله عن نفسه، وببساطة اختفى الارتباط الذي بدا أنه كان موجودا. لقد عقدت آمالا كاذبة. تبدأ في الخروج مع شخص ما بشكل حصري، ولكن في الخلاف الأول أو في حال ذكرت كلمة التزام، تتشكل مسافة جليدية بينكما. تبدأ في الندم على ما قلته وتتساءل عما إذا كنت قد أفسدت الأمر - مرة أخرى.

هذه السيناريوهات، رغم أنها قد تبدو فريدة غريبة عندما تحدث لك، فهي شائعة للغاية. **أصبحت الروابط القوية على ما يبدو، والتي تنهار فجأة مع وجود قليل من الإشارات التحذيرية أو منعدمة باتت هي القاعدة.** لقد رأيت هذا يحدث بمرات تثير القلق عند زبوناتي العازبات لدرجة أنني أدركت أن لقاءات اليوم لم تعد ناجحة - لقد تحولت إلى «نظام» فوضوي لم يكن للأسف قادرًا على إنشاء **رابطة.**(340)

إلقاء النكات المهينة عن جسد المرأة، وازدراء النساء البدينات والسخرية منهن، والحط من قيمة النساء في نفس سن الرجل أو أكبر منه، وتفضيل النساء الأصغر

(340) Randi Gunther,"Stop Spinning Your Wheels: Here's How to Finally Find the Love of Your Life ", Catch Him and Keep Him.com , October 28, 2017, https://www.dontpayfull.com/at/catchhimandkeephim.com/newsletter/date-works-1299332, accessed December 12, 2017, (التشديد من عندي).

سنا، وتصنيف المظهر الجسدي للمرأة، واجتزاء جسد المرأة، واغتصاب امرأة تعرفنا عليها لتونا، بحثا عن مكانة في التراكم غير المكترث للشركاء الجنسيين، وخلق تراتبيات هرمية للقيمة على أساس الجمال والنحافة - كل هذه تشكل استراتيجيات شائعة ودارجة كثيرا لتبخيس الجسد الأنثوي وذواتهن. والحال أننا غالبا ما ننظر إليها على أنها عوارض لا يمكن تجنبها وغير خطيرة، حيث تتحمل النساء بمفردهن الجزء الأكبر من هذا العبء النفسي من خلال اللجوء، على سبيل المثال، إلى دلائل المساعدة الذاتية أو الاستشارة النفسية. يمكن أن تؤدي اللقاءات الجنسية إلى تجارب مؤلمة لتبخيس القيمة، وحقيقة أن بعض الأفراد، إن لم يكن معظمهم، ينتهون إلى أن يجدوا سعادتهم لا تلغي أن تبخيس القيمة يبدو أمرا متأصلا في الحياة الجنسية.

في النظرية النسوية النقدية، يفسر مفهوما «الموضعة (التشييء)» و«الجنسنة» إلى حد كبير سيرورة تبخيس قيمة النساء تلك. كما قالت ليندا سمولاك وسارا مورنين:

بالنظر إلى تأثيرها الشائع، توجد الجنسنة في أشكال متعددة وتنزع إلى تشجيع ومكافأة كون المرأة مثيرة. وإذا لم نتبع تلك المعايير الجنسية، فثمة عقوبات، أو لنقل فرصا أقل[(341)].

ومع ذلك، لا يأخذ هذا التعريف في الحسبان واقع أن الموضعة تمنح إحساسا بالمتعة والقوة والذاتية، لأنها تسمح للنساء باجتناء قيمة اقتصادية ورمزية من أجسادهن. فبتجاهل الدعامات الاقتصادية للجنسنة، فإن فكرة موضعة الذات تختزل في النهاية مشاركة النساء الطوعية في تشييئهن لذواتهن إلى وعي زائف، دون الانشغال بشأن ميكانيزمات إضفاء القيمة (الرمزية والاقتصادية) التي تنطوي

---

(341) Linda Smolak and Sarah K. Murnen, "The Sexualization of Girls and Women as a Primary Antecedent of Self-Objectification", in *Self-Objectification in Women: Causes, Consequences, and Counteractions*, ed. Rachel M. Calogero, Stacey Ed Tantleff-Dunn, and J. Thompson (Washington, DC: American Psychological Association, 2011), 53-75, esp. 54.

عليها. وإلى ذلك فإن الموضعة لا تميز بشكل كاف بين السيرورات المختلفة لتبخيس النساء والحط من قيمتهن على يد الرجال؛ بعض تلك السيرورات إرادي ومرتبط بالطريقة التي يبني بها الرجال وضعهم الاعتباري من خلال تشويه سمعة النساء وذمهن، والبعض الآخر لا إرادي، ونابع من صعوبة معرفية في إسناد قيمة إلى النساء في الأسواق الجنسية الرحيبة. لا يوجد في الجوهر شيء مهين ومنتقص بطبيعته في الجنسانية أو حتى في الجنسنة. بل لأن الجنسانية تتموقع في سوق يسيطر عليه ويراقبه الرجال هو الذي يحول الجنسنة إلى تجربة هيمنة من ناحية، وإلى إذلال وتحقير من ناحية أخرى. على الرغم من الشعور بالقوة والمتعة التي يتيحانها، فإن تسليع الجنسانية وتحويل الثقافة إلى «صناعة بورنوغرافية»[342] هما في تقديري قابلان للنقد، لأنهما يشكلان آليات تجعل النساء في قبضة اليد الخفية الذكورية للسوق (الجنسية).

إن التحكم الذي يمارسه الرجال على أسواق الجنس ظاهر (وخفي) بأكثر من وجه. في بادئ الأمر، كما رأينا أعلاه، يتحكم الرجال في معظم الصناعات الجنسية وبالتالي يتحكمون في تعريف ما يهم المرأة. فالتحكم والسيطرة على النظرة ينطوي على عواقب اقتصادية وأيديولوجية جلي، وبشكل أكثر تحديدًا على ما يقدره الرجال في النساء وما تقدره النساء في الرجال. لضرب مثال، وبناء على ما قاله الخبير الاقتصادي بجامعة هارفارد سينديل موليناثان: «أظهرت دراسة أن الرجال أقل نزوعا إلى مواعدة امرأة أذكى أو أكثر طموحا منهم[343].» وعلينا أن نضيف إلى ملاحظته أن نفس الرجال، في المقابل، لن يعارضوا مواعدة امرأة أكثر

---

(342) من أجل مناقشة ونقد مفيد لأطروحة الإباحية، انظر:

Clarissa Smith, « Pornographication : A Discourse for all Seasons », *International Journal of Media & Cultural Politics*, 6, no 1, 2010, 103-108 ;

ومن الدراسات التي تدين الإباحية انظر على سبيل المثال:

Ariel Levy, *Female Chauvinist Pigs : Women and the Rise of Raunch Culture*, New York, Free Press, 2005.

(343) Sendhil Mulllainathan, "The Hidden Taxes on Women," *International New York Times*, March 3–4, 2018, 15.

جمالا أو أكثر جاذبية من الناحية الجنسية منهم. هذا لأن تحديد قيمة النساء من خلال جاذبيتهن الجنسية إنما هي طريقة غير مباشرة للحط من مواهبهن وفكرهن، وإبقائهن حبيسات موقع يتم فيه تعريفهن وتقديرهن من خلال جنسانيتهن، وهو موقع اجتماعي أدنى من مكانة الرجال، مما يرتب تأكيد الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية للرجال عليهن. ثانيا، يتحكم الرجال في تعريف معايير جاذبية المرأة وجمالها كما يتضح من الأهمية التي يولونها إلى شباب النساء، في حين أن الشباب ليس سمة مميزة أو ضرورية لجاذبية الذكور. ويفسر ذلك بحقيقة أن النساء لا يتحكمن في الجهاز الاقتصادي الأيديولوجي والبصري والاقتصادي الذي يحدد معايير الجاذبية والجمال. في مقابل ذلك، تعكس جاذبية الرجال مكانتهم في المجال الاجتماعي: فهي تتبلور أساسا من خلال وضعهم الاجتماعي ورأسمالهم(344). إن حقيقة أن الرجال ذوي الدخول المرتفعة والمستوى التعليمي الأعلى يحتلون مكانة أعلى في المجال الجنسي يمنحهم ثلاث مزايا ملحوظة. أولا، قوتهم الجنسية لا تنضب بالسرعة التي تذوي بها قوة النساء وتزداد مع الزمن. تتمتع جاذبية الرجال بقوة أكثر ديمومة من قوة النساء، مما يجعل العمر موردا ورأسمال في المجال الجنسي(345). بالإضافة إلى ذلك، يمكن للرجال الوصول إلى عينة أكبر من

(344) Francine D. Blau, *in* Anne C. Gielen et Klaus F. Zimmerman (dir.), *Gender, Inequality, and Wages*, New York, Oxford University Press, 2016 ; Herminia Ibarra, Nancy M. Carter et Christine Silva, « Why Men Still Get More Promotions than Women », *Harvard Business Review*, 88, no 9, 2010, 80-85 ; Cecilia L. Ridgeway, *Framed by Gender : How Gender Inequality Persists in the Modern World*, New York, Oxford University Press, 2011 ; for data on the OECD, « OECD, Gender Wage Gap (indicator) », doi, 10.1787/7cee77aa-en https://data.oecd.org/earnwage/gender-wage-gap.htm, accessed November 23, 2017 ; On USA, « International Labour Organization, Gender Inequality and Women in the US Labor Force », http://www.ilo.org/washington/areas/gender-equality-in-the-workplace/WCMS_159496/lang--en/index.htm, accessed November 23, 2017.

(345) الرجال الذين قابلتهم راتشيل أونيل (Rachel O'Neill) في دراستها المتعلقة بورشات الإغواء يعترفون بأن النساء يولين أهمية أقل إلى المظهر الجسدي من الرجال الذين يقدرون أن مظهر المرأة الجسدي أساسي لشد الانتباه. انظر:

Rachel O'Neill, *Seduction Men, Masculinity, and Mediated Intimacy*, Cambridge, Polity Press, 2018.

الشركاء المحتملين لأن لديهم إمكانية الوصول إلى النساء اللائي في سنهم والنساء الأصغر سنا[346]. أخيرا، تتقاطع الأهداف الجنسية والسوسيو-اقتصادية للرجال بل إنها تتداخل بشكل وثيق. ليست القوة الجنسية للرجال منفصلة أو متعارضة مع قوتهم الاجتماعية، فكل منهما يعزز الآخر بالتبادل. وعلى الضد من ذلك، فمن الأرجح أن الوضع الجنسي والوضع الاجتماعي عند النساء أكثر عرضة للتنازع والتناقض فيما بينهما.

الجمال الذي عفا عليه الزمن

للموضعة عدة معان مختلفة. فموضعة الآخر هو جعله خاضعا لسلطتي وتحت إمرتي وتصرفي من خلال تحديد قيمته وفقا لمعايير تتبع لنظرتي وتحظى باستحساني. إذا كانت الجنسنة تنطوي على قدرة أحد الطرفين على تحديد قيمة الطرف الآخر، فإن ذلك يستتبع أن الموضوع المجنسن يوجد في الواقع في وضع أدنى في العلاقة.

تزيد الجنسنة المرأة اعتقادا بأن المظهر المثير أمر مهم، ليس فقط لإثارة الرجال، ولكن أيضا للنجاح في جميع مناحي الحياة. هذا الاعتقاد ضروري لاستبطان النظرة الجنسية، أي الموضعة الذاتية[347].

يعتبر معظم فلاسفة الأخلاق الموضعة الذاتية شكلا من أشكال الحط من القيمة الأخلاقية للذات. بالنسبة إلى الفيلسوفين أفيشاي مارغاليت ومارثا نوسباوم، فإن الموضعة تقوم على النظر إلى الغير بطريقة تحط من قيمته، إما على أساس مظهره، أو من خلال معاملته ككائن أدنى (مثل حيوان، مثلا)، أو بالاكتفاء على التركيز على (أطراف من) جسده، وبخاصة الجنسية[348]. المعنى

(346) Illouz, *Why Love Hurts*, 77.

(347) Calogero, Tantleff-Dunn, and Thompson, *Self-objectification in Women*, 53–54.

(348) Avishai Margalit, *The Decent Society* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1998), 100–112; Martha C. Nussbaum, « Objectification », *Philosophy & Public Affairs*, 24, no 4, 1995, 249-291 ; انظر أيضا بهذا الخصوص Lynn Morris and Jamie Goldenberg, "Women, Objects, and Animals: Differentiating Between Sex-and Beauty-based Objectification Femme, Objets et animaux :différencier l'objectivation basée sur le sexe et

الثاني للموضعة قريب من معنى تسليع الهوية الفردية وهو أحد نتائجها. فهو لا يقتضي فقط أننا نقيم الآخرين وأنفسنا بناء على المظهر الجسدي والمرئي، ولكن أيضا لأننا نتعامل مع أجسادنا كسلعة في سوق من المنتجات الشبيهة والمنافسة. يصبح الجسد موضوعا للقياس والتصنيف والمقايسة. أخيرا، كان بعض النقاد النسويين قلقين للغاية من أن استبطان النظرة الذكورية المشيئ يفصل الجسد عن مقاربة شمولية للشخص[(349)].

تغفل وجهات النظر هذه عنصرا أعتبره على قدر أكبر من الأهمية: إن موضعة الذات ينتج أشكالا من اللايقين بشأن قيمة الشخص، وبالتالي يخلق تجارب للحط من الذات. هذا لأن تحقيق قيمتهن الجنسية، يظل بالنسبة إلى سواد النساء الأعظم، غير مكتمل. في علم الاجتماع الماركسي، لا تتحقق قيمة السلعة بالكامل إلا في سياق تفاعل اجتماعي ملموس، على سبيل المثال في الشراء أو المقايضة. لكن

---

la beauté," *Revue Internationale de Psychologie* (2015): 15—38; Steve Loughnan and Maria Giuseppina Pacilli, « Seeing (and Treatinf) Others as Sexual Objects : Toward a More Complete Mapping of Sexual Objectification," *TPM: Testing, Psychometrics, Methodology in Applied Psychology* 21, no. 3 (2014) : 309-325.

(349) Barbara L. Fredrickson et Tomi-Ann Roberts, « Objectification Theory : Toward Understanding Women's Lived Experiences and Mental Health Risks », *Psychology of Women Quarterly*, 21, no 2, 1997, 173-206 ; Bonnie Moradi et Yu-Ping Huang, « Objectification Theory and Psychology of Women : A Decade of Advances and Future Directions », *Psychology of Women Quarterly*, 32, no 4, 2008, 377-398 ; Dawn M. Szymanski, Lauren B. Moffitt et Erika R. Carr, « Sexual Objectification of Women : Advances to Theory and Research 1ψ7 », *The Counseling Psychologist*, 39, no 1, 2011, 6-38 ; ومن أجل دراسات وأبحاث عن الموضوع، انظر Rachel M. Calogero, « A Test of Objectification Theory : The Effect of the Male Gaze on Appearance Concerns in College Women », *Psychology of Women Quarterly*, 28, no 1, 2004, 16-21 ; Sarah J. Gervais, Theresa K. Vescio et Jill Allen, « When What You See is What You Get : The Consequences of the Objectifying Gaze for Women and Men », *Psychology of Women Quarterly*, 35, no 1, 2011, 5-17 ; Brit Harper et Marika Tiggemann, « The Effect of Thin Ideal Media Images on Women's Self-Objectification, Mood, and Body Image », *Sex Roles*, 58, no 9-10, 2008, 649-657 ; Sarah J. Gervais, Arianne M. Holland et Michael D. Dodd, « My Eyes are Up Here : The Nature of the Objectifying Gaze Toward Women », *Sex Roles*, 69, no 11-12, 2013, 557-570.

القيمة التي تنتجها النساء لا يمكن أن تتحقق تمام التحقق في السوق الجنسي والاقتصادي[350]: نرى هذا، على سبيل المثال، حين ينظر إلى النساء «كبيرات السن» على العلاقة أو ليشغلن منصبا معينا. بالنسبة إلى النساء، غالبا ما يعمل إضفاء القيمة الجنسي كرأسمال أنتج بغير طائل، كقيمة تنتج عوائد منخفضة أو غير يقينية. يتناقض هذا الوضع مع الجاذبية الذكورية، التي لها عمر أطول بكثير والتي تتطابق مع قيمتها الاجتماعية، وبالتالي تخلق أشكالا أكثر ثباتا من الهوية الفردية، حيث يتقاطع الجنسي بالاجتماعي.

علاوة على ذلك، ينبع اللايقين الأنطولوجي من حقيقة أن التقييم البصري غير موثوق بوجه عام. كما أظهرت بعض الأبحاث، يمكن أن يتغير الرأي الذي يتم تكوينه بناءً على الجاذبية البصرية أو المعالم المرئية بسهولة عندما يستطيل الانتباه إلى الموضوع. على سبيل المثال، يُحسب الأشخاص الذين يرتدون نظارات أذكى من أولئك الذين لا يرتدونها حين النظر إليهم لمدة خمس عشرة ثانية. لكن إذا أنعمنا النظر إليهم مدة أطول، فإن هذا الاختلاف يتلاشى[351]. يعتبر التقييم البصري بطبيعته غير موثوق به. إليكم تأملات أمبرواز بخصوص زواجه الذي آل إلى الإخفاق:

- **المستجوبة:** برأيك، لماذا انفصلت؟

- **أمبرواز:** هذا لأنني أحب النساء الجميلات.

- **المستجوبة:** أنت تحب النساء الجميلات. لست واثقة من أنني قد فهمتك. أتقصد أنك كانت لك الكثير من العلاقات؟

- **أمبرواز:** لا أبدا. أعني أنني تزوجت من زوجتي لأنها كانت رائعة وجميلة

(350) من أجل تحليل للتمييز الماركسي بين الإنتاج وتحقيق القيمة، انظر:
David Harvey, *The Enigma of Capital : and the Crises of Capitalism*, New York, Oxford University Press, 2010.

(351) Vicki Ritts, Miles L. Patterson et Mark E. Tubbs, « Expectations, Impressions, and Judgments of Physically Attractive Students : A Review », *Review of Educational Research*, 62, no 4, 1992, 413-426.

بشكل لا يصدق. أحببت الخروج معها، والشعور بنظرة الآخرين عندما يرونني مع امرأة جميلة كهذه. لكن كما تعلمين، لا توجد وصفة سحرية لتحويل الجمال إلى طبع جيد. كان لديها طبع كريه. كنت أعشق وجهها وقوامها، إلا أنني في النهاية كنت أتعامل مع شخص. اليوم، أعتقد أنني سأكون أقل عرضة لارتكاب هذا الغلط، أي الاعتقاد أن الجمال والطبع الجيد يتوافقان. لكني ما زلت أجد صعوبة في مقاومة إغراء النساء الجميلات.

فلأن الرأسمال الجنسي الرمزي للرجل يتمثل في القدرة على إظهار امتلاك امرأة جذابة جنسيا، فإن اختياره الأولي سرعان ما يواجه بأنماط أخرى للتقييم (تقييم «الطبع») التي تجعل اختياره القائم على الجمال غير موثوق به في النهاية.

علاوة على ذلك، فالتقييم البصري مبني على الثنائيات («جذاب» مقابل «غير جذاب») وبالتالي فهو يمنح الأولوية لتقييم واستبعاد سريع للآخرين. على سبيل المثال، في الكتاب الأكثر مبيعا **للنيويورك تايمز غراميات ناثانيل ب.** فالبطل بعد وقت قصير من لقائه بالمرأة التي سيرتبط بها فيما بعد، يتأملها نابسًا بهذه العبارات:

لو كانت حنا أكثر إثارة، لكان بلا شك قد أولاها مزيدا من الاهتمام قبل تلك الأمسية، التي بدت له فيه أنها المرأة الوحيدة الجديرة بالاهتمام[352].

كما سنرى في الرواية، تبين أن حنا كانت ذكية بما لا يقاس، سخية، مهذبة وواثقة من نفسها، ولكن نظرا لأنها ليست مثيرة للوهلة الأولى - أي أنها تفتقر إلى الصفات المعتادة التي تحث عليها وسائل الإعلام للإثارة الجنسية -، كان من الممكن أن يتجاهلها ناثانيل. أصبح هذا الثنائي لا ينفصل عن الثقافة المرئية والتكنولوجيا. لذلك، يمكننا القول إن القيمة الجنسية، في الرأسمالية المرئية، هي أيضا مسألة إمكان رؤية في المقام الأول[353]، تخضع إلى المنطق الثنائي لـ

(352) Adelle Waldman, *The Love Affairs of Nathaniel P.: A Novel* (London: Macmillan, 2014), 39, التشديد من عندي.

(353) Rosemary Henessy, *Profit and Pleasure : Sexual Identities in Late Capitalism*, Abingdon-on-Thames, Routledge, 2000.

«متهيج»/ «غير متهيج»، ما يعني أن نختبر بصفة متكررة تجربة النبذ واكتساب قدرة اجتماعية على نبذ الآخرين، غالبا بناء على تفاصيل صغيرة. بعبارة أخرى: تخلق الرأسمالية المرئية آليات نبذ سريع للآخر. يتبدى النبذ والتقادم أيضا في واقع أن الإثارة الجنسية تفضل ضمنيا موضوعات الاستهلاك لكي تقيم الآخرين. على سبيل المثال، بيرينيس، امرأة فرنسية تبلغ من العمر سبعا وثلاثين عاما، مطلقة، مصممة ديكور المسرح، لديها الفكرة التالية:

- **بيرينيس**: منذ طلاقي، واعدت عددا قليلا من الرجال ولكني أجد الأمر صعبا بشكل مدهش. ليس بسبب الرجال أنفسهم بقدر ما هو بسببي أنا.

- **المستجوبة**: أين مكمن الصعوبة؟

- **بيرينيس**: قد تزعزعني بعض التفاصيل.

- **المستجوبة**: أيها على سبيل المثال؟

- **بيرينيس**: كان لدي موعد للمرة الثالثة مع رجل. لقد أحببته حقا في المرتين الأولين، ثم أقبل بقميص مضحك، رخيص، أخرق، محرج، ليس قميص عامل أنيق، ولكن قميصا ربما اشتراه جده في الأربعينيات من القرن الماضي في محل لبيع الملابس المستعملة. قلت لنفسي، إما أنه ليس لديه أي ذوق، أو أنه لا يأبه بي تماما، أو أنه ينتمي إلى عالم مختلف كليا عن عالمي، مثل هذا الرجل لا يواكب عصره. وهذا ما كان، بسبب قميصه، لم أشعر بالانجذاب إليه. أعني، الأمر ليس كذلك تماما، لكن ذلك أبعدني عنه، وكان علي أن أعمل جاهدة لاستعادة الانجذاب الذي كان لدي من أجله. من المحرج قول ذلك، لكن القميص كان قاتل حب حقيقي.

هنا، يتم استثارة الانجذاب الجنسي بواسطة موضوعات الاستهلاك. يمكن العبث به بسهولة من خلال «مظهر» سيئ، لأن الانجذاب الجنسي بات يتأثر بشدة بالأيقونات والصور والسلع التي تنشرها وسائل الإعلام. يجمع التقييم البصري بين الهوية الشخصية والسلع، وهو تأكيد مشترك لذوق المستهلك والذوق العاطفي. لذلك، فإن موضوعات الاستهلاك هي العناصر التي يتم من خلالها

استثارة النبذ والهجر.

في مثال آخر، تروي كلودين، وهي امرأة فرنسية جذابة تبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاما، علاقتها بصديقها السابق:

- **كلودين:** ذات يوم، جاء لزيارتي صبيحة يوم الأحد. كان عائدا من السفر ودق جرس بابي. لم أنظف أسناني بالفرشاة بعد ولم أرتد ملابسي. كنت ما أزال أرتدي منامتي. لم أكن متبرجة بالمكياج ولم أصفف شعري. حين ولج البيت، بدا مدهوشا متعجبا. فقال لي: «ما بالك؟ هل أنت مريضة؟ أأنت بخير؟ تبدين مختلفة جدا عن المألوف.»

- **المستجوبة:** ماذا كان ردك؟

- **كلودين:** ضممته، اعتقدت أنه سيقبلني لكنه لم يفعل. ثم تساءلت عما إذا كان هذا الرجل سيظل يحبني عندما سأصير عجوزة متغضنة الأسارير.

كما يوحي هذان المثالان، يمكن الارتياب في الانجذاب إلى شخص ما بمجرد اختفاء التنظيم والتناغم المرئي والمشهد الذي جعل الانجذاب ممكنا. إذا أصبحت موضوعات الاستهلاك البيئة الضمنية للجاذبية، فهي أيضا لا تنفصل عن الهوية الفردية، وتخلق تكافؤا بين الموضوعات والأشخاص، مما يعني أن الأشخاص يقيمون أو يبخسون كموضوعات.

وأخيرا، يقوم اقتصاد الجاذبية البصرية كلية على التجديد المستمر لـ «المظهر»، فينشأ تكافؤ بين الجاذبية والموضة والشباب (ومن هنا التنامي الهائل لصناعة مقاومة الشيخوخة، بدءًا من الكريمات إلى الجراحة)[354]. لأن النساء الشابات يحتلن قمة هرم الرأسمال الجنسي، فهن يشغلن أعلى موقع في المجال الجنسي، وخاصة بالنسبة إلى الرجال الذين يملكون رأسمال اقتصادي مرتفع (هنا مرة

---

(354) من أجل مناقشة الجمال والنيوليبرالية في الزمن المعاصر، انظر:
Ana Sofia Elias, Rosalind Gill et Christina Scharff, eds, *Aesthetic Labour : Beauty Politics in Neoliberalism,* (London, Palgrave Macmillan, 2017).

أخرى، يعتبر دونالد ترامب مثالا نموذجيا لمنطق السوق هذا)[355]. ولكن، على عكس الأشكال الأخرى للموارد الاجتماعية، فإن الشباب بالتعريف ينطوي على آلية التقادم (obsolescence) الضمني: في صناعة الأزياء، تعتبر عارضة أزياء في عمر الثالثة والعشرين كبيرة السن[356]. هذا يعني أن مجال الجنسانية منظم من خلال التقادم (والقلق المصاحب له). يقود هذا المكون الأساسي للاقتصاد الرأسمالي إلى تجديد وتحسين مستمر للمظهر الجسدي من خلال سلع استهلاك تهدف إلى أن تظل فتية وجذابة[357]. إليكم هذا المثال الصادم للتقادم المدمج في

(355) من بين أمثلة عديدة، لنتذكر حالتي دونالد ترامب مع ميلانيا ترامب أو ستيفن منوشن، وزير الخزينة، مع لويز لينتن.

(356) انظر: Mears, *Pricing Beauty*

(357) هذه بعض الأرقام التي توضح حجم صناعة الأزياء ومواد التجميل. فحسب بوابة الإحصائيات ستاتيستيكا، حقق السوق الأمريكي للجمال والعناية بالجسم ما يقرب من 84 مليار دولار من المبيعات سنة 2016. وإضافة إلى ذلك، تشير البوابة إلى أنه في 2016 "كانت لوريال أول شركة عالمية لتصنيع منتجات التجميل بمبيعات بلغت حوالي 28.6 مليار دولار. تصرح ليديا رامزي للبزنس إنسايدر بأنه في العام 2015، كان عائد مستحضرات التجميل من قبيل منظفات الوجه وأحمر الشفاه والمكياج وطلاء الأظافر ما يقدر بنحو 60 مليار دولار في السوق في الولايات المتحدة. ذكرت كلويه سوفرفينو في عام 2017 أن "مجلة فوربس تقدر أن هناك ما لا يقل عن 40 شركة ناشئة في مجال التجميل أسستها نساء، مما يجعل هذه الصناعة التي تبلغ 445 مليار دولار (من المبيعات) واحدة من أنعش القطاعات التي يمكن للنساء أن يحققن فيها حياة مهنية ناجحة". أعلن ماكنزي في نهاية عام 2016 أن "الموضة هي واحدة من ملامح النجاح الاقتصادي القليلة في السنوات العشر الماضية. إبان هذه الفترة، نمت الصناعة بنسبة 5.5 % سنويا، وفقًا لمؤشر ماكينزي العالمي للأزياء، لتصل قيمتها إلى 2.4 مليار دولار. في الواقع، ليس لأنها تطال الجميع فحسب، ولكن إذا قمنا بتصنيفها وفقًا للناتج المحلي الإجمالي لكل بلد، فستكون سابع أكبر اقتصاد في العالم". تشير البوابة الإحصائية ستاتيستيكا إلى أن عوائد قطاع "الموضة" في الولايات المتحدة "من المتوقع أن يظهر معدل نمو سنوي (CAGR 2017-2022) يقدر بـ 8.8 %، وهو ما يمثل حجم سوق يبلغ 123403 مليون دولار في العام 2022"، انظر:
« Statistics & Facts on the U.S. Cosmetics and Makeup Industry », https://www.statista.com/topics/1008/cosmetics-industry/, accessed December 12, 2017 ; « Revenue of the Leading 20 Beauty Manufacturers Worldwide in 2016 (in Billion U.S. dollars) », https://www.statista.com/statistics/243871/revenue-of-the-leading-10-beauty-manufacturers-worldwide/, accessed December 12, 2017 ; Lydia Ramsey, « A $60 Billion Industry IS Shockingly Unregulated », October 11, 2015, http://www.businessinsider.com/cosmetic-industry-is-shockingly-unregulated-2015-10, accessed December 12, 2017 ; Chloe Sorvino, « Why the $445 Billion Beauty Industry Is a Gold Mine for Self-Made », May 18, 2017, https://www.forbes.com/sites/chloesorvino/2017/05/18/self-made-women-wealth-

التقييم البصري: تيري، امرأة فرنسية عمرها أربعا وثلاثين سنة، تعمل سائقة تاكسي، توقفت عن الدراسة في الثانوية، وهي بدون أطفال:

- **المستجوبة**: هل لديك حبيب؟

- **تيري**: هل ترين شعري؟ ما لونه؟

- **المستجوبة**: إنه أصهب.

- **تيري**: نعم، أصهب اللون. لكن ليس لأنني صهباء. أنا أصبغه. هل تعلمين لماذا أصبغ شعري؟

- **المستجوبة**: لا.

- تيري: لأن شعري شاب فجأة، حينما تركني صديقي. أخذ كل أموالي وهجرني، هكذا بين عشية وضحاها. كان ذلك قبل عام ونصف ولم أنس ذلك بعد. أنا لا أطيق ذلك. أبكي طوال الوقت. أنا لا أحتمل.

- **المستجوبة**: ما الذي لا يمكنك تحمله؟

- **تيري**: يساورني شعور أنه كان علي القيام بأشياء لم أفعلها.

- **المستجوبة**: مثل ماذا؟ ماذا كان يمكنك أن تفعلين؟ ألا تمانعين في قول ذلك؟

- **تيري**: أعتقد أنني لا أولي اهتماما إلى نفسي بما فيه الكفاية: لم أعتن بجسدي بما فيه الكفاية. لم أعتن بأظافري مثل النساء الأخريات. كنت أرتدي أحذية رياضية؛ وارتديت بنطالات الجينز. أنا أشتغل، وأحب الشغل، وأعتقد أنه وجدني مسترجلة كثيرا، وأنني لم أكن مفعمة بالأنوثة بما فيه الكفاية. كان يجب علي أن أرتدي الفساتين، وأتبرج، وأذهب إلى مصفف الشعر، أتفهمين قصدي؟

- **المستجوبة**: أفهم ما ترمين إليه. لكنني على يقين من أن الكثير من الرجال

---

beauty gold-mine/#1936d672a3a5, accessed December 12, 2017 ; Mckinsey &Company, "The State of Fashion 2017 », décembre 2016, https://www.mckinsey.com/industries/retail/our-insights/the-state-of-fashion, consulté le 12 décembre 2017 ; « Fashion », 12 décembre 2017, https://www.statista.com/outlook/244/109/fashion/united-states#, accessed December, 12 2017.

يجدونك بارعة الجمال.

- **تيري**: أنت تجاملينني فحسب. [انفجرت باكية] لا أعتقد أنني جميلة. حتى لو أحببته بجنون، حتى لو أعطيته كل أموالي واليوم سيأتون لأخذ أثاثي لأنني غارقة في الديون بسببه، ما زلت أشعر أن الخطأ خطئي.

- **المستجوبة**: أنا آسفة لأنك ذهبت إلى هذا الظن. لماذا تستمرين في الاعتقاد بأن الخطأ كان خطأك؟

- **تيري**: لأنه كان من الممكن حل الأمر بسلاسة وسهولة أكبر. كان بإمكاني أن أعطيه ما يريد بسهولة. كان من الأسهل أن أكون من نوع النساء الذي يريدني أن أكونه، لكنني لم أفعل.

شهادة هذه المرأة التي تلوم نفسها لأنها لم تصبح أيقونة أنثوية نموذجية للجاذبية - على الرغم من أن صديقها كان «يأخذ كل أموالها» -تدل على استبطان النظرة الذكورية التي قيمتها بطريقة سلبية، باستخدام المعالم الاستيطيقية. تظل التقييمات الأيقونية، كما تشير إلى ذلك تيري أيضا، سمة دائمة للعلاقة العاطفية، حيث يستمر الحكم على الشركاء (خاصة النساء) من خلال مظهرهم الجنسي. تحكي امرأة نمساوية تبلغ من العمر سبعا وستين سنة، متزوجة منذ ثمانية وثلاثين عاما، الأمر نفسه (ردا على سؤالي حول أسباب خصاماتها المتكررة مع زوجها):

- **جوليا**: يعذلني لأنني لم أعر اهتماما كافيا بوزني. غالبا ما نتشاجر حول هذا الأمر، لكن صحيح أنني كنت أتبع حمية طوال حياتي. لا يحب هانز النساء حتى لو زاد وزنهن بشكل طفيف. لذلك، طوال حياتي، كان لزاما علي أن أعتني بجسدي. لكنني أحببت هذا الأمر. في النهاية، على الرغم من أنني فعلت ذلك مَن أجله، وكثيرا ما تجادلنا حول هذا الموضوع، فقد أحببته حتى هذا الأمر. بهذه الطريقة، ظللت جميلة.

حتى النساء المتزوجات يستشعرن تهديد التبخيس، حيث تلعب المقارنة المرجعية الجنسية باستمرار دورا في العلاقات بين الجنسين المتغايرين. سلطت العديد من الدراسات الضوء على المفارقة التالية: كلما زادت انشغال المرأة بشأن

انجذابها الجنسي، إلا وقلت احتمالات رضاها عن جسدها ونفسها بشكل عام[(358)]. تنطبق المقارنة المرجعية الجنسية على الآخرين وعلى الذات من خلال تحليل ذاتي مقارن فيما يتعلق بشرائع الجمال. هذا يعني أنه في السوق الجنسي، من الصعب خلق و/ أو الحفاظ على القيمة والتقدير بالنسبة إلى معظم النساء. إن هذه الصعوبة في خلق القيمة هي التي تسفر عن لا يقين بشأن الصورة التي لدينا عن أنفسنا[(359)]. كما تكتب هذه المعلقة: «إن كراهية النساء لأجسادهن هي ظاهرة يومية لدرجة أننا ننسى إلى أي مدى تفصلنا عن إحساسنا بذواتنا[(360)].» لقد أصبح الجسد المجنسن مركزا ومصدرا لإيذاء الذات من خلال استباق تقييم الآخرين، وإحالتهم إلى مُثُل الكمال الجسدي والنفسي وتهديد الحط من القيمة[(361)].

---

(358) انظر على سبيل المثال:

Rachel M. Calogero et J. Kevin Thompson, « Potential Implications of the Objectification of Women's Bodies for Women's Sexual Satisfaction », *Body Image*, 6, no 2, 2009, 145-148 ; Ellen E. Fitzsimmons-Craft *et al.*, « Explaining the Relation Between Thin Ideal Internalization and Body Dissatisfaction Among College Women : The Roles of Social Comparison and Body Surveillance », *Body image*, 9, no 1, 2012, 43-49 ; Brit Harper et Marika Tiggemann, « The Effect of Thin Ideal Media Images on Women's Self Objectification, Mood, and Body Image », *Sex Roles*, 58, no 9-10, 2008, p. 649-657 ; Peter Strelan, Sarah J. Mehaffey et Marika Tiggemann, « Brief Report : Self-Objectification and Esteem in Young Women : The Mediating Role of Reasons for Exercise », *Sex Roles*, 48, no 1, 2003, 89-95.

(359) على العكس من ذلك، في مقال ميتاتحليلي يتناول الدراسات التي تبحث علاقة الاعتقادات والآراء النسوية وأجسادهن، وجدت مورنن وسمولاك، في ست وعشرين دراسة، أن امتلاك مواقف نسوية يرتبط برضى أفضل عن الجسد.

Sarah K. Murnen et Linda Smolak, "Are Feminist Women Protected From Body Image Problems ? A Meta-Analytic Review of Relevant Research", *Sex Roles*, 60, nos. 3–4 (2009): 186.

(360) Glosswitch, « Why Is it So Hard for Women to Accept Their Bodies ? », *Newstatesman*, 3 décembre 2015, http://www.newstatesman.com/politics/feminism/2015/12/why-it-so-hard-women-accept-their-bodies, accessed December 12, 2017.

(361) Angela Mac Robbie, "Notes on the Perfect: Competitive Femininity in Neoliberal Times," *Australian Feminist Studies* 30, no. 83 (2015) : 3-20.

إن حقيقة أن الرجال يقيمون النساء وفقا لمظهرهن الجسدي هو من مشمولات النظام التنافسي الذي يتم فيه تقييمهم، هم أنفسهم، من قبل رجال آخرين. يوضح هذه النقطة آدم، الفرنسي البالغ من العمر سبعة وأربعين عاما، مدير فريق بحثي في مختبر صيدلاني كبير. كان على علاقة مع امرأة دامت ثلاث سنوات. لكن كما أخبرني خلال المحادثة، على الرغم من إخلاصه لخليلته، فهو ينفر من تقديمها إلى طفليه اللذين أنجبهما من زواج سابق، وكذلك إلى أصدقائه:

- **المستجوبة**: لماذا لا تظهرها؟

- **آدم**: أنا متيقن من أنك ستصدمين من إجابتي.

- **المستجوبة**: أتحداك. لا أنصدم بسهولة.

- **آدم**: التقينا على أوكي كيوبيد. كنت في هذا الموقع فاتر الحماسة. لكنني رأيت صورتها وبدت جميلة حقا. خلاسية، أسلوب غريب، ذات وجه جميل، جسم رشيق، فنانة، متعلمة ومثقفة، ظريفة. التقينا وعندما رأيتها كانت مختلفة تماما، ممتلئة قليلا، جميلة، لكنها ليست بارعة الجمال. كنت أرغب في دفع الفاتورة والمغادرة على الفور، ولكن من باب الأدب، لأنني لم أرغب في جرح كرامتها، تحدثت معها. ولدهشتي العظيمة، استمتعت كثيرا بالتحدث معها. إنها ذكية ومرحة ويسهل التحدث إليها. شعرت بالرضا معها. رأيتها للمرة الثانية، ثم الثالثة، وقبل أن أتبين ذلك، بتنا على علاقة. كان الجنس جيدا معها أيضا. لكنني لم أستطع تقديمها إلى أصدقائي. لم أستطع.

- **المستجوبة**: هل يمكن أن توضح لماذا؟

- **آدم**: لطالما كان لدي صديقات جميلات جدا. أعتقد أن الطريقة التي يراني بها الآخرون ويحكمون علي بناء على الشخص الذي أكون أمر مهم. كان الظهور مع فتاة ممتلئة الجسم قليلا، حتى لو كانت جميلة، أمرا معقدا بالنسبة إلي. سيكون الأمر كما لو كان عليّ أن أعترف أنني، بطريقة ما، فاتني شيء ما.

مثل أمبرواز، يوضح آدم كيف يتم استخدام الجاذبية الجنسية للمرأة كشكل من أشكال الرأسمال الاجتماعي والرمزي من قبل الرجال الذين يشعرون بأنهم

مقيمون من قبل رجال آخرين في مجال يتنافسون فيه. ينظر الرجال إلى النساء اللواتي ينظر إليهن رجال آخرون، لأن الجنسانية أصبحت اليوم علامة واصفة للقيمة الاجتماعية (الذكورية). يبدو دور نظرة الرجال وتقييمهم من الأهمية لدرجة أن آدم يشعر بالراحة الوجدانية مع هذه المرأة، وكما يقول، «كان الجنس معها متعة حقيقية». تشير هذه الواقعة إلى أن سوق التقييم البصري يتمتع بقوة رمزية قوية ويفوق حتى أشكال التقييم الأخرى. يتم التقليل من قيمة الجسد الأنثوي هنا لأن الأجساد تتطور في بيئة ذكورية تنافسية، حيث يتم تقييم الرجال من قبل رجال آخرين من خلال النساء الذين يمتلكونهن جنسيا.

التبخيس بالتجزيء

ثمة آلية أخرى للتبخيس البصري هي التجزيء. بالتعريف، فإن الجنسانية البصرية تفترض القدرة على فصل الجنسانية عن هوية الشخص باعتباره المكان الذي تتبنين فيه القيم والمشاعر والأهداف، وعلى التركيز على الأجزاء الأيروسية من الجسم. مع تفتيت الذات إلى أعضاء جنسية، تكتسب هذه الأخيرة قدرة على الفعل، وهذا الأخير يؤدي بدوره إلى طرق جديدة لإدراك الفاعلين الجنسيين.

فعبر تجارب معرفية المدهشة، أظهر بعض الباحثون أنه عندما يركز الناس انتباههم على موضوع ما بشكل كلي شمولية (ككل)، فإنهم يجدون صعوبة أكبر في التعرف عليه وتذكره عندما يعرض مقلوبا. وعلى العكس من ذلك، فعندما مقاربة الأشياء بشكل تحليلي، أي كمجموعة من الأجزاء المتمايزة، يتم التعرف عليها وتذكرها جيدا، سواء أعرضت من الجانب الأفضل أو مقلوبة. على أساس هذا الأعمال نفسها، بين الباحثون أن عرض النساء – من جانب أفضل أو مقلوب - لا يلعب أي دور في الطريقة التي يتم بها إدراكهن، بينما لا يدرك ويستذكر الرجال بشكل جيد أقل عند عرضهم بالمقلوب. خلص الباحثون إلى أن النساء يدركن قبليا كمجموعة متباينة من أجزاء الجسم، في حين يدرك الرجال بصورة

شمولية كلية، ككل واحد لا يتجزأ[362]. يتعلق الأمر هنا بتأكيد إمبريقي على مفاعيل الجنسانية، التي تنزع إلى التركز على الأعضاء الجنسية ومن ثم إلى تفتيت الجسد الأنثوي. يتواتر التفتيت أو التجزيء في النظرة التي ينظر بها الرجال إلى النساء، وفي طريقتهم في نسج علاقة معهن (بالنظر إليهن على أنهن مجرد «نهود أو أثداء» أو «أرداف» أو «زوج من السيقان»)، ولكنه أصبح أيضا سمة مشتركة بين الصور المتداولة في الثقافة التكنولوجية بوجه عام. إن التفتيت آلية معرفية أساسية في تجريد الهوية الفردية للنساء.

أنجي امرأة بريطانية تبلغ من العمر ستة وعشرين عاما تعيش في برلين، وتعمل كمساعدة ومؤلفة إعلانات في السينما:

- **المستجوبة**: هل لديك صديق؟

-**أنجي**: لقد انفصلت لتوي عن أحدهم. أعتقد أن الأمر سيستمر على هذا النحو لنزر من الوقت لأنني لا أشعر أنني قادرة على العودة إلى تيندر لأبحث عن صديق.

- **المستجوبة**: لم لا؟

-**أنجي**: بمجرد أسجل دخول إلى الموقع، سأبدأ في تلقي صور لقضبان منتعظة (dick pics) مرة أخرى. ليس لي رغبة في ذلك.

- **المستجوبة**: ماذا ستتلقين؟

-**أنجي**: صور قضبان منتعظة. ألا تدركين ما هي؟

- **المستجوبة**: لست واثقة من أني قد فهمت.

- **أنجي** [وهي تضحك]: إنهم يرسلون لك صورة لقضبانهم.

- **المستجوبة**: هل تقصد أن الرجال الذين تتواصلين معهم يرسلون لك صورا عن عضوهم الجنسي بدون وجوههم، أعني بعد أن رأيت وجوههم؟

(362) P. Bernard, S. Gervais, J. Allen, S. Campomizzi, and O. Klein, "Integrating Sexual Objectification with object versus Person Recognition : The Sexualised Body-inversion Hypothesis," *Psychological Science* 23, no. 5 (2012): 469–471.

- **آنجي**: بالضبط. فقط القضيب. هذه هي الطريقة التي يتواعد بها الناس اليوم.

- **المستجوبة**: أهكذا بات يتواعد الناس اليوم؟

- **آنجي**: تماما. مرحبا بك في عصر تيندر.

- **المستجوبة**: ألا تحبين ذلك.

- **آنجي**: لا. إطلاقا.

- **المستجوبة**: هل يمكنك توضيح السبب؟

- **آنجي**: قد لا يكون اللائق قول ذلك، لكنني أعتقد أنه من البذيء الفاحش اختيار شخص تبعا لحجم قضيبه. يبدو الأمر كما لو أننا لسنا شيئا بمعزل عن أعضائنا الجنسية. أجد هذا الأمر منحطا. حتى لو أني من المفترض أن أكون الشخص الذي يختارونه، إلا أنني أشعر بالإهانة من قبل الرجل عندما أختاره بناء حسب حجم أو شكل قضيبه. أعرف كنسوية أنه حري بي أن أسخر من هذا، لكن هذا ليس صحيحا. أجد هذا الأمر سافلا. لست أدري لماذا.

الرسائل الجنسية تشظي الجسم إلى أعضاء جنسية، وتفصل الأعضاء ليس فقط عن الشخص، ولكن عن رؤية كلية للجسد ذاته. إن جعل الجسد مرئيا وجنسنته يفصلان الجسم عن الذات؛ إنه يصبح موضوع نظرة سريعة وفورية، ولحظتئذ يغدو العضو هو ما يشكل موضوع التفاعل. الرجال الذين استحضرتهم آنجي يتشظون من تلقاء أنفسهم، بطريقة توحي بأنهم يرون إلى المرأة كمجموعة من الأعضاء المتشظية. تتردد آنجي في تفسير رد فعلها: فـ«نسويتها» تشجعها على أن تكون هادئة ورابطة الجأش (أي متجردة)؛ لكن رباطة الجأش هذه تتعارض مع إحساسها بأن عرض الأعضاء التناسلية أمر «فاحش». يختلف تجنيس الذات، على حد تعبير روزاليند جيل السديد بحق، عن الأشكال القديمة من الموضعة الجنسية لأنه **رد فعل** على النسوية، وهو رد فعل يبدو **متواطئا ومسليا**، من جانب النساء

اللائي يشعرن بأنهن حرات كفاية ليتلاعبن بقوانين الذكورة واطراحها[363].

وأخيرا، وربما كان الأمر الأكثر إثارة للاهتمام، نحن لا نعرف بالضبط من هي الذات وما هو الموضوع في هذا التفاعل. هل يشكل الرجل بقضيبه ذاتا مستقلة أم أنه منفصل عن هويته الفردية، وبذلك يمسي موضوعا تتملكه المرأة؟ هل القضيب مشيِّئ (مموضِع) أم مشيَّئ (مموضَع)؟ من الصعب حسم الأمر لأنه كلاهما في نفس الوقت. فحقيقة أن الرجل يقدم نفسه من خلال عضوه الجنسي يعكس الطريقة التي يتصور بها هو نفسه شركائه المحتملين، أي بوصفهم مجموعة من الأعضاء التناسلية. تدعو صورة القضيب النساء إلى نوع من التفاعل حيث يتمتع الرجال بالسلطة لأنهم ذوو قدرة أكبر على التحلل من العلاقة. لكنه يدعو أيضا النساء إلى نفس القدرة على التحلل.

إن جعل الذات مرئية والنظام المرئي الجديد الذي يولده هي سيرورات تشييء (reification) لأنها تمكن من تفتيت الذات وعرض «أجزائها» في سوق تنافسي تخضع لأشكال من التقييم السريع للغاية للفرز بين وفرة من الأعضاء التناسلية المسلعنة. من خلال تفتيت الجسم إلى أعضاء جنسية، تميل الجنسنة إلى فصله عن مصادر الهوية الاجتماعية الأخرى، مما يؤدي إلى تضخيم الثنائية والفصل بين الجسد والذات. تقع هذه السيرورة في صميم الممارسة التي باتت شائعة بشكل متزايد لإرسال الرسائل الجنسية. أجرى كاثي مارتينيز براذر ودونا فانديفر دراسة على طلاب السنة الأولى في جامعة متوسطة الحجم في جنوب الولايات المتحدة فبينت أن «حوالي ثلث المشاركين صرحوا إنهم أرسلوا رسالة نصية جنسية عندما كانوا في الثانوية إلى مستخدم آخر لهاتف محمول[364].» اهتم لي موراي وآخرون

(363) Rosalind Gill, "From Sexual Objectification to Sexual Subjectification: The Resexualisation of Women's Bodies in the Media," *Feminist Media Studies* 3, no. 1 (2003) : 100-106.

(364) Kathy Martinez-Prather and Donna M. Vandiver, "Sexting among Teenagers in the United States: A Retrospective Analysis of Identifying Motivating Factors, Potential Targets, and the Role of a Capable Guardian," *International Journal of Cyber Criminology* 8, no. 1 (2014): 21–35, esp. 21.

بالشباب (الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية عشر وعشرين عاما) المتحدرين من مؤسسات تعليمية مختلفة في سيدني ووجدوا أن 47 ٪ من الشباب الذين شملهم الاستطلاع قالوا إنهم أرسلوا أو تلقوا رسائل نصية جنسية[365]. إن مثل هذه الممارسات تخلط بين الجنسانية والمرئية (visuality) والتكنولوجيا وتفكك الجسم إلى أعضاء.

يسمح التفتيت بسهولة أكبر من الحط من القيمة لأن الأعضاء تعريفا أقل خصوصية أو فرادة من نوعها من الأجساد كاملة أو من الأشخاص الكاملين. هذا هو بالضبط سبب قدرة الخبير القانوني ريتشارد بوزنر على الدفاع عن سوق الأعضاء (الكلى، على سبيل المثال) ولكن ليس سوق الأجساد[366]. فالأعضاء أشبه بالسلع منها بالأشخاص، لأننا يمكننا فصلها عن إدراك الذات العاطفية والنفسية التي تثوي وراء الجسد، ولأنها أكثر وفرة ويمكن استبدالها بسهولة. تختلف الأعضاء عن الأجساد لأنه، كما كتبت الباحثة النسوية كارول بيتمان، «الجسد والذات بينهما علاقة جوهرية. الجسد والذات ليسا متطابقين، لكن الذات لا تنفصل عن الجسد[367].»

يميز هانز يوناس بين التكنولوجيا ما قبل الحديثة والتكنولوجيا الحديثة[368]. فما يميز جزئيا التكنولوجيا الحديثة، كما يفترض، هو أن العلاقة بين الغاية والوسائل لم تعد خطية بل دائرية، بحيث «يمكن للتكنولوجيات الجديدة أن

---

(365) Lee Murray, Thomas Crofts, Alyce McGovern, and Sanja Milivojevici, *Sexting and Young People*, Report to the Criminology Research Advisory Council Grant : CRG 53/11-12, November 2015, 5, http://www.criminologyresearchcouncil.gov.au/reports/1516/53-1112-FinalReport.pdf, accessed February 27, 2018.

(366) Richard Posner, "Sale of Body Parts—Posner," *The Becker-Posner Blog*, October 21, 2012, http://www.becker-posner-blog.com/2012/10/sale-of-body-partsposner.html, accessed December 12, 2017.

(367) Pateman, "What's Wrong with Prostitution?" 3–64, esp. 60.

(368) انظر مقاله:

Hans Jonas, « Toward a Philosophy of Technology », *Hastings Center Report*, 9, no 1 (1979) : 34-43.

تقترح وتخلق بل وتفرض غايات جديدة، لم يكن من الممكن تصورها من قبل، من خلال عرض جدواها حتى [...]. وهكذا، تنضم التكنولوجيا إلى أهداف الرغبات البشرية، بما في ذلك أهداف التكنولوجيا نفسها[369]». لذلك يمكن القول إن التكنولوجيا خلقت غايات جنسية جديدة، من خلال تضخيم عملية التسليع، وسيرورة التفتيت، وتداول الأعضاء الجنسية.

كل ما قلته أعلاه يشير إلى أن الجنسنة والاعتراف هما على طرفي نقيض من الطيف الأخلاقي. يفترض الاعتراف القدرة على اعتبار الشخص كوحدة، بأهدافه وقيمه والدخول معه في علاقة تبادلية[370]. وفي المقابل فالتقييم يقيّم الآخر وفقًا لشبكات بلورت مسبقا. التقييم والاعتراف هما وضعان معرفيان متمايزان وتعكس الهيمنة المتزايدة للأول على الثاني أهمية هذا الحدث الاجتماعي الذي أسميه «عدم الاختيار»، لأن التقييم غالبا ما يؤدي إلى النبذ والهجر.

في محاضرات تانر، يؤكد أكسل هونيث بأن التشيىء هو تفاعل معقد بين الاعتراف (recognition) والتعرف (cognition)[371]، ويقترح بدقة أن التشييء يقتضي نسيان الاعتراف؛ يتساءل كيف يمكن أن يؤدي التعرف إلى نسيان الاعتراف السابق، أي كيف أن ما ندركه وكيف ندركه لا يمكننا من أن نسجل بشكل صحيح حضور أو إنسانية الغير. تعرض أسواق الجنس مثالا مقنعا على

---

(369) Ibid., 35.

(370) Jessica Benjamin, *Like Subjects, Love Objects: Essays on Recognition and Sexual Difference* (New Haven: Yale University Press, 1998); Jessica Benjamin, "Recognition and Destruction," *Relational Perspectives in Psychoanalysis* (1992); Nancy Fraser, "Rethinking Recognition," *New Left Review* 3 (2000): 107; Nancy Fraser and Axel Honneth, *Redistribution or Recognition?: A Political-philosophical Exchange*.(London and New York: Verso Books, 2003); Nancy Fraser, "Rethinking the Public Sphere: A Contribution to the Critique of Actually Existing Democracy," *Social Text* 25/26 (1990): 56–80; Axel Honneth, *The Struggle for Recognition: The Moral Grammar of Social Conflicts* (Cambridge: MIT Press, 1996).

(371) Axel Honneth, with Judith Butler, Raymond Geuss, and Jonathan Lear, *Reification: A New Look at an Old Idea*, ed. Martin Jay, The Berkeley Tanner Lectures (New York: Oxford University Press, 2008).

هذا النوع من النسيان. يستحضر هونيث دور الانتباه، أو بالأحرى قصور الانتباه، ليوضح كيف يُنسى فعل الاعتراف. أود أن أقترح إضافة إلى ذلك أن الانتباه الذي تنظمه المرئية يولد مستوى منخفضا من الانتباه، لا سيما حينما تأخذ الأشياء المرئية شكل سلع، أي حين توجد بوفرة، وتتنافس مع بعضها البعض، وتعرض وتصبح قابلة للمبادلة بسهولة. نقلا عن هونيث، يمكننا التحدث هنا عن تشييء إدراكي: «تبدو بيئتنا الاجتماعية هنا، تماما كما هو الحال في العالم الإدراكي لطفل مصاب بالتوحد، مثل كلية من الأشياء يمكن ملاحظتها فقط، وخالية من أي ارتكاس أو انفعال نفسي[372]. » إن التقييم البصري في سوق الأجساد على شكل صور يؤدي إلى تبخيس القيمة من خلال قلة الانتباه.

التبخيس من خلال تهذيب الذوق

إن قطاعا واسعا من علم اجتماع الذوق المستوحى من بيير بورديو وتلامذته العديدين يرتكز على فرضية أن الأذواق ليست مستقرة فحسب، بل إنها من صميم الذات حتى؛ إنها المصفوفة التي تنظم اختيارات الشخص ومساره الاجتماعي وهويته[373]. تعبر الأذواق عن الانتماء إلى طبقة اجتماعية وهي متجذرة في التطبيق المنهجي لاستعدادات مكتسبة على امتداد الحياة (الهابيتوس). من حيث إن الذوق عميق ودائم فهو يبنين الهوية. وهو يترجم أساسا بالاختيار والتقييم، وهو ما اعتبره بورديو نتيجة طبيعية للذوق[374]. ووفقا لوجهة النظر هذه، فإن العلاقة المبنية على ثقافة مشتركة للأذواق هي بالضرورة علاقة قوية بالمعنى الذي تترسخ فيه في العوامل المحددة للهابيتوس الطبقي. بيد أن تصور

(372) Ibid., 58.

(373) Pierre Bourdieu, *Distinction: A Social Critique of the Judgement of Taste* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1984); Jukka Gronow, *The Sociology of Taste* (Abingdon-on-Thames: Routledge, 2002); Sarah Thornton, *Club Cultures: Music, Media, and Subcultural Capital* (Middletown, CT: Wesleyan University Press, 1996).

(374) Bourdieu, *Distinction,* 91, 175.

الذوق هذا غير مناسب لفهم أن الثقافة الجنسية وثقافة الاستهلاك تتعلقان بالاختيار بقدر ما يتعلقان بعدم الاختيار، أي أنهما يتيحان إمكانية العودة إلى خيار سابق. ينعكس ويظهر هذا الشكل من عدم الاختيار فيما أدعوه بتهذيب الأذواق.

كما أوضحت ذلك في موضع آخر، فإن تهذيب الأذواق يزعزع استقرار الهابيتوس ويجعل ديناميكية الاختيار غير مستقرة في أساسها. على عكس الحاجات الثابتة، فإن التهذيب في جوهره غير مستقر بمعنى أن الذوق ينطوي بالفعل على إمكان التجاوز(375). وبهذا المعنى، فإن تحسين أذواق المرء ينسف استقرار الهابيتوس. ففيما أن هذا الأخير يفترض مسبقا ذاتية شكلتها محددات اجتماعية ثابتة، فإن تهذيب الذوق يخلق عدم استقرار في تكوين التفضيلات، مما يجعل اختيارا سابقا غير مرضٍ. هذه الديناميكية عينها تفعل فعلها في العلاقات، إما لأن الفاعلين الجنسيين يرون شركاءهم كموضوعات استهلاك يجب تحسينها، أو لأن تهذيب أذواقهم الاستهلاكية يدفعهم إلى نبذ شخص لم تتغير أذواقه.

ألكسندر هو محاسب خبير يهودي إنكليزي يبلغ من العمر اثنين وخمسين عاما، طلق في سن السابعة والعشرين، ولم يتزوج قط مرة أخرى:

- **ألكسندر**: الشيء الوحيد الذي أتحسر عليه كثيرا هو عدم زواجي من امرأة كنت أعرفها قبل عشرين عاما.

- **المستجوبة**: على ماذا تتحسر؟

- **ألكسندر**: لم تكن ذات توجه ديني، بينما كنت أكثر تدينا. في ذلك الوقت، لم أكن أدرك أن الأمر لم يكن بهذه الأهمية، لأنني كنت مستغرقا بالكامل في أسلوب الحياة الجديد هذا. اعتقدت أنه سيصبح مهما جدا بالنسبة إلي. اعتقدت أنه لن يكون لدينا نفس أسلوب العيش، وأنه سيكون نقطة خلاف بيننا. لذلك قررت ألا أتزوجها، هكذا بلا سبب، لأنني اعتقدت أن علاقتنا لن تنجح. لكنها كانت غلطة. اليوم لم يعد الأمر ذا أهمية، لكن وقتئذ لم أكن أدرك ذلك.

(375) Eva Illouz, "Emotions, Imagination and Consumption: A New Research Agenda," *Journal of Consumer Culture* 9, no. 3 (2009): 377–413, esp. 401.

قام هذا الرجل بترجمة دقيقة، بالانتقال من مجال الاستهلاك إلى مجال العواطف. لقد خلط أسلوب الحياة والعلاقة الوجدانية الحميمة، بترسيخ اختيار الشريك في ابستيمولوجيا اختيار المستهلك، وهو أحد مكونات ثقافة الأذواق والذاتية. في ذلك الزمن، كان هذا الرجل يغير أذواقه ويهذبها، وكان يعتقد أن شخصًا لا يتناسب مع نمط الحياة الجديد هذا سيكون خيارا وجدانيا غير مناسب. يوضح قراره بشكل دقيق التأكيد الاستفزازي لآدم فيليبس وليو برساني الذي مفاده أن «معرفة ما نريده هو تحريض على العنف[376]». فبالنظر إلى أن ابستيمولوجيا العلاقات منظمة حول الأذواق والهوايات وممارسات استهلاك مرسخة بوعي، فالعلاقة تقيَّم كاختيار لنمط حياة، كتفضيل من جانب المستهلك. تعمل أنماط الحياة والهوايات والأذواق على تنشيط نماذج تقييم تؤدي في الغالب من الأحيان إلى الحط من القيمة وعدم الاختيار؛ يتم رفض الأشخاص بسهولة أكبر عندما لا يتناسبون مع مصفوفة الأذواق («لا يوافق ذوقي»). لذلك فإن نبذ الأشخاص متأصل في الممارسة المستمرة للذوق - حيث يتعلق الذوق بالسلع الاستهلاكية واختيار الشريك.

تغيير النقطة المرجعية في التقييم

إن عملية المزاوجة والربط وفق تقييم بصري، وتقييم الشخصية وتقييم المستهلك تتم كلها في سوق شديد التنافسية، لذلك يجب أن تلجأ ضمنيا إلى معرفيات مقارنة. أصبحت المقارنة واحدة من المعرفيات الرئيسية، إن لم تكن الرئيسية، في عملية البحث عن شريك. تتأثر المقارنة والاختيار بالحكم، والذي بدوره له تأثير عميق على كيفية تقييم الغير.

لكي تتحقق بالكامل في السوق، يجب تخصيص سعر رمزي لقيمة سلعة ما والذي يتعلق هو نفسه بالطريقة التي تتموقع بها تلك السلعة بالنسبة إلى السلع

(376) Leo Bersani and Adam Phillips, *Intimacies* (Chicago: University of Chicago Press, 2008), 94.

الأخرى. يقول عالما الاجتماع جينس بيكيرت وباتريك أسبيرز: «إن تقييم شيء ما يفترض قياسه ومقارنته وفقا لسلم القيمة»[377]. يبين البحث في علم النفس المعرفي أن تقييم موضوع ما - الحكم على قيمة الشيء - يتغير بشكل دال إذا تغيرت النقطة المرجعية. درس كريستوفر ك. هسي وجياو زهانغ، وهما عالما نفس من جامعة شيكاغو، سيرورة التقييم وعلاقتها باتخاذ القرار. لقد بينا أن هذه السيرورة تتغير اعتمادا على ما إذا كنا نأخذ في الاعتبار خيارات مختلفة أو منغمسين في تجربة فريدة. الخيار الأول يدعى «أسلوب التقييم المشترك»، والآخر يسمى «أسلوب التقييم الفريد». في نمط التقييم المشترك، يقارن الأشخاص عدة صفات وينتبهون إلى الاختلافات القائمة بين عدة موضوعات؛ وفي أسلوب التقييم الفريد، من جانب آخر، يقوم الأشخاص بتقييم موضوعهم وفقا لما يحبونه أو يستحسنونه، ويكونون قادرين على المضي قدما، كما هو الحال عند اقتناء موضوع ما في دار المزادات[378]. في نمط التقييم المشترك، يفكر الأشخاص في الأولويات والموازنات، ويفكرون فيما قد يخسرونه أو يكسبونه إذا اتخذوا هذا الخيار أو ذاك، بينما في نمط التقييم الوحيد، يبادر الأشخاص دون إجراء أي حسابات. وخلاصة القول: نحن لا نقيم قيمة موضوع ما بنفس الطريقة في السوبر ماركت وفي دار المزاد العلني؛ إننا نسند قيمة أعلى للموضوع في دار المزاد العلني وقيمة أقل للموضوع في السوبر ماركت، حسبما إذا كان التقييم ينشط سيرورة معرفية للمقارنة أم لا. هذا يعني أنه عند مقارنة الموضوعات فيما بينها، يكون من الصعب أن نسند إليها قيمة. أو بتعبير أدق، تفقد هذه الموضوعات قيمتها. ثمة مثال طريف، لكنه من صميم الحياة الواقعية، حكاه رجل من مستخدمي الإنترنت، يوضَح ذلك ببلاغة:

(377) Jens Beckert and Patrik Aspers, eds., *The Worth of Goods* (New York: Oxford University Press), 6.

(378) Christopher K. Hsee and Jiao Zhang, "Distinction Bias: Misprediction and Mischoice Due to Joint Evaluation," *Journal of Personality and Social Psychology* 86, no. 5 (2004): 680.

[...] كان هناك: **امرأة جمايكية** تحضر رسالة الدكتوراه في الأدب في جامعة ستانفورد.

الموعد: 1 (حانة). المشكلة: كانت ذكية جدا قياسا إلى الأبله الغبي الذي يحدثكم.

سيدة فيتنامية في كلية طب الأسنان. الموعد: 2 (مقهى، عشاء في مطعم فطائر). المشكلة: على الرغم من جاذبيتها، إلا أنني لم أستسغ حقيقة أنها كانت على علاقة برجل متزوج. هذا يثير اشمئزازي.

فتاة بيضاء، طالبة، لديها ميل للآسيويين. الموعد: 1 (مقهى). المشكلة: كانت ثنائية الجنس. امم، الآن حين أفكر في الأمر، ما المشكلة في ذلك؟

وامرأة **أمريكية من أصل أفريقي** كانت تدرس الطب النفسي. كان لديها عيون براقة ووجه مليح. الموعد: 2 (مقهى، تواصل عبر تقنية الفيديو). المشكلة: أتوجس من الأشخاص الصموتين، وخاصة طالبات الطب النفسي. هل كانت تحللني؟ ماذا رأت؟ لا أرغب في أن أعرف[379].

يوضح هذا المقتطف صعوبة هذا الرجل في العثور على «البروفايل الصحيح» لأنه في كل لقاء، تتغير نقطته المرجعية، مما يصعب عليه إسناد القيمة ويقلل في النهاية من قيمة كل امرأة. هذا يعني أننا ببساطة لا نعرف كيفية تقييم موضوع ما عندما نجد أنفسنا في وضعية السوق حيث نقارن شيئا مع أشياء أخرى ذات قيمة مماثلة. بالإضافة إلى ذلك، كما قالت عالمة الاجتماع آشلي ميرز بسداد لا نظير له بخصوص صناعة عرض الأزياء، في عديد من المجالات الثقافية، فإن سعر أو قيمة عارض أو عارضة أزياء أو عمل فني أو ممثل غير واضحين. «توضح مسألة التسعير معضلة أوسع يواجهها المنتجون الثقافيون، وبالتبعية الأشخاص الموجودون في أي سوق للسلع غير المادية. إنها مشكلة غياب اليقين، وعدم القدرة

(379) S.A.M. I Am, "True Life Dating Stories," http://www.explode.com/rr/lifesucks-dating.shtml, accessed December 12, 2017.

على القول مقدما ما نحن في حاجة إليه.» [380]

يختار المقيمون الرومانسيون ما قبل المحدثين كما هو الأمر في دار المزاد العلني لأنهم يعملون في شروط الندرة. يختار المقيِّمون الجنسيون والرومانسيون المحدثون كما لو كانوا في سوبر ماركت: فهم يفتقرون إلى معالم واضحة ولا يعرفون ما يريدون. وقد أدى إدخال الممارسات الرومانسية والجنسية في السوق الاستهلاكية إلى خفض القيمة. فبالنظر إلى أن الفاعلين الجنسيين يتواعدون في وضعية شبيهة بالسوق، فإنهم يجدون أنفسهم في مواجهة ما يمكن أن يسمى الانكماش العاطفي، القريب من الآليات الاقتصادية للانكماش حيث ينخفض السعر أو القيمة الإجمالية لسلعة ما، إما لأن المنافسة تخفض الأسعار، أو بسبب أن زيادة الفعالية تقلل من تكاليف الإنتاج. يمكن النظر إلى الحرية الجنسية، وحبوب منع الحمل، وتحويل أجساد النساء إلى صور جنسية، وتكنولوجيا الإنترنت على أنها آليات أدت إلى تضخيم العرض والمنافسة الجنسيين، وسمحت للرجال بالوصول بسهولة أكبر للشريكات الجنسيات، وخفضت كلفة التفاعلات الجنسية بالنسبة إلى الرجال، وأنتجوا فائض قيمة اقتصادي هائل للصناعات المرئية التي يتحكم فيها الرجال، وللرجال مرة أخرى، وشرّعت منح مكانة للرجال من خلال جنسانية متسلسلة. ويترتب على ذلك إما انخفاض في قيمة الجسد الأنثوي، أو فقدان كامل لفائدتها في سوق الجنس، ومن ثم استحالة إسناد أي قيمة إلى هذا الموضوع. وهكذا، فإن حقيقة أن المواعدات الجنسية قد اتخذت شكل سوق وتشكلت من خلال أسواق اقتصادية من نوع مرئي يجعل من الصعب بلورة قيمة ثابتة أو الحفاظ عليها.

يمكننا التأكيد على هذه النقطة بطريقة أخرى، من خلال التشديد على دور الندرة في عملية التقييم. كشفت تجربة أجرتها شينل لينغار ومارك ليبر عن هذه العملية (على الرغم من أن هذا لم يكن الغرض الأصلي من التجربة)[381]. كان

---

(380) Mears, *Pricing Beauty*, 10.

(381) Sheena S. Iyengar and Mark R. Lepper, "When Choice Is Demotivating: Can One

على المشاركين في التجربة تقييم أنواع مختلفة من الشوكولاتة وقد وزعوا إلى مجموعتين: يطلب في المجموعة من المشاركين تقييم عدد كبير من الشوكولاتة المختلفة؛ وفي المجموعة الأخرى لم يكن هناك سوى القليل منه. في نهاية التجربة، اقترح على المشاركين الاختيار بين نوعين من المكافآت: إما المال (خمسة دولارات) أو شوكولاتة (بقيمة معادلة). كانت النتائج لافتة للانتباه. أولئك الذين أعطوا أنواعا قليلة من الشوكولاتة ليقيموها فضلوا الشوكولاتة على المال. يشير هذا بوضوح إلى أن الاختيار من بين عدد قليل يكون أنسب لإطلاق شرارة عملية التثمين. بعبارة أخرى، تؤدي الوفرة إلى خفض القيمة لأنه، في حالة الوفرة، تميل الأشياء والأشخاص إلى أن يصبحوا قابلين للتبادل بين الأفراد. وفقا للتنبؤ الماركسي القائل بأن قيمة التبادل ستصبح أكثر أهمية من قيمة الاستخدام، عندما نكون في حضرة العديد من أنواع الشوكولاتة، تصبح هذه الأخيرة قابلة للتبادل، ومن ثم قابلة لأن تختزل إلى قيمتها النقدية المجردة. وبالتالي، فإن مشكلة تحديد قيمة الموضوع الجنسي وخفض قيمته اللاحقة مرتبطة بالوفرة الجنسية. وهكذا، ففي حين أن المنتجين الرأسماليين يخلقون قيمة محققة اجتماعيا[382]، فإن القيمة الجنسية التي تخلقها وتنتجها النساء أنفسهن عبر ثقافة الاستهلاك غالبا ما تتحقق جزئيا، هذا إذا لم تتحقق على الإطلاق، لأن تسليع الأجساد يزيد من العرض الجنسي. وذلك، يخفض من قيمة الأجساد إما لأنها يمكن استبدالها بسهولة أو لأن قيمتها تتقادم بسرعة. بطريقة أكثر أهمية من الرأسمال الجنسي الذكوري، يواجه الرأسمال الجنسي للإناث مشكلة الحفاظ على قيمته الاجتماعية. فلأن قيمة الرجال تتحدد من خلال أصول ومقومات أكثر ديمومة، فإن قيمتهم لا تنخفض بل تزداد بمرور الوقت. وبعبارات أخرى، فإن نظام الجنس والاستهلاك برمته يقوم على

Desire Too Much of a Good Thing?" *Journal of Personality and Social Psychology* 79, no. 6 (2000): 995–1006.

(382) David Harvey, *Marx, Capital, and the Madness of Economic Reason* (New York: Oxford University Press, 2017).

صعوبة النساء في الحفاظ على استقرار قيمتهن الرمزية والاقتصادية، في حين أن قيمة الرجل مستقرة أو تزداد بمرور الوقت.

وفقا لماركس، فإن الاتجاه التنازلي في معدل الربح يقلل من قيمة العمل[383]. وبنفس الطريقة، يمكن القول إن قيمة الجسد الأنثوي والأهمية التي نسندها إليه تتناقصان مع التقدم في السن. يقدم جسد المرأة المجنسن كسلعة، ويخضع للتقييم، ويعرض نفسه لمغبة الحط من قيمته. وكما يقول ديفيد هارفي بسداد: «إن التبخيس الهائل من قيمة السلع، والمصانع والمعدات والأجهزة، التي ما تفتأ حتى وقتنا منتجة، والمال والعمل» متوطن في الرأسمالية[384]. إن تبخيس القيمة متأصل في الرأسمالية لأنه يسمح بخلق قيمة جديدة ضرورية لتجديد الأسواق الاستهلاكية. لأن الأجساد الجنسية والأذواق منتشرة على نطاق واسع في اقتصاد الاستهلاك، فيجب أن تتقادم وتستبدل بسرعة، حتى تظل منتجة اقتصاديا. لا يتحكم السوق في المواعدات الجنسية والرومانسية فحسب، بل إنه أكسبها أيضا خصائصه. لقد صممت الأجساد الجنسية لإنتاج قيمة وبالتالي فهي تحتاج تدبيرا، واشتغالا على صورتها وجهودا دائبة لإثبات قيمتها والحفاظ عليها لأنها توجد في حالة تنافس دائم مع أجساد أخرى؛ إنها تنهمك في التقييم والمقارنة المرجعية وهي تواجه باستمرار غياب اليقين والمخاطر التي تهدد قيمتها. إذا كانت الجنسانية وأذواق المستهلك تنتج القيمة - اقتصادية ورمزية في آن - فهذه القيمة تهدد بصورة دائمة بالذوبان في التقييم والمقارنة والمقارنة المرجعية والتبخيس من القيمة.

ووفقا لآدم أرفيدسون، فإن النشر المكثف للمعرفة والمعلومات يغير موضوع

---

(383) Karl Marx, "Part 3: The Law of the Tendency of the Rate of Profit to Fall," in *Capital: A Critique of Political Economy,* vol 3, Penguin Classics (1863–1883; London: Penguin Books, 1993), 279–306, 317–376. See also Ben Fine and Laurence Harris, "The Law of the Tendency of the Rate of Profit to Fall," *Rereading Capital* (London: Macmillan Education, 1979), 58–75.

(384) David Harvey, *Seventeen Contradictions and the End of Capitalism* (New York: Oxford University Press, 2014), 234.

وقيمة التبادل الاقتصادي. أصبح إنتاج السلع «مشاعا» وموردا مشتركا[385]؛ لذا فإن مشكلة الرأسماليين لم تعد تتعلق بإنتاج السلع، ولكن في أن يضفوا عليها الفرادة («الابتكار» و«صورة العلامة التجارية» وسيلتان لإضفاء الفرادة على سلعة ما). وبنفس الطريقة، وبسبب إمكانية الوصول إلى الجنسانية، تكمن المشكلة الآن في إضفاء (أو استحداث) الفرادة عليها، والتي بدورها تُترجم إلى واقعة «الوقوع في الحب» أو «الحب». لب السؤال كله هو العثور على الفرادة التي نود أن نتعلق بها. إن جنسنة العلاقات يخلق وفرة من الخيارات الجنسية ونقاط مرجعية متحولة، تضعف قدرة الذات على إسناد القيمة، والتشبث بشخص واحد، وتفريده، والالتزام مع فرد آخر في مسار يأتي من القدرة على البقاء معرفيا وعاطفيا متمركزا على شخص ما - أي إدراك الآخر في حالة ندرة. والمماثلة مع حالة الرأسمالية المعاصرة لا تتوقف عند هذا الحد. تتصاحب الأسواق الاقتصادية مع لا يقين بشأن السعر الحقيقي لسلعة ما. لقد عالج المنظرون النيوليبراليون قضية لايقين السعر بتأكيدهم أن الأسواق التي تعمل دون قيود هي وحدها التي تسمح للعرض والطلب بإملاء الأسعار الحقيقية للمنتجات[386]. ولكن، كما يوحي بذلك مثال السوق الجنسي، فإن واقع أنه سوق يزيد من عدم اليقين بشأن طبيعة وثبات قيمة الشخص. تعمل وفرة الاختيار الجنسي على تنشيط سيرورات التقييم التي تزيح الاعتراف جانبا، أي القدرة على تفريد الآخر[387] كذات في حد

(385) Adam Arvidsson, "The Potential of Consumer Publics," *Ephemera* 13, no. 2 (2013): 367–391; Adam Arvidsson, "The Ethical Economy of Customer Coproduction," *Journal of Macromarketing* 28, no. 4 (2008): 326–338.

(386) Milton Friedman, *Capitalism and Freedom* (Chicago: University of Chicago 2009); Friedrich August Hayek, "The Use of Knowledge in Society," *The American Economic Review* 35, no. 4 (1945): 519–530. For a review see David Harvey, *A Brief History of Neoliberalism* (Oxford: Oxford University Press, 2007); Thomas I. Palley, "From Keynesianism to Neoliberalism: Shifting Paradigms in Economics," in *Neoliberalism: A Critical Reader*, ed. Alfredo Saad-Filho and Deborah Johnston (Chicago: University of Chicago Press, 2005), 20–29.

(387) بخصوص اقتصاد الانتباه، انظر:

Daniel Kahneman, *Attention and Effort* (Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1973); Warren

ذاتها. تؤدي صعوبة الانخراط في أي شكل من أشكال الاعتراف إلى اللايقين الأنطولوجي، وهو لايقين بشأن أهمية وقيمة، وفي المحصلة، بشأن طبيعة الذات المنخرطة في التفاعل.

وضع الذات الملتبس

ترفض التصورات الإيجابية للجنسنة تشخيص الموضعة وتميل إلى اعتبار جميع السيرورات الموصوفة أعلاه - تلك المتعلقة التبخيس واللايقين - كثمن يؤدى، حتى إن كان مؤسفا ولكنه ضروري من أجل المزيد من الحرية. وتعليقا على الرؤية السلبية للجنسنة التي عبر عنها تقرير الجمعية الأمريكية لعلم النفس(388)، تؤكد إحدى المؤلفات «أننا لا نفكر فيها إذا كان الجنس أو الجنسنة أو حتى الموضعة قابلين لأن يكونوا منضبطين ذاتيا أو إيجابيين في الجوهر أو محرِّرين أو مثيرين للشهوة(389)».

هذا الجدال بين المنظّرات النسويات هو في حد ذاته دليل مقنع على حالة الارتباك العميق التي تنغمس فيها الذات المجنسنة، ولا سيما الأنثوية. فهل الفاعل الجنسي (الأنثوي) موضوع أم ذات؟ هذه في الواقع واحدة من القضايا الرئيسية التي انقسم بصددها أنصار ومنتقدو الحرية الجنسية. أود أن أقول إن السبب وراء صعوبة الإجابة عن هذا السؤال بوضوح يكمن في أن الموضعة نفسها قد تغيرت. لقد اتخذ شكل ذاتية، أو ما أسميته في بداية هذا الفصل بالذاتية الفائقة(390). ومن

Thorngate, "The Economy of Attention and the Development of Psychology," *Canadian Psychology/Psychologie Canadienne* 31, no. 3 (1990): 262–271.

(388) American Psychological Association, Task Force on the Sexualization of Girls, « Report of the APA Task Force on the Sexualization of Girls », 2007, http://www.apa.org/pi/women/programs/girls/report-full.pdf, accessed February 26, 2018.

(389) Ine Vanwesenbeeck, "The Risks and Rights of Sexualization: An Appreciative Commentary on Lerum and Dworkin's 'Bad Girls Rule,'" *Journal of Sex Research* 46, no. 4 (2009): 268–270, esp. 269.

(390) من أجل مناقشة وافية وشافية انظر:

المفارقات أن هذه الذاتية الفائقة تقوم على لايقين أساسي فيما يتعلق بمقام الذات.

ماري طالبة فرنسية تبلغ من العمر ستة وعشرين عاما، تدرس منذ بضعة أشهر في إيطاليا في أكاديمية الفنون الجميلة:

- **المستجوبة**: هل لديك صديق؟

- **ماري**: سؤال وجيه! كان لدي صديق في باريس. لكن عندما وصلت إلى هنا [في إيطاليا]، قلت لنفسي، «البعيد عن العين، بعيد عن القلب». قمت بتسجيل الدخول إلى تيندر، الذي أحتفظ به دائما على هاتفي، وخلال ... ثلاثة أسابيع فيما أعتقد، وجدت صديقا. قدم من كندا. كما يشارك في برنامج تبادل (الطلاب بين الجامعات). وبالنتيجة، انفصلت عن صديقي الفرنسي، على الرغم من أنني كان علي ربما الاستمرار، لكن نظرا لأنه كان يخطط لزيارتي هنا، فقد أصبح الأمر معقدا.

- **المستجوبة**: هل ما زال لديك تطبيق تيندر؟

- **ماري**: آه أجل. أنا لا أحب أن أكون وحدي. أينما كنت، يمكنني مقابلة الناس. من الصعب علي أن أكون وحدي. كلا، دعينا نقول إنه من الممتع أن تكون بمعية شخص ما.

- **المستجوبة**: هل تفاجأ صديقك الفرنسي بانفصالك عنه؟

- **ماري**: لا، لا أظن ذلك. أعتقد أنه كان سيفعل الشيء ذاته. كان هناك نوع من الاتفاق بيننا حيث كان من الواضح أن كل طرف كان سيفعل ذلك إذا أتيحت له الفرصة المناسبة. هذا هو نوع الأشياء الذي نعرفه دون الحاجة إلى شرحه. على أية حال، حتى عندما كنا مرتبطين، لم نخبر بعضنا أننا سنعيش معا، أو أن حبنا كان حبا حقيقيا. في الواقع، شعرت بالارتياح بالانفصال عنه. عندما كنت معه، شعرت قليلا وكأنني قطعة لحم.

- **المستجوبة**: ماذا تقصدين بـ «قطعة لحم»؟

Gill, "From Sexual Objectification to Sexual Subjectification".

- **ماري**: لم يكن حدبا وحنونا جدا. كان من الواضح أنه لا يريد إلا الجنس. لذا، حتى لو كنت أفضل أن يكون الأمر على خلاف ذلك، فقد تعلمت أيضا أن أتعايش مع هذا من أجل الجنس فحسب. لم أكن أعرف تماما ما كنت أريده. أحسب أنني كنت أرغب أنا الأخرى في الجنس. كنت أرغب في ممارسة الجنس، لكنني شعرت وكأنني قطعة لحم. لأن هذه هي الطريقة لتكون لك علاقة وممارسة الجنس بانتظام. لكنني شعرت في كثير من الأحيان وكأنني قطعة من اللحم. لا مشاعر، الجنس فحسب.

- **المستجوبة**: ومع صديقك الجديد، الأمر مختلف.

- **ماري**: نعم، يساورني انطباع أن الأمر مختلف. نتناقش [تضحك]. مؤخرا، كانت لديه مشاكل مع صديقته السابقة. لا يزال يشعر بالتعلق الشديد بها، الأمر الذي يثير حفيظتي ويجعلني أبقى على مسافة صغيرة في بعض الأحيان. لقد انفصلا لأنهما كانا يتشاجران، لكنه لا يزال يشعر بارتباط وثيق بها. على أية حال، معه لا أشعر بأنني قطعة لحم. نتحادث ونتقاسم فعل بعض الأشياء، ونهتم ببعضنا البعض. في الوقت نفسه، أشعر أنه عندما أغادر من هنا، سينتهي الأمر. كلانا يعرف ذلك. نحن معا لأننا نشعر معا بالوحدة في مكان لا نعرفه. لقد كان تطبيق تيندر هنا ليربطنا! [ضحك وموسيقى رنة هاتف].

- **المستجوبة**: هل تعرفان هذا لأنكما تحدثتما في ذلك؟

- **ماري**: لا. لا. إنه مثل صديقي السابق. لا يتعين علينا أن نقول أشياء لبعضنا البعض لمعرفة ما سيحدث. كلانا يعرف أننا معا لأننا هنا؛ وحتى لا نكون في حاجة إلى الجنس.

هذه المرأة الشابة لديها فكرة دقيقة عن ماهية العلاقة العاطفية، لكنها قبلت أن تكون «قطعة من اللحم» لأنها تجعل الجنسانية أولوية في أسلوب ارتباطها بالرجال. تبدأ العلائقية بطريقة جسدية، وفقا لابستيمولوجيا يستوعب فيها الجسد بوظيفته الجنسية، دون دلالة أخلاقية أو وجدانية داخلية. بفعلها ذلك، فهي تعيش حياتها كذات حرة. لكن هذه الحرية خاصة وفريدة لأن الجنسنة تحظر

التوقعات العاطفية وتجبر هذه المرأة على إعادة تعريف أمنياتها ورغباتها، لتتماشى مع الجنسنة التي أرسى لبناتها الرجل، وبالتالي تعامل نفسها كموضوع، كجسد جنسي خلو من القصدية - قطعة لحم. بما هي ذات، فهذه المرأة لها مقام ملتبس: فهي لا تستسيغ أن يكون لها أهدافها العاطفية الخاصة وتقبل أن تعامل كأنها «قطعة من اللحم»؛ تشعر بأنها مموضعة (مشيئة)، لكنها تموضع (تشيئ) أيضا صديقها، وتستخدمه لتلبية احتياجاتها الجنسية الخاصة، مما يمنحها إحساسا بالقوة. ومن ثم، فهو نفس الموجه العاطفي والأخلاقي الذي يسمح بتبخيس القيمة والانعتاق من خلال الاستخدام الأداتي المتبادل للآخر من أجل إشباع الاحتياجات الجنسية[391]. يحدث كل شيء كما لو أنه من خلال الحط من قيمة الآخر واستغلاله أداتيا، يجد كل شخص في ذلك قوة معينة. وعلى ذلك، فإن الموضعة الجنسية تتوافق مع منطق (ليس إذا) الخفي للثقافة الجنسية. إنه يمنح الرجال والنساء إحساسا بالقوة ينبع من واقع أنه يسخر الآخر أداتيا ويبدو كأنه يلعب لعبة لا ربح فيها ولا خسارة. إذا كانت هذه القدرة، سواء الأنثوية أو الذكورية، على موضعة الآخرين وتشييئهم قد استغلت على نطاق واسع من قبل صناعة الجنس وتم تبنيها بطريقة ما من قبل العديد من التيارات النسوية، فذلك لأنه أعيد تعريفها على أنها تذويت، يوجد في المتعة والتمكين والانفصال[392]. وعلى حد قول ستيفان، وهو فرنسي في عمر الثانية والخمسين، يعمل كمستشار استراتيجي لشركة توظيف، [عن استخدامه لـتطبيق تيندر]:

هناك شيء مبهج في السحب إلى اليسار واليمين. إنه يمنح شعورا بالقوة. أعتقد أن مصممي تيندر قد فكروا في الإحساس الذي يتيحه. يساورك شعور بالقدرة المطلقة على مصيرك العاطفي. من البديهي أنه شعور لا نمتلكه في الحياة اليومية.

---

(391) Rosalind Gill, "Empowerment/sexism: Figuring Female Sexual Agency in Contemporary Advertising," Feminism & Psychology 18, no. 1 (2008): 35–60.

(392) انظر:

Gill, "From Sexual Objectification to Sexual Subjectification."

ويبدو أن الذاتية قد تقوت وتعززت من خلال القدرة على موضعة الآخرين في حالة من الانفصال العاطفي، ومن خلال اختيار المستهلك أو عدم اختياره. من خلال الاختيار وعدم الاختيار، ينظم الآن المجال الجنسي من خلال العقلانية الأداتية بالمعنى الواسع للعبارة[393]. هذا التشييء الذاتي القائم على الجنسنة يفصل الذات عن الجسد ويخلق حالة من عدم اليقين، ليس فقط بخصوص قيمته ولكن أيضا بشأن رغبته الخاصة. تتضح هذه الحالة بجلاء في فيلم **العار** (2011) لستيف ماك كوين، وهو عبارة عن تأمل قاتم وبأسلوب متكلف ومنمق عن تفكك الذات إلى منزعين، جنسي وعاطفي.

كان براندون، بطل الفيلم، مدمن جنس. يشاهد الكثير من الأفلام الإباحية، وغالبا ما يلجأ إلى البغايا، ويكثر من علاقات الليلة الواحدة؛ ومع ذلك، فهو ليس فاتر الإحساس تجاه زميلة في العمل، ويؤكد الفيلم بوضوح أن هذه المرأة هي فرصة له ليعيش علاقة أعمق وأكثر جدية. لكنهما عندما يجدان أنفسهما معا في السرير، لا ينتصب. بعد أن تغادر غرفة النوم، أقام علاقة جنسية فاحشة مع عاهرة، كطريقة ليظهر الفيلم للمشاهد بطريقة محزنة أن الجنسانية والعاطفية تسلكان مسارات أصبحت مغلقة. ينتمي براندن إلى نظام جنسي جديد، حيث التكنولوجيا والصور (دفق من الصور الإباحية التي يمكن الوصول إليها على الإنترنت)، والتغيير المتكرر للشركاء المجهولين، تحول الجسد إلى مصدر وحيد للطاقة، غير متصل بما نفهمه عادة بالرغبة، أو الذات أو العاطفة. في هذه القصة، من الصعب القول ما إذا كان براندن لا يزال «ذاتا»، بمعنى أن جسده يبدو أنه قد اكتسب قوة فعل تتفلت على إرادته العاطفية الخاصة. إضافة إلى ذلك، فبما أنه غير قَادر على مواعدة ذوات أخرى - أي لا يمكنه التفاعل مع النساء إلا كموضوعات جنسية وليس كذوات -، فإن وضعه كذات ليس مؤكدا كذلك. يمكننا القول إن براندن، مثل ذات حديثة نموذجية، يعيش نظامه المرئي المكثف للاستهلاك

(393) Max Horkheimer and Theodor W. Adorno, Dialectic of Enlightenment, ed. Noeri Gunzelin (1944 ;Stanford, CA: Stanford University Press, 2002).

الجنسي كشكل من أشكال الإدمان على إثبات الذات والذاتية المفرطة. هذا التوكيد الذاتي المدمن يمر أيضا بسلسلة من عدم الاختيار التي تعتمد على مجموعة متنوعة من أشكال الدعم المؤسساتية: التكنولوجية، المرئية، البشرية، وفي شكل صناعة جنسية رخيصة. ومن ناحية أخرى، ليس للعواطف أسس مؤسسية خارجية يمكن أن تبنيها إلى ما وصفته آن سويدلر بخطة عمل[394]. أصبحت الجنسانية الاستهلاكية القائمة على التكنولوجيا ميدان فعل ممأسس للغاية، خاصة بالنسبة إلى الرجال أكبر المستهلكين للمواد الإباحية والبغاء، وبالتالي خلق أشكال مفككة للهوية الشخصية. تنتمي الذات الجنسية والذات التكنولوجية والذات المستهلكة إلى مصفوفة قوية واحدة، منفصلة نسبيا عن الذات العاطفية. إن الهوية التي توجد في مركز هذه العمليات هي في آن مموضِعة ومموضَعة.

لا تقل التجارب الجنسية للنساء التباسا وتفتتا. بالنظر إلى أن الجنسانية أصبح مجال تمظهر «قوة الفتاة» (girl power)، فقد عاشت النساء هذه الأخيرة كمصدر للاستقلالية ويرغبن في الشعور بسطوتهن الجنسية على الرجال؛ ومع ذلك، فإن اللقاءات الجنسية لا تزال في كثير من الأحيان تضر بتقدير النساء لذواتهن. يكاد يكون من المستحيل فصل الموضعة عن الاعتراف، لأن قيمة المرأة تتحدد إلى حد كبير من خلال جاذبيتها الجنسية وكفاءاتها الجنسية. تترافق الذاتية الفائقة مع عمليات الموضعة (سواء للذات أو الغير)، وكلتا العمليتين تؤديان إلى ما أسميه باللايقين الأنطولوجي الأساسي بشأن مقام الذات: من هو الموضوع الجنسي وبما يتعلق الأمر؟ هل يرغب في ذوات أم موضوعات؟ من الصعب الجزم بقول.

يتأثر اللايقين الأنطولوجي بشكل مفرط بعدة عوامل: تجزيء الرغبة إلى أشكال متعددة، إلى جنسانية، وعواطف وأسلوب حياة المستهلك؛ فهم الهوية الفردية كأداء مرئي؛ التقييم المقارن وفقا لمعايير الجمال؛ لقاء أشخاص آخرين في سوق تنافسي للصور الجنسية؛ تفتت الجسد (الذي يعزل التفاعل الجنسي عن

(394) Ann Swidler, "Culture in Action: Symbols and Strategies," American Sociological Review (1986): 273-286.

الجسم بكامله وعن الشخص) - كل هذه العوامل تحول دون قدرة النساء على تنمية تقدير مستقر لذواتهن.

إن اللايقين الأنطولوجي فيما يتعلق بقيمة المرء الخاصة وطبيعة الرغبة نفسها يخلق تماثلا عميقا بين علاقتنا بالطبيعة وعلاقتنا بالكائنات البشرية الأخرى (المجنسنة)، ما يسميه هيدجر، في مسألة التقنية، «الاحتياطي الدائم» [Gestell][395]. تشير فكرة الرأسمال إلى موقف أساسي بفضله نسخر الطبيعة والآخرين لتلبية احتياجاتنا. يمكننا أن نضيف لمسة نسوية إلى المفهوم الهايدغري عن «الاحتياطي الدائم»: حبوب منع الحمل، ومأسسة الجنسانية في ثقافة الاستهلاك، وسرعة تكنولوجيا الإنترنت تضع الكائنات البشرية، وخاصة النساء، في حالة من الجاهزية الدائمة للحاجات الجنسية للآخرين، والرجال على وجه الخصوص. حسب هايدغر، فإن هذا التوافر يهدد كلا من الذات والموضوع في ماهيتيهما. يفقد الموضوع قدرته على أن يكون موضوعا يقاوم أهدافنا. عالم بلا موضوع - حيث لم يعد الموضوع يقاوم رغباتنا - يهدد بنية ذاتيتنا حتى. يمكننا أن نتساءل ما إذا كانت الجنسنة المعممة على العلاقات لا تحول الكائنات البشرية، ولا سيما النساء، إلى رأسمال احتياطي[396]. إن بنية العلاقة هذه بين الذات والموضوع هي التي تغير جوهريا طبيعة الذاتية، خاصة تلك الخاصة بالنساء، والتي تتخذ من اللايقين الأنطولوجي نواة لها. يأتي اللايقين الأنطولوجي من صعوبة التمسك بإحساس معين بالقيمة والهوية «يقاوم» توافر المرء لنظرة الآخرين وتملكهم له، واستغلاله الأداتي باسم الجنس.

***

إنَّ التقييم أو إضفاء القيمة - بما هو سيرورة تهدف إلى خلق قيمة ذاتية

(395) Martin Heidegger, Basic Writings, ed. David Farrell Krell, trans. William Lovitt (New York: Harper & Row, 1977), 295–301.

(396) انظر:

Bakewell, At the Existentialist Café, 183.

واقتصادية في سوق جنسي واقتصادي أنتج بغرض التقييم المرئي للآخرين - يفسر بصورة متناقضة عملية بخس النساء قيمتهن من خلال آليات التقييم. يمكننا توضيح هذه المسألة من خلال ذكر أسلوب للتقييم الجنسي مختلف تماما. وصفت فيتا ساكفيل ويست، الأرستقراطية التي وقعت في حب فرجينيا وولف بشغف، الكاتبة الشهيرة عندما قابلتها قائلة:

إنها طبيعية تماما: لا وجود لأي زينة خارجية - إنها تلبس بشكل فظيع. في البداية، نعتقد أنها دميمة الخلقة، ثم يطغى عليها نوع من الجمال الروحي ونشعر بسحر حقيقي عند النظر إليها[397].

لا يتم التقييم المرئي لفيتا في سوق ممكنات أخرى؛ إنها ليست ثنائية: ترى ما هو «فظيع» وما هو ساحر في لمحة واحدة. لا تلعب موضوعات الاستهلاك أي دور في تقييمها لما هو جميل في فرجينيا، ناهيك عن أنها تتهندم بطريقة مريعة. إن تقييمها ليس حكما فوريا ولا ينطلق من تحليل مقارن؛ إنه يتطور بمرور الزمن ويتحول في الواقع إلى سيرورة اعتراف (ما تسميه فيتا «الجمال الروحي» لفيرجينيا). إنها لا تتأمل في جسد في سوق أجساد جذابة ومنافسة، بل تعين التفرد بالأحرى. إنها تخلق القيمة دون عناء ولا مشقة.

تحتوي الأسواق المرئية المعاصرة آليات تقييم وخفض قيمة مكثفة، والتي تكون أظهر على هوامش سوق الجنس المغاير. مثالان يكفيان لتبيان ذلك. الأول يأتي من الكاتبة الفرنسية الشهيرة فيرجيني ديبونت التي، بعد أن أصبحت سحاقية، أمست ترى الجنس المغاير على النحو التالي:

رؤيتي للحب لم تتغير، لكن رؤيتي للعالم هي التي تغيرت. إنه لأمر رائع أن تكوني سحاقية. أشعر باهتمام أقل بالأنوثة، باستحسان الرجال، بكل هذه الأشياء

---

(397) رسالة بتاريخ 12 دجنبر/كانون الأول 1922، اقتبست من:
Maria Popova, "How Virginia Woolf and Vita Sackville-West Fell in Love," Brain Pickings, accessed December 12, 2017, https://www.brainpickings.org/2016/07/28/virginia-woolf-vita-sackville-west/.

التي نفرضها على أنفسنا من أجل عيونهم. كما أنني أشعر بقلق أقل بشأن سني: من الصعب أن تشيخ عندما تكون جنسيا متغايرا. تتبادل الفتيات الإغواء، لكنه ألطف، فنحن لم ننحدر بعد إلى سن الأربعين(398).

توضح ديبونت أنها عندما أصبحت سحاقية، شعرت بأنها أقل تشييئا وموضعة، وأقل تبعية إلى نظرة الرجال وإطرائهم، ومن ثم فقد تحررت من قبضة النزعة الاستهلاكية. لننظر الآن كيف ترفض مدونة مسلمة الجنسانية الغربية، لأسباب مشابهة كثيرا:

عندما أرتدي ملابس غربية، يتفرس الرجال وجهي، ويحولونني إلى موضوع، أو أقيم نفسي وفقا لمعايير عارضات أغلفة المجلات، اللاتي من الصعب الامتثال لها - وحتى مع تقدمنا في السن، دون الحديث عن التعب الناتج عن الظهور بهذا الشكل بصفة دائمة. عندما أرتدي الحجاب أو الشادور، ينظر الناس إلي كشخص وليس كموضوع: أشعر بالاحترام وأنا محجبة(399).

لا أقصد هنا الإيحاء بأن جنسانية السحاقيات أو المسلمات هي الحل الوحيد لقمع المعيارية المتغايرة. بل سأوظف هذه الشهادات للنساء اللائي تركن المعيارية المتغايرة لتسليط الضوء على الرابط بين الهيمنة الذكورية وموضعة (تشييء) مجتمع الاستهلاك، واللتين تتغذيان على بعضها البعض بخلق أشكال جديدة من التصنيف والقيمة الاجتماعية والهيمنة الرمزية.

نوقش موضوع التشييء الجنسي بشدة بين النسويات بوصفه تعبيرا عن السلطة وممارستها. لكن مشكلة التشييء تكمن في مكان آخر. فلأن الجنسنة تختبر في وقت واحد باعتبارها شكلا من أشكال القوة التحررية والتشييء، فإنها تخلق لايقينا أنطولوجيا قويا بصدد الذات وقيمتها. إنها تمنح القوة لأنها تنسف آليات التقييم.

---

(398) Virginie Despentes, « Punk un jour, punk toujours », *Elle Québec*, janvier 2011.

(399) « The Oppression of Women in the Western World », *Shannon Prusak's Stories Revealed*, https://shannonprusak.wordpress.com/the-oppression-of-women-in-the-western-world/.

وتخلق حالة من اللايقين الأنطولوجي لأنه من العسير الفصل بين الذاتية والموضوعية. تتفتت الهوية الفردية وتتجزأ بين الجسم وأعضائه وموضوعات الاستهلاك المستخدمة لإنتاجها وأنشطة وسياقات الاستهلاك التي تنظم التفاعلات الجنسية. فبالنظر إلى أن التقييم المرئي غير مستقر، وأن أذواق المستهلكين تتغير، وأن المنتجات الرأسمالية والأجسام الجذابة تقوم على التقادم البنيوي، وأن الذات تكون موضوع تقييم دائم، وأن قيمة الذات والآخر غير يقينية، فليس من المستغرب أن يختبر سوق الجنس المغاير من قبل النساء كمحنة وابتلاء. في عام 2017، كان لحركة Metoo# [أنا أيضا] تأثير قنبلة على الساحة الدولية: لم تكن النساء هدفا للعنف فحسب، بل كن أيضا موضوعا لأشكال تبخيس وحط من القيمة خفية لكنها واسعة الانتشار. على الرغم من أن حركة #مي تو غامضة في إداناتها غير المتحفظة للتافه والعدواني والإجرامي، إلا أنها تعكس الطرق المختلفة التي يتم بها الانتقاص من قيمة النساء بشكل منتظم في المجال الجنسي. هذه الأشكال من العنف الرمزي البطريركي قادرة على التجدد المستمر لأنها غير مبتورة الصلة عن البنى الثقافية والاقتصادية لما أسميته بالرأسمالية المرئية.

الفصل الخامس

حرية ترسف في القيود

أخشى الإساءة إلى شخص أحبه، وخاصة إلى شخص أدين له.

أنتوني ترولوب[400]

كانا يحبان بعضهما، لكن لا أحد منهما أراد أن يعترف بحبه للآخر؛ لقد نظرا إلى بعضهما البعض كعدوَّين واعتقدا أنهما سيموتان من الحب.

افترقا في النهاية ولم يريا بعضهما البعض إلا من بعيد فبعيد، في الأحلام؛ لقد ماتا منذ زمن بعيد وبالكاد أدركا ذلك بأنفسهما.

هينريش هاينه[401]

كان الموسيقار الشهير روبرت شومان قد عرف بالفعل عائلة فيك لفترة من الوقت عندما وقع في حب كلارا فيك وطلب يدها من والدها. أمام رفض الأخير، قدم روبرت وكلارا دعوى إلى محكمة القضاء لإلغاء قراره. بعد معركة قضائية استمرت زهاء عام ونصف، حكم القاضي لصالح الزوجين في فاتح

(400) *The Claverings*

(401) عن كتاب الأغاني، لهاينريش هاينه، ترجمة أ. س. كلاين، وهو مأخوذ من:
https://allpoetry.com/Sie-Liebten-Sich-Beide, accessed March 5, 2018, (القصيدة في الأصل لا عنوان لها، وهي تنتمي إلى حلقة "العودة"، الأغنية 33).

آب/ أغسطس من 1840. تزوجا في 12 أيلول/ سبتمبر 1840[402]. يوحي الرفض الأبوي، الذي لم يكن نادرا في تلك الحقبة، بأن حرية الفعل وفقا للمشاعر ليست أمرا طبيعيا ولا بينا بذاته. كان هيغل من أوائل المدافعين عن حرية المشاعر التي، حسب قوله، يجب أن يكفلها الحق في الزواج من الشخص الذي نحبه (وهو حق يمكن اعتباره حقا مستمدا من حرية الفعل وفقا للضمير). يجب أن يقوم الزواج الصحيح أخلاقيا على إرادة وحرية شخصين في الموافقة على إسلام القياد إلى بعضهما[403]. ومع ذلك، على الرغم من مواعظ هيغل عن الحرية، استمر الآباء والأسر والمحاكم والمجتمعات في رفض مبدأ الاختيار الشخصي للشريك. بعد ردح طويل على وفاة هيغل، ظل الحق في الزواج تبعا للمشاعر موضع نزاع شديد. كانت هذه الحرية في الزواج، بالنسبة إلى المجتمع المدني والحياة الخاصة، ما كانت حرية التعبير بالنسبة إلى المجال السياسي.

في ذات منحى هيغل، ينظر أكسل هونيث إلى الحرية كظاهرة معممة تنطبق على المجال العام كما المجال الخاص. بالنسبة إليه، تدين المؤسسة أو الممارسة بشرعيتها إلى واقع أنها تجسد الحرية بطريقة ناجحة نسبيا[404]، والزواج والأسرة والحب بما هي مجالات تقل فرصها للتطبيق الملموس للحرية عن المجال السياسي. نوعان من الحرية - يسميهما هونيث الحرية السلبية والحرية الانعكاسية[405] - يسمحان للأفراد ببناء هوياتهم وأهدافهم الخاصة والتعبير عن تفضيلاتهم دون أن يُحاسبوا، حتى لا يسببوا ضررا للغير. في المقابل، تعيد الحرية الاجتماعية قيادة الأفراد إلى

(402) من أجل تفاصيل أكثر عن علاقتهما، انظر:
Robert Schumann, Clara Schumann et Gerd Nauhaus, *The Marriage Diaries of Robert & Clara Schumann : From Their Wedding Day Through the Russia Trip*, Boston, Northeastern University Press, 1993 ; John Worthen, *Robert Schumann : Life and Death of a Musician*, New Haven, Yale University Press, 2007.

(403) Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *The Philosophy of Right* (1820; Indianapolis: Hackett Publishing 2015), 143.

(404) Axel Honneth, *Freedom's Right: The Social Foundations of Democratic Life* (New York: Columbia University Press, 2014).

(405) انظر الفصل الثاني.

الساحة الاجتماعية، أي إلى ميدان الفعل التواصلي[406]. في إطار الحرية الاجتماعية، نتلاقى في إطار من الاعتراف المتبادل، ليس كمنادات [جواهر فردية غير قابلة للتقسيم] ولكن بشكل بينذاتي. وهكذا تحل الحرية الاجتماعية معضلة الفكر الليبرالي، الذي كانت مشكلته التوفيق بين الاستقلالية الفردية والتبادلية. الحب هو أحد المجالات التي تمارس فيها الحرية الاجتماعية، وهذا التصور يعكس صدى المطالب المعيارية الشائعة في قطاع واسع من ثقافتنا. كما يقول ذلك موقع على شبكة الإنترنت يدعى **Loving in Freedom** (الحب بكل حرية): «مثاليا، يعني الحب أن تكون حرا تماما في الاختيار، والالتزام به إراديا، وتجديده مرارا كثيرة متى شئنا[407].»

ترتكز مقاربة الحرية هذه على أحد المبادئ الأخلاقية الرئيسية لليبرالية في المجالين السياسي والاقتصادي، وهو مبدأ التعاقدية. بفضل العقد، يحترم الوكلاء حرية الغير ولا يدخلون في علاقة دون إرساء بنودها. ليس العقد هو الشكل الوحيد الذي تتبناه الحرية الاجتماعية، لكنه الشكل الأساسي. كما كتبت كارول بيتمان في مؤلف كلاسيكي عنوانه العقد الجنسي: «كانت نظرية العقد هي العقيدة التحررية بامتياز؛ لقد حملت وعدا بعصر حديث، قائما على مبدأ الحرية الكونية[408].»

ومع ذلك، من وجهة نظر البحث الإمبريقي، في مقدورنا أن نتساءل عما إذا كانت الحرية السلبية والحرية الانعكاسية لم تصبحا قوى ثقافية حقيقية، تتداخل مع الحرية الاجتماعية، أي بإمكانية تكوين روابط بينذاتية بوساطة عقد. تضع الحرية الانعكاسية الذات في علاقة انعكاسية مع إرادته الخاصة: اهتماماته

---

(406) Axel Honneth, *The Struggle for Recognition: The Moral Grammar of Social Conflicts* (Cambridge MIT Press, 1996); Honneth, *Freedom's Right*, Christopher Zurn, *Axel Honneth: A Critical Theory o the Social* (Hoboken, NJ: Wiley, 2015), esp. chapter 6 [وبخاصة الفصل السادس] "Social Freedom and Recognition," 155–205

(407) James Leonard Park, *Loving in Freedom*, https://s3.amazonaws.com/aws-website-jamesleonardpark---freelibrary-3puxk/CY-L-FRE.html, accessed December 31, 2017.

(408) Pateman, *The Sexual Contract* 39.

وتفضيلاته هي دعامة العلائقية، وهي تضفي الشرعية على علاقاته وفقا لمبادئ نفعية لتلبية الاحتياجات. الحرية السلبية، من ناحية أخرى، تحترم حرية الآخرين لكنها لا تخصص إجراءات للانخراط في العلاقات الاجتماعية، ولا تحدد التزامات متبادلة. وكما أؤكد على مدار هذا الكتاب، الحرية السلبية والحرية الانعكاسية لا تتيحان حقا إبرام عقد عاطفي وجنسي في ذات الوقت.

بما هي فلسفة اجتماعية وممارسة اقتصادية، تستند التعاقدية على حرية الالتزام (أو لا) في تفاعل تبعا للأهداف والتفضيلات. لقد سادت هذه العقيدة في المجتمع المدني كما في العلاقات الخاصة. كما تكتب بيتمان مرة أخرى (بالإحالة إلى هيغل على وجه التحديد): «الحياة والعلاقات الاجتماعية لا يجدان أساسهما في العقد الاجتماعي فحسب، بل هما، على وجه التدقيق، تعتبران بمثابة سلسلة لا نهائية من العقود الخاصة[409].» تبعا لهذه الفكرة، أصبح ينظر إلى العلاقات الحميمة على أنها عقد بين إرادتين، وهو تصور مدعوم على نطاق واسع بالتشريعات التي جعلت، شيئا فشيئا، الرضى الحر للأشخاص النواة القانونية للإجراءات والتبادلات بين الأفراد[410].

أصبحت التعاقدية الفلسفة الاجتماعية المهيمنة التي تنظم الزواج والحميمية. حتى الستينيات من القرن الماضي، كانت معظم دول العالم تعترف فقط بـ«الطلاق الذي لا يستند إلى ارتكاب أخطاء»، ولم تمنح المحكمة الطلاق إلا إذا تمكن أحد الزوجين من إثبات أن الطرف الآخر قد ارتكب أفعالا «تتنافى مع الزواج». في سبعينيات القرن الماضي، بدأت العديد من الدول في تبني الطلاق بالتراضي: مجرد

---

(409) Ibid., 15.

(410) انظر بهذا الصدد:

Alberto Abadie and Sebastien Gay, "The Impact of Presumed Consent Legislation on Cadaveric Organ Donation: A Cross-country Study," *Journal of Health Economics* 25, no. 4 (2006): 599–620; Morris R. Cohen, "The Basis of Contract," *Harvard Law Review* 46, no. 4 (1933): 553–592; Ruth R. Faden and Tom L. Beauchamp, *A History and Theory of Informed Consent* (Oxford: Oxford University Press, 1986); Roscoe Pound, "The Role of the Will in Law," *Harvard Law Review* 68, no. 1 (1954): 1–19.

التعبير عن الرغبة في إنهاء الزواج كان كافيا لحل الزواج[411]. يعكس هذا التغيير الأهمية القانونية والأخلاقية لـ « الرضى»، وإرادة كل طرف في الاقتران. بتواز مع هذه التغييرات، جعلت التشريعات «الموافقة» إلزاما قانونيا وأخلاقيا في التفاعل الجنسي. أصبح العقد – بوصفه علاقة قائمة على إرادة طرفين – استعارة أساسية للتفكير في العلاقات الحميمة. كانت تخلع الشرعية على الحب والزواج والجنس طالما وافق عليها الطرفان وكانت بندا من بنود العقد.

في هذا الصدد، بلور أنتوني غيدينز نظرية شهيرة تعرف الحميمية الحديثة على أنها عقد. فالعلاقة الخالصة، كما كتب ذلك «تباشر من تلقاء نفسها، من أجل ما يمكن أن يكسبه كل طرف من ارتباطه الدائم بشخص آخر؛ إنها تستمر طالما يرى الشريكان أنها ترضي كل منهما بشكل كافٍ حتى يقتنع بالبقاء[412] ». بالنسبة إلى غيدينز، تبشر التعاقدية بدمقرطة الرابط الاجتماعي ككل، حتى لو كان ذلك على حساب الأمن الأنطولوجي، والذي يمثل، بشهادة غيدينز نفسه، تهديدا يحوم حول «العلاقة الخالصة» التي تحكمها إرادتان حرتان لكن، كما رأينا ذلك في الفصول السابقة، فغيدينز ينحي جانبا آثار غياب الأمن الأنطولوجي الذي تخلقه التعاقدية ولا يتساءل إن كان يمكن نقل اللغة القانونية للحقوق إلى المجال الحميمي من دون تغيير معناها. كما ألفت إلى ذلك كل من نيل غروس وصولون سيمونز، فالالتزام في علاقة خالصة أمر «عارض». يُحترم العقد الجنسي والعاطفي طالما أن أحد الأطراف يلبي احتياجات الطرف الآخر، علما أن هذه الاحتياجات يمكن أن تتغير في أي لحظة. «إذا أخذت قيم ومصالح وهوية الشركاء في التباعد

(411) كما جاء في الغارديان، صرح السير نيكولاس وال، أقدم قاضي قانون أسرة في إنجلترا وبلاد الغال، سنة 2012 أن حالات الطلاق "بلا ذنب" ستصير الذريعة الأوسع انتشارا للطلاق، بدلا من إثبات أن طرفا من الطرفين يتحمل المسؤولية عن الانفصال"، انظر:
Owen Bowcott, "No-fault Divorces 'Should Be Standard,'" March 27, 2012, theguardian.com, https://www.theguardian.com/law/2012/mar/27/no-fault-divorces-standard-judge, accessed December 31, 2017

(412) Anthony Giddens, *The Transformation of Intimacy: Sexuality, Love and Eroticism in Modern Societies* (Stanford, CA: Stanford University Press, 1992), 58.

بطريقة غير تكاملية، تفقد العلاقة سبب وجودها وتغدو نهبا للانحلال[413].»

وبناء عليه، فإن السؤال الأساسي في داخل النموذج الليبرالي والحديث للحميمية هو التالي: هل يمكن للعقد - كشكل اجتماعي تم تطويره ومأسسته في المجالين القانوني والاقتصادي - أن ينتقل إلى العلاقات بين الأشخاص دون تهديد طبيعة الحميمية والبينذاتية؟ كما تؤكد كارول بيتمان بطريقة مقنعة تماما، يختلف العقد الاجتماعي عن العقد الجنسي اختلافا جوهريا[414]. في حين أن الأول منح الرجال حق التمتع بالحرية، فإن الثاني يعمل على تأبيد خضوع النساء. لا ريب أن غيدينز لا يأخذ في حسبانه اختلاف المواقع وعدم المساواة بين الجنسين في تكوين حتى العقد الجنسي ويفترض ببساطة أن الأطراف المتعاقدة متكافئة. من جانب آخر، فنظريته قد بلورت قبل طفرة تقنيات التواصل الآنية والافتراضية، والتي فككت فكرة العقد من خلال نسف أو التحايل على الواسمات الثقافية التقليدية لإرادة ثابتة كما يفترضها العقد. أخيرا، فقد بلورت هذه النظرية قبل أن يؤدي ظهور السياسات النيوليبرالية إلى طرح نوع مخصوص جدا من الإرادة المقاولاتية[415]، والتي يجب أن توفر وتؤمن وحدها ما يؤسس قيمتها، في مجال العمل والتفاعلات، وهي عملية تقوض بدورها إمكانية إبرام العقد والحفاظ عليه (انظر أدناه). الذات التي تحاول إبرام عقد جنسي-عاطفي منشغلة بتقييم نوايا الآخر وحساب المخاطر.

---

(413) Neil Gross and Solon Simmons, "Intimacy as a Double-edged Phenomenon? An Empirical Test of Giddens," *Social Forces* 81, no. 2 (2002): 531–555, esp. 536.

(414) انظر: Pateman, *The Sexual Contract,* "Contracting In," 1–18.

(415) Andrew Dilts, "From 'Entrepreneur of the Self' to 'Care of the Self': Neoliberal Governmentality and Foucault's Ethics," *Western Political Science Association 2010 Annual Meeting Paper,* https://ssrn.com/abstract=1580709, accessed March 7, 2018; Michel Feher, "Self-Appreciation; Or, the Aspirations of Human Capital," *Public Culture* 21, no. 1 (2009): 21–41; Patricia Mccafferty, "Forging a 'Neoliberal Pedagogy': The 'Enterprising Education' Agenda in Schools," *Critical Social Policy* 30, no. 4 (2010): 541–563.

التراضي على ماذا؟

العقد هو استعارة تصلح لوصف حرية الفاعلين في بدء أو قطع علاقة. لكن استخدام هذه الاستعارة واسع للغاية لدرجة أنه انتهى به الأمر إلى أن يمتد إلى المجال العاطفي؛ وهكذا، بات من المتواتر أن يبدي الشركاء صراحة شروط تعاقدهم، وأحيانا يوقعون على وثيقة حقيقية. على سبيل المثال، في العمود الشهير من **النيويورك تايمز** «الحب الحديث»، إليكم كيف يتحدد نموذج العلاقات التعاقدي الجديد:

قبل بضعة أشهر، شربنا أنا وصديقي الجعة وفتحنا حواسيبنا المحمولة. حان الأوان لنراجع بنود عقدنا.

هل أردنا إجراء تغييرات عليه؟ بعدما استعرضناه بندا تلو بند (category)، اتفقت أنا ومارك على تغييرين طفيفين: جولتي مع كلبي ليوم الثلاثاء بدل جولته هو ليوم السبت، وتنظيف طاولة المطبخ من قبلي وهو حوض الاستحمام.

النسخة الأخيرة من «العقد بين مارك وماندي»، وهي وثيقة من أربع صفحات ذات تباعد بين السطور بسيط، نوقعها ونؤرخها، صالحة لمدة اثني عشر شهرا بالضبط، وبعد ذلك في وسعنا مراجعتها وتجديدها، وهو الأمر الذي سبق أن حدث مرتين. يحدد العقد كل شيء من الجنس إلى الأعمال المنزلية، مرورا بالشؤون المالية وخططنا للمستقبل. وأنا أحب ذلك.

قد تبدو كتابة عقد الزوجين أمرا أنانيا (calculating) أو غير رومانسي، لكن **كل العلاقات تعاقدية**؛ ونحن لا نجعل سوى **الأمور أكثر صراحة**. إنه يذكرنا أن الحب ليس شيئا يسقط من السماء، وإنما شيئا نبنيه معا. فقبل أي شيء، فهذه الرؤية للأشياء هي التي جمعتنا معا(416).

---

(416) Mandy Len Catron, "*To Stay in Love, Sign on the Dotted Line,*" *New York Times,* June 23, 2017, https://www.nytimes.com/2017/06/23/style/modern-love-to-stay-in-love-sign-on-the-dotted-line-36-questions.html?emc=edit_tnt_20170623&eml_thmb=1&nlid=47676527&tntemail0=y, accessed December 31, 2017, التشديد من عندي.

تعرض هذه الشهادة النزعة التعاقدية كطريقة مثالية لتنظيم الحياة، وحل عملي لتعريف أدوار وواجبات وامتيازات كل طرف. يكون العقد مساواتيا وقائما على حرية كل طرف من الأطراف المتعاقدة في صياغة شروط العضوية والفسخ. كما أنها نفعية، بالنظر إلى أنها تحول العلاقات إلى مجموعة من المنافع والخدمات، والتي يمكن أن نضع لها حدا عندما تتوقف عن إرضاء الذات.

ومع ذلك، فإن العقد بين الجنسين المتغايرين يحتوي، سواء في غفلة أو لا من «الموقعين» عليه، على أشكال مختلفة من الموافقة أو الرضى. تحجب فكرة العقد واقع أن الإرادتين اللتين تحاولان التفاوض على العقد يمكن أن تكونا في غاية الاختلاف. كما تفترض ذلك بيتمان، تظل المرأة في العقد الجنسي تابعة للرجل(417). وعلى وجه الدقة، يرتبط هذا الخضوع بالكيفيات المختلفة التي يكون بها الرجال والنساء ارتباطهم ورغبتهم حين يبرمون عقدا جنسيا- عاطفيا. يوضح الفيلم الناجح والكتاب الأكثر مبيعا هذا اللاتماثل أفضل بيان. في الكوميديا الرومانسية لسنة 2011 **جنس بين الأصدقاء**، يلتقي البطل الرجل ديلان هاربر (جاستن تيمبرليك) والبطلة جيمي ريليس (ميلا كونيس) بعد أن مر كل منهما بتجربة انفصال مؤلمة. وتتحول الصداقة التي انعقدت وشائجها بينهما إلى عقد جنس عرضي بلا أي التزام، ينص على أن علاقاتهما الجنسية هي علاقات لا تشترط أي تعلق ولا أي مشاعر. تتعقد الحبكة حين تبدأ جيمي في إبداء مشاعر حيال ديلان، فيما يقاوم الأخير مراودات الشابة لاجتذابه إلى هذا المجال العاطفي. ففيما يشعر الشخصان في البداية بالراحة في علاقة جنسية بلا ارتباط، فإن عواطف جيمي تنتهك بنود العقد الأولي. عاكسا لفكرة نمطية يؤكدها الواقع الاجتماعي كثيرا من الأحيَان، تخشى الشخصية الذكورية الالتزام، في حين أن الشخصية الأنثوية غير قادرة أو غير مستعدة لأن تفصل جنسانيتها عن مشاعرها. تقدم هذه الكوميديا الرومانسية العقد كثيمة مركزية في العلاقات الجنسية والرومانسية المعاصرة، تردد

(417) Pateman, *The Sexual Contract*, 1–2.

صدى أكثر الكتب مبيعا في جميع أنحاء العالم **خمسون ظلا من غراي**، الذي نُشر في نفس العام الذي عرض فيه الفيلم على شاشات السينما. يركز المجلد الأول من هذه الثلاثية أساسا على العقد الجنسي الذي يقدمه كريستيان غراي الجذاب والقوي إلى أناستازيا ستيل، وهي طالبة شابة عذراء. يعرف هذا العقد الجنسي بنود علاقة سادية مازوخية. ترفض أناستازيا في النهاية العقد ويتم إبلاغ القارئ بإسهاب بحقيقة أنها مغرمة بكريستيان، بينما تظل مشاعر الأخير في طي الغيب بالنسبة إلينا. فقط إرادته الجنسية معروفة. في كلتا الحالتين، سواء في فيلم **جنس بين الأصدقاء** أو في **خمسون ظلا من غراي**، يقيم العقد تمييزا واضحا بين الجنس والمشاعر، وهو عقد لا تحترمه المرأة، الراغبة في علاقة جنسية-عاطفية بدلا من علاقة جنسية بحتة.

إن استحالة التعاقد الفعلي بشأن المشاعر تفسر سبب كون العقد الجنسي-العاطفي طافح بطبيعته بضروب الإحراج وغياب اليقين. في العلاقة الخالصة، لا يكون الرابط ملزما ويمكن كسره في أية لحظة، على عكس العقود الاقتصادية والقانونية حيث يؤدي أي خرق عموما إلى عقوبات. ففيما العقود الاقتصادية أو القانونية تنطلق من الافتراض والتعهد الضمني باحترامها، فإن هذا ليس هو حال العقود الجنسية. حرية الدخول في علاقة والخروج منها كما نشاء تخلق شروط اللايقين، والتي تفسر بدورها كيف ولماذا يميل الناس إلى الانسحاب بسرعة من العلاقة. في نهاية المطاف، فإن استعارة العقد غير ملائمة لاستيعاب وفهم شكل العلاقات في سوق جنسية حرة ومفتوحة، وخالية من التشريعات والقيود والعقوبات. وعلى حد عبارة كليفورد غيرتز، فإن استعارة العقد التي أصبحت مركزية في تكوين وتعريف أواصر الحميمية هي نموذج بئيس تماما للعلاقات ونموذج أسوأ لتحتذي به العلاقات. إنها لا توضح كيف تتشكل العلاقات ولا تقدم نموذجا إرشاديا مثاليا لتكوين العلاقات(418).

---

(418) انظر:

William H. Sewell Jr., "Geertz, Cultural Systems, and History: From Synchrony to

العلاقة المجنسنة هي بالتعريف علاقة بين الأجساد. لذلك ليس من المستغرب أن ابستيمولوجيا اللقاءات الجنسية وثيقة القرابة إلى إيتيقا الطب، وهي أخلاقيات تحكم الجسم أيضا والتي، مثل الأخلاق الجنسية، تضع الموافقة أو الرضى في مركز التفاعل بين طرفين، أي المريض والطبيب في هذه الحالة. تميل الأخلاقيات الجنسية والأخلاقيات الطبية أكثر فأكثر إلى اعتبار الجسم كيانا لا يمكن تملكه أو اغتصابه أو اكتساحه أو استخدامه من قبل طرف ثالث، والذي يتطلب من ثم موافقة صريحة من مالكه. الموافقة هي الافتراض الفلسفي والقانوني للعقود الجنسية والطبية. لا يتعلق الأمر بالعقد بحرف المعنى، ولكن بشرطه المسبق. الموافقة مشروطة بافتراض أن الشخص يمكنه ويجب عليه أن يفهم معنى وتبعات قراره بالسماح لطرف ثالث بالاستحواذ على جسده، قبل أن يشعر هذا الجسد باللذة أو الألم. لكن الأخلاق الجنسية والأخلاقيات الطبية تختلف حول نقطة واحدة في غاية الأهمية: ففي حين أن الطبيب والمريض يريدان نفس الشيء من حيث المبدأ - صحة المريض - فإن الأمر في مجال الجنسانية يتعلق بجسدين لهما إرادتان متمايزتان، واللتين قد تتقاربان أو تتباعدان. أستطيع أن أوافق على أن أقبل ولكني أرفض إقامة علاقة جنسية. أو يمكنني الموافقة على إقامة علاقة جنسية إذا رأيت أنها بداية علاقة، ولكن ليس إذا كانت مغامرة عابرة لليلة واحدة. وتحديدا فلأن الإرادات يمكن أن تتباعد في أية لحظة من لحظات العلاقة، فإن فكرة الموافقة في العلاقات الجنسية تختلف عن موافقة المريض، بل وأكثر من ذلك في المجالات التي تطلب فيها الموافقة. في مقال عن **الاغتصاب الرمادي** (gray rape)، تضرب لنا الكاتبة الشهيرة لورا سيسيون ستيب مثالا معبرا:

دعت أليسيا طالبا آخر، اسمه كيفن، ليكون «صديقها الأفلاطوني» لحضور اجتماع ناد طلابي. ذهبا أولا لتناول العشاء مع بعض الأصدقاء، ثم ذهبا للرقص.

Transformation," in *The Fate of "Culture": Geertz and Beyond*, ed. Sherry B. Ortner (Berkeley: University of California Press, 1999), 47.

إنها تتذكر أنهما كانا في حالة سكر، لكنهما لم يكونا ثملين كليا، كما تقول. بعد الحفل الراقص، ذهبا إلى غرفة كيفن، وفي النهاية، قبلا بعضهما. أخبرته بصراحة أنها لا ترغب في ممارسة الجنس، فوافق. لكن بعد بضع دقائق، وضعها على الأريكة واستقر فوقها. « لا. توقف» قالت بهدوء - بهدوء شديد، قالت لنفسها بعد ذلك. دون أن ينتبه إلى ما كانت تقوله، ضاجعها، فاختلجت وحاولت حبس أنفاسها حتى ينتهي الأمر. ثم نام هو، وغادرت هي إلى غرفتها، «مع شعور سيئ بعدم معرفة ما يجب القيام به أو من أخبره بذلك أو **ما إذا كان كل ذلك خطئي**». على الرغم من أن الأمر بدا لها وكأنه اغتصاب - لم ترغب في إقامة علاقة جنسية مع كيفن - فإنها **لم تكن متيقنة من أن الآخرين كانوا لينعتوا الأمر هكذا**(419).

شددت على «أنها لم تكن متيقنة من أن الآخرين كانوا لينعتوا الأمر هكذا» لأنه من البديهي هنا أن هذه المرأة، التي تعرضت للاغتصاب في الواقع، تجد صعوبة في تقييم عنف هذا الرجل بمصطلحات معيارية، لأنها غير واثقة من أنها قد صاغت رفضها العلاقة بشكل واضح كفاية. تأتي هذه الصعوبة من واقع أن الجنسنة تفترض بشكل بديهي رغبة جنسية [إرادة الجنس] وتجعل إمكانية التعبير (سواء للذات أو الآخرين) عن رغبة غير جنسية ملتبسة. إذا جرى تقوية إجراءات إنفاذ القانون وسياسة التوعية بالاغتصاب، فإن ثقافة الجنسنة تحدد الأشخاص وفقًا لاستعدادهم على إقامة علاقات جنسية وتقدر الجاذبية الجنسية والأداءات الجنسية، مما يجعل بالتبعة الإرادة غير الجنسية أقل شرعية ومعقولية بالنسبة إلى الذات والآخرين. واقع أن هذه المرأة تجد صعوبات في تقدير تبعات الانتهاك الذي مس عدم موافقتها يوحي بأن إرادتها ملتبسة ومشوشة في آن من قبل كل من المعيار التنافسي للجنسنة والسلطة الجنسية الذكورية التي يتم التعبير عنها هنا من خلال طبيعية رغبته الجنسية وبداهتها. تفترض الموافقة ألا تخضع الإرادة لأي

(419) Laura Sessions Stepp, *"A New Kind of Date Rape," Cosmopolitan*, October 12, 2007, http://web.archive.org/web/20071012024801/http://www.cosmopolitan.com/sex love/sex/newkind-of-date-rape, accessed December 31, 2017, التشديد من عندي.

ضغط. ومع ذلك، فإن الضغط المستمر الذي تمارسه ثقافة تعرف القيمة من خلال مصطلحي الجنسنة والسلطة الجنسية الذكورية تجعل الإرادة غير الجنسية غير شرعية أو غير جذابة (وهذا ينطبق على النساء والرجال على حد سواء). إذا كان الجنس هو غاية المواعدات، إذا كان الجنس عديم (أو قليل) الدلالة العاطفية، إذا كان منفصلا عن التصورات الموسعة لذاتية الشخص، إذا لم تكن له بنية مندمجة من التبادلية، فإن الموافقة تصبح «عرضية» وغير رسمية، أي مفترضة وليست مطلوبة، ومنظورا إليها كفعل عار من أي رابط حقيقي بالذات العميقة. إن التعريف الثقافي للجنس العرضي - رائع، سهل الملتمس، منفصل عن العاطفة، بدون إطار تعريفي واضح، يؤكد على مآثر الفحولة والأداءات الجنسية - يجعل الموافقة «غير رسمية»، مفترضة وليست مضمونة. في الغالب من الأحيان، تجد النساء أنفسهن منغمسات في حمأة الارتباك، سواء تجاه الآخرين أو تجاه أنفسهن، لأنهن إذا أردن الامتثال لمعايير الجنسنة، فمن المفترض أن يكن دائما متاحات للمعاشرة الجنسية. اكتسبت الحرية الجنسية إثر معركة طويلة الأمد، لكنها أصبحت منذئذ قاعدة ملزمة.

فضلا على ذلك، لأن الموافقة الجنسية متجذرة في الجسد، فإنها تغفل المحتوى العاطفي للعلاقات. إن سؤال معرفة ما نوافق عليه بالضبط في علاقة عاطفية لهو أمر أقل وضوحا بكثير مما هو عليه عندما ينصرف الأمر إلى علاقة جنسية بحتة. إننا نعرف بوضوح ما يوافق عليه المازوخي في علاقة جنسية، ولكن ليس من المعروف كثيرا ما توافق عليه المرأة غير الراضية أو التي تعرضت للإساءة، إن وجد ما توافق عليه. لأن الرجال والنساء يشغلون مواقع مختلفة في المجال الجنسي، فإن العَقود الجنسية والعاطفية التي يخضعون لها مختلفة. إليكم مثال مقنع. كارولين، ثمانية وعشرون عاما، هولندية وتدرس الهندسة المعمارية في باريس:

- **المستجوبة**: هل لديك صديق؟
- **كارولين**: كان لدي صديق، أو لنقل نصف صديق، حتى الشهرين الماضيين.
- **المستجوبة**: [تضحك] لماذا تقولين إنه كان نصف صديق؟ هل يعيش بعيدا؟

- **كارولين**: كنا معا ولم نكن معا.

- **المستجوبة**: إلام ترمين؟

- **كارولين**: لقد أحببته حقا، لقد أحببته كثيرا في الحقيقة. لكن لم يحدث شيء بيننا لفترة طويلة. كنا نتسكع معا كثيرا، لكن لم يحدث شيء. وذات ليلة حدث ذلك. صعدت إلى منزله بعد حفلة، وكنا معا في حالة سكر، وفعلنا ذلك. كنت أرغب في ذلك منذ مدة طويلة، لكنني أعتقد أنه -من جانبه- فعل ذلك بشكل ميكانيكي، ليثبت أنه هنا، لقد كان الوقت متأخرا، لذا نعم، من البديهي أنه سوف ينام معي. أفترض أن الرجل لا يستطيع أن يفوت فرصة لينام مع امرأة. فيما أنا كنت أرغب في ذلك منذ فترة طويلة. نمنا معا بعض المرات وفي وقت ما، بعد حوالي شهر أو شهرين تقريبا، قال لي: «اسمعي، لست واثقا من كل هذا. أعني القول، لست متأكدا من أنني أرغب في أي شيء آخر عدا الجنس.» وأضاف: «لا أريد أن أستغلك ولا أي شيء من هذا القبيل». أخبرته أن كل شيء يسير على ما يرام، أن هذا يناسبني، وقلت مازحة إنني أنا من أستغله لأعاشره. أردت أن أبدو واثقة من نفسي. ليس ذلك النوع من الفتيات التي تبدو وكأنها كانت تتوقع شيئا. لقد أحببته حقا، كان من المهم بالنسبة إلي أن أعطي الانطباع بأننا كنا متماثلين، لكنني أعتقد أنني كنت أتطلع إلى شيء ما، لست أدري، لربما بمرور الوقت سيتغير، وأن الأمر سيكون جيدا جنسيا إلى درجة تجعله لا يرغب في الرحيل. واستمر الأمر على هذا النحو. نتعاشر؛ استمررنا على رؤية بعضنا البعض على هذا النحو مدة ثلاثة أشهر تقريبا، وفي أحد الأيام أقام حفلة بمناسبة شقته الجديدة، ولم يدعني. علمت أنه نظم تلك السهرة لاحقا، على منشور على فايسبوك ينشر فيه بعض الناس صورا. لقد آلمني الأمر حقا، بل دمرني. ولما حدثته عن ذلك، بدا مدهوشا، وقال إنها مجرد حفلة صغيرة لأصدقائه المقربين. أن علاقتنا كانت شيئا آخر، وأنه كان دائما في غاية الوضوح بشأنها، ولم يكن هناك أي شيء في سلوكه يمكن أن يكون مضللا، وأنني قبلت أن تكون هذه العلاقة علاقة جنسية بحتة، وأنني أخذت في جعله يشعر بالذنب. كنت في حيرة من أمري في البداية،

اعتقدت أنه ربما كان على حق، وأنه لم يكن يجب أن أتوقع أي شيء آخر، وأنني قبلت أن تكون علاقتنا جنسية فحسب، لكن بعد مدة توقفت عن رؤيته. استغرق الأمر مني بعض الوقت حتى أغضب. صحيح أنني قبلت عقده القذر، لكنني ما زلت أشعر بأنني ضحية استغلال، حتى لو كان الأمر واضحا دائما. بعدما أخذت مسافة، أدركت أن كل شيء دار في رأسي. كانت علاقتنا من أجل الجنس لا غير.

- **المستجوبة:** لماذا تعتقدين أنك استغللت؟

- **كارولين:** لأنني في أعماقي كنت أتمنى أن يقع في حبي. أعني عندما نرى شخصا ما بانتظام، وننام مع نفس ذلك الشخص، ونطهو ونطبخ معا، ونستيقظ على نفس السرير في الصباح، ونضحك معا، ألا نشعر بالقرب بعد نزر يسير من الوقت من ذلك الشخص؟

تكشف هذه القصة عن بعض السمات الجوهرية حول كيفية تحكم الموافقة والعقد في العلاقات الحميمة. هنا، يبدو أن كلا من الرجل والمرأة يوافقان على علاقة جنسية بحتة ويعتبرانها كلاهما شكلا أدنى من العلاقات؛ ومع ذلك، فهما لا يوافقان على هذه العلاقة بنفس الطريقة. تقبل المرأة علاقة جنسية، ولكن فقط لأنها تأمل أن يكون الجنس مقدمة للحب. أن تكون «هادئة» و«حرة» هي إستراتيجية لمحاولة التوفيق بين هدفها العاطفي والقيود التي يفرضها الرجل. بالنسبة إلى الرجل، فإن أمر طرح حدود نواياه - الجنس فقط - تكفي لإضفاء الشرعية على عدم التزامه العاطفي.

بمجرد الابتعاد قليلا عن الاتصال الجسدي الخالص، تخفي مقولة الموافقة حقيقة أن الجانب الأكثر جوهرية في العلاقات لا يمكن التعاقد عليه. يوضح هذا المثَال أن الموافقة هي مقولة محدودة للغاية فيما يتعلق بالمشاعر، لأن الفاعلين لا يستطيعون التعاقد عليها بشكل صحيح. تلح أخلاقيات الموافقة بل تستوجب الانتباه إلى إرادة الشخص، لكنها لا تأخذ في الحسبان الطرق التي، في شروط معينة، يمكن (أو يمكن أن تصبح) إرادة متقلبة ومشوشة وموضوعا لضغوط خارجية ونهبا لصراع داخلي.

تؤدي صعوبة التعاقد عاطفيا في إطار علاقة إلى ظهور أشكال جديدة من العلاقات التي تظهر رفضا أو صعوبة في التعاقد على المشاعر، على منوال تلك التي وصفتها كارولين. في الولايات المتحدة، تُعرف هذه العلاقات تحت المسمى الشعبي «العلاقة غير الرسمية أو الظرفية (situationship)[420]»، أو علاقة من النوع الثالث. ثمة عمود على الإنترنت يسمى «9 علائم تثبت أنك في علاقة من النوع الثالث» يعرف هذه العلاقات:

أنت لا تدري حتى كيفية وصفه، خاصة عندما يتعلق الأمر بتقديمه إليك أو الإيماء إليه حتى. أنت لست متيقنا حتى من أنه يمكنك القول إنه صديق. نتيجة لذلك، غالبا ما تجد نفسك تغمغم لتعثر على العبارة التي تصف وضعه أو تحدق بعينيك في الأعلى محاولا العثور على المصطلحات التي من شأنها أن تعرف هذه العلاقة. «أعني، لسنا حقا ... لسنا أصدقاء حقا، لكن الأمر ليس كما لو أننا مجرد أصدقاء للجنس أيضا ... نحن في الواقع نستلطف بعضنا البعض كثيرا ونتبادل الاحترام ... نحن نأخذ الأمر ببطء، هذا كل شيء.» سوف يتعب أحدهما في النهاية من هذا الغموض ويسأل، «إذن إلى أين ينتهي بنا هذا؟» عندئذ يتظاهر كلاكما أنهما على وفاق، مهما كانت المشكلة[421].

هذه العلاقات الوسيطة هي علاقات تفترض، ضمنيا أو صراحة، حقيقة كونها لا-علاقات. إنها لا تستشرف المستقبل أو تفعل ولكن قليلا، فهي ليست رسمية، وبدون التزام وتعاش في الزمن الحاضر، بصفة عامة (ولكن ليس دائما) لتلبية الأهداف الجنسية لأحد الطرفين أو كليهما. في غفلة منها، لكن ليس دون علم شريكها، كان هذا هو نوع العلاقة التي دخلت فيها كارولين. هذه مغامرات ليلة

---

(420) أود أن أتوجه بخالص الشكر إلى إليزابيث آرمسترونغ لأنها ألفتت انتباهي، فر رسالة خاصة، إلى مفهوم **العلاقة الظرفية أو غير الرسمية** (*situationship*).

(421) انظر:

Aidan Neal, “9 Signs You’re in a Situationship?” August 6, 2014, http://aidanneal.com/2014/08/06/9-signs-youre-situationship/, accessed December 31, 2017.

واحدة امتدت إلى ممارسة الجنس من غير أي التزام. إنها لا-علاقات لأن واحدا على الأقل من الطرفين يفتقر إلى هدف عاطفي و/ أو يرفض التخطيط لمستقبل مشترك. تدوم مثل هذه العلاقات «حتى إشعار جديد»، «تراوح مكانها» وتفتقر إلى السردية. تقوم طبيعتها التعاقدية، على وجه التحديد، على الاعتراف بأنها ليست علاقة. في اصطلاحي، يتعلق الأمر بلا-علاقات، وبروابط سلبية أدرجت بالفعل نهايتها من قبل أحد الطرفين. بكلام آخر، إنها أمثلة على عقود عاطفية تستند إلى إرادات مشوشة وحيرى أو متصارعة، أو حتى على إرادة أن العلاقة لا وجود لها. إنها طرق توافقية للحصول على لا-علاقات أو على الأقل على علاقات توجد في منطقة ظل العلاقات الإيجابية والسلبية.

التقلب بوصفه شرطا عاطفيا

سوق الجنس والمشاعر مفتوح للجميع: الأقوياء والضعفاء، الجميلون والقبيحون، المتعلمون وغير المتعلمين، الأثرياء والفقراء، وهذا بغض النظر عن الطبقة الاجتماعية أو الإثنية أو الدين أو العرق. السوق الجنسي تنافسي، ويجعل قيمة الذات غير يقينية تماما، التي تعي بأنها في منافسة مع أفراد آخرين مصنفين بشكل أفضل على سلم الجاذبية أو المكانة الاجتماعية. في كتاب **إغراء** لراتشيل أونيل، أعرب الرجال الذين قابلتهم أنهم على واعون باللاتوافق المحتمل بين ما يساوونه وما تساويه بعض أصناف النساء اللاتي يجدونهن جذابات للغاية، ومن ثم التمييز الذي يقيمونه بين استراتيجيتين اثنتين: معاشرة نساء يمكن أن يتملكونهن، والرغبة في نساء لسن في المتناول. تصف راتشيل أونيل هذه الإستَراتيجية الثانية بأنها استراتيجية **طموحة**، وهي تقوم على استهداف موضوعات يتعذر الوصول إليها ولكن هي الأكثر طلبا(422). لم يفلت هذا التمييز

(422) Rachel O'Neill, *Seduction: Men, Masculinity, and Mediated Intimacy* (Cambridge: Polity, 2018).

انظر أيضا:

من الفاعلين الجنسيين والعاطفيين الذين يعرفون أن للآخرين تطلعات قد يكونون هم أنفسهم مطابقين لها أو العكس. ثم تصبح التطلعات، كما هو الحال في مجال الاقتصاد، مثالا خياليا يغير الإحساس بما يجب أن تكون عليه العلاقة، ما يدفع الفاعلين إلى البحث عن شركاء قيمين، والأهم من ذلك - جعلهم يدركون أنهم هم أنفسهم لربما لا يتوافقون مع تطلعات الشريك. من جانب آخر، تفترض الإرادة التعاقدية - وهي الإرادة القادرة على إبرام عقد - القدرة على وضع العواطف إلى جانب التطلعات. كما تقول إحدى النساء ذكرت في موقع المواعدة إي هارموني (eharmony)، قالت فانيسا:

«إنه رجل رائع جدا، قالت فانيسا، لكنني لا أعرف ببساطة ما إذا كان بِن وأنا قد خلقنا لنعيش معا. لربما فكرت في الانفصال عنه، لكنني لست متيقنة كذلك. كيف أقرر؟» **هذا السؤال يساور الكثير من العزاب: هل يجب أن أنفصل عن شريكي أم أن أبقى معه لفترة أطول؟ المسألة غير محسومة بشكل عام، وعليك أن تحمل وزرها لفترة طويلة قبل أن تحصل على إجابة واضحة.** ومع ذلك، تدل الإشارات التالية بطريقة يقينية على أن التكهنات بعلاقة طويلة الأمد هي سبب حقيقي للقلق والاهتجاس(423).

يبين سؤال فانيسا علامات التباس وغموض المشاعر بسبب الافتقار إلى الوضوح، فضلا عن صعوبة مواءمة تطلعاتها مع مشاعرها، وعدم اليقين بشأن طبيعة مشاعرها ذاتها. يؤدي غياب الوضوح العاطفي إلى لا يقين مزدوج. بالنظر إلى الطبيعة المسرفة في تفاعلية وتبادلية العواطف - يستجيب الناس للمشاعر التي يعبر عنها الآخرون -، فإن صعوبة تفسير مشاعر شخص ما تؤثر على القدرة على تنمية مشاعر مستقرة. إلزا امرأة فرنسية إسرائيلية عمرها تسعة وخمسون عاما،

Rachel O'Neill, "The Work of Seduction: Intimacy and Subjectivity in the London 'Seduction Community,'" *Sociological Research Online* 20, no. 4 (2015): 1–14, esp. 10.

(423) eHarmony Staff, "Deciding Factors: Eight Solid Reasons to Break Up," September 26, 2013, https://www.eharmony.com/dating-advice/relationships/eight-solid-reasons-to-break-up/,accessed December 31, 2017, التشديد من عندي.

مطلقة وتعيش في إسرائيل، تقدم بيانا عن حالة اللايقين المزدوج هذه.

- **إلزا:** لقد تطلقت قبل خمس سنوات، وبعد أربعة وعشرين عاما من الزواج، لم أكن أعلم أن عالم المواعدة قد تغير إلى هذا الحد. من الصعب حقا أن تنتسج بينك وبين شخص آخر علاقة في أيامنا.

- **المستجوبة:** هل تستطيعين أن تقولي السبب؟ ما الذي تغير؟

- **إلزا:** أعتقد أن السبب الرئيسي وراء ذلك هو أنك لا تعرف حقا ما تريده، لا أنت نفسك ولا الآخرين. كل شيء يمكن أن يسير على ما خير يرام، ثم فجأة، لسبب تافه حقير، ينهار كل شيء؛ كنت أمر بشيء جيد للغاية مع رجل، كان يتودد إلي باحترام، كان لطيفا للغاية، وممتعا جدا، ثم في أحد الأيام تحدثنا عن السياسة، وحينئذ، أف، لم يعجب الرجل بآرائي، كنت يسارية متشددة بالنسبة إليه. لقد أغضبه ذلك، لأنه كان رجل أعمال فخورا جدا بما أنجزه، وعندما سمع أنني أؤيد توزيع الثروات وأن يدفع الأثرياء المزيد من الضرائب، تبخر، واختفى. هكذا بدون سابق إنذار. ثم كان هناك هذا الرجل الآخر، في البداية كان مجنونا بحبي، وكتب لي رسائل بريد إلكتروني مجنونة، وقدم لي هدايا باهظة، ولكن في يوم من الأيام ابتعد عني. استجمعت شجاعتي لسؤاله عن السبب وأخبرني أنه لا يحب انتقادي لطريقة لباسه. كان يرتدي ملابسه بطريقة فظيعة وكلاسيكية للغاية، وحاولت أن أجعل هيئته أكثر حداثة. قلت له شيئا من قبيل: «تلك السترة ستلائمك أفضل، أليس كذلك؟ أعتقد أنها أجمل بكثير من تلك التي ترتديها.» وكان ذلك كافيا ليعطيه الانطباع بأنني كنت أنتقده. بمجرد دغدغة أناهم المتعجرف قليلا، ينهارون. ثم هناك أنا أيضا: إذا فعل الرجل شيئا أخرق وغير لائق، أو لم يتعرف علي على سجيتي، أو لم يكن موثوقا به، فأنا أنكمش في قوقعتي، أو أقنع نفسي بأن الرجل لا يستحق عناء أن أقضي معه وقتا. بمجرد تخطي المرحلة التمهيدية، تعرف متى لم تعد في المرحلة التي تبرق فيها عيناك من السعادة وتكون مهموما وعلى أعصابك، بعد هذه الفترة، حين تبدأ في رؤية الشخص بحق، لا أعرف بعد جيدا ما أشعر به وماذا أريد.

- **المستجوبة:** ماذا تقصدين؟

- **إلزا:** أنا فوضوية للغاية. أحيانا يعجبني الرجل، وأحيانا لا. يعجبني حينما يفعل ما أتوقعه منه. لا يعجبني عندما لا يفعل. أستشعر نفس الأمر من جانبهم. ثقتي في نفسي مهزوزة، وأنا حقا لا أحب الشعور بعدم الأمان، آخذ في تناول الطعام بنهم. لكن إذا كانوا لطفاء معي، فأنا أحبهم حقا. لا أعرف كيف أهتدي إلى مشاعر مستقرة.

- **المستجوبة:** كيف تعرفين إن كان الرجل يحبك حقا أم لا؟

- **إلزا:** هذا هو لب المشكل، لا أدري. أحيانا أعتقد أنه يحبني حقا، وأحيانا أعتقد العكس. أعتقد أنه يأتي ويذهب. وهو نفس الشيء من جانبي. ففي مثل هذه اللحظات أفتقد إلى الزواج. وضوح كل شيء. يمكن أن نفشل في الزواج فشلا ذريعا، لكننا على الأقل نعرف ما لدينا.

- **المستجوبة:** لماذا؟ لماذا لا تعرفين؟ ما الأمر الذي لا تعرفينه؟

- **إلزا:** لأننا لا نعرف أبدا ما تعنيه الأشياء للآخرين وحتى ماذا تعنيه لنا. الرجل الذي كنت أتحدث عنه قبلا، رجل الأعمال، كان يأتي كل ليلة لنخرج معا، كان يدعوني إلى مطعم أو لتناول مشروبات، كان يتودد إلي حقا طوال الوقت ثم، دون سابق إنذار، اختفى. بدا وكأنه واقع في الحب، وبعد ذلك، وبسبب خلاف سياسي، قرر أنني لست من نصيبه، هل تصدقين ذلك؟ من الواضح أن هذا لم يكن يعني له الكثير. أو ربما كان يعني شيئا ما في وقت ما، ثم لا شيء. في الوقت الحالي، أواعد رجلا، لكنه غالبا ما يلغي مواعيده، يصل متأخرا، لا يتصل عندما يجب عليه الاتصال. ومع ذلك، على مقربة مني، وكان لدينا بعض المشاجرات، لكنه يبدو مرتبطا كل الارتباط بي، ولذا لم أعد أعرف ماذا أقدم وماذا أؤخر، وإن كنت أعجبه أم لا. يراودنا الانطباع بأن ليس ثمة قاعدة. من الصعب جدا معرفة ما يصلح وما لا يصلح، وفهم دلالة ما يفعله الرجل وما لا يفعله. لربما لا يتصل لأنه مشغول؟ لربما لأنه لا يحب العواطف المتقدة؟ لربما لأنه لا يحبني؟ في الواقع، يمكن أن يكون أي شيء. لم أصل أبدا إلى الدرجة التي يساورني فيها الانطباع

بأنني **أعرف** ماهية ما يجري، وكيف من المفترض أن نصل إلى تلك الدرجة.

تحيل هذه القصة إلى صعوبة إبرام عقد، لأن في بداية العلاقة يتفاوض الناس باستمرار حول قواعد ومعنى هذه القواعد تبعا لقيمتهم وتقديرهم لذواتهم. إذا كان «اللايقين يحيل إلى قدرة الشخص على وصف السلوك في المواقف الاجتماعية والتنبؤ به وتفسيره[424]»، فمن البين أن هذه المرأة تواجه قدرا كبيرا من اللايقين، سواء من جانبها أو من جانب الآخرين. يترك غياب البنى الطقوسية والركائز المعيارية الذات في مواجهة صعوبة فك مغاليق نوايا الآخرين، وتصميم خطة عمل، وتطوير ردود فعل استراتيجية لغياب اليقين، وتطوير مشاعر واضحة وثابتة. بعبارات أخرى، فإن اللايقين يخلق ميتا-عواطف، أي عواطف ناجمة عن العواطف، تجعل عملية المواعدة غامضة وانعكاسية في آن؛ حيث الأشخاص الذين يحاولون التحكم في هذه العملية من خلال مراقبة تدفق وحدة مشاعرهم. تكون هذه الانعكاسية نموذجية لبداية العلاقة، على وجه التحديد عندما تكون نوايا الفاعلين ضبابية غير واضحة ويصعب فك شفرتها. هذان المستويان - العواطف وما فوق العواطف - يعقدان بداية السيرورة العلائقية. وهذا مثال على ذلك.

تمار هي طالبة إسرائيلية في العلوم الإنسانية تبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاما، وتعمل أيضا في شركة عالية التقنية:

- **تمار**: اتصلت بي إحدى صديقاتي وقالت: «قابلت رجلا رائعا. عرفني به بعض الأصدقاء. ولكن مر يومان ولم يرسل لي أية رسالة نصية. من ناحية أخرى، أخبرني أنه سيكون مشغولا للغاية، ما رأيك؟ أعتقد أن الأمر متروك له ليتخذ الخطوة الأولى لأنه هو من عليه مغازلتي. حدسي يخبرني أنه هو من يعين عليه أن يفعل ذلك، لكنني لست واثقة.» أجبتها: «إذا كنت لا تريدين البقاء سادرة في

---

(424) Denise Haunani Solomon and Leanne K. Knobloch, "Relationship Uncertainty, Partner Interference, and Intimacy within Dating Relationships," *Journal of Social and Personal Relationships* 18, no. 6 (2001): 804–820, esp. 805.

الشك والريبة، فعليك أن تدعينه أنت. ادعيه إلى الخروج. أرسلي له رسالة نصية غير مكترثة. أنا أكره أن أسدر في الشك.» قالت لي: «أنا أكره إرسال شيء» غير مبال «كأنني فاترة الإحساس، فيما أنني في الحقيقة كل شيء ما عدا أني غير مكترثة. إذا كان يريد التحدث معي، لكان راسلني بالفعل.» لكن أنا؟ فأنا أكره أن أعيش في الشك والحيرة. أنا بحاجة إلى أن أعرف. كتبت. لا يهمني إذا ما كنت أول من يكتب. أنا بحاجة إلى أن أعرف. فقالت لي صديقتي: «يا للهول!!! لقد طفح الكيل. يجب أن يطلق عقالي. نعم نعم. لا، لا. أحتاج إلى تحرير نفسي منه. عليه أن يكتب إلي.» [تتحدث تمار باسمها مرة أخرى]: لقد عيل صبري على أمر كهذا «هل سيبعث إلي رسالة نصية أم لا؟» أنا بحاجة إلى أن أعرف. [...] واعدت كثيرين، لكن كما تعلمين، أشك في نفسي أحيانا، ولست متيقنة مما إذا كان الموعد الغرامي قد نجح أم لا. في بعض الأحيان نعتقد أن الأمور سارت على ما يرام، لكن عندما أعود إلى المنزل، أقول لنفسي «هل كان ذلك جيدا؟» العديد من أصدقائي ينكؤهم الشك. أنا غريزية، لكن هذا لا يمنعني من الشك. أعيش في تل أبيب حيث يبحث، والجميع يرغب في مغامرات ليلة واحدة. في تل أبيب الجميع يتطلع إلى ذلك. هذا يجعل كل شيء رخيصا غير ذي أهمية. يساورنا انطباع بأننا نغرق وسط آلاف الأشخاص. إنا نشعر حقا بهذا. يمكننا تبادل إرسال رسائل نصية إلى بعضنا البعض لساعات فقط لندرك أنهم لا يريدون سوى معاشرة جنسية لليلة واحدة. لقد تحدثت إلى بعض الرجال، وأشعر أن لديهم الكثير من الخيارات، يمكنهم العثور على امرأة جميلة وذكية بسرعة كبيرة. يساورني دائما انطباع بأنه يوجد دائما المزيد من الفتيات، ولهذا السبب أعتقد أنها كل هذا رخيص جدا.

- **المستجوبة**: تخيلي أنك قابلت شخصا يثير إعجابك حقا.
- **تمار**: كيف؟
- **المستجوبة**: كما كنت ترغبين.
- **تمار**: يكون الأمر أسهل من خلال الأصدقاء.

- **المستجوبة**: هل لك أن تخبريني ما الذي سيكون صعبا؟

- **تمار**: بصرف النظر عن كثرة الخيارات، وحقيقة أن هناك الكثير من الخيارات، أعتقد أنه ليس ثمة التزام حينما نتواعد عبر مواقع الإنترنت، فالانطباع هو «أستطيع فعل ما أريد». إذا كان اللقاء يتم بوساطة الأصدقاء، يكون الرجل أكثر التزاما. من واجبه أن يبدي قليلا اهتماما أكبر. ولكن إذا لم يتم عبر وساطتهم، فإن انطباعي هو أن في وسعهم ترخص أي شيء.

على الرغم من الفجوة بين الأجيال، فإن قصة تمار وصديقتها قريبة من قصة إلزا، بمعنى أنهما كلتيهما تصفان موقفا تكون فيه قواعد الارتباط غير واضحة، حيث تكون نوايا الفاعلين غامضة وتتطلب تعبيرا لفظيا انعكاسيا واستبطانيا. علاوة على ذلك، فإن التعبير عن الرغبة مقيد بشدة بالشعور بأن الرجال هم الذين لديهم السلطة على تقرير الكيفية التي ينخرطون بها في العلاقة، التي يمكنهم بسهولة وضع حد لها، وهو ما يحدث غالبا. يدور الحديث بين تمار وصديقتها حول مسألة معرفة ما إذا كان «الاتصال أولا» لا يحتمل التقليل من قيمتهما، مما يوحي بأن المجال الجنسي مشبع بعلاقات القوة. اللايقين ينخر بداية التفاعلات لأن أمر إظهار الاهتمام الزائد أو القليل جدا منه يمكن أن يدين العلاقة في كلتا الحالتين؛ إما في الخيار الأول لأنه يعكس نقطة ضعف، أو في الخيار الثاني لأنه يترجم عدم القدرة على الدخول في علاقة قوية وحميمة. «عدم معرفة ما يجب فعله» - الاتصال من عدمه، إبداء الاهتمام أو عدمه - ينتج عن قيد اجتماعي يلزم الفاعلين بتدبير الرغبات والضرورات المتضاربة المتداولة في التفاعل: الرغبة في عدم إظهار أننا نريد نسج علاقة، والرغبة فيها مع ذلك بإلحاف؛ الرغبة في رؤية الآخر وهو يؤكد قيمته؛ والحدود التي نفرضها على أنفسنا في التعبير عن مشاعرنا. أصبح واقع عدم إظهار تبعيتنا محركا رئيسيا للعلاقات، خاصة في البداية، مما يعقد على الإرادة إمكانية إبرام عقد عاطفي أو العمل الرمزي الضروري لإظهار بعض الاهتمام و/أو الرغبة في الارتباط [ومن ثم الالتزام]. وبذلك، فإن التفاعل الجنسي- العاطفي ينطوي على مفارقة: فمن أجل خلق رابط، يجب أن تظهر

الذات بعض التجرد لأنه أمارة على الاستقلالية ومن ثم القيمة. ومع ذلك، غالبا ما يستحث هذا التجرد في الآخر استراتيجية حماية الذات. أوضح جان بيير، البالغ من العمر تسعا وخمسين سنة، هذه المعضلة أفضل بيان، والذي استحضر بعد الحديث عن الصعوبات التي واجهها في العثور على شريكة عن ابنتيه، اللتين تبلغان من العمر خمسة وعشرين وثلاثين عاما على التوالي.

- **جان بيير**: لا واحدة منهن [بناته] لديها حبيب؛ هذا لا يدوم؛ إنهما تقابلان الرجال مرة أو مرتين، وتواعدان شخصا لبضعة أسابيع، لكن هذا لا يدوم طويلا أبدا. كلتاهما تخبراني نفس الشيء: الأمر معقد للغاية. بالنسبة إليهما، لا توجد قواعد.

إنهما تريدان أن يأخذ الرجل المبادرة أولا. لا تأخذان زمام المبادرة. في نفس الوقت، إذا أرسل الرجل أكثر من ثلاث رسائل، فقد انتهى أمره. رسالة واحدة، هذا حسن. رسالة ثانية لا ضير فيها. والثالثة تعني أن الرجل يحتاج إلى المودة، وهذه كارثة؛ ومصيره التنحية. ومن ثم ليس الرجال وحدهم من هم معقدون. فهما أيضا معقدتان. إنهما تحاولان إيجاد دليل هادي في النسوية لمعرفة ما يجب فعله في هذه الفوضى.

- **المستجوبة**: بمعنى؟

- **جان بيير**: إنهما تؤولان بسرعة البرق سلوك الرجل على أنه استعراض للقوة. إنهما حذرتان من أن تبدوا مغلوبتين على أمرهما أو تحت سيطرة الغير. لكن كما ترين، فإنهما تنتظران كذلك أنه هو من عليه اتخاذ الخطوة الأولى. إذن ثمة هنا تناقض. رغم أنه يحسن بهما الوعي بذلك، فإنهما لن يتغيرا أبدا. تقولان إنهما إذا تصرفتا بطريقة مغايرة، فذلك سيضيع أي فرصة في الارتباط مع رجل. المفتاح هو عدم إظهار أنهما تحتاجان إلى المودة.

على الرغم من النظام البطريركي الذي لا يزال قوي الحضور، كان للنسوية، بجميع نسخها وتلويناتها، تأثير عميق على العلاقات بين الجنسين المتغايرين، وعلى إدراك الرجال والنساء لأنفسهم والآخرين، مما يساهم في تطوير الميكانيزمات

السيكولوجية لعدم الاختيار. كما رأينا فيما تقدم، كانت النسوية، في المجمل، مثالا للاستقلالية والمساواة، وهي في هذا الصدد تشجع النساء على أن يكن، على حد تعبير هذا الرجل، «حذرات» في وجه علامات القوة والسلطة، ما يقودهن إلى فحص سلوك الرجال حسب مظاهر القوة والسلطة والتقليل من القيمة الذي قد ينطوي عليها. قد تظهر مثل هذه العلامات على أنها قصور في التبادلية أو المعاملة بالمثل (عدم الطهي للمرأة؛ الاتصال بها أقل منها بكثير)، أو الاعتداء الجنسي (إجبار المرأة على معاشرة جنسية)، أو المسافة العاطفية (أن يكون أقل تعبيرا عاطفيا، أو عدم الاتصال بسرعة كافية)، أو عن طريق استعداد أقل للتضحية بالمصالح الشخصية من أجل العلاقة. بالنظر إلى أن النسوية تسعى إلى إحقاق المساواة في أدوار الجنسين وتسبر أدنى علامة هيمنة في إطار السلوك الذكوري، فإنها تزيد أيضا من كرامة النساء والعتبة التي تسمح لهن بصون تقديرهن لذواتهن. كما رأينا أعلاه، في حالة السوق، القيمة في جوهرها غير يقينية وهي ما يجب الدفاع عنه. ومع ذلك، كما يشير هذا الرجل، فإن بنتيه تبعدان الرجال الذين يمنحونهما الكثير من الاهتمام، لأنهما تفسران علامات الاستدراج والإغراء هذه على أنها شكل من أشكال «التبعية»، وهو تصور ازدرائي للآخر في ثقافة يهيمن عليها مثال الاستقلالية الذاتية. هذا الأمر من التعقيد حتى أن الحدود بين الاستقلالية الذاتية والمسافة العاطفية رفيعة للغاية، ما يزيد من التباس مشاعر ونوايا الآخرين (وعواطف ونوايا المرء الخاصة). كما يشير جان بيير، فإن العمليات النفسية الاجتماعية الرئيسية التي تعمل في تكوين العلاقات هي من نوعين: من ناحية، تقييم القيمة النفسية والجنسية والاجتماعية للشخص (إن كان هذا الشخص يظهر أم لا «تبعية» للغير، وإذا كان يتصرف بطريقة «يظهر فيها اهتماما أم لا»)؛ من ناحية أخرى، حماية الذات لضمان عدم تضرر سلامتها وقيمتها أو الانتقاص منها. يجب على الفرد أن يتنقل بين هاتين الحتميتين المتناقضتين، بين حتمية الاستقلالية الذاتية (الخاصة به وبالآخر) والتعبير عن التعلق. والنتيجة هي أن الفاعلين الجنسيين يراقبون ذاتيا مشاعرهم: على سبيل المثال، ذكر الأشخاص

الذين استجوبوا في المقابلة آليات مثل «الانغلاق على الذات» أو «الدفاع عن النفس» أو «حماية النفس» أو «التثبت من شعور الذات بالأمان» أو «إدارة ظهره للألم». تشدد هذه الآليات على قدرة الفاعلين على التحكم في تدفق مشاعرهم من أجل صون تقديرهم لذواتهم واستقلاليتهم الذاتية وتجنب أي ألم عاطفي. لذلك، يطور الفاعلون استراتيجيات سيكولوجية لتقييم المخاطر، في محاولة لقياس وحساب المخاطر التي يركبونها في حال إبداء مشاعرهم و«الإفضاء» بسرائرهم في بداية العلاقة.

يترافق الاحتراس والتنبه إلى علامات الاهتمام أو عدم الاهتمام بالآخرين مع اهتمام مستمر بتقدير المرء لذاته، حيث يصبح الشعور بقيمة الفرد الشخصية أمارة موثوقة على العلاقة الجيدة. على سبيل المثال، أدرجت مجلة **علم النفس اليوم** (Psychology Today) المؤثرة قائمة علامات العلاقة السيئة أو المؤذية. في أعلى القائمة نجد: «شريكك **لا يجعلك تشعرين بالرضى عن جسدك**. يومئ إلى الصلع الذي بدأ يغزو رأسك أو الجلد المترهل تحت ذراعيك.» أو: «تشعرين بالسوء تجاه نفسك مما كنت عليه في بداية علاقتك - لديك ثقة أقل بالنفس وترين في نفسك خصالا إيجابية أقل[425].» ففي نفس الوقت الذي تصير فيه بنية العلاقات غير يقينية وتجبر النساء أنفسهن على أن يظهرن متيقظات ومتنبهات للغاية في مواجهة تجليات جبروت الرجال، تلتفت الذات إلى مشاعرها الخاصة والمعنى الذي لديها عن قيمتها. بقيامها بذلك، تطور الذات أشكالا جديدة من التنبه المفرط إلى علامات عدم الاهتمام أو المسافة العاطفية، فضلا عن القدرات الثقافية والسيكولوجية على الانسحاب من علاقة تهدد الذات. في حالة عدم اليقين، يتعلم الرجال والنساء التحكم في تدفق تعبيريّتهم العاطفية لتجنب علاقة غير تماثلية وغير متكافئة.

---

(425) Alice Boyes, "51 Signs of an Unhealthy Relationship," February 10, 2015, https://www.psychologytoday.com/blog/in-practice/201502/51-signs-unhealthy-relationship, accessed December 31, 2017, التشديد من عندي.

في مواجهة اللايقين الناجم عن سلوك الغير، يمكن أن تصبح السيميائية العاطفية للتفاعلات - التي تقوم على فك رموز العلامات العاطفية المنبعثة من الآخرين – نزاعية: نوايا الآخرين يمكن أن تجعلني ضعيفا وتعرضني للخسارة أو للجراح. في مواجهة حالة عدم اليقين التي يمكن أن تسببها العواطف تجاه شخص آخر، يلجأ الفاعلون إلى مشاعرهم الخاصة للحصول على شكل من أشكال اليقين. تتعلم الذات فك شفرة سلوك الآخر من خلال ذاتيتها هي. السؤال «ما هي المشاعر التي يجب أن أشعر بها؟» يصبح المفتاح للتقدم المتسلسل والتحقق الأدائي للعواطف. مثل هذا الاهتمام بتقدير الذات يزيد بدوره من مخاطر علاقة نزاعية قائمة على الصراع. فيما يلي مثالان على آليات الدفاع عن النفس المتطورة التي تستند بشكل أكبر على ما يفترض أننا نشعر به أكثر من الكيفية التي ننجذب بها من الآخر.

رفائيل طالب فلسفة إسرائيلي يبلغ من العمر أربعا وعشرين عاما ويعمل بدوام جزئي:

- **المستجوبة**: هل لديك صديقة؟
- **رافائيل**: في الواقع، لقد انفصلت عنها للتو.
- **المستجوبة**: هل يمكن أن تخبرني لماذا؟
- **رافائيل**: لقد مررت بيوم عصيب للغاية. كنت قد تجادلت مع رئيسي في العمل ووترني ذلك. في المساء، تحدثت معها عبر الهاتف، كما كنا نفعل في العادة، وأخبرتها أنني مررت بيوم صعب. ثم حدثتني هي الأخرى كيف مر يومها. لكني أخال أنني أوليتها اهتماما أقل من المعتاد. واصلنا حديثنا ثم قطعنا المكالمة. بعد نصف ساعة، اتصلت بي مرة أخرى، وأخبرتني أنها تضايقت من عدم استماعي إليها. يجب أن أقول هنا إنها تتابع دراستها لتصبح نفسانية إكلينيكية. إنها منهمكة تماما في هذا الأمر. وأتخيل ما يمكن أن تقوله لنفسها بعد محادثتنا [تقليد صوت فتاة]: «يا إلهي، لم يستمع إلي كما ينبغي له أن يفعل. [نبرة تهكم ساخر] أتدرين؟» فكرت: «تبا لك من تكونين لتقولي لي، بعد موعدين ويوم عصيب، إنني لم أستمع

إليك بعناية كافية؟» حسبت أن هذا كان غير لائق حقا. بعد موعدين، لا يمكنها أن تفعل شيئا كهذا. لذلك أوقفت كل شيء.

استجاب هذان الشخصان لتهديدين مختلفين: ردت المرأة على الشعور بأن الرجل لا يهتم بها بما فيه الكفاية، بينما كان يحاول الدفاع عن نفسه مما شعر، حسب تقديره، أنه يهدد استقلاليته الذاتية. كلاهما يؤكد نفسه ويدرك كل منهما أن تأكيد الذات لدى الآخر يمثل تهديدا لسلامته. أصبح تأكيد الذات وحماية تقدير الذات لعبة لا رابح فيها ولا خاسر، صراعا بين ذاتيتين تدركان قيمتهما على أنها تضر بقيمة الآخر.

هنا مثال آخر. دانييلا إسرائيلية تبلغ من العمر سبعا وثلاثين عاما وتعمل مصممة غرافيك في شركة للتكنولوجيا الفائقة.

- **المستجوبة**: عندما تتصفحين الملفات الشخصية، عاقدة العزم على مقابلة شخص ما على المواقع التي تستخدمينها، كيف تقومين بذلك؟

- **دانييلا**: أولا وقبل كل شيء هناك المظهر بالطبع. يجب أن يكون جميلا، أعني، ليس بالضرورة جميلا، لكن يوجد فيه شيء يجذبني. مستوى التعليم، وربما أيضا إذا كان ملفه الشخصي مضحكا. ثم، إذا تطابقنا، فمن المهم أن يتحلى بأشياء مثل أن يرد على رسائلي بسرعة، وأن يكتب أشياء ذات مغزى ومعقولة، وأن يكون له بشكل عام نبرة لطيفة. مثل هذا الرجل الذي كنت أتحدث إليه بالأمس؛ لقد «تعارفنا» على الموقع الإلكتروني، لقد بدا رائعا، وله صوت لطيف للغاية، وذكيا، ولكن كان هناك شيء ما في نبرة صوته جعلني أشعر بعدم الارتياح. بعد عشر دقائق، قال «آسف، يجب أن أغادر، أرسلي لي صورتك (لأنني لم أضع صورة على الموقع). اكتبي لي». لكنني لم أفعل. حتى لو أن جميع المكونات كانت متوفرة، إلا أنني لم أفعل ذلك لأنه لم يكن لطيفا بما يكفي. إذا لم أشعر بالرضى بعد المحادثة، فلا بأس، سأتوقف. على الرجل أن يشعرني بالراحة. بدونها، أجد صعوبة في الشعور بأني حرة. أعني، لا، أحيانا أستمر، لكن إذا فعلت ذلك، فأنا أكون حذرة.

- **المستجوبة**: هل هذا يعني إذن أنك إذا لم تشعري بالرضى في العلاقة، فإنك

ترحلين أو تنهينها؟

- **دانييلا:** هذا أكيد، فالأمر لا يحدث ميكانيكيا كما قلت. أعني القول، عليك أن تتساءلي عما كان يفكر فيه الشخص، ربما أسأت تفسير شيء ما، ولكن بشكل عام، وخاصة في البداية، إذا كان هناك الكثير من الأشياء التي التي تجعلني لا أشعر بأني بخير إذا كان الرجل متناقضا أو بعيدا، أو حتى إذا لم يجعلني أشعر بأنني شخص مميز، وألا يخبرني أنه سعيد لمقابلتي، فإني أرى أن هذا سبب لعدم المواصلة. ما يجعلني الرجل أشعر به بخصوصي أمر مهم حقا لمنح فرصة للعلاقة. ربما لهذا السبب بالذات، وأنا أفكر في الأمر الآن [تضحك]، ما زلت وحيدة وعزباء.

كما يوضح هذا المثال بوضوح، إذا تم تهديد تقدير الذات («الشعور بالرضى»)، تنتهي العلاقة. في التفاعل العاطفي- الجنسي، يتفاوض الشخص (أو لا يتفاوض) على قدرة الآخر على الحفاظ على تقديره لذاته أو حتى زيادته. تقتضي استراتيجيات حماية تقدير الذات عدم الاختيار، والانسحاب من علاقة (محتملة) حيث تخشى الذات ألا تنال التقدير بشكل كافٍ. بعبارة أخرى، الهجر هو فعل أدائي يؤكد من خلاله الفاعلون تقديرهم لذاتهم ويعوضون عن تخفيض محتمل للقيمة. في عمود خاص بالاستشارة والنصائح، تعلن خبيرة العلاقات روري راي عن القاعدة الأساسية التالية من أجل النساء:

عندما يقول الرجل أنه غير متيقن مما إذا كان «يحب» أو «الشعور بأي شيء» اتجاهك، لوذي بالفرار. إن قوله بأنه يحبك ولكنه ليس مستعدا بعد لعلاقة جدية، هو كل شيء ما عدا قول عدم «التأكد من مشاعره». إذا قال إنه «غير متأكد من مشاعرِه»، فهذه إشارة لك للهروب(426).

(426) Rori Raye, "Stop Wondering if He's Going to Call ... Because He'll Be Clamoring for Your Time and Attention," https://www.catchhimandkeephim.com/m/email/nl/roriraye/did-he-pursue-you-andthen-get-distant.html?s=57508&e=1&cid=UZZZCD&lid=1&sbid=SdYj, accessed December 31, 2017, التشديد من عندي.

وبالتالي، فإن عدم استقرار العلاقات هو نتاج ردود الفعل وردود الفعل المضادة لما يشعر به المرء على أنه تهديدات رمزية تثقل كاهل نفسه. يقوي/ يعزز الخطاب الذي تتناقله كل من العلاجات والثقافة الشعبية آليات الهروب لأن جوهر العلاجات النفسية يقوم على توطيد تقدير الذات. لنستمع إلى إلزا نفسها التي سبق ذكرها أعلاه:

بدأت في مواعدة رجل أحببته حقا؛ لقد مر وقت طويل أعجبني فيه رجل كهذا وبدأت حتى أقول في نفسي إنه ربما كان الشخص الأمثل. لكن بعد ثلاثة أو أربعة أشهر، لا أعرف لماذا، شعرت بأنه أصبح أقل قليلا، ما هي الكلمة، ربما أقل حماسا، وأقل اهتماما بإرضائي. كان يصل متأخرا، ولا يتصل دائما عندما يقول إنه سيتصل، بدا وكأنه يريد أن يكون وحيدا في كثير من الأحيان من أجل الكتابة. لفتت انتباهه إلى الأمر، أعتقد أنني كنت قلقة بعض الشيء، وبدلا من الرد بطريقة هادئة، استاء ولم يتقبل الأمر جيدا، فما كان مني إلا أن استأت من استيائه. لذلك فعلت كل ما تخبرك به كتب الاستشارة النفسية، وقلت بصراحة أن ذلك آلمني، وأنني كنت بحاجة إلى أن يتصرف بشكل مختلف، لكن هذا جعله أكثر تحديا، لقد استاء مني بسبب مطالبي، أو لأني أنتقد سلوكه. لكن أتدرين، إذا وضعتني علاقة في موقف دفاعي وجعلتني أشعر بالقلق، فأعتقد أنه حتى لو كان الرجل رائعا، فأنا أتوقف. هذا شيء تعلمت أن أفعله بفضل علاجي. كانت لدي علاقات شعرت فيها بالسوء، حيث كنت فيها غير مرتاحة، واعتقدت أنها ستمر. منذ علاجي، لم أعد أفعل ذلك. أنا لا أبقى في علاقة لا أشعر فيها بالراحة.

قصة إلزا تعكس القصص الأخرى: عدم إمكان التنبؤ بالرجل يهدد قدرته على فهم نواياه. وهذا يخلق حالة من عدم اليقين، وصعوبة في تأويل سلوك ونوايا الآخر. ما يعيشه الفاعلون على أنه «انعدام أمان» يولد بدوره استراتيجيات دفاعية ودفاعية مضادة، حيث يحاول كل فاعل حماية مظهر أساسي من ذاته. يتجلى ذلك من خلال اللجوء إلى العلاج الذي يتمثل هدفه الرئيسي في تعزيز تقدير الذات وكل ما ينجر عن ذلك (الرفع من قيمة الذات، محبة الذات، تقبل الذات). لذلك

يمكن القول إن هذا يساهم بمهارة وبراعة في بلورة وتطوير استراتيجيات لاكتساب شكل من أشكال حب الذات والحفاظ عليه. عندما تبدو رغبات الذات أو رغبات الآخرين ملتبسة أو متعارضة أو متناقضة، فإن إحدى الاستراتيجيات المتوخاة تكمن في إنهاء العلاقة. بعبارة أخرى، يؤدي الالتباس العاطفي وغياب قواعد الارتباط مباشرة إلى نهاية العلاقة، رغم أن مراحل عدة تبقى قبل أي عقد محتمل. تساعد آليات عدم الاختيار الذات على صيانة قيمتها من خلال عدم اختيار علاقة تهدد الذات. وبالتالي، فإن الدفاع عن تقدير الذات يولد منطقا نزاعيا ويجعل «الهجر» أسرع وسيلة لتأكيد أو الحفاظ على تقدير الذات هذا.

كل الأمثلة أعلاه توضح نفس النقطة. يقع الفاعلون بين منطقين عاطفيين متصارعين: منطق الحفاظ على تقدير الذات من خلال رفض الانخراط في أفعال قد لا تكون متبادلة والتي في موازينهم يمكن أن تجعلهم ضعفاء؛ ومنطق إقامة علاقة مع شخص آخر، يكون فيها الكشف عن المشاعر والعواطف فعلا أدائيا أساسيا من أجل إنشاء العلاقة. ينتج اللايقين من صعوبة تنظيم هذين المنطقين فيما تسميه آن سويدلر استراتيجية فعل متماسكة[427].

تذكرنا الموارد السيكولوجية التي يجب على الفاعلين تطويرها في علاقة جنسية وعاطفية بالفاعل الاقتصادي الذي يقيم المخاطر والعوائد على القيمة المستثمرة في بيئة مالية غير يقينية. ففيما تعرف الرأسمالية الكلاسيكية من خلال المبادلات المباشرة للمال (تبادل أو إنتاج السلع مقابل المال)، في ظل إضفاء الطابع المالي على الاقتصاد، أصبحت القيمة والعائد غير مؤكدين بشكل متزايد. يقوم الفاعلون الاقتصاديون بتطوير أدوات رياضية لحساب مخاطر استثماراتهم. كما كتبت كارين

(427) Ann Swidler, *Talk of Love: How Culture Matters* (Chicago: University of Chicago Press, 2001), 107. See also Ann Swidler, "Culture in Action: Symbols and Strategies," *American Sociological Review* (1986): 273–286, esp. 280.

كنور سيتينا، فإن هذا التصور يعتمد على تقييم الآمال والوعود[428]. أصبحت المضاربة وتقييم المخاطر نشاطا أساسيا للاقتصاد[429] وهي نفس الحالة الذهنية والنفسية التي توجه الأفراد في بداية أي علاقة. بنفس الطريقة التي أصبح بها تدبير المخاطر عنصرا مركزيا في المجال الاقتصادي والمالي، أصبحت المخاطر عنصرا أساسيا في بداية العلاقة. يمكننا القول إن بعض العلاقات تشبه المعاملات المالية المباشرة - فهي تنتظم حول قواعد مقررة للمعاملة بالمثل كما هو الحال في المغازلة التقليدية -، بينما تتحدد علاقات أخرى من خلال وضع وتقييم استراتيجيات في مواجهة آفاق غير يقينية.

يحاول الفاعلون الذين يسعون جاهدين لبدء علاقة وتطويرها إلى تقييم المخاطر، لكنهم في الواقع مقيدون في الغالب بما يسميه علماء النفس المعرفي بالنزاعات اللاواعية بشأن غرضهم، أي المواقف، التي بسبب الطبيعة المحدودة للقدرات المعرفية، يواجه فيها الفاعلون أنفسهم دون وعي منهم أهداف غير متوافقة تحشد استراتيجيات غير منسجمة. سواء أكانت واعية أم لا، فإن تصارع الأهداف يجبر الذات على اتخاذ قرارات أو القيام بخيارات تعرضها لـ «الإحراج والعنت»، والتي تؤدي إلى «نوايا سلوكية وميول وجدانية غير متماسكة»[430]. بعبارات أخرى، تحمل العلاقات المعاصرة في عمقها تضاربا في الأهداف، مثل

(428) Karin Knorr Cetina, "What Is a Financial Market?: Global Markets as Microinstitutional and PostTraditional Social Forms," in *The Oxford Handbook of the Sociology of Finance*, ed. Karin Knorr Cetina and Alex Preda (Oxford: Oxford University Press, 2012), 115–133, esp. 122.

(429) Terje Aven, "Risk Assessment and Risk Management: Review of Recent Advances on Their Foundation," *European Journal of Operational Research* 253, no. 1 (2016): 1–13; Terje Aven and Yolande Hiriart, "Robust Optimization in Relation to a Basic Safety Investment Model with Imprecise Probabilities," *Safety Science* 55 (2013): 188–194; James Lam, *Enterprise Risk Management: From Incentives to Controls* (Hoboken, NJ: Wiley, 2014); José A. Scheinkman, *Speculation, Trading, and Bubbles* (New York: Columbia University, 2014).

(430) Tali Kleiman and Ran R. Hassin, "Non-conscious Goal Conflicts," *Journal of Experimental Social Psychology* 47, no. 3 (2011): 521–532, esp. 521.

الحفاظ على الاستقلالية الذاتية وتقدير الذات من جهة، والبحث عن الارتباط من جهة أخرى. كما قال عالما النفس المعرفي تالي كلاينمان وران هاسن:

عندما يكون هناك هدفان (أو أكثر) في صراع نشط، فغالبا ما يؤديان إلى اتخاذ قرارات في اللحظة الأخيرة، أي قرارات يبدو أن البدائل لها نفس الأهمية. مجازيا، فإن «مقاييس القرار» متكافئة إلى حد ما. في هذه الحالات بالتحديد، يمكن لإشارات بسيطة (وربما غير ملائمة) في البيئة يمكن أن تقلب الموازين وترجح كفة على أخرى[431].

عند يكون الفاعلون أمام خيارات متعددة وأهداف متضاربة، من المرجح أن ينزعوا إلى الوثوق في تفاصيل غير ذات صلة أو عشوائية أو ثانوية لاتخاذ قرار، مثل الانخراط في علاقة أو الخروج منها. أنا أطرح فكرة أنه في حالة تضارب الأهداف، يميل الفاعلون إلى التراجع، لأن التراجع يبدو الحل الأبسط للصراع الناشب بين تقدير الذات والاستقلالية الذاتية والارتباط. فيما يلي مثال تتعارض فيه الاستقلالية الذاتية مع الارتباط ينشط استراتيجية الهجر أو الانسحاب القائمة على تفاصيل تبدو بسيطة، تماما كما يتوقع ذلك علماء النفس المعرفي.

دعونا نرى ما في جعبة الرجل الذي يطلق على نفسه الهدف 12 ليدلو به:

لقد انفصلت أنا وصديقتي السابقة قبل شهرين، لقد كانت غلطتي، لقد أحبتني بجنون. لم أخنها أو أي شيء من هذا القبيل. انفصلت عنها جاء هكذا، في يوم شؤم. اتصلت بها في اليوم التالي واعتذرت على فعلتي تلك لكنها كانت قد خرجت بالفعل وقبلت شخصا ما صدمني قليلا لكني احترمها على صدقها وصراحتها [...][432].

في هذا المثال، يهدد حب المرأة استقلالية الرجل ويتعارض مع حاجته إلى التعلق

(431) Ibid., 522.

(432) Goal12, "I Feel Lost." loveshack.org, April 3, 2016, http://www.loveshack.org/forums/breaking-upreconciliation-coping/breaks-breaking-up/575980-i-feel-lost, accessed December 31, 2017. التشديد من عندي.

بها. غارقا في صراع الأهداف وغير قادر على حلها، انفصل عن صديقته دون أن يفهم الأسباب حقا. يمكن النظر إلى «الانفصال بسبب يوم عصيب» على أنه مثال لما يخمنه علماء النفس المعرفي في حالة شخص واقع في صراعات غير واعية حول هدفه. إنها استراتيجية تسمح بالخروج من التعقيد والصراع. ومن ثم فإن الهجر والقطيعة أو الانفصال هما الحل لتضارب الأهداف والحاجة إلى الحفاظ على استقلالية الذات وتقديرها لذاته.

رحل دون أن ينبس ببنت شفة

حرية الدخول في علاقة لا تنفصل عن حرية الخروج منها. إن «الخروج» من علاقة ما هو في الواقع إلا امتياز للحرية التعاقدية للعلاقات. كما كتب المنشق عن ألمانيا الشرقية فولف بيرمان (Wolf Biermann) في عام 1965: «لا يمكنني أن أحب إلا ما أنا حر في فراقها[433].» لا شك أن مثل هذا التعريف للحرية يختلف عن ذلك الذي اقترحه هيغل، المدافع الكبير عن الحرية في الحب والزواج. في الواقع، يندد الفيلسوف بشدة وقسوة بحق الفرد في فسخ الزواج بحرية. بالنسبة إلى هيجل، فإن المؤسسات الأخلاقية العليا وحدها مثل الكنيسة أو القضاء هي حق لها فسخ الزواج (انظر الفصل السادس حول الطلاق). بهذا المعنى، تطورت الأفكار الثقافية عن الحرية والعقد والزواج والحب بشكل كبير: فقد تحولت حرية الدخول في علاقة إلى الحرية الأساسية في الخروج منها. تندرج القدرة على إنهاء العلاقة، لعدة مرات متتالية، في العقد الجنسي. ولكن إذا كان هذا الهجر مدمجا في العقد، فإن هذا يحول بالضرورة إدراكنا للعلاقة، سواء قبلها أو خلالها، ويقوض إمكانية تكوين علاقة حتى.

يعد إيقاف العلاقة في لحظة أو في أخرى واقعا شائعا وواسع الانتشار اليوم. لدرجة أن العديد من العلاقات أو معظمها تنطوي في صميمها على توقع نهايتها.

---

(433) مقتبس من:
Ivan Krastev, *After Europe* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2017), 51.

بما أن هذا يجب أن يظهر لنا الآن بوضوح، هذا ينطبق بشكل خاص على عالم المواعدات عبر الإنترنت، حيث اعتاد الناس على عدم الرد على مكالمة، وعدم القدوم إلى موعد غرامي، وقطع المراسلات دون إعطاء تفسير، والرحيل من موعد غرامي بشكل مفاجئ، وإنهاء العلاقة مع أو بدون تفسير. بالنسبة إلى عدد كبير من الأشخاص الذين قابلتهم، وخاصة النساء ولكن لسن وحدهن، يبدو أن هذا الوضع بات جزءا من المسار الطبيعي للعلاقات العاطفية. يعرض روس، وهو مدرس إنجليزي يبلغ من العمر واحدا وأربعين عاما، المثال التالي:

في الأسبوع الماضي كنت على الهاتف مع امرأة لديها ملف تعريف جميل. بدأنا الحديث وكانت محادثتنا ممتعة. أخبرتني أنها تقطع خمسين كيلومترا في اليوم بالدراجة داخل وحول المدينة [لندن]. وقالت أيضا إنها لم تكن تعتمر خوذة. لذلك نصحتها بارتداء خوذة. في المرة الثالثة، أثرت جدالا من خلال محاولة إقناعها، بلطف حسبما أظن، بلبس خوذة، فقالت لي: «آسفة، علي أن أغادر.» وأضافت، عبر رسالة نصية فيما أحسب، «لا أعتقد أننا سنكون متوافقين.»

يطور الفاعلون المحدثون هويتهم الشخصية بالاستناد على أذواق المستهلك وعلى بناء نفسي للذات. شيئا فشيئا، يصبحون حساسين للغاية للاختلافات الصغيرة في الأسلوب، مما يؤدي إلى تعزيز نبذ سريع. ما عدا استثناءات قليلة جدا، من المرجح أن يتعرض معظم الأفراد، المتزوجين أو غير المتزوجين، في علاقات قائمة أو ناشئة، للانفصال أو الرفض في حياتهم، سواء كان مهما أو ثانويا – كما في حالة روس –، وسواء كان فظا من جانب واحد أو بالتراضي. من الأهمية أن نلحظ، في المعاملات الاقتصادية على وجه الخصوص، أن التراجع يؤدي إلى إنهاء العقدَ وأحيانا إلى عقوبة؛ في العلاقات الجنسية و/ أو الرومانسية التي التزم بها بالفعل، يتم الهجر دون تكلفة رمزية أو وصما للشخص الذي يرحل. تعتبر العقود العاطفية والجنسية من الفرادة حد أنها خالية عمليا من عقوبات في حالة الهجر أو الرحيل. هذا ما يتضح من خلال ممارسة الاختفاء بدون سابق إنذار (الرحيل دون تفسير)، وهو موضوع غالبا ما يتناول في الثقافة الشعبية. إليكم ما يقوله هذا المقال

الصحفي:

ما هو الاختفاء (ghosting)؟

الشبح أو الطيف، وهي كلمة تقترن في العادة بكول، الصبي الذي رأى الموتى، وبفيلم عرض سنة 1990 من بطولة ديمي مور وباتريك سويزي، كما أصبحت هذه الكلمة أيضا فعلا يصف نهاية علاقة رومانسية بقطع كل اتصال بالشريك وبتجاهل محاولاته للاتصال.

من يمارسها؟

لقد دخل المصطلح بالفعل في معجم الاستطلاعات: في تشرين الأول/ أكتوبر 2014، أظهر استطلاع YouGov /Huffington Post لألف راشد أن 11 ٪ من الأمريكيين قد سبق وهجروا شخصا ما. وجدت دراسة استقصائية غير رسمية لمجلة إيل Elle شملت 185 شخصا أن حوالي 16.7 ٪ من الرجال و24.2 ٪ من النساء كانوا «أشباحا» في مرحلة ما من حياتهم. ما إذا كان هذا السلوك قد أصبح ممارسة أكثر شيوعا مع ظهور وتطور التكنولوجيا أمر قابل للنقاش، ولكن ربما يحدث الآن ضررا أكبر، لأنه ثمة اليوم العديد من الطرق لرؤية الشخص المحبوب يتفاعل مع أشخاص آخرين بينما يتجاهلك. إن تطوير تطبيقات مثل تيندر وغريندر، والانطباع الذي تمنحنا إياه بأنه سيكون هناك دائما شخص آخر - حرفيا - على مقربة منا، يشجع الأشباح (الاختفاء)[434].

الاختفاء هو ميزة لحرية إنهاء العقد الجنسي-العاطفي، وهذا في أي وقت. كشكل مخصوص من أشكال الهجر، فإنه لا يتطلب لا تفسيرا ولا جهدا للحفاظ على كرامة الآخر. يكشف الاختفاء في آن عن حقيقة أن الانسحاب من العلاقة

(434) Valeriya Safronova, "Exes Explain Ghosting, the Ultimate Silent Treatment," June 26 2015, http://www.nytimes.com/2015/06/26/fashion/exes-explain-ghosting-the-ultimate-silenttreatment.html?WT.mc_id=2015-JULY-OTB-INTL_AUD_DEV-0629 0802&WT.mc_ev=click&adkeywords=IntlAudDev&_r=0, accessed December 31, 2017. تذكر النيويورك تايمز كاسبر بدلا من كول، ربما تشابه على الجريدة الأمريكية مع شخصية الشبح (كاسبر، في الكوميديا الغرائبية التي رأت النور في سنة 1995)

هو ممارسة شائعة إلى حد ما وأن الناس يشعرون بأنهم أقل فأقل التزاما بتقديم التفسيرات. تعبر سارة، الإسرائيلية البالغة من العمر اثنين وخمسين سنة، بعبارات قوية عن شعورها بالأذى والتأثر بعد أن «اختفاء طيف» صديقتها.

جمعتنا علاقة لمدة عام، بل عام ونصف في الواقع، ثم أرسلت إلي رسالة نصية تقول إن الأمر انتهى، وأنها تنهي علاقتنا. فعلت ذلك عن طريق رسالة نصية. حاولت الاتصال بها لكنها لم ترد. لا أتعافى من إذلال شخص ما انفصل عني بهذا الشكل. لم تكلف نفسها عناء إخباري شفهيا. حاولت الاتصال بها عدة مرات، لكن من الواضح أنها لم ترد على أي من مكالماتي، حتى عندما حاولت الاتصال بها من رقم مجهول. لا أستطيع التعافي من هذا الإذلال وهذه الإهانة. ثم علمت من صديقة مشتركة أنها التقت بشخص ما. لم يكن لديها حتى الأدب لتخبرني.

من بين الأشخاص الآخرين الذين استجوبتهم، كان العديد منهم قد «شبح» (ghosted). (في عيّنتي، كانت النساء فقط هن من تعرضن إلى ذلك، لكن هذه الممارسة بالتأكيد ليست خاصة بجنس بعينه).

لأن أخلاقيات الموافقة هي الخطاب الأخلاقي الرئيسي وشبه الحصري الذي يحكم الحب والعلاقات، تمنح الموافقة شرعية الانسحاب من العلاقة في أي وقت، بمجرد أن تتغير المشاعر. يمنح «الشعور بانجذاب أقل» أو «مقابلة شخص آخر» الحق في إنهاء العلاقة، غالبا دون عناء «التبرير». في الواقع، من السمات اللافتة للحرية العاطفية التعاقدية العاطفية أن إنهاء العلاقة قد يخلو من أي نظام للتبرير[435]. يمكن للناس أحيانا أن يعطوا تبريرات، بالطبع، لكنهم يشعرون أقل فأقل بأنهم غير مضطرين لفعل ذلك.

إن الهجر من الشيوع أن له تداعيات على كيفية بدء العلاقة وتصورها. اتصلت بي تارا، وهي أستاذة كيمياء إسكندنافية تبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاما، عبر البريد الإلكتروني لتشاطرني أفكارها حول تجاربها مع المواعدة عبر الإنترنت.

---

(435) Luc Boltanski and Laurent Thévenot, *On Justification: Economies of Worth* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006).

باستخدام استعارات أخاذة، إليكم كيف تصف تجاربها:

تأمل بسيط:

في رواية سلوك الفراشة للكاتبة بربارا كينغسولفر، ثمة مشهد تظهر فيه البطلة الرئيسية وزوجها وهما يتسوقان في متجر للتخفيضات. كل شيء رخيص للغاية ويتم إنتاجه بكميات كبيرة على الجانب الآخر من العالم. يأخذ الزبائن السلع ويعيدونها إلى الرفوف بعدم اكتراث أو انذهال. إنهم يرغبون في شيء ما، والرغبة جزء من مخططهم، لكنهم لا يعرفون ببساطة ما يريدون، وفي الواقع لا يحتاجون حقا إلى ما يرونه. بيد أنهم يستمرون في التسوق، لأنه ليس مكلفا.

جعلني هذا المشهد أفكر في السلوك النموذجي للمواعدات عبر الإنترنت، نلتقي، ونهجر بعضنا [...]. لقد تحول البحث عن شركاء إلى مسعى شخصي تماما، يقوم على الاختيار والاحتياجات وتقدير هوية الذات، كما لو أننا نقتني ملابس جديدة.

أظن أن المواعدة عبر الإنترنت هي المسؤولة عن ظاهرة «الرومانسية السريعة» (مثل الوجبات السريعة والأزياء السريعة). إنه الاغتراب الأخير: «السلع» وافرة ويمكن الوصول إليها بسهولة، ولا نحتاج إلى أن نتورط فيها عاطفيا. امتد هذا النزوع إلى العلاقات الأخرى، لذلك إذا قابلت شخصا ما في الحياة الواقعية، يمكنك «تجربته» لفترة ثم إعادته إلى الرفوف دون حاجة إلى تبرير سلوكك، وهو أمر مؤلم ومربك للغاية. في الماضي، كان من الأدب إنهاء العلاقة بشكل صريح. كان من المفترض أن تشرح سبب قلة اهتمامك أو اختفاء مشاعرك، أو أن تفسر لماذا قررت أن العلاقة لا أفق لها. مع الحب السريع، يبدو الهجر وكأنه ممارسة لا غبار عليها، أو خيارا سهلا، بغض النظر عن مدى قوة أو حميمية الرابطة العاطفية. كثير من الناس «يتواعدون» كما «يتسوقون»، ويتصرفون مثل مستهلكين كثيري التدقيق في سوق غير مكلفة وشاملة للعلاقات الجنسية والرومانسية المحتملة. إن هذا هو الطور الأخير من التسليع.

تعبر هذه المرأة بكلمات فظيعة عن واقع أننا يمكننا وضع حد لعلاقة متى شئنا

ذلك بسهولة وبدون أن يكلف هذا الشخص الذي يرحل، سواء رمزيا أو أخلاقيا. ولهذه الأسباب تشعر وكأنها سلعة يمكن التخلص منها، نجربها ونرميها، أو باستخدام استعارتها، «نتركها على الرفوف». إن الانفصال هو اعتداء على الشخص وتقديره لذاته.

بالنسبة إلى عالم الجنس والطبيب الألماني فولكمار زيغوش، فإن الحرية الجنسية قد خففت من الشعور بالالتزام(436)، وهو ما تعكسه بوضوح ظاهرة الهجر أو قطع العلاقات. يشير تعميم ثقافة قطع العلاقات إلى إضعاف الالتزام الأخلاقي، وضعف لا يكون أظهر في أي مكان أكثر من المجال الجنسي. في مؤلف **دليل الحب المفقود الذي يجعل علاقتك مستديمة**، تذكر الوسيطة وخبيرة الزواج الشهيرة هيلين تشين أن 85 ٪ من العلاقات تنتهي بالانفصال(437). على الرغم من أن الإحصائيات المقدمة من امرأة غير أكاديمية ليست موثوقة تماما، إلا أننا لا يمكننا إغفال أن هيلين تشين تضع الإصبع على ما أصبح، بلا شك، مكونا بنيويا ومعمما لعملية الاقتران. معظم الراشدين اليوم، حتى في سن مبكرة، مروا بالفعل بالعديد من تجارب الانفصال الرومانسي، سواء كمبادرين إليه أو كضحايا له.

يستكشف ألبرت هيرشمان في كتابه «**الانسحاب والكلام والإخلاص**(438)» خيارين تركا للزبائن للتعبير عن عدم رضاهم عن منتج مُصنَّع: الأول هو الانسحاب (exit)، أي التوقف عن شراء المنتج؛ والآخر هو الكلام (voice)، أي التعبير عن عدم الرضى، شفهيا أو بوسائل أخرى. لكن في العلاقات الحميمة

---

(436) Volkmar Sigusch, "Lean Sexuality: On Cultural Transformations of Sexuality and Gender in Recent Decades," *Sexuality & Culture* 5, no. 2 (2001): 23–56.

(437) Hellen Chen, "Hellen Chen's Love Seminar: The Missing Manual that Will Make Your Relationship Last," 2013, https://youtu.be/ezEeaBs84w0. See also "Over 85% of Dating Ends up in Breakups —Upcoming New Book on Relationships Sheds Light," October 28, 2013,
http://www.prweb.com/releases/finding_right_date/lasting_marriages/prweb11278931.htm, accessed December 31, 2017.

(438)

كما في التبادل الاقتصادي، يبدو أن الانسحاب هو الخيار المفضل بشكل متزايد. لماذا هو كذلك؟ أود أن أقول إن الانسحاب يُفضل على التحدث لأنه لا يجر عقوبة معيارية، لأن إمكانات أخرى في الأفق (متاجر أخرى أو شركاء آخرون)، ولأن أخذ الكلام يُنظر إليه على أنه تهديد للاستقلالية الذاتية أو تقدير الذات. عندما تكون رابطة في طور التكون، غالبًا ما يُفضل الانسحاب على التحدث لأن الأخير يعبر عن التبعية والضعف، في حين أن الانسحاب هو مظهر أدائي لتوكيد الذات. إن الانسحاب طريقة لتأكيد عدم الاختيار، أي اختيار الانسحاب من علاقة تهدد أمن الذات ووضع حد لها. يكون هذا الانسحاب في بعض الأحيان نتيجة قرار واع، وأحيانا نتيجة عمليات شبه واعية، كما هو الحال عندما يقع شخص في صراع أهداف ويسعى للدفاع عن استقلاليته أو تقديره لذاته.

إننا ندرك اليوم قطع العلاقات على أنه امتياز أساسي لحرية الذات الحديثة المتأخرة في الدخول في علاقة والخروج منها بالكاد قضينا وقتا في التفكير في التأثيرات التي يمكن أن تحدثها الانفصالات المتكررة والتوقعات المحبطة على الذات وعلى إمكانية تكوين العلاقات. هناك جانبان خاصان للانفصالات يبدوان بديهيين. الأول هو أنها متحللة من أي مسؤولية أخلاقية وبالتالي خالية نسبيا من المعايير. والثاني أنها تسبب شكلا من أشكال الأذى يمكن أن نسميه الأذى العاطفي. لا يكاد يكلف قطع العلاقات شيئا بالنسبة إلى أولئك الذين ينفصلون، ولكنها قد تكون سيئة الوقع على أولئك الذين يكونون عرضة لها. ولأن مثال الحرية الجنسية يضع القمع والهيمنة الجنسيين في مرمى أهدافه، لم يفكر في آثاره السلبية على الثقافات التي تهيمن عليها حرية الرحيل. لم نسعى إلى دراسة المدى الذي يمكن فيه لتجربة الانفصال المتكررة أو المتواترة أن تضر إمكانية الشعور بالأمان ونسج علاقات دائمة وذات مغزى. كما تبين بعض الأبحاث، فإن تأثير الانفصال بعيد كل البعد عن اللامبالاة التي تكون دائما ملازمة له.

يقترن تفكك الرابطة الرومانسية إمبريقيا مع مجموعة متنوعة من الاستجابات السلبية، الجسدية والعاطفية، بدءا من القلق، والاكتئاب، وعلم النفس المرضي،

والشعور بالوحدة، وإخماد المناعة، والأمراض أو الحوادث المميتة وغير المميتة، وانخفاض أمد الحياة، وحتى الموت الفوري عن طريق الانتحار أو القتل[439].

المصطلحات التي يربطها علماء النفس عموما بالانفصال هي: الغضب، القلق، الاكتئاب، الحزن، الاضطراب، الخوف من الهجران. كما استنتجنا أن الانفصال يزيد من خطر الانتحار، وهو في الواقع أعلى بكثير لدى المطلقين منه عند الأشخاص المتزوجين:

كان الأشخاص المنفصلون والمطلقون أكثر عرضة للانتحار بمقدار الضعف مقارنة بالمتزوجين (خ.ن [الخطر النسبي] = 2.08، مجالات الثقة 95 ٪ (95 ٪ م.ث) 1.58، 2.72). العزوبية أو الترمل لم يكن لها تأثير كبير على خطر الانتحار. عندما نظمت البيانات حسب الجنس، لوحظ أن خطر الانتحار بين الرجال المطلقين كان أعلى بمرتين من الرجال المتزوجين (خ.ن=2.38 ، م.ث1.77 ، 3.20). بين النساء، في المقابل، لم يكن هناك فورق دالة إحصائيا في خطر الانتحار حسب فئات الحالة الاجتماعية[440] (ربما لأن النساء يعتبرن أن العلاقات غير مؤكدة ويمكن أن تنتهي).

تشير دراسة أخرى إلى أنه، سواء بالنسبة إلى الرجال أو النساء، فإن الانفصال يخلق خطر الانتحار بأربعة أضعاف على الأقل أعلى من أي حالة زوجية أخرى[441]. يطرح باحثون آخرون أن التأثير الرئيسي لقطع العلاقة يتمثل في تشويش الصورة التي لدينا عن ذواتنا، أي إدراك الذات غير محدد بشكل

---

(439) Albert O. Hirschman, *Exit, Voice, and Loyalty: Responses to Decline in Firms, Organizations, and States* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1970).

(440) Deborah Davis, Phillip R. Shaver, and Michael L. Vernon, "Physical, Emotional, and Behavioral Reactions to Breaking Up: The Roles of Gender, Age, Emotional Involvement, and Attachment Style," *Personality and Social Psychology Bulletin* 29, no. 7 (2003): 871–884, esp. 871.

(441) Augustine J. Kposowa, "Marital Status and Suicide in the National Longitudinal Mortality Study," *Journal of Epidemiology & Community Health* 54, no. 4 (2000): 254–261, esp. 254.

جيد[442]. مهما كانت الإحصائيات والتأثيرات الفعلية لقطع العلاقة، تظل الحقيقة: غالبا ما تكون هذه الأخيرة تجربة نفسية خطيرة، لكنها أصبحت شائعة في الثقافات المجنسنة وغير المستقرة عاطفيا. إذا زاد الانفصال من خطر الانتحار، أو غيرت الرغبة في بدء علاقة أخرى، أو تسبب في اكتئاب قصير أو طويل الأمد، أو أثرت بشكل دائم نسبيا على صورة الذات وتقديرها، يجب أن يسائلنا الانفصال عن حدود الموافقة كمبدأ ضمني يحكم العلاقات. كما أحسن القول روبن ويست، الباحث في فلسفة القانون: «أن تكون المعاملات غير التوافقية - الاغتصاب والسرقة والعبودية - سيئة لأنها غير رضائية لا يعني بالضرورة وجود القيمة أو أي شيء جيد في نظرائها الرضائية - الجنس أو الملكية أو الشغل. [العلاقات التوافقية] يمكن أن تكون سيئة لأسباب أخرى[443].»

ومن نتائج قابلية التنبؤ والتقليل من أهمية قطع العلاقات أيضا جعل المعايير الأخلاقية التي تسمح بتقييمه ملتبسة وغير يقينية. على وجه التحديد بسبب حرية الانسحاب من العلاقة، يجهل الفاعلون أي قائمة أخلاقية يثقون بها بعد القطيعة. فيما يلي مثال يعكس صعوبة دمج قطع العلاقات في الخطاب الأخلاقي:

ما زلت أحاول التعافي [من انفصالي]. إنه صعب. لقد كان الأول. لا يزال يرغب في الخروج معي سرا في نهاية الأسبوع، لكن بخلاف ذلك فهو بغيض معي **بشكل رهيب**. يقول لي أشياء فظيعة ليحقرني. لا يزال يريد التحكم في، حتى لو كان يتودد إلى فتاة أخرى. مفروض علي أن أراهما معا في المدرسة وعلي أن أتحمل حقيقة أنه لم يعد يقضي هذا الوقت معي. أحيانا أقول لنفسي إنني يجب أن أتركه وأمضي قدما، لكنني أخشى الندم على ذلك، فأنت لا تعرفين أبدا ما إذا كان هناك شيء لا يزال ممكنا. أقول لنفسي إنني سأبدأ في تركه وإذا كان يريد حقا أن تتحسن

---

(442) Marianne Wyder, Patrick Ward, and Diego De Leo, "Separation as a Suicide Risk Factor," *Journal of Affective Disorders* 116, no. 3 (2009): 208–213.

(443) Erica B Slotter, Wendi L. Gardner, and Eli J. Finkel, "Who Am I without You? The Influence of Romantic Breakup on the Self-concept," *Personality and Social Psychology Bulletin* 36, no. 2 (2010): 147–160.

الأمور، فلن يسمح لي بالرحيل(444).

تفتقر هذه الشابة كليا إلى الوضوح المعياري ليرشدها: على الرغم من أن صديقها يتصرف «بشكل فظيع»، تشك في المعنى الأخلاقي لأفعالها، والذي يترجم بلغة عاطفية أكثر منها أخلاقية. في الواقع، يؤدي تذويت التجربة إلى عدم يقين عميق في آن بشأن مشاعر الذات والمعنى الأخلاقي لعواطف وأفعال الآخرين. هل يجب أن تشعر بأي ندم؟ عزيمة؟ بالتصميم والعزم؟ العزم على القتال من أجل حبها؟ أعليها أن تدين صديقها؟ هذه هي القضايا التي يواجهها الأفراد بمفردهم، دون مبادئ توجيهية واضحة، وتقف في تناقض صارخ مع الثقافات حيث تكون الجنسانية متأصلة بعمق في الثقافة الأخلاقية ومقيدة بها. كما كتب الفيلسوف أفيشاي مارغاليت: «الأخلاق الليبرالية لا تعترف بالأخلاق الجنسية كمجال أخلاقي مستقل. إنها تقر بأهمية الجنس في حياة الإنسان، فضلا عن تعرضه للاستغلال والهيمنة. إنها تعترف بالجنس كمجال حساس في تطبيق المبادئ الأخلاقية الرئيسية. لكنها لا تعترف بالجنسانية كمجال أخلاقي مستقل بمبادئه الخاصة، كما لا تعترف بالنظام الغذائي كمجال أخلاقي منفصل. بالفعل، في الأخلاق الليبرالية، لم يعد هناك مكان للأخلاق الجنسية ولا لأخلاق التغذية(445).» والنتيجة هي الذهول عما يسميه الفيلسوف آلان فيرتهايمر «الضرر التجريبي»، أي الضرر الذي يلحق قدرة الذات على عيش تجربة(446). كما يفترض فيرتهايمر، فإن المعايير السائدة متساهلة كثيرا فيما يتعلق بالخداع الجنسي. يمكننا

---

(444) Robin West, "The Harms of Consensual Sex," November 11, 2011, http://unityandstruggle.org/wpcontent/uploads/2016/04/West_The-harms-of-consensual- sex.pdf, accessed December 31, 2017.

(445)Mike Hardcastle, "Am I in Love?" http://teenadvice.about.com/u/sty/datinglove/breakup_stories/He-d-Tell-Me-I-was-a HorriblePerson.htm, accessed July 2015.

(446) Avishai Margalit, *On Betrayal* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2017), 7. نظرا لذيوع النزعة النباتية كشكل جديد من الأخلاق، فبديهي أن مارغاليت قد اختار القياس الخاطئ، لكن حجته ما تزال صالحة.

أن نضيف أنها متساهلة تماما بشأن الانفصال، بل إنها تشجع عليه. يصبح الانفصال غير ذي بال أو ببساطة في غير محله من وجهة نظر أخلاقية. يتسبب الانفصال المتكرر في ضرر تجريبي، إما لأنه يجعلنا غير مبالين بالضرر الذي نلحقه بالآخرين، أو لأنه يضر بالسلامة العاطفية لمن يتعرضون له، مما يؤثر على قدرتهم على الاعتقاد بأنهم سيكونون قادرين من جديد على الانخراط في تجارب شبيهة.

ألكسندر محاسب إنجليزي يبلغ من العمر ثمانية وخمسين عاما، متزوج في التاسعة والعشرين من عمره، وهو مطلق في الثالثة والثلاثين. يروي تجربته على نحو ما يلي:

- **ألكسندر**: علمت منذ البداية أن علاقتنا لن تستمر طويلا.

- **المستجوبة**: أعرفت ذلك منذ البداية؟

- **ألكسندر**: نعم، وعرفت ذلك حتى قبل أن أتزوج. كان بديهيا أننا لم نكن متوافقين، وأن طبائعنا مختلفة.

- **المستجوبة**: هل كان الطلاق مؤلما؟

- **ألكسندر**: في الحقيقة، لا. ربما لأنني أردت ذلك. كانت التجربة التي أخبرتك عنها من قبل، هذه المرأة التي عرفتها بعد الطلاق، أكثر إيلاما وتعذيبا بكثير. كنت مغرما بها، متيما بحبها كثيرا، لكن بعد عام من العشرة، أخبرتني أنها تريد الانفصال [يصمت]. إذا أعدت التفكير في ذلك، أعتقد أن ذلك سيبقى مطبوعا في نفسي مدى الحياة.

- **المستجوبة**: بأي طريقة؟

- **ألكسندر**: أعتقد أن هذه التجربة كانت شديدة الصعوبة من الناحية العاطفية، وثقيلة الوطأة، لدرجة أن شيئا ما بداخلي أغلق، ولم لم في وسعي الانفتاح على امرأة بنفس الطريقة بعد الآن. ربما لهذا السبب ما زلت أعزب، بعد أكثر من عشرين عاما على طلاقي. لم أستطع الانفتاح بعد الآن. منذ ذلك الحين. يمكن القول إنني تعرضت لصدمة نفسية بسبب هذا الانفصال. في الحقيقة، لم أدرك ذلك أبدا حتى الآن، في هذه اللحظة التي أتحدث فيها إليك.

في نفس الاتجاه، يروي سيريل، الصحفي الفرنسي البالغ من العمر سبعة وستين عاما، تجاربه الأولى:

عندما كنت شابا، تركني امرأتان؛ كل واحدة لأسباب مختلفة. وبشكل فظة جدا. كنت أعشقهما وأظن أنني بقيت مصدوما. لم يمكنني بعد أن أقع في الحب مرة أخرى. لم أعد أثق بأي أحد. لدي علاقات رائعة للغاية مع النساء، لكنني لم أقع في الحب بنفس الطريقة مرة أخرى. لهذا السبب أجد أنه من الأنسب أن تكون لدي علاقات متعددة في وقت واحد. لن تكون أبدا ضعيفا تماما إذا كانت لديك مغامرات غرامية متعددة في وقت واحد.

توضح هذه الأمثلة الطرق التي يؤثر بها الانفصالات على قدرتنا على الثقة في المستقبل، مما يؤدي بعد ذلك إلى إنشاء بنيات نفسية وعاطفية للانغلاق والحماية.

في المجال الاقتصادي، أصبح الانسحاب والإعراض هو النمط الرئيسي لعمل السوق عند طرفيه المتقابلين. على صعيد الإنتاج، تقوم الشركات والمقاولات بنقل أنشطتها وإغلاق المصانع وتسريح العمال؛ من ناحية الاستهلاك، لا تبني المتاجر الكبرى أي علاقة قائمة على المعرفة الشخصية والولاء، وتدمج الانسحاب كخيار عادي ودارج من جانب المستهلكين، الباحثين عن صفقات أفضل. كما كتب هيرشمان في **الانسحاب والكلام والولاء**، فإن الافتراض الأساسي لخبراء الاقتصاد هو أن عجز أو خسائر الشركات والمقاولات ليست شيئا يستحق أن نعيره انتباهنا: «عندما تتخلف شركة أو مقاولة ما في معركة التنافسية، فإن الجزء الذي تحتفظ به من السوق سرعان ما تستولي عليه شركة أخرى - ولا سيما من قبل الشركات الجديدة - التي توظف العملاء الذين تشغلهم؛ في النتيجة قد تؤدي هذه العملية إلى تخصيص أمثل للموارد[447].» يبدو أن اللامبالاة الأخلاقية لقطع العلاقات تخضع لمنطق مماثل في الفعالية العمياء للسوق. فبما أن الهدف هو تحسين الرفاهية الفردية، فإن قطع العلاقات تدرك بعامة على أنها وسيلة لتحسين أداء

(447) Hirschman, *Exit, Voice, and Loyalty*, 2.

الفرد ذاته («مراكمة الخبرات»، «معرفة الذات بشكل أفضل»، «اختيار الشخص أكثر توافقا») واستثمار موارده بشكل أفضل (اختيار الشخص المناسب). فسواء في المجال الاقتصادي أو المجال الجنسي، تدمر مفاهيم الفعالية والتكلفة والمنفعة مفهوم العقد. كما كتب ريتشارد سينيت في كتابه **ثقافة الرأسمالية الجديدة**:

أكد رئيس شركة ديناميكية مؤخرا أن لا أحد يملك مكانه في مؤسسته، وأن الخدمات المقدمة في الماضي لا تضمن بأي حال منصب العامل [...]. يتطلب هذا سمة شخصية خاصة للغاية، والتي لا تعتبر التجارب السابقة. تذكرنا سمة الشخصية هذه بالمستهلك المتعطش دائما بالجديد، متجاهلا المنتجات القديمة حتى عندما تكون مفيدة تماما، بدلا من المالك الذي يحرس بغيرة ما لديه بالفعل(448).

يعتبر الانفصال جزءا لا يتجزأ من ثقافة يجد فيها الناس أنفسهم سريعا وقد عفا عليهم الزمن، ويحل محلهم الواقع أو احتمال شركاء يتطابقون بشكل دقيق مع الاهتمامات والحاجات العاطفية. يتطلب الانتقال بين الانفصال والعلاقة الجديدة، كما هو الحال في المجال الاقتصادي، نسيانا للماضي، وقدرة حتمية في كثير من الأحيان على تحديث وتجديد الذات، واختبار تجارب جديدة ومواجهة آفاق مجهولة. إنه يتطلب امتلاك شخصية قادرة على التكيف مع عدد كبير من الطبائع والأشخاص، والتعود على شيء من انعدام الأمن، وعلى تغيير وتطوير استراتيجيات الدفاع والحماية. تقتضي الحركة الدائبة السريعة للشركاء القدرة والرغبة في القيام باستثمارات قصيرة الأجل، وعدم هدر الوقت، والانتقال بسرعة من سلسلة إنتاج إلى أخرى، ومعرفة كيفية إجراء حسابات سريعة على صلاحية العلاقة وعدم صلاحيتها. كما يقول سينيت، هذه الكفاءة تعارض «التملكية» (possessiveness). ومن المهم أن نسجل أن التملك مصطلح اقتصادي مثلما هو جنسي. قد نتساءل حتى عما إذا كانت عبارة جوزيف شومبيتر بشأن التدمير

---

(448) Richard Sennett, *The Culture of the New Capitalism* (New Haven: Yale University Press, 2006), 4–5.

الخلاق للرأسمالية[449] قد لا تكون ملائمة لوصف التدمير الاقتصادي الذاتي بقدر ما هي مناسبة لفهم الدينامية العاطفية للاختيار السلبي.

إذا سايرنا سينيت، فإن للرأسمالية تأثيرين رئيسيين يرتبطان بشكل خاص بهذه الدراسة: الأول هو تراجع الولاء المؤسسي، والثاني هو تراجع الثقة. يؤدي تراجع الولاء إلى تحويل الأفراد إلى رواد أعمال ذاتيين أو مقاولين ذاتيين دائمين، لا يمكنهم التعويل إلا على أنفسهم ومواردهم النفسية لمواجهة عدم اليقين والشدائد والضوائق. ما يسميه سينيت عملية ترشيد موارد الشركات[450]، والتي تترجم بإزالة مستويات معينة من الإنتاج ونقله إلى الخارج، له تماثلات عميقة مع مجال العلاقات الجنسية والعاطفية، حيث ريادة الأعمال الذاتية (معرفة التصرف بذكاء في العلاقة، ومعرفة اجتذاب رجل، معرفة كيفية «إنهاء العلاقة») أمر ضروري للدخول في علاقة. الحب التعددي، على سبيل المثال، هو أحد أشكال استراتيجيات ريادة الأعمال التي تتم إضفاء طابع خارجي لمختلف «ذواتنا» و«حاجاتنا» المختلفة بالقرب من أشخاص آخرين، وهو موقف أيدته المعالجة الجنسية الشهيرة إيستر بيريل، والتي تفسر «الخيانة» حسبها من خلال إظهار أنا غير معبر عنه، يبرز إلى شخص آخر غير شريكه الاعتيادي[451]. لأن الفاعلين يعولون أساسا على قدرتهم على أخذ المبادرة للعثور على شريك - تقييم التكاليف والمخاطر، والقيام باستثمارات آمنة نسبيا، وحماية تقدير الذات، وتنمية رأسماله من خلال الحفاظ على العديد من العلاقات -، فإنه يصبح من الصعب نيل الثقة.

تتوافق هذه النتيجة مع دراسة جينيفر سيلفا حول شباب الطبقة العاملة الذين يحاولون دخول مرحلة البلوغ. في مواجهة آفاق التوظيف غير اليقينية بشكل

---

(449) Joseph A. Schumpeter, *Capitalism, Socialism and Democracy* (London: Routledge, 1942; 2013) specifically chapter 7 (وخاصة الفصل السابع) , "The Process of Creative Destruction," 81–86.

(450) Sennett, *The Culture of the New Capitalism*, 48.

(451) Esther Perel, *The State of Affairs: Rethinking Infidelity* (New York: HarperCollins, 2017).

متزايد، فإنهم يخترقون بطريقة فوضوية العلامات التقليدية لمرحلة البلوغ مثل الزواج:

كما يكشف عن ذلك الباحثون لأكثر من عقد من الزمان، فإن العلامات التقليدية لحالة الراشد البالغ - مغادرة منزل الوالدين، وإنهاء الدراسة، والاستقلال المالي، والزواج والطفل الأول – أصبحت متأخرة بشكل متزايد، ومضطربة وقابلة للعكس أو القلب، بل تم التخلي عنها منذ النصف الثاني من القرن العشرين[452].

تعرّف سيلفا حياة شباب الطبقة العاملة البالغين بأنها حالة من الفوضى وعدم اليقين وانعدام الأمن. على الرغم من أنها لا تشير إلى كيفية توسيع نتائجها لتشمل طبقات اجتماعية أخرى، فمن الممكن أن نفترض أن هذه الفوضى واللانظام موجودين في معظم الطبقات الاجتماعية، ولكن بأشكال ودرجات متفاوتة.

الثقة وعدم اليقين

إذا كان العقد في المجال الاقتصادي قد أرسى شكلا من أشكال الثقة[453]، فإن هذه الأخيرة تتزعزع في مجال العلاقات الحميمة. قدم الاقتصادي فرانك نايت تمييزا مشهورا بين المخاطرة وعدم اليقين[454]. بالنسبة إلى نايت، يمكن حساب المخاطرة، في حين أن عدم اليقين بعيد عن ذلك[455]. وهكذا، يمكن تقييم المخاطر بطريقة إحصائية، بينما ينصرف عدم اليقين إلى ما هو غير معروف أساسا. لقد أنشأ المجال الاقتصادي أدوات ووسائل لتقليل المخاطر، مثل المنتجات المشتقة. يعني شراء منتج مشتق شراء شيء ما مع حماية نفسك من مخاطر السوق

(452) Jennifer M. Silva, *Coming Up Short: Working Class Adulthood in an Age of Uncertainty* (Oxford: Oxford University Press, 2013), 6.

(453) Uriel Procaccia, *Russian Culture, Property Rights, and the Market Economy* (Cambridge: Cambridge University Press, 2007).

(454) Frank H. Knight, *Risk, Uncertainty and Profit* (1921; North Chelmsford: Courier Corporation, 2012).

(455) Ibid., 19.

وأوجه عدم اليقين فيه. لكن التبادل العاطفي و/ أو الجنسي لم يخلق مشتقات عاطفية ويحتاج إلى تبني موقف رجل الأعمال الذي يتعين عليه مواجهة عدم اليقين، دون أدوات مالية لتأمين الاستقرار. في مواجهة عدم اليقين العاطفي، هناك عدة استراتيجيات عاطفية واقتصادية ممكنة: الاستثمار دون يقين من العائد؛ سحب الاستثمارات بسرعة عندما يبدو العائد غير مؤكد؛ الرحيل والمغادرة عندما تكون المتطلبات والاحتياجات باهظة التكلفة؛ تطوير استراتيجيات التأمين في شكل آليات دفاعية وحماية بالظهور بمظهر الحذرين عاطفيا من الخسائر المحتملة. تسلط كل هذه الاستراتيجيات الضوء على صعوبة أساسية في بناء ديناميكا اجتماعية للثقة.

يميز سينيت في دراسته للرأسمالية المذكورة أعلاه بين الثقة الرسمية والثقة غير الرسمية:

الثقة الرسمية تعني أن يبرم أحد الطرفين عقدا مع توقع احترام الطرف الآخر لشروطه. في الثقة غير الرسمية، يتعلق الأمر بمعرفة من يمكنك الاعتماد عليه، خاصة عندما تكون جماعة تحت الضغط: من سيستسلم، ومن سيكون في مستوى المسؤولية[456].

المغازلة على الطريقة القديمة كانت قادرة على توليد الثقة الرسمية وغير الرسمية في آن، لأن الكلفة يمكن أن تكون باهظة في حال الإخلال بالالتزام (هذا الأخير يرهن السمعة والشرف) ولأنها تشرك الشبكات الاجتماعية. كان المحيط الاجتماعي بمثابة نوع من 'الضمان. بإلهام من بيتر بلاو، عرّف ديفيد هاس وفورست ديسيران الثقة بأنها «[...] الاعتقاد بأن الآخر سوف يفي بالتزاماته و"ينهض بدوره" في العلاقة[457]». لكن الثقة، التي يُنظر إليها على أنها الاعتقاد

(456) Sennett, *The Culture of the New Capitalism*, 66.

(457) David F. Haas and Forrest A. Deseran, "Trust and Symbolic Exchange," *Social Psychology Quarterly* (1981): 3–13, esp. 4; Peter Michael Blau, *Exchange and Power in Social Life* (New York: John Wiley & Sons, 1964).

بأن الآخر سوف يفي بالتزاماته، قد قوضت بشكل خطير، لأن عدم اليقين يخلق معضلة عاطفية شبيهة بمعضلة السجين: نظرا لرغبة الجميع في حماية تقديرهم لذاتهم، وبالنظر إلى الشعور بالضعف الناتج عن الكشف عن الذات، فإن الثقة بأن الآخر سيتعاون (أي يستجيب) لا يمكن أن تمنح إلا إذا اعتقدنا أن الآخر سيتعامل بالمثل. كما يؤكد كل من هاس وديسيران: «تستتب الثقة تدريجيا من خلال سلسلة من الاستثمارات الأكثر فأكثر أهمية في العلاقة، وهي سلسلة يمكن خلالها للشركاء تأكيد ثقتهم لبعضهم البعض[458].» تفترض نماذج الاختيار العقلاني للثقة عموما أن الثقة تتطور من المعاملة بالمثل التكرارية: يثق شخص واحد ثم تلي ذلك ثقة الشخص الآخر[459]. «مثل تحيين بايس (Bayesian updating)، يزيد كل فعل إيجابي من الاحتمالية المدركة لولاء الآخر، وبعد عدة تفاعلات متكررة، يكون للمعلومات الإيجابية الإضافية تأثير أقل[460].» من المرجح أن تتعرض الثقة التدريجية والتكرارية لخطر أن تتعطل بسبب صعوبة تقييم سلوك الغير وبسبب الارتباك أو التناقض الذي يستثيره الخوف الذي نشأ في بداية علاقة من رحيل الآخر، الذي يؤدي إلى استراتيجيات الدفاع الذاتي والحماية الذاتية. وبالفعل، يؤكد ألفين غولدنر أن التبادلات الاجتماعية ليست ممكنة إلا لأن الفاعلين يوجهون فعلهم نحو معيار عام للمعاملة بالمثل[461] ويتوقعون من

---

(458) Haas and Deseran, "Trust and Symbolic Exchange," 3.

(459) Joyce Berg, John Dickhaut, and Kevin McCabe, "Trust, Reciprocity, and Social History," *Games and Economic Behavior* 10, no. 1 (1995): 122–142; Ernst Fehr and Simon Gachter, "How Effective Are Trust- and Reciprocity-based Incentives?" *Economics, Values and Organizations* (1998): 337–363; Elinor Ostrom, "A Behavioral Approach to the Rational Choice Theory of Collective Action: Presidential Address, American Political Science Association, 1997," *American Political Science Review* 92, no. 1 (1998): 1–22; Elinor Ostrom and James Walker, eds., *Trust and Reciprocity: Interdisciplinary Lessons for Experimental Research* (New York: Russell Sage Foundation, 2003).

(460) J. Mark Weber, Deepak Malhotra, and J. Keith Murnighan, "Normal Acts of Irrational Trust: Motivated Attributions and the Trust Development Process," *Research in Organizational Behavior* 26 (2004): 75–101, esp. 78.

(461) Alvin W. Gouldner, "The Norm of Reciprocity: A Preliminary Statement," *American*

الآخرين أن يبذلوا نفس الشيء الذي يقدمونه. ولكن في التبادلات الجنسية التي يسود فيها الطيش والمجازفة، فإن توقع المعاملة بالمثل ينسف بشكل كبير، على وجه التحديد لأن معيار الحرية يجعل من الصعب معرفة ما إذا كان ينبغي علينا أن نتعامل بالمثل وإلى أي مدى.

حرية الانسحاب من العلاقة في أي لحظة تجعل المستقبل إشكاليا. لأن القدرة على تخيل المستقبل والثقة متشابكان بشكل وثيق، يصبح بناء الثقة أمرا صعب المنال بشكل متزايد. تشير الدراسات إلى أن الثقة تزداد بشكل كبير عندما نتوقع، في لعبة معضلة السجين، أن يستمر المشاركون في التعاون بعد نهاية اللعبة(462). بعبارات أخرى، تزيد التوقعات بشأن المستقبل من فرص التعاون والثقة المتبادلة. علاوة على ذلك، تشير الدراسات إلى أن الثقة ليست لعبة عقلانية، ولكنها تتطلب أن يخاطر أحد اللاعبين على الأقل(463). في مقال بالغ الأهمية، عرّف منظرو التدبير روجر ماير وديفيد شورمان وجيمس ديفيس الثقة بأنها «رغبة أحد الطرفين في

Sociological Review (1960): 161–178.

(462) آنس كل من جون دافي وجاك أوكس مستويات أعلى من التعاون في ألعاب معضلة السجين المتكررة، مقارنة بالمعاملات التي يتوافق فيها الأشخاص بعد كل جولة. ووجد دال بو أن "طيف المستقبل" (تهديد العلاقات المستقبلية) يقلل من السلوك الانتهازي بين أطراف معضلة السجين. واستنتج كل من إنغل-وارنيك وسلونين أن استراتيجية اللاعب، في ألعاب الثقة، تشمل بناء توازن اللعبة المتكرر.

انظر:

Pedro Dal Bó, "Cooperation under the Shadow of the Future: Experimental Evidence from Infinitely Repeated Games," *American Economic Review* 95, no. 5 (December 2005): 1591–1604; John Duffy and Jack Ochs, "Cooperative Behavior and the Frequency of Social Interaction," *Games and Economic Behavior* 66, no. 2 (2009): 785–812; Jim Engle-Warnick and Robert L. Slonim, "Inferring Repeated-game Strategies from Actions: Evidence from Trust Game Experiments," *Economic Theory* 28, no. 3 (2006): 603–632.

(463) مثلما يؤكد دينيز روسو وآخرون في مقال متعدد التخصصات يتعامل عن الثقة، "المخاطرة تخلق فرصة للثقة، مما يؤدي إلى ركوب المخاطرة. بالإضافة إلى ذلك، فإن المخاطرة تعزز الشعور بالثقة عندما يمسي السلوك المتوقع واقعا ملموسا".

انظر:

Denise M. Rousseau et al., "Not So Different After All: A Cross-discipline View of Trust," *Academy of Management Review* 23, no. 3 (1998): 393–404, esp. 395.

جعل نفسه عرضة لأفعال الطرف الآخر»، مما يعني أن الثقة تنشأ بشكل أفضل عندما تكون الذات مستعدة لأن تكون عرضة للعطب[464]. إذا عرفت الثقة من خلال المخاطرة، فإن الحاجة إلى الحفاظ على تقدير الذات تجعل الذات أكثر وعيا بضعفها ومعطوبيتها، وبالتالي، أقل استعدادا للمخاطرة[465]. كما يلخص دييغو غامبيتا بفجاجة، الثقة هي الاستعداد على جعل نفسه عرضة للخسارة، وليست نتيجة لعملية عقلانية لحساب العوائد المستقبلية[466]. ومع ذلك، فبالنظر إلى الأهمية المهيمنة للاستقلالية الذاتية كإطار للهوية، يمكن تفسير الضعف والمعطوبية على أنه تبعية، محظورة على نطاق كبير في نحو أو علم القواعد العاطفية المعاصرة.

تاريخيا، كان السؤال حول من يخاطر يندرج في إطار السياريوهات الثقافية[467]. تولى الرجل الذي يغازل هذا الدور الثقافي، وبذلك حسم منذ البداية مسألة من سيكون عرضة للخطر، ما سمح ببدء عملية بناء الثقة. من المسلم به أن المجازفة العاطفية كانت جزءا من النظام البطريركي، وهذا الامتياز نابع مباشرة من السلطة الذكورية. مع اختفاء نظام المغازلة المطقسن، المنظم في النظام البطريركي ومن قبله، أصبحت مسألة معرفة من يخاطر مفتوحة اليوم، ويُتفاوض عليها في كل حالة على حدة وليس وفقا للمعايير الثقافية. الثقة، وفقا لنيكلاس لوهمان، لها وظيفة رئيسية تتمثل في الحد من التعقيد الاجتماعي[468]. وهذا يعني أنه بدون الثقة، ستصبح الحياة الاجتماعية للفرد، على حد تعبيره،

---

(464) Roger C. Mayer, James H. Davis, and F. David Schoorman, "An Integrative Model of Organizational Trust," *Academy of Management Review* 20, no. 3 (1995): 709–734, esp. 726.

(465) انظر:

Weber, Malhotra, and Murnighan, "Normal Acts of Irrational Trust," 75–101.

(466) Diego Gambetta, "Can We Trust Trust?" *Trust: Making and Breaking Cooperative Relations* 13 (2000): 213–237.

(467) Weber and Murnighan, "Normal Acts of Irrational Trust," 75–101.

(468) Niklas Luhmann, *Trust and Power* (New York: John Wiley & Sons, 1979), especially chapter 4 (وبخاصة الفصل الرابع), "Trust as a Reduction of Complexity," 24–31.

«فوضى وخوفا يشل ويقعد[469]». بهذا المعنى، تسهم الثقة في بناء علاقات يمكن التنبؤ بها ومنظمة وبالتالي أقل تعقيدا. والحال أن العلاقات المعاصرة فوضوية ويهيمن عليها الخوف، وذلك على وجه التحديد بسبب انهيار الآليات التي تسمح للثقة بالتطور.

يفسر غياب الثقة أو فقدانها التدريجي اختفاء خاصيتين ثقافيتين للحب: السردية والمثالية. تسمح الثقة بإمكان السرد، والقدرة على بنينة مشاعر الفرد وعلاقاته في حكاية معقولة، على اعتبار أنها تدرج المشاعر والأفعال في المستقبل. يؤدي غياب الثقة إلى بتر الحكايات من خلال منع إمكانية تصور سلسلة من التسلسلات وبالتالي مستقبلا. على نفس المنوال، يقدم ريتشارد سينيت بيانا عن تحول جذري في بنية السرديات في فضاءات العمل. في مقابلة مع الأشخاص العاملين في الشركات، وجد سينيت أن أعضاء الفئات الأكبر سنا كانوا أكثر استراتيجية ويركزون على أهدافهم أكثر من المجموعات الأصغر سنا؛ كان لدى الأخيرين «رغبات هلامية أكثر»، وأفكار على المدى القصير موجَّهة إلى الزمن الحاضر، «يستحضرون الاحتمال والإمكان بدلا من التقدم والارتقاء[470]». صعوبة تصور المستقبل تعكس التغييرات حيث انتقلنا من فكرة «المسار المهني» إلى فكرة «المشاريع» المتعاقبة. ففيما عرفت المهن على أنها مسارات مخصوصة يحتاج فيها الأفراد إلى تعلم مجموعة محددة من الكفاءات من أجل أن يكونوا فعالين وأن يرتقوا في سلم مؤسسة، تعرف المشاريع اليوم على أنها شبكات غير مبنينة من المسارات، وأهداف ومساع مجازفة تجبر الأفراد على أن يكونوا أكثر مرونة، واستقلالا وتخليقا[471]. تتبع المسارات الرومانسية-الجنسية، كما رأينا سابقا، نفس البنية: فهي تأتي من سلسلة من «المشاريع»، التجارب المؤقتة، بدون غاية

(469) Ibid., 5.

(470) Sennett, *The Culture of the New Capitalism*, 79.

(471) Eva Illouz and Edgar Cabanas, *Happycratie Comment l'industrie du bonheur a pris le contrôle de nos vies* (Paris: Premier Parallèle Editeur, 2018).

واضحة أو آلية ضمنية للانتقال تدريجيا من مرحلة إلى أخرى. هذا هو السبب في أن القصص العاطفية لها طابع مخصوص بشكل متزايد[472]. إنها تتطور دون اتخاذ قرار واع أو هدف معلن[473].

ريتشارد جامعي أمريكي يبلغ من العمر اثنين وستين سنة وله علاقة بكاتب منذ ستة وعشرين عاما. يروي لقاءه مع الشخص الذي أصبح رجل حياته.

كنت أنام مع الكثير من الناس في ذلك الوقت؛ كان لدي أربع أو خمس علاقات في نفس الوقت؛ كنت أعاشره هو أيضا، وقررنا الذهاب في رحلة؛ جبنا أمريكا؛ لم نتشاجر مرة واحدة خلال الرحلة. كما تعلمين، يظهر الناس عن حقيقة أنفسهم أثناء السفر. لم نتخاصم وفي نهاية تلك الرحلة قلت لنفسي: «حسنا ... قد يكون الشخص المناسب.» كان الأمر سهلا وممتعا. لذلك بقينا معا. كان هذا منذ ست وعشرين سنة.

كان هذا الرجل المثلي الجنس، الذي عاش في حالة من الوفرة الجنسية، يميل إلى اعتبار شركائه قابلين للتبادل. لقد كانت تجربة مشتركة أوصلته تدريجيا إلى علاقة، وليس قرارا واعيا وراءه شعور واضح. لقد دخل في هذه العلاقة بطريقة براغماتية، وتركها «تتطور» بدلا من السعي إلى تقييم مشاعره الخاصة ومشاعر

(472) Stefano Bory, *Il Tempo Sommerso. Strategie Identitarie Nei Giovani Adulti Del Mezzogiorno* (Naples : Liguori, 2008).

(473) لضرب مثال من الأدب، في وسعنا الإحالة إلى الرواية الناجحة الحياة الغرامية لنثانيل ب.، التي تحكي سردية جديدة عن الحب وعن الذات. كان لرجل شاب علاقة بامرأة ذكية، وسخية، ولطيفة وكاملة الأوصاف. لكنه تركها، وتفهمنا الرواية بأنه يتركها تحديدا بسبب أن شخصية هذه المرأة خلبت لبه وطيشت عقله، ما جعله يستشعر في قرارة نفسه بأنه "ليس أهلا بها". يلتقي بعدئذ بامرأة أخرى ظهرت فجأة في حياته وكأنها وقعت من السماء، بدأ بالقول في شأنها بأنها ليست من نوع النساء اللائي يثرن إعجابه، ولكن مع مرور الوقت، أخذ في التفاهم معها، ثم شاركها السكن. لا يتعلق الأمر هنا بفعل عاطفي إرادي فكر فيه بناء على قيود وبنى نظام المغازلة الذي يرغمه على البقاء معها؛ وإنما بالأحرى بنتيجة تدفق عاطفي جنيني، لا ينطلق من بنية واضحة توجه عواطفه، وتمنحها شكلا أو هدفا. يقرر الطرفان العيش سوية لأنهما "يحسان بالرضى والسعادة معا"، وليس لأنهما يختبران تجليا رومانسيا، أو أنهما يحددان هدفا لعلاقتهما.
انظر:
Adelle Waldman, *The Love Affairs of Nathaniel P.: A Novel* (New York: Macmillan, 2014).

صديقه. فلم تعد الأفعال التي تتبع سيناريو معينا ذات التوجيه الإرادي والقصدي هي التي تحرك العلاقات «إلى الأمام» وإنما «تدفق» غير سردي حيث يوجه الفاعلون الجنسيون أنفسهم بشكل براغماتي وهم يقضون لحظات ممتعة. يتناقض هذا مع الإطار السردي للحب من النظرة الأولى، حيث تعمل الرغبة الجنسية كأساس لخلق إسقاط زمني واضح في المستقبل من خلال ربطه بشكل وثيق بسردية عاطفية.

إن لغياب الثقة تأثير ثان هام، عرقلة سيرورة المثلنة المتأصلة في مثل الحب الرومانسي التقليدي. في الواقع، يمكن أن يُنظر إلى إضفاء الطابع المثالي على الآخر على أنه تهديد لقيمة الفرد الخاصة، عندما لا تكون قيمة المرء إزاء الآخر مؤمنة ومثبتة. وهكذا، فبينما يؤكد كل من ساندرا موراي وديل غريفين وجون هولمز أن «الشعور بالأمان والرفاهية في العلاقة يبدو أنه ينطوي فعليا على درجة معينة من الوهم[474]»، أود أن أزعم أن العكس هو ما يحدث: إمكانية الوقوع ضحية الأوهام تعتمد على درجة الأمان التي نشعر بها في العلاقة، أو على الأقل إمكانية عدم الإرباك من جانب عدم اليقين والقدرة على الثقة ببعضنا البعض بالتبادل. إن تكوين «الأوهام الإيجابية» أمر أساسي لتطوير العلاقات والحفاظ عليها، لأن هذه الأوهام تبدد النزاعات وخيبة الأمل ومشاعر الإحباط ونقص الثقة بالنفس واستراتيجيات الدفاع عن النفس. وعلى النقيض من ذلك، يتغذى انعدام الثقة ويزداد استفحالا بما يمكن أن نطلق عليه «الأوهام السلبية»، أو توقع انتهاء العلاقة.

***

الوقوع في الحب، والمغازلة، واختيار الشريك، والعيش مع شخص ما، كل هذا تغير بشكل عميق من خلال مأسسة الحرية. بل إن هذه الحرية قوضت الحرية

(474) Sandra L. Murray, John G. Holmes, and Dale W. Griffin, "The Self-fulfilling Nature of Positive Illusions in Romantic Relationships: Love Is Not Blind, But Prescient," *Journal of Personality and Social Psychology* 71, no. 6 (1996): 1155–1180, esp. 1157.

التعاقدية التي نظمت الزواج والحميمية إبان عصر الحداثة. بين هذا الفصل أن استعارة العقد غير ملائمة لوصف الحرية الجنسية والعاطفية اليوم، وذلك لعدة أسباب: 1) أنها تحجب أشكال اللامساواة بين الجنسين في العقود الجنسية؛ الرجال أكثر استقلالا وتحررا من الناحية العاطفية، والنساء أكثر عرضة للعطب والهشاشة عندما يسعين إلى تحويل هذه العلاقات إلى علاقة عاطفية. 2) العواطف والجاذبية الجنسية هما الأساس الشرعي الوحيد للروابط الجنسية، وبالتالي لا يمكن أن تكون موضوع عقد حقيقي. 3) يمكن مراجعة العقود الجنسية والعاطفية من جانب واحد، في أي وقت، من قبل أي من الطرفين. 4) قد يتعطل دخول العقد حيز التنفيذ بسبب الحاجة إلى الحفاظ على تقدير الذات. 5) يمكن فسخ العقود العاطفية-الجنسية دون عقوبة زاجرة، مما يجعل من الانفصال تهديدا معقولا ودائما يتربص بتقدير الذات. 6) نظرا لأن الكثير من محتوى العلاقات الحميمة لا يمكن التعاقد عليه، فإنها تبدأ وتدار تحسبا لنهايتها، مما يشجع الفاعلين على تبني استراتيجيات الحساب وتجنب المخاطر، مما يؤدي إلى الفراق الوقائي.

استنتج ريتشارد سينيت أن العاملين المؤقتين، الذين قد يقدرون من الوهلة الأولى الطبيعة الرحالة وغير المستقرة لعملهم، يسأمون بسرعة وينتهي بهم الأمر بالتشوف، أكثر من أي شخص آخر، إلى أمان الوظيفة. «إنهم يرغبون في أن يرغب فيهم أحدهم بشكل دائم؛ المشاركة في بنية اجتماعية ينتهي إلى أن يكون أكثر أهمية من مجرد الحركية الشخصية[475].» الرغبة في أن تكون مرغوبا بصفة دائمة والمشاركة في بنية اجتماعية يصبح مطمحا في مجتمع مشبع بحرية الدخول والخروج من العلاقات. في مثل هذا المجتمع، وحده رائد الأعمال أو المقاول الذي يعرف كيف يستثمر في عدم اليقين، أي ما لا يمكن معرفته مسبقا لأنه لا يمكن اختزاله في حسابات (رياضية)، هو الذي يمكنه استخدام السوق والربح منه[476]. في

(475) Sennett, *The Culture of the New Capitalism*, 77.

(476) انظر:

David Stark, *The Sense of Dissonance: Accounts of Worth in Economic Life* (Princeton, NJ:

الحياة الاقتصادية، يكون لدى المجازفين، الذين يواجهون عدم اليقين، حظوظ أوفر ليكونوا هم الفائزين. رواد الأعمال الذاتيين للحياة الرومانسية الذين ينجحون هم إما أولئك الذين يواجهون القليل من عدم اليقين (لأن لديهم العديد من الأصول الاجتماعية والاقتصادية) أو أولئك الذين يعرفون كيفية التغلب على نفورهم من الخسارة وعدم اليقين.

Princeton University Press, 2011).

الفصل السادس

الطلاق بوصفه علاقة سلبية

«لا» هي الكلمة الأقوى في معجم مفرداتنا.

أوكتافيا سبنسر(477)

نقطة ضعفها التي تميزها، لا أحد يأبه بها أبدا. تشكر إيميلي العلاج، الذي علمها أن تغلق بابها، بين فينة وأخرى، فبفضل هذا لا زالت في السباق/ معترك الحياة [...]. ليست في حاجة إلى تبريرات، ولا إلى أن تشعر بالذنب.

فيرجيني ديبونت(478)

في كتاب **المفاهيم العلائقية في التحليل النفسي**، يحيل المحلل النفسي الشهير ستيفن ميتشل إلى منسج بينيلوب لوصف نشاط النفس الإنسانية.

مثل بينيلوب في نيتها التي يظهرها عملها النهاري، نحيا حياتنا اليومية بطريقة

---

(477) Emma Gray, "Octavia Spencer Reveals the Role She Was 'Destined to Play,'" Huffington Post, Jul 2, 2017, https://www.huffingtonpost.com/entry/octavia-spencer-reveals-the-role-she-was-destined-to-play_us_58996e44e4b0c1284f27ea2d, accessed May 8, 2018.

(478) *Vernon Subutex*, Tome 1 (Paris: Grasset,) 63.

اتجاهية وخطية؛ نحاول الذهاب إلى مكان ما، والقيام بأشياء، وتعريف أنفسنا بطريقة معينة. ومع ذلك، مثل بينيلوب وهي تتلف ما صنعته ليلا، فإننا نوازن جهودنا دون وعي، ونعقد أهدافنا المعلنة، ونبحث عن القيود والعقبات التي نحاربها ونبنيها[479].

استعارة ميتشل ثاقبة ومتهافتة في نفس الوقت، في نقطتين مهمتين على الأقل. في بادئ الأمر، تعرف بينيلوب بالضبط ما تفعله عندما «تتلف» ما نسجته أيديها نهارا؛ في انتظار عودة أوديسيوس (أوليسيوس)، تبقي الخاطبين على مسافة منها من خلال التأكيد على أنها لن تكون قادرة على الزواج مرة ثانية إلا حينما تكمل حياكة كفن ليرتس، والد أوديسيوس (أوليسيوس). التدمير الليلي لنسجها هو فعل واع، وحيلة: إنها تحمي ولاءها لأوديسيوس (لأوليسيوس) وتدافع عن استقلاليتها في وجه الخاطبين الملحفين في السؤال. وهكذا، يرفض ميتشل التسليم بأننا يمكننا بوعي إتلاف الأقمشة التي ننسجها بأيدينا، وأننا في وسعنا إبعاد الآخرين بملء إرادتنا. بعد ذلك، يفترض ميتشل أن لدينا «أهدافا نهارية» تتلف في الليل بوعي منا، مما يجعل أنفسنا الفاعل الوحيد المسؤول عن تفكيك الأقمشة التي ننسجها، من دون الانتباه إلى دور المجتمع، ما يتركنا عراة نرتجف من زمهرير البرد.

ينتشر موقف ميتشل بين علماء النفس الذين، على أساس الميل أو المهنة، لا يهتمون بالبنية المؤسسية المزدوجة للذات الحديثة، المحصورة بين حتمية أن تكون مستقلة والاستيهام الرومانسي للارتباط الأحادي والدائم. في الواقع، من الممكن تماما أن نفسد عملنا عن قصد ووعي، وأن تكون هذه القصدية هي نتيجة قوى اجتماعية لا نعرفها ولا نتحكم فيها. في حين أن الفصول السابقة استكشفت عدم تكوين الروابط من خلال آليات مثل التباس الإطار، أو اللايقين الأنطولوجي، أو أزمة الثقة، سأفحص في هذا الفصل العملية الأكثر وعيا وانعكاسية للاحب في

(479) Stephen A. Mitchell, *Relational Concepts in Psychoanalysis* (Cambridge, MA: Harvard Universit Press, 1988), 273.

العلاقات القائمة.

من أكثر العلامات المميزة لحداثة القرن العشرين كانت تحول الأسرة من خلال الطلاق، الذي انتقل من إمكانية إلى احتمال دائم للزواج الحديث. يعتبر الطلاق ظاهرة اجتماعية من الأهمية بمكان؛ من حيث إنه يؤثر على المؤسسة المركزية التي أمنت الانتقال من العالم قبل الحديث إلى العالم الحديث، أي الأسرة. تؤمن هذه المؤسسة التكاثر البيولوجي، وتوجه الجنسانية، وهي ضرورية لكل من إعادة الإنتاج كما الحراك الاجتماعي، وتساهم في مراكمة الثروة ونقلها. الطلاق - كفعل من أفعال عدم الاختيار التي تؤثر على المؤسسة الاجتماعية للزواج - يركز في ذاته القوى الاجتماعية والثقافية الرئيسية للحداثة التي جرى تحليلها في هذا الكتاب: الانتقال من جنسانية تكاثرية إلى جنسانية ترفيهية؛ تحول النماذج الاقتصادية لتراكم الثروات، وترك الأسرة في المجال الاستهلاكي؛ دور الثقافة الاستهلاكية في تكوين الذات؛ تفكك الروابط المحددة ثقافيا واستبدالها بأشكال تعاقدية مبنية على الاختيار. الطلاق هو أكثر مقولات عدم الاختيار بروزا وعمومية، وهو الشكل الأكثر مأسسة من أشكال اللاحب، وهو، مثل أشكال عدم الاختيار الأخرى، نتيجة مباشرة للقوى الاجتماعية المحللة في هذا الكتاب.

للوهلة الأولى، تبدو العلاقة السلبية التي وصفناها في الفصول السابقة بأنها طريقة سريعة وسهلة للانسحاب من الارتباط (أو القدرة على القيام بذلك) مختلفة تماما عن الطلاق، والذي يتحدد من خلال التدمير الشاق والمؤسسي لالتزام رسمي. في الطلاق، يبدو اللاحب مثل نسل أو تفكيك بطيء لقطعة من القماش أو تمزيقها، في حين أن الشكل الآخر من اللاحب يتطابق أكثر مع عدم القدرة أو رفض استخدام أي خيط لنسج ما نصنع.

الطلاق هو الخيار الفعلي للانسحاب من علاقة ممأسسة، وبهذا المعنى يختلف اختلافا جذريا عن جميع أشكال عدم الاختيار المتفشية و«الضبابية» الموصوفة في الفصول 3 و4 و5. يأتي الطلاق (أو الانفصال) دائما تقريبا إثر قرار مدروس بعناية، في حين أن أشكال عدم الاختيار الموصوفة أعلاه عادة ما تحدث لأن

الفاعلين لا يملكون لا إرادة واضحة ولا رغبات موجهة نحو هدف. فنادرا ما يتخذ الطلاق شكل انفصال مفاجئ دون مبرر (كما كان الأمر في الفصل الخامس): وعلى العكس من ذلك فإنه يستدعي أسبابا ويحدث في سياق ممأسس وروتيني. إنه يحشد المؤسسات القانونية، ويمكن أن يرتبط بالعقوبات وهو موضوع خلافات شديدة. على عكس الأشكال الأخرى لعدم الاختيار، فهو يشمل العالم المادي والقانوني. ومع ذلك، على الرغم من أن الطلاق والجنس العرضي هما على طرفي نقيض من طيف الانسحاب من العلاقة، فإن مقاربتي في هذا الفصل الأخير قوامها التأكيد بأن عددا كبيرا من القوى التي تدفع الأفراد إلى الانسحاب بسرعة من العلاقة حاضرة أيضا في الفعل الواعي والمرهق لعدم الاختيار الذي نسميه الطلاق (أو الانفصال). هذا لا يعني أن هذين الأسلوبين من الانسحاب متكافئان أو حتى متشابهان. يعد الانفصال السريع والخالي من العقوبات والانفصال المفكر فيه والمكلف حدثين نفسيين متمايزين - أحدهما يحدث في سياق تكون فيه قواعد التفاعل سديمية وضبابية، بينما يحدث الآخر في إطار ممأسس للغاية -، ولكن كلاهما رد فعل على التغييرات العميقة التي أثرت على المغازلة العاطفية والحميمية والجنسانية والأسرة والزواج. وبهذا المعنى، يمكن القول إن عملية **تكوين** الروابط الاجتماعية خاضعة لنفس الضغط الاجتماعي مثل ضغط **الحفاظ** عليها. التباس الإطار؛ الحط من القيمة أو التبخيس؛ الاستقلالية الوقائية؛ كلها تهديدات تتربص الدوائر بتقدير الذات وانعدام الثقة: كل هذا يحدث في اللاحب، الذي يمثل الطلاق ذروة سنامه.

نهاية الحب

يرتبط الزواج الحديث ارتباطا وثيقا بالمثال العاطفي للحب الرومانسي (في عام 2013، صرح 84 ٪ من المثليين جنسيا الذين يطمحون إلى الروابط الرسمية

للزواج بأنهم فعلوا ذلك من أجل الحب(480). تمت صياغة المثال العاطفي للحب «في رموز قوية» وبنيات سردية متداخلة على نحو وثيق، والتي وفرت بنيات سردية متماسكة لتشكيل خيوط سيرة ذاتية(481). كما تقول لورين بيرلانت:

حتى لو كانت الأشكال التي يمكن أن تتخذها الرغبة لا نهائية، فإن قصة واحدة تهيمن على مشاهد الأخيولة والتوقع. إنها قصة تتطور فيها مخططات الرغبة الطفولية إلى قصة حب، التي ستخيطها مؤسسات الحميمية وفانتازيا استمرارية الأسرة، الذي يربط الماضي التاريخي بالمستقبل بسلاسل القرابة القائمة في علاقات مستمرة ومتناغمة. في الولايات المتحدة، فهذه القصة هي التي حظيت، على المستوى القانوني والاستيطيقي، بالامتياز، على الرغم من أنها أعدت بطرق متغيرة للغاية: ومثل حلم بما يجب أن تجلبه لنا الحياة، تظل الرغبة في الحب التقليدي قوية الحضور في العديد من مجالات التفاوت الاجتماعي(482).

هذا الخيال هو فانتازيا عاطفية، أي فانتازيا تتعلق بحضور واستمرارية مشاعر بعينها، مشفوعة بأنماط التعبير الخاصة بها، وحدتها، ومدتها ومحتواها الخاصين. الفانتازيا مكون من مكونات الحب الحديث والزواج، وهو ينسج في نول واحد مشاعر وممارسات إنتاج وإعادة إنتاج الحياة اليومية. اللاحب هو السيرورة المعرفية والعاطفية التي ينحل بها هذا الجماع، لذا لا تتداخل قط مشاعر الحب مع إعادة إنتاج الحياة اليومية. كيف يحدث هذا الفتق أو الانحلال؟ ما الذي يتسبب في بلبلة السيناريو العاطفي للفانتازيا الرومانسية ويجعل عواطف جديدة تتشابك في عملية إدامة الروابط في الحياة اليومية؟ بعبارة أخرى، ما أسميه «الفتق» هو

---

(480) Andrew Cherlin ("Marriage Has Become a Trophy," *The Atlantic*, March 20, 2018 https://www.theatlantic.com/family/archive/2018/03/incredible-everlasting institutionmarriage/555320/?utm:source=newsletter&utm:medium=email&utm:campaig n atlantic-dailynewsletter&utm:content=20180320&silverid=MzY5MzUwNzM2Njc2S0, accessed May 8, 2018.

(481) Anthony Giddens, *The Transformation of Intimacy: Sexuality, Love and Eroticism in Moder Societies* (Hoboken: Wiley, 2013)

(482) Lauren Berlant, *Desire/Love* (Brooklyn, NY: Punctum Books, 2012), 44.

السيرورة التي يتم خلالها تدمير تجربة عاطفية وفانتازيا معينة من خلال الأحداث والوقائع التي تسائل وتقوض معنى العلاقة - سواء كانت حقيقية أو متخيلة - التي تلتزم بها الذات. يحدث هذا الفتق أثناء تجربة يبدو أنها تتمتع بقوة «الواقع»، سواء تعلق الأمر بـ «واقع» شخصية فرد آخر، أو فعل خيانة، أو اختلافات لا يمكن التوفيق بينها. كما سأوضح هنا، فإن ما يدركه الشركاء على اختلالات لا يمكن التغلب عليها في الرابطة العاطفية هو نتيجة العمليات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية الكامنة في الحياة اليومية. تشمل هذه العمليات تحويل الجنسانية إلى واقع أنطولوجي مستقل؛ دور الاستهلاك في تكوين الشخصية والهوية؛ الدفاع عن حب الذات من خلال أداء الاستقلالية الذاتية؛ حقيقة أن طرق التقييم قد تكثفت وتحولت بسهولة إلى حط من القيمة، وهذا خاصة لأن الفاعلين قد طوروا سيناريوهات واضحة المعالم للعواطف التي يجب أن توجد في التفاعل ولكيفية التعبير عنها؛ تمارس جميع السيرورات الموصوفة في هذا الكتاب ضغطا كبيرا على العلاقات القائمة، غالبا في غفلة من الذات. اللاحب هو السيرورة التي من خلالها يشحذ الفاعلون، لكن دون أن يعرفوا ذلك، جهودهم ليقاوموا هذه الضغوط المعيارية والاجتماعية والاقتصادية.

الطلاق ووضعية النساء في المجال العاطفي

غالبا ما تقصى علماء الاجتماع الطلاق بوصفه حدثا فريدا - انهيار الزواج - أكثر من كونه سيرورة وجدانية وعاطفية للاحب (وفي هذه الحالة يكون الطلاق والانفصال حدثين متماثلين). تركز اهتمام علماء الاجتماع بخاصة على معرفة من يطلق، ولأي أسباب وبأي آثار[483]. الأسباب المعتادة للطلاق هي: البطالة،

(483) انظر على سبيل المثال:

Paul R. Amato, "The Consequences of Divorce for Adults and Children," *Journal of Marriage and Family* 62, no. 4 (2000): 1269–1287; Paul R. Amato and Denise Previti, Reasons for Divorcing: Gender, Social Class, the Life Course, and Adjustment," "People's *Issues* 24, no. 5 (2003): 602–626; Paul R. Amato and Brett Beattie, "Does *Journal of Famil*

وإدمان الكحول، والضوائق المالية، وولادة الأبناء، والمشاركة غير المتكافئة في الأعمال المنزلية (اللامساواة في مشاركة أعباء المنزل)، والخيانة الزوجية، ودخول المرأة إلى سوق العمل. كعوامل تساهم في تزايد وتيرة حالات الطلاق، أشار الباحثون كذلك إلى ارتفاع معدل التوظيف بين النساء واتجاه أقوى نحو انعدام الأمن الوظيفي بين الرجال[484].

عندما يؤخذ الطلاق على أنه متغير ثقافي، تبرز واقعتان فاقعتان. في الأربعينيات من القرن الفائت، كانت أسباب الطلاق المذكورة تميل إلى أن تكون «موضوعية»، مثل إدمان الكحول أو الإهمال. منذ سبعينيات القرن ذاته، أصبحت الأسباب

Affect the Divorce Rate? An Analysis of State Data 1960–2005," the Unemployment Rate (2011): 705–715; Anne-Marie Ambert, *Divorce: Facts, Social Science Research* 40, no. *Causes, and Consequences*. (Ottawa: Vanier Institute of the Family, 2005); Lynn Prince and Risk of Divorce in Germany Cooke, "'Doing' Gender in Context: Household Bargaining (2006): 442–472; Paul M. and the United States," *American Journal of Sociology* 112, no.2 De Graaf and Matthijs Kalmijn, "Change and Stability in the Social Determinants of *Sociological* Divorce: A Comparison of Marriage Cohorts in the Netherlands," *European* no. 5 (2006): 561–572; Tamar Fischer, "Parental Divorce and Children's Socio- *Review* 22, Success: Conditional Effects of Parental Resources Prior to Divorce, and Gender economic of the Child," *Sociology* 41, no. 3 (2007): 475–495; Matthijs Kalmijn and Anne-Rigt Poortman, "His or Her Divorce? The Gendered Nature of Divorce and Its Determinants," *Review* 22, no. 2 (2006): 201–214; Ludwig F. Lowenstein, "Causes *European Sociological* Divorce as Seen by Recent Research," *Journal of Divorce &* and Associated Features of *Remarriage* 42, nos. 3–4 (2005): 153-171; Michael Wagner and Bernd Weiss, "On the a Meta-analysis of European Variation of Divorce Risks in Europe: Findings from Longitudinal Studies," *European Sociological Review* 22, no. 5 (2006 483–500; Yoram Weiss, "The Formation and Dissolution of Families: Why Marry? Who Whom? And What Happens upon Divorce," *Handbook of Population and Family* Married (1997): 81–123. *Economics*

(484) من بين الدراسات التي أشارت إلى هذه الأسباب نذكر:

Amato and Previti, "People's Reasons for Divorcing"; Amato and Beattie, "Does the Unemployment Rate Affect the Divorce Rate?"; Amber Divorce; De Graaf and Kalmijn, "Change and Stability in the Social Determinants of Divorce Kalmijn and Poortman, "His or Her Divorce?"; Ludwig F. Lowenstein, 2005; and Wagner and Weiß "On the Variation of Divorce Risks in Europe.

المتذرع بها «أكثر تجريدية وعاطفية[485]»، وعاطفية وذاتية: أصبح كل من «الابتعاد»، و«البعد»، و«الشعور بكون المرء غير محبوب» من الأسباب الرئيسية للطلاق[486]. كشف مسح العلاقات الأمريكية لعام 2014، وهو استطلاع ممول من قبل معهد أوستن لدراسة الثقافة والأسرة، عن أسباب الطلاق من وجهة نظر الأشخاص المشاركين: الخيانة الزوجية (37 ٪)؛ عدم الإحساس بحاجات الزوج (ة) (32 ٪)؛ الضجر من الحياة الزوجية الرديئة (30 ٪)؛ عدم نضج الزوج (ة) (30 ٪)؛ العنف الزوجي (29 ٪)؛ تباين الأولويات المالية (24 ٪)؛ إدمان الكحول (23 ٪). الأسباب الخمسة الأولى كلها عاطفية الطبيعة، ما يرجح الإشارة إلى الأهمية المتزايدة للسيرورات العاطفية داخل الزواج وأيضا باعتبارها أسبابا للطلاق.

بعبارة أخرى، وباستخدام كلمات عالم الاجتماع ستيفن روغلز: «في الماضي، كانت الزيجات تحكمها الأعراف الاجتماعية أكثر من الحسابات العقلانية الهادفة إلى تحسين السعادة الفردية[487]». بالفعل، كانت أسباب الانفصال والطلاق التي يذكرها الرجال والنساء غالبا هي الابتعاد التدريجي وغياب التفاهم، وعدم الشعور بالحب والتقدير من جانب الزوج، ومشاكل الحميمية الجنسية، والاختلافات الكبيرة في القيم ونمط الحياة. النزاعات على الأطفال والإدمان والعنف الزوجي هي أسباب أقل استحضارا لتفسير الطلاق[488].

---

(485) Lynn Gigy and Joan B. Kelly, "Reasons for Divorce: Perspectives of Divorcing Men and Women *Journal of Divorce & Remarriage* 18, nos. 1–2 (1993): 169–188, esp. 170.

(486) Paul M. De Graaf and Matthijs Kalmijn, "Divorce Motives in a Period of Rising Divorce: Evidence from a Dutch Life-history Survey," *Journal of Family Issues* 27, no. 4 (2006): 483–505; Gigy and Kelly, "Reasons for Divorce"; John Mordechai Gottman, *What Predicts Divorce?: The Relationship between Marital Processes and Marital Outcomes* (London: Psychology Press, 2014); Ilene Wolcott and Jody Hughes, "Towards Understanding the Reasons for Divorce," (working paper, Australian Institute of Family Studies, 1999).

(487) Steven Ruggles, "The Rise of Divorce and Separation in the United States, 1880–1990," *Demography* 34, no. 4 (1997): 455–466, esp. 455.

(488) Gigy and Kelly, "Reasons for Divorce," 173.

في دراسة أخرى عن الطلاق في أستراليا، أكد المؤلفون أن «71 ٪ من الرجال والنساء يرون أن المشاكل العاطفية هي السبب الرئيسي لانهيار مؤسسة الزواج» - قبل العلاقات التعسفية (التي تشمل العنف أو إدمان الكحول) والضغوط الخارجية (مثل الضغوط المالية في أعمال إيلين وولكوت وجودي هيوز)[489]. بحلول منتصف الثمانينيات، كان من الواضح أن المشاكل الجنسية والعاطفية تدرك على أنها أسباب مقبولة أكثر و/ أو مقنعة أكثر للطلاق مما كانت عليه في العقود السابقة. لقد أمست المشاعر والعواطف حجر الزاوية في الزواج والطلاق، و«الشيء» الذي يصنع العلاقات أو ينسف أساسها على الضد من ذلك.

النتيجة الثانية، التي يمكن مقارنتها مع هذه، لافتة للنظر أيضا: في الولايات المتحدة وأوروبا وأستراليا، بات الطلاق في كثير من الأحيان بمبادرة من النساء[490]. وهذا يتفق مع الملاحظة القائلة بأن دخول المرأة إلى الحياة العملية زاد من احتمالية الطلاق. كما أكد ذلك أندرو تشيرلين، «أغلب الباحثين المعروفين الذين اهتموا بدراسة هذا الموضوع [الطلاق] في القرن العشرين أثاروا أهمية ارتفاع معدل التوظيف في صفوف النساء»[491]. يبدو أن الزيادة النسبية في السلطة الاقتصادية للنساء مرتبطة بطريقة ما بحقيقة أنهن عندما يكن هن من يطلبن الطلاق، يكون ذلك في أكثر الحالات لأسباب عاطفية. بمعنى آخر، يبوئ الوصول إلى الاستقلال الاقتصادي المشاعر مكانة مركزية. يصر مايكل روزنفيلد على هذه النقطة: «إحدى المفارقات المتعلقة بالجندر والزواج ومسار الحياة، هي رغبة النساء الشابات العازبات في الزواج والالتزام أكثر من الرجال؛ لكن يبدو أن النساء المتزوجات أقل رضاء عن تجربتهن الزوجية من الرجال

(489) Wolcott and Hughes, "Towards Understanding the Reasons for Divorce," 11–12.

(490) Michael J. Rosenfeld, "Who Wants the Breakup? Gender and Breakup in Heterosexual Couples" in *Social Networks and the Life Course*, ed. Duane Alwin, Diane Felmlee, and Derek Kreager (New York: Springer, 2017), 221–243, esp. 221.

(491) Andrew J. Cherlin, *Marriage, Divorce, Remarriage*, rev. and enl. ed. (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1992), 51.

المتزوجين[492].» فحتى لو أن النساء يخسرن اقتصاديا أكثر من الرجل بعد الطلاق (حتى لو كان لهن وظيفة ذات أجر أفضل من ذي قبل، فإن الطلاق يعرضهن لانعدام أمن اقتصادي أكثر من الرجال)[493] وحتى لو أنهن أقل احتمالا للحصول على فرص أخرى – فمن المرجح أقل أن يتزوجن مرة أخرى – ومع ذلك، فإنهن أكثر ميلا إلى طلب الطلاق: وهذا يشير إلى أن نظريات الفرص لا تبرر الطلاق إلا بالقدر الذي يضع فيه الاستقلال الاقتصادي في المقدمة مشاعر وعواطف معينة، تختبر بدورها كأسباب للطلاق.

الحالات المذكورة أعلاه – وهي أن النساء بخاصة هن اللواتي يرغبن في الالتزام في العلاقة، وهن من يطلبن الطلاق لأسباب عاطفية – تشير إلى أنه بالطريقة نفسها التي لا تدخل فيها النساء في عقود جنسية بنفس طريقة الرجال، فإنهن يختبرن الزواج وطلب الطلاق بشكل مختلف، وبالتحديد باستخدام واستدعاء وتدبير عاطفيتهن (emotionality). تنحل المفارقة التي أثارها مايكل روزنفيلد بسهولة إذا انتقلنا من الافتراض القائل بأنه في بداية العلاقة، تنخرط النساء بطيب خاطر على المستوى العاطفي أكثر من الرجال وأنهن يضعن حدا لها بسهولة أكبر بنفس الطريقة، أي بسبب مطالبات عاطفية[494].

إنني أدرك جيدا أنني لا آخذ في الحسبان إلا جزءا من الأسباب العديدة لانتهاء الزواج (أو الحياة المشتركة)، ولكن يمكن القول إن النساء يتعاملن مع الزواج على أساس ما يمكن أن نطلق عليه الأنطولوجيا العاطفية: ما يعتبرنه مجالا للعواطف «الحقيقية»، والحاجات العاطفية «الحقيقية» والمعايير العاطفية التي تفرض طريقة محددة لاختبار العواطف والتعبير عنها ومشاركتها. بنفس الطريقة التي يتعامل بها

(492) Rosenfeld, "Who Wants the Breakup?" 239.

(493) Karen C. Holden and Pamela J. Smock, "The Economic Costs of Marital Dissolution: Why Do Women Bear a Disproportionate Cost?" *Annual Review of Sociology* 17, no. 1 (1991): 51–78.

(494) انظر الفصل الخامس.

الرجال والنساء مع المجال الجنسي بشكل مختلف، فإنهم يشغلون مواقع مختلفة في المجال العاطفي ويكشفون عن طرق مختلفة للتعامل معه. بنفس الطريقة التي بنيت بها الجنسانية كفضاء لإظهار المكانة الذكورية، لعبت المشاعر وتدبيرها دورا حاسما في التعبير عن الهوية الأنثوية. إذا كان الرجال يتجهون نحو مراكمة رأسمال جنسي، فإن المشاعر بالنسبة إلى النساء هي بمثابة استراتيجيات لتوجيه الفعل وإظهار كفاءتهن الاجتماعية. هذا صحيح عندما يبدأن علاقة، عندما يجدن أنفسهن في رابطة مستقرة وعندما يخترن إنهاءها. هكذا، في حين أن الأدبيات الشعبية وحتى العلمية تؤكد بشكل متزايد أن الرجال من المريخ والنساء من كوكب الزهرة، وأن الرجال هم كائنات عقلانية تحسن حل المشكلات، وأن النساء عاطفيات وميالات إلى العلاقات، بل بلغ بها الأمر حتى تفسير هذه الاختلافات ببنية أدمغتهن[495]، فإن أعمالا جديدة في علوم الأعصاب تتلاقى مع دعاوى علماء الاجتماع القائلة بوجود اختلاف «جيني» ضئيل أو معدوم فيما يتعلق بـ «الدماغ الانفعالي». فحقيقة أن النساء يعرّفن أنفسهن على أنهن أعظم المدبرات للمجال الانفعالي والعاطفي له علاقة وثيقة بتوصيف الأدوار الاجتماعية أكثر من البيولوجيا. يرتبط موقع النساء في المجال الانفعالي والعاطفي بوضعهن الاقتصادي والاجتماعي كحاضنات ومقدمات رعاية (للأطفال، ولكن أيضا للرجال والنساء الآخرين)، وهذا موقع يجعلهن أكثر ملاءمة لتدبير العلاقات أو إدارتها[496].

---

(495) انظر:

Ruben C. Gur and Raquel E. Gur, "Complementarity of Sex Differences in Brain and Behavior: From Laterality to Multimodal Neuroimaging," in *Journal of Neuroscience Research* 95 (2017): 189–199.

(496) انظر:

Greer Litton Fox and Velma McBride Murry, "Gender and Families: Feminist Perspectives and Family Research," *Journal of Marriage and Family* 62, no. 4 (2000): 1160–1172; Arlie Hochschild, *The Second Shift: Working Families and the Revolution at Home* (1989; New York: Penguin Books, 2012); Joan B. Landes, "The Public and the Private Sphere: A Feminist Reconsideration," in *Feminists Read Habermas: Gendering the Subject of Discourse.*,ed.

لعبت النساء دورا مفتاحيا في إعادة تعريف الميل إلى الزواج، والذي انتقل من نزوع اقتصادي إلى نزوع عاطفي[497]، وكانت النساء هن المدبرات الرئيسيات للمشاعر في مؤسسة باتت تعرف بشكل متزايد على أنها تنظيم عاطفي بحت، يتم الحفاظ عليها بمشاعر أعضائها وبتحقيق مثال (أعلى) للحميمية. ولأن الزواج على وجه التحديد أصبح أكثر عاطفية، فقد أصبح أيضا غير يقيني أكثر، أي أنه أقل استنادا إلى توزيع واضح ومحدد مسبقا لأدوار النوعين (gender roles) ووفقا للتمييز الخاص/ العام[498] وأكثر على التعبير الفردي عن المشاعر. وبالتبعية، يضع تطور الزواج هذا الرجال والنساء في مواقع مختلفة إزاء هذه المؤسسة العاطفية. في دراسة أجريت على عينة كبيرة ممثلة إحصائيا تتألف من 1003 من الشباب البالغين، العازبين والمتزوجين، صرحت 80 ٪ من النساء بإنهن يقمن أهمية كبيرة إلى واقع أن يعبر الزوج عن مشاعره العميقة أكثر من قدرته على تلبية احتياجاتهن ببساطة[499]. الحميمية العاطفية بالنسبة إلى معظم النساء هي الهدف الرئيس للزواج والمعيار الذي تأسس عليه. وبما هي كذلك فهي قوة للرعاية غير المؤسسية، ما يوجه الزواج نحو علم النفس بدلا من علم الاجتماع، نحو الطبع

Johanna Meehan (London: Routledge, 2013), 107–132; Linda Thompson and Alexis J. Walker, "Gender in Families: Women and Men in Marriage, Work, and Parenthood," *Journal of Marriage and the Family* (1989): 845–871.

(497) Francesca Cancian, *Love in America: Gender and Self-Development* (Cambridge: Cambridge University Press, 1990).

(498) انظر بهذا الصدد:

Help (London: Julia Brannen and Jean Collard, *Marriages in Trouble: The Process of Seeking* Intimacy: The Taylor & Francis, 1982); Jean Duncombe and Dennis Marsden, "Love and Sociological Gender Division of Emotion and 'Emotion Work': A Neglected Aspect of Rebecca Discussion of Heterosexual Relationships," *Sociology* 27, no. 2 (1993): 221–241; Household J. Erickson, "Why Emotion Work Matters: Sex, Gender, and the Division of Labor," *Journal of Marriage and Family* 67, no. 2 (2005): 337–351; Penny Mansfield and Collard, *The Beginning of the Rest of Your Life?* (London: Macmillan, 1988). Jean

(499) انظر:

Barbara Dafoe Whitehead and David Popenoe, "Who Wants to Marry a Soul Mate?" in *The State of Our Unions: The Social Health of Marriage in America* (New Brunswick, NJ: Rutgers University, 2001), 6–16, https://www.stateofourunions.org/past_issues.php.

الفردي بدلا من الأدوار والمعايير. هذا ما لخصه عالم اجتماع الزواج أندرو تشيرلين جيدا: «الاختيار الشخصي والتنمية الذاتية لهما تأثير كبير في بناء الحياة الزوجية للأشخاص»[500]. فالحميمية تعتمد على الكشف والتعبير الإرادي والطوعي عن الانفعالات والمشاعر بين شخصين، ومن ثم يتبع الزواج منحنيات وانحناءات الطبع الفردي. ولهذا السبب على بالتحديد، أصبح الخطاب العلاجي محوريا جدا في تكوين الروابط الحميمة ومتابعتها، كتقنية للتعبير عن الانفعالات والعواطف وتدبيرها.

البنية السردية للانفصال

على عكس أشكال اللاحب الموصوفة سابقا في هذا الكتاب، يعتبر الطلاق قرارا ناضجا يحشد العديد من التبريرات لجعله قرارا معقولا بالنسبة إلى الشخص ولمن حوله من محيطه. نظرا إلى أنه يتخذ شكل قرار واع، فإنه له بنية سردية، وفاعلين يحاولون، عادة بطريقة استرجاعية، تفسير قرارهم أو قرار الآخرين. إن اللاحب هو نتاج أحداث متعددة تدرك وترتبط بدورها فيما بينها عبر سرديات وأسباب، ما يسميه لوك بولتانسكي ولوران ثيفنو «أنظمة التبرير[501]»، حيث يستدعيان الدوافع الشخصية لشرح الأفعال أو المشاعر، ولكن أيضا الأعراف التي لها طابع قابل للتعميم. تنطوي أنظمة التبرير تلك على ما يسميه مايكل ستوكر «تفسيرات الـ» (دوافع الفعل) و«تفسيرات الـ» (شرح فعل ما بالإحالة إلى الهدف المراد بلوغه)[502].

على عكس سردية الوقوع في الحب من النظرة الأولى، فإن السردية الأقل شيوعا

---

(500) Andrew J. Cherlin, "The Deinstitutionalization of American Marriage," *Journal of Marriage and Family* 66, no. 4 (2004): 848–861, esp. 853.

(501) Luc Boltanski and Laurent Thevenot, *On Justification: Economies of Worth* (Princeton: Princeton University Press, 2006).

(502) مقتبس من:
Avishai Margalit, *On Betrayal* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2017), 109.

للاحب هي سردية عيد الغطاس، أو التجلي أو الفهم والإدراك، عندما تدرك الذات وترى مظهرا جديدا من الواقع. يستعرض برتراند راسل مثالا جيدا، في إشارة إلى زوجته الأولى أليسا («أليس») بيرسال سميث: «في زوال أحد الأيام خرجت لأركب الدراجة، وفجأة، بينما أنا أطوف على طريق ريفي، أدركت أنني لم أعد أحب أليس. حتى ذلك الحين، لم يخطر ببالي أبدا أن حبي لها كان يتلاشى[503].» متزوجا في عام 1911 ومطلقا في عام 1921، يصف راسل اللاحب بأنه تجل مفاجئ. لأخذ مثال آخر، من عينتي، يتذكر دانيال، وهو ناقد أدبي يبلغ من العمر أربعة وستين عاما:

أتذكر بوضوح كيف بدأ [قرار تركها]. كنت أغسل الأواني، جاءت وقالت شيئا، لا أتذكر ماذا كان. في تلك اللحظة، ولأول مرة، قلت لنفسي، بينما كنت أغسل الأواني/ الأطباق والصحون: «لقد طفح كيلي». كانت النهاية. في اللحظة ذاتها التي قلت فيها ذلك لنفسي، لم أعد أقوى على البقاء. أصبح الأمر لا يطاق بالنسبة إلي.

ويمكن أيضا لسردية التجلي أن تأخذ شكل حدث مفاجئ، مثل الوقوع في حب شخص آخر أو إدراك شيء جديد في شريكه. من بين الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، يتحدث البعض عن «منعطفات أو نقاط تحول»، عن اللحظات التي يتغير فيها شيء ما في إدراكهم لشريكهم. لقد استكشف موضوع «المنعطف» (العاطفي) الناجم عن الأحداث المرئية أو غير المرئية في كثير من الأعمال الأدبية والسينمائية. على سبيل المثال، في فيلم **القوة القاهرة** الذي أخرجه روبن أوستلوند عام 2014، يكشف المخرج السويدي الهوة التي تفصل بين الزوجين عندما يفر الزوج من زوجته وأطفاله لينفذ بجلده بعد انهيار جليدي. يمثل الحدث نقطة تحول، بمعنى أن الزوجة تبدأ في النظر إلى زوجها بشكل مختلف، وهذا الإدراك يحفر فجوة جديدة بينهما (رغم أن الأسرة لم يصبها أذى في النهاية).

(503) ibid., 97.

الشكل الثاني للسرد هو التراكم: إذ إن الأحداث الصغيرة والصراعات اليومية هي التي تفتق نسيج الحميمية بالتدريج. يتحدث أفيشاي مارغاليت عن «التصحر»، وهي استعارة تصف كل حبيبات الرمل الصغيرة التي تنخر نسيج الحياة اليومية. تتراكم هذه الأحداث الصغيرة إلى هذه اللحظة التي يسميها الأشخاص المستجوبون نقطة اللاعودة، مؤكدين إن «كيلهم قد طفح». في هذا النوع من السرد، يراكم الناس الوقائع أو الأفعال أو الكلمات أو الإيماءات، والتي تظهر على أنها دليل على أن «شيئا ما خاطئ». تروي كلير بلوم، الممثلة الشهيرة التي تزوجت الكاتب فيليب روث، الظروف التي أعلن فيها أنه يريد الطلاق:

«لماذا أنت حانقة مني؟» حاولت الحفاظ على هدوء أعصابي.

ثم أخبرني فيليب، وهو بالكاد يلتقط أنفاسه لمدة ساعتين، أن صوتي كان عذبا لدرجة أن ذلك دفعه إلى الجنون، وأنني كنت أتعمد أن أتحدث معه بهذه الطريقة. تصرفت بغرابة في المطاعم، أنظر إلى ساعتي وأتحدث تحت أنفاسي. لقد أصابني الذعر من أمراضه ولم يكن لدي أي فكرة عن كيفية التعامل معها. عندما ذهبنا إلى المستشفى لإجراء عملية قلب مفتوح، لم أتمكن من العثور على ممرضة، وكان عليه أن يركض في الأروقة للبحث عن واحدة. [...] كنت أجبره على مرافقتي إلى الأوبرا فيما كان يكرهها. [...] إلخ. إلخ(504).

في هذه الحالة، مدار اللوم والعتاب العادات المستهجنة والحماقات والتصرفات التي تغضب أو تحنق أو تتعارض مع عادات الرجل الخاصة.

الاستعارات الشائعة لهذه السردية هي «النقطة التي أفاضت الكأس» أو «الكأس ملأى»، أو أيضا عبارات مثل «حتى يبلغ السيل الزبى». يجد الفرد نفسه في مواجهة خلافات ونزاعات يومية، يصبح تراكمها غير محتمل أو يتجاوز في الكم الجوانب «الجيدة» في العلاقة. غالبا ما يتم التذرع بهذا السرد في حالة الجدالات أو الخلافات المتكررة. إنه مسؤول عن تقديم «الأدلة» على أن شيء ما

(504) Claire Bloom, *Leaving a Doll's House* (New York: Little, Brown and Company, 1996), 201.

ليس على ما يرام في العلاقة أو عند الشريك أو كليهما.

في السردية الثالثة، والأكثر أهمية ولا شك، أن بعض الأحداث أو الأفعال أو الكلمات تعمل كأنها «صدمات متناهية الصغر»، أي أنها تمثل قطيعة - صغيرة أو كبيرة - مع الافتراضات الأخلاقية للفرد، وهذا الأخير يرجع بصورة استعادية إلى تلك القطيعة كحدث لا يستطيع التعافي منه. تعاش هذه الأحداث الصادمة على أنها انتهاكات للثقة، الجنسية أو العاطفية، وتحمل جروحا نجلاء يعتبرها الشخص مستحيلة الالتئام، لا يمكنه نسيانها ولا يمكنه الشفاء منها. غالبًا ما يتم اختبار تلك الأحداث على أنها اعتداء عميق على حب الذات والكرامة. فيما يلي مثال أول مأخوذ من تجربة إيرين، وهي مدرسة للغة الفرنسية عمرها خمسة وأربعون عاما:

أعتقد أن المرة الأولى التي توقفت فيها عن حبه، أو على الأقل بدأت في أن أحبه بشكل أقل، كانت عندما لم يستطع اصطحابي إلى المستعجلات عندما مرضت بشدة لأنه لم يرغب في إلغاء موعد مع زبون مهم. في السنوات التي تلت ذلك، واجهت صعوبة في نسيان ذلك. بمجرد أن لم يكن معي لشيء أعتبره مهما، أحسست كأنه هجر وخيانة. ظللت أفكر في تلك اللحظة، في الطريقة التي شعرت فيها بالوحدة في ذلك المستشفى لأن زوجي لم يستطع إلغاء موعد. بتذكر ذلك، لا يمكنني أن أسامحه أبدا. من الغريب جدا الظن أنه لمدة اثني عشر عاما، بل أقل، لأن ذلك حدث بعد أربع سنوات من زواجنا، لذلك في السنوات الثماني التي عشت فيها ذلك، لم أخبره أبدا بمدى تأثري. لا أعتقد أنه عرف ذلك أو خمّنه من قبل. لكنني لم أغفر له أبدا. لم أستطع الوثوق به كما اعتدت من قبل.

في هذا المثال، يشير حدث واحد إلى صدع في الثقة الذي لم يرأب إطلاقا. تمثل الصدمة الصغيرة إطارا لتفسير الأحداث التي تلت. إليكم حالة ريبيكا، وهي أمريكية عمرها سبعة وأربعون عاما تعيش في إسرائيل:

كان أكبر مني بخمس عشرة سنة، وكان لديه ثلاثة أطفال من زواجين سابقين. بعد أربع سنوات من بداية علاقتنا، بدأت في الرغبة في إنجاب طفل. لكنه رفض.

لقد شعر بالإرهاق والاستنزاف، لديه أطفال ولم يعد يرغب في المزيد. لم يضايقه أن يكون لديّ طفل بجانبي عبر بنك حيوانات منوية أو شيء من هذا القبيل، لكنه لم يعد بإمكانه أن يكون أبا بدوام كامل أو ليعتني بطفل. لذلك حصلت على هذا الطفل من بنك الحيوانات المنوية، وربما هكذا يقتص لنا القدر، لقد بدأ في تكوين علاقة قوية معه. لكن لم أستطع مسامحته لرفضه الإنجاب معي، لعدم رغبته في طفلنا، لتركي أذهب إلى بنك الحيوانات المنوية. شعرت بالخيانة بسبب شيء يهمني حقا. حتى لو كان، في النهاية، مستعدا للتصرف مثل أب له، لم أستطع مسامحته لأنه لم يكن يرغب في طفلي منذ البداية.

في كلتا القصتين، ينطلق السرد الصادم من جانب خبيء من الذات يشعر «بالخيانة» و«الإحباط» وفي بعض الحالات «بالاعتداء».

تشكل هذه الأشكال الثلاثة للسرد - الكشف، والتراكم، والصدمة - ثلاث بنيات سردية عاطفية يعيد الفاعلون من خلالها بناء وتفسير بطريقة استعادية العملية التي قادتهم إلى التحلل من الرابطة العاطفية. إن هذه السرديات الثلاث لاتخاذ القرار هي تقارير استرجاعية لكيفية تحلل الفرد من العلاقة والأسباب التي تجعل «العلاقة السميكة» غير المشروطة تتلاشى، وتنحل، وتنهار[505]. كما سأبين الآن، فإن هذه السرود العاطفية تعطي شكلا للقوى الاجتماعية الموصوفة سابقا في هذا الكتاب.

لكن من الواضح أن نوع روايات الطلاق المقدمة بعيد كل البعد عن استنفاد مجموع أسباب الطلاق. ولا يتعلق الأمر بالتشكيك في كون حالات الطلاق بشكل عام أكثر مرارة وحدة من الناحية العاطفية من حالات الانفصال. هدفي هو ببساطة أن أقول إن هناك استمرارية بين القوى الثقافية الفاعلة في بداية العلاقة وتلك التي تتسلل إلى علاقات قائمة وممأسسة. بيت القصيد هو أن تكوين الروابط الحميمة والحفاظ عليها جزء من نظام بيئي اجتماعي عام يثقل كاهل

(505) انظر: Margalit, *On Betrayal*, 56.

الأفراد ويجبرهم على تدبير العديد من القيود الاجتماعية بأنفسهم. هذه القيود هي الجنسانية كمجال مستقل للفعل؛ التقييم ونقيضه كنشاط مستمر، يعززه تهذيب الذات النفسية والاستهلاكية؛ صراع غير واعٍ بشأن هدفها بين الاستقلالية والتبعية؛ التهديدات التي تحوم حول تقدير الذات. كل هذه الدوافع أساسية في العملية التي تقود الفرد إلى التحلل من الارتباط والالتزام، أي إلى اللاحب.

الجنسانية: القطيعة الكبرى

وبحسب الإحصائيات فإن الجنسانية هي أحد الأسباب الرئيسية للطلاق، سواء كان بسبب الخيانة الزوجية[(506)] أو بسبب توقف الزوجين عن ممارسة الجنس. تشير دراسة جوديث ستايسي الكلاسيكية عن الزواج إلى أن الأسرة الحديثة توفر شيئين في آنٍ واحد: الرعاية المستمرة من ناحية، والرغبة الجنسية من ناحية أخرى. واصفة الزواج الحديث بأنه مؤسسة «تناسب الجميع»، تحلل المؤلفة التوترات التي يؤدي إليها الزواج الأحادي وزواج المساكنة[(507)]. وفقا لها، فقد ضحينا بالقدرة على التحمل اللازمة للحياة المنزلية لصالح الرغبة الجنسية. ومع ذلك، لا يأخذ هذا التحليل في الاعتبار الديناميكا العاطفية المعقدة التي تتداخل معها الجنسانية وتدخل في صراع مع الحياة المنزلية.

كما رأينا في الفصول السابقة، فقد تحررت الجنسانية من المجال العاطفي بينما أصبحت المكان الذي تتجلى فيه أنطولوجيا العواطف والمشاعر، حيث تنكشف طبيعة العلاقات الحميمة وحدتها. بعدما أصبح مخطط عمل مستقل، ووعاء

---

(506) Paul R. Amato and Denise Previti, "People's Reasons for Divorcing; Denise Previti and Paul R. Amato, "Is Infidelity a Cause or a Consequence of Poor Marital Quality?" *Journal of Social and Personal Relationships* 21, no. 2 (2004): 217–223; Shelby B. Scott et al., "Reasons for Divorce and Recollections of Premarital Intervention: Implications for Improving Relationship Education," *Couple and Family Psychology: Research and Practice* 2, no. 2 (2013): 131–145.

(507) Judith Stacey, *Brave New Families: Stories of Domestic Upheaval in Late-twentieth-century America* (Berkeley: University of California Press, 1990).

العواطف الأعمق والأصدق، ومقر المتعة والحميمية والرفاهية، غير الجسم الجنسي الشرعية المدركة للعلاقات، والتي يجب من ثم أن تتوافق مع نماذج المتعة والتفاعلات الجنسية الدائمة نسبيا.

أوريلي امرأة فرنسية مطلقة تبلغ من العمر خمسة وأربعين عاما. كانت متزوجة منذ اثنتي عشرة سنة:

- **المستجوبة:** هل كان هناك وقت أو حدث أدركت فيه أنكما لن تبقيان معا؟

- **أوريلي:** أعتقد أن هذا حدث في الوقت الذي أجريت التخصيب الاصطناعي. أصبح جسدي ملكا للطبيب. أعتقد أنه في تلك اللحظة توقف عن رؤيتي كجسم جنسي. تماما كما لم أعد أرى نفسي كجسم جنسي. كنت أرغب بشدة في أن يكون لي طفل. توقفنا عن ممارسة الجنس لأن الأطباء باتوا يملكون جسدي؛ لم يعد قادرا على الانتصاب برؤيتي في هذه الحالة. استمر الأمر على هذا النحو لمدة عامين أو ثلاثة أعوام. تحدثنا عن أسباب عدم ممارستنا الجنس. لم يعد بإمكانه ذلك بعدما رأى جسدي هكذا. ملك للطبيب، مثخن بالأدوية والإبر. توقفنا عن ممارسة الجنس لمدة عامين، وقد آلمني ذلك كثيرا لدرجة أننا بدأنا في الخصام، وهو ما لم يحدث لنا أبدا من قبل، ثم انفصلنا. في ذلك الوقت، كان رد فعل طبيعي. اليوم، لا أعرف لماذا فعلنا ذلك. أعني القول، لا، أعلم، لقد شعرت بالإهانة لأنه لم يعد يرغب في بعد الآن. وبمجرد توقف الجنس، يبدو الأمر كما لو أن العلاقة ليس لها سبب للوجود. لكنني اليوم أرى الأشياء بشكل مختلف.

- **المستجوبة:** ماذا تقصدين؟

- **أوريلي:** اليوم، أعتقد أن الناس يجدون كل أنواع التسويات. في الأساس، أعتقد أنه إذا كنت تنوين العيش مع شخص ما على المدى الطويل، فعليك إيجاد التسويات اللازمة. ربما لم يكن علي أن أكون مستاءة للغاية بسبب أنه لم يعد يرغب في بعد.

في هذه القصة، بمجرد ما يتلقى الجسد المساعدة الطبية، يتوقف عن أن يكون مجنسنا، وبمجرد أن يتوقف عن أن يكون مجنسنا، تختفي الرغبة، مما يؤثر على تقدير

الذات، بمعنى أن هذه المرأة لا تشعر بأنها مرغوبة أكثر (ركزت في البداية على رد الفعل هذا فقط لتعيد النظر فيه لاحقا)[508]. في الواقع، إذا أصبحت الجنسانية ضرورية جدا في تجربة الهوية الذاتية، فإن الشك في المرغوبية الجنسية للذات يدعو إلى التساؤل عن العلاقة بأكملها، لأنها تسائل حب الذات الذي ينبثق عنها. في الواقع، كما رأينا في الفصلين الثالث والرابع، تضفي الجنسنة الطابع المؤسسي على الفصل بين المشاعر والجسد، وتجعل الأخير مستقلا ذاتيا. تنقسم الهوية الفردية إلى شكلين مختلفين، ومستقلين وأحيانا متنافسين، لتقدير الذات. هذه هي حال العلاقات في بدايتها ولكن، يا للغرابة، هذه هي حالها أيضا عندما تكون تلك العلاقات قائمة. تصف بولا، امرأة فرنسية تبلغ من العمر واحدا وستين عاما، انفصلت مؤخرا عن زوجها بعد خمسة وثلاثين عاما من الحياة المشتركة، انفصالهما الأخير على النحو التالي:

بدأ كل شيء، على ما أعتقد، عندما أصبح عضوا في صالة الرياضة قبل بضع سنوات، ربما قبل ستة أو سبعة أعوام. بدأ في الذهاب إلى صالة الرياضة ومراقبة نظامه الغذائي أيضا. لم يكن يتبع نظاما غذائيا، لكنه كان ينتبه إلى ما يأكله. لذلك خسر بعض الوزن. غدا أنحف. كما تعلمين، إنه لأمر مدهش، منذ اللحظة التي بدأ يخسر فيها وزنه، تغيرت شخصيته. لقد أصبح، امم، كيف أصفه، معتدا بنفسه قليلا، كان أكثر ثقة بنفسه، وبدأت تخامرني فكرة أنني عجوزة وقبيحة. جعلني أشعر بالتقدم في السن والقبح. أنا أكبر منه بسنتين، لكنها كانت المرة الأولى معه

(508) الفرضية القائلة إن الجنسانية تكشف عن نواة حياة الزوجين واسعة النطاق وهي من العمق إلى درجة أن إحدى الدراسات الممولة من قبل مؤسسة علمية تصف هدفها على النحو التالي: "إنها قصة ليست مألوفة عند الكثير من الأزواج: لربما لا زالوا يحبون بعضهم، لكن رغبتهم الجنسية تخبو مع مرور الوقت. وحسب دراسة أخرى مولتها BSF، تبين أن بريقا من الأمل لا يزال يراود الأزواج الذين يتوقون إلى إذكاء لهيب شغفهم." انظر:

"A New BSF-Supported Study Brings Promising News for Couples Looking to Put the Spark Back in Their Sex Lives," United States-Israel Binational Science Foundation, http://www.bsf.org.il/bsfpublic/DefaultPage1.aspx?PageId=6144&innerTextID=6144, accessed April 27, 2017.

التي أدرك فيها عمري. بعد ذلك، ربما بعد عام، قام بعلاقته الأولى. منذ ذلك الحين، خاض العديد من المغامرات، ودائما مع نساء شابات. كما لو كان قد عاد إلى مرحلة المراهقة. يقول إنه لم يتوقف أبدا عن حبي، لكنه لم يستطع التوقف عن المغامرات العاطفية. لم يستطع مقاومة ذلك. لذلك طفح كيلي ورحلت. اليوم نحن مطلقان.

في هذه القصة، يخضع جسد الرجل المتزوج إلى تحول: إنه يتجنسن بأن أصبح نحيفا ويصبح من ثم فاعلا مستقلا. يكتسب الجسد قدرة فعل جديدة ثم يأخذ في البحث عن موضوعات جنسية جديدة، النساء الشابات – انسجاما مع الملاحظات الواردة في الفصل الرابع. يخلق تحوله الجسدي شكلا جديدا من الذاتية له تداعيات على الزواج؛ إنه يؤثر على الطريقة التي تدركه بها زوجته وتدرك بها نفسها، والطريقة التي يدرك بها نفسه ذاتها، والطريقة التي تدرك بها أنه يدركها، وهذا بدوره يؤدي إلى تغيير موازين القوة الجنسية بينهما. يتصرف هذا الجسد المجنسن حديثا كما لو كان يتمتع بإرادة خاصة به، ويخلق رغبة في الانسحاب العاطفي. بعبارة أخرى، كما في قصة أوريلي، يبدأ الجسد في العمل ككيان مستقل. جسد أوريلي يصبح خلوا من أي جنسانية بينما جسد زوج بولا يكتسب جنسانية؛ في كلتا الحالتين، يبدو أن الظاهرة تحدث بشكل مستقل عن إرادة الذات وتحكمها. يتصرف الجسد، إذا جاز التعبير، بشكل مستقل، وهو يؤثر على الرابطة العاطفية.

من بين جميع الأشخاص المطلقين أو المنفصلين الذين قابلتهم وحاورتهم من أجل هذه الدراسة، عينت الغالبية العظمى «التوقف عن ممارسة الجنس» كعلامة أو سبب لتغيير عميق، تأتي بعده القطيعة، مما يوحي بأن الجنسانية هي أداة قوية لتنظيم سردية الحميمية وسردية الانفصال. في بداية العلاقة، تفصل الجنسنة بين الهوية والجسد، ولكن بمجرد إضفاء الطابع المؤسسي على علاقة قائمة، تصبح الجنسانية مستودع العواطف. تعكس الجنسانية الجيدة رابطا عاطفيا متناغما، والعكس بالعكس، وتفسر الجنسانية السيئة على أنها علامة على روابط عاطفية

سيئة. يدرك الأشخاص واقعية علاقتهم وعواطفهم من خلال واقعية جنسانيتهم ورغبتهم الجنسية.

فمثلا، تحكي رواية **ها أنا ذا** الأكثر مبيعا التي ألفها جوناثان سافران-فوير، في أدق التفاصيل النفسية، عملية خمود عاطفة الحب التي عاشها أبطال الرواية الرئيسيون حتى نهايتها. كما يقول الراوي، تلعب الرغبة الجنسية دورا رئيسيا في تفكيك العمل الذي نسجه الزوجان في الماضي، خيطا تلو الآخر. «مع عدم قدرة جوليا على التعبير عن إحساسها بالاستعجال، لم يكن جاكوب يشعر بيقين من أنه مرغوب وأصبح أكثر ترددا من فكرة المخاطرة بتعريض نفسه للسخرية، مما زاد المسافة بين يد جوليا وجسد يعقوب، والتي لم يستطع تعيينها بأي كلمة[509].» الجنسانية هي تصميم التجربة الذي يسمح للذات باختبار قيمتها (مرغوبة أو غير مرغوب فيها)، والتي من خلالها تكتسب المشاعر وجودا موضوعيا وملموسا. يوضح برنار، وهو فرنسي يبلغ من العمر ستة وأربعين عاما، ومؤلف مسلسلات تلفزيونية، سبب انفصاله عن المرأة التي كان يعيش معها منذ أحد عشر عاما:

تركت شريكي د.، لأنني لم أتمكن من جعلها تستمتع. أعني، لقد كانت تصل إلى رعشة الجماع، لكن ليس معي. كانت تبلغ إلى النشوة الجنسية وحدها. لم أستطع جعلها تصل إلى النشوة الجنسية. لقد شعرت بالإحباط حقا، لكنني لم أفهم مدى أهمية ذلك بالنسبة إلي حتى قابلت أ.، وهي امرأة استمتعت في ممارسة الجنس معي. أدركت إلى أي حد شعرت بالذنب وكم كنت مخطئا مع د. لذلك تركتها. أخبرتها أنني لا أستطيع ممارسة الجنس معها بعد الآن.

يعين برنار هنا بوضوح مثالا نموذجيا للكفاءة الجنسية الذي كان موضع تساؤل من خلال تفضيل شريكته للمتع الفردية. يختبر غياب الكفاءة الجنسية والمرغوبية الجنسية بما هما مكونان أساسيان للهوية، كأنه تهديد للذات. إنهما أساسيتان في بداية العلاقات وتستمران في العمل بمجرد ما تبدأ هذه الأخيرة.

(509) Jonathan Safran Foer, *Here I Am* (New York: Penguin Books, 2016), 46.

نظرا إلى أن الجسد يشيخ، أو يصبح باردا حيال الإثارة الجنسية، أو يشعر بأنه غير مرغوب فيه وغير كفء جنسيا، فإنه يمكن للجنسانية أن تحدث صدعا في الرابطة العاطفية، مما يؤدي إلى عدم اليقين بشأن طبيعة الذات المشاركة في العلاقة.

علاوة على ذلك، فإن قاعدة الزواج الأحادي تتطلب أن تتطابق المشاعر والجنسانية. والحال أنهما غالبا ما يسلكان مسارات متناقضة، ما يجعل المصالحة بينهما صعبة. ساندرا، وهي أكاديمية ألمانية عمرها تسعة وأربعون عاما، متزوجة منذ بضع سنوات من امرأة أخرى عاشت معها منذ واحد وعشرين عاما. تتحدث عن الأزمة التي يمر بها زواجهما حاليا:

في الآونة الأخيرة، جاءت لتخبرني بأن حياتنا الجنسية لم تكن تسير على ما يرام؛ وأنها لم تكن رائعة أبدا. كنا منسجمين بشكل جيد للغاية على جميع المستويات، الفكرية والروحية والعاطفية، نضحك كثيرا معا، نفهم بعضنا البعض، لكن جنسانيتنا ليست مشبعة. لذا قررت العام الماضي أن يكون لها عشيقة. حدثتني عن ذلك، وبحثت عن واحدة، على شبكة الإنترنت، ووجدت واحدة، وهي تنام معها مرة واحدة في الأسبوع. أخبرتني أنها لا تحتاج إلى أكثر من ذلك، ولا المرأة الأخرى كذلك. إنها أسعد بهذه الطريقة. لكنها هذا كان مدمرا. لقد أثار هذا في داخلي كل شياطين الطفولة. قرأت رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بها، مما أغضبها كثيرا. شعرت بالإهانة. تشعر وكأنني انتهكت خصوصيتها. اليوم، أصبح وضعنا إشكاليا. من الممكن أن نفترق.

هنا، كما في بعض القصص المذكورة أعلاه، تعد الجنسانية - أو غيابها - عاملا من عوامل القلق وعدم اليقين، حتى أنها دفعت ساندرا إلى التنقيب في حميميتها كزوجة. يعتبر إضفاء الطابع الخارجي على الجن في آن حلا لعلاقة غير مشبعة جنسيا ومصدرا لعدم اليقين لأنه يحول دون توافق المشاعر والجنسانية. وعليه، فإن الطرق المتعددة التي يختبر بها الأفراد أجسادهم الجنسية بشكل مستقل عن عواطفهم وأحاسيسهم تنتج مسارات علائقية بديلة تعرضهم أحيانا للصراعات وتجبرهم على إعادة تنظيم عواطفهم في علاقتها بأجسادهم.

تارا، أستاذة الكيمياء الإسكندنافية في الثامنة والأربعين من عمرها التي استمعنا إليها سابقا في الفصل الخامس، عاشت لسنوات عديدة مع رجل كان يعنفها عاطفيا ولكنه كان يثيرها كثيرا على المستوى الجنسي. انفصلت عنه، وعاشت في عزلة لسنوات عديدة، وانتهى بها الأمر بمقابلة «رجل مذهل» على حد تعبيرها.

لقد قابلت الرجل الأروع، والألمع والأذكى، والألسن من بين جميع الرجال. يتوق ليكون معي، ليكون «جادا». نتحدث سويا أربعا وعشرين ساعة في اليوم، سبعة أيام في الأسبوع. ونثير بعضنا البعض بجنون. لقد تعرفت عليه منذ أسبوعين فقط، لكني أحبه بالفعل. لكن جنسيا - وأنا أتحدث هنا بالمعنى الواسع للكلمة، ليس فقط في السرير، ولكن من وجهة نظر الإيروس ... لا أعلم. كأني به يريد المساواة المطلقة. الحميمية التامة. لا عدوان. لا توتر. لا مسافة. يريد التعليق على أدنى اهتزاز في تفاعلنا: حدث شيء ما. ماذا كان ذلك؟ إنه معالج. [...]. النسخة النسوية/ العلاجية للحب والجنس. هذا يغيظني قليلا. طلبت منه ألا يخاف من الجانب المظلم والخطير للأشياء، لكنني أخشى أنه كان ... مخصيا [كذا]. لم يجرؤ أبدا على تغيير أي شيء في جنسانيته طوال حياته. أما فيما يتعلق بالأيروسية، فمن المستحيل العودة إلى طعم الأواني الصغيرة عندما تتذوق اللحوم المشوية النضرة الغضة. هذا ما بلغنا إليه في علاقتنا.

يردد هذا المثال صدى ترسانة من الموضوعات (توبوس) الأدبية للحداثة[510]، حيث تتحرر الجنسانية من مجالات الفعل الأخرى ويتم تقديرها كوسيلة للذات لـ «نزع طابع الحضارة» عن نفسها. بالنسبة إلى تارا، فإن العلاقة، حتى لو كانت رائعة، محرومة من جنسانية مثيرة تفتقر إلى مزية أساسية. قد يتمتع صديقها بجميع الصفات الموجودة في العالم، لكنه يفقد قيمته عندما تقارنه

(510) انظر على سبيل المثال:
Joseph Kessel, *Belle de Jour* (1928); D. H. Lawrence, *Lady Chatterley's Lover* (1928); and Tennessee Williams, *A Streetcar Named Desire* (1947).

بتجربتها الجنسية الماضية، الأكثر إثارة والأكثر حدة. إن الجنسانية الفجة و«غير المدجنة» هي النقطة المرجعية المطلقة في تجربة هذه المرأة، لأنها تكشف (وتشكل) شيئا من ذاتها الأصدق والأعمق، وهو ما لم تكن تستطع التخلي عنه لأنها انفصلت في النهاية عن هذا «الرجل المذهل» لهذا السبب بالتحديد (أبلغتني بذلك عبر البريد الإلكتروني). سواء تعلق الأمر بعلاقتها برجل عنيف أو مع رجل مذهل، كانت جنسانيتها مستقلة وغير تابعة للمجال العاطفي؛ عاشتها بشكل جيد في علاقة عنيفة ووجدتها مملة مع رجل رائع. مرة أخرى، يتمتع الجسد هنا بوضع أنطولوجي متميز عن وضع الهوية الفردية والعلاقة العاطفية. يمكن أن يتعارض إضفاء الاستقلالية الذاتية على الجنسانية والجسد مع الروابط العاطفية، وهو ما يحدث بتواتر، مما يخلق حالة من المنافسة بين مقولتين من التجربة.

الطريقة الثانية التي تدشن بها الجنسانية سيرورة عاطفية للاحب ترتبط بحقيقة أن التوافر والجاهزية الجنسية رفعت بشكل كبير إدراك البدائل. أظهرت الأبحاث التي أجراها جيفري سيمبسون في عام 1987 على مئة وعشرين شابا أن تصور البدائل وتخيلها له تأثير كبير على استقرار العلاقات؛ كلما شعر المرء أن علاقات أخرى ممكنة، قل استقرار العلاقة[(511)]. بالفعل، يوفر مجال الانفتاح الجنسي، بالتعريف تقريبا، خريطة ذهنية للإمكانات الجنسية البديلة (وبالتالي الاحتمالات التي ستفوت). نظرا إلى توافر الأجساد الجنسية و/ أو الجنسانيات الأكثر إثارة، وبالنظر إلى قاعدة الزواج الأحادي، فإن الطاقة الجنسية الموجهة خارج الحياة المنزلية تشكل تهديدا جاثما على الزواج. يوضح هذه النقطة جيل، وهو إسرائيلي يبلغ من العمر ستة وخمسين عاما، ومدير إحدى المنظمات غير الحكومية، وفي وقت إجراء هذه المقابلة، كان مطلقا منذ عشر سنوات:

- **جيل**: طلاقي العاطفي بدأ قبل فترة طويلة من طلاقي الفعلي [يصمت].

(511) Jeffry A. Simpson, "The Dissolution of Romantic Relationships: Factors Involved in Relationship Stability and Emotional Distress," *Journal of Personality and Social Psychology* 53, no. 4 (1987): 683–692.

- **المستجوبة:** ما الذي دفعك إلى الطلاق؟ إذا كنت تود أن تخبرني.

- **جيل:** أعتقد أن الأمر بدأ عندما وقعت في حب إحدى زميلاتي في العمل. كان هذا منذ وقت طويل. مر على زواجي تسع سنوات، فيما أظن. كانت تربطني علاقة مع هذه المرأة. كانت علاقة قوية جدا. لم أستطع كتم الأمر في نفسي لذلك أخبرت زوجتي. والمثير للدهشة والغرابة أنها تلقت الأمر برحابة صدر. صدمت في البداية لكنها فضلت أن نظل متزوجين. في الواقع، لقد قبلت الأمر أفضل مني. لأنني بعد هذه العلاقة، لم أتمكن أبدا من استعادة الحب الذي كنت أكنه لزوجتي.

- **المستجوبة:** هل تستطيع أن تقول لماذا؟

- **جيل:** يبدو الأمر كما لو أنني اكتشفت عالما جديدا من الشغف لم أكن أعلم بوجوده من قبل. كنت أرغب في هذه المرأة وأردتها بشدة، وبعد ذلك أصبح من المستحيل بالنسبة إلي أن أبقى متزوجا. كنت أحب زوجتي، لكن ليس بهذه الطريقة. بعد تذوق هذا الشغف الدافئ، لم أستطع العودة إلى تلك الراحة الناعمة والدافئة التي عشتها. منذ ذلك الحين، واصلت الانحدار في هذا المنحدر الهابط.

في هذه القصة، وقع حدث عاطفي على حين فجأة. تعرض علاقة جنسية بديلة وتفتح المدارك الذهنية والمعرفية لهذا الرجل، فتشكك في ما كان مفروغا منه في المشاعر الهادئة واليومية لزواجه. كما كتب آدم فيليبس: «هناك دائما شخص يحبني أكثر، ويفهمني بشكل أفضل، يجعلني أشعر أنني مثير جنسيا أكثر. هذا هو أفضل تبرير يمكنك أن تجده للزواج الأحادي - وللخيانة الزوجية كذلك[512].» ولشد ما هذا صحيح فإن الفاعلين الجنسيين يوجهون طاقتهم العاطفية والجنسية نحو المتفرجين، في فضاءات عامة وفي مكان العمل. توجه الطاقة الجنسية والعاطفية نحَو أشخاص آخرين مجهولين في فضاءات وأمكنة اجتماعية متنوعة. بعبارة أخرى، تتحرك الطاقة الجنسية بطريقة منتشرة داخل وخارج المجال المنزلي، مما يضع الجسد في حالة من التوافرية الجنسية المستمرة التي تقوض قاعدة الحصرية

---

(512) Adam Phillips, *Monogamy* (1996; London: Faber & Faber, 2017), 69.

الجنسية التي لا تزال سائدة داخل الروابط الحميمة. إن مجال العمل الرأسمالي والمجال الاستهلاكي يحولان الجنسانية إلى استعراض ويشذرانها بتوجيهها نحو سيل عرم من المتفرجين والمتلقين المحتملين، ما يشتت من ثم الجنسانية بين العديد من الممكنات الأخرى. ربما هذا هو السبب في أن معدل الطلاق بين الأشخاص في عمر الخمسينات قد تضاعف ثلاث مرات خلال العقد الماضي. هذا ليس فقط بسبب أن الفاعلين باتوا متشجعين على اعتبار أنفسهم ككائنات جنسية في جميع أعمار الحياة، ولكن أيضا بسبب أن الإحساس بإمكاناتهم الجنسية قد زاد. «في عام 1990، كان واحد من كل عشرة من المطلقين يبلغ من العمر خمسين عاما أو أكثر. في عام 2011، وفقا لمسح إحصائي للمجتمع الأمريكي، كان أكثر من 28٪ من الأشخاص (أي أكثر من واحد من بين كل أربعة أشخاص) من الذين صرحوا بأنهم طلقوا في الاثني عشر شهرا الماضية كانوا يبلغون من العمر خمسين عاما أو أكثر[513].»

تشرح مؤرخة الزواج ستيفاني كونتز «ثورة الطلاق الرمادي هذه» من خلال حقيقة أن العديد من هؤلاء الأشخاص كانوا في زواجهم الثاني أو الثالث (مما يجعلهم إحصائيا أكثر نزوعا إلى الطلاق) وأن الكثيرين منهم كانوا من جيل طفرة المواليد - جيل أكثر ميلا إلى الطلاق[514]. ومع ذلك، أود أن أفترض أن السبب الرئيسي للتغيير هو ظهور مواقع المواعدة عبر الإنترنت، لأنها تمنح أعضاء هذه الفئة العمرية، الذين لم يكن لديهم في العادة إلا فرصا أقل لتوسيع شبكاتهم الاجتماعية، الإمكانية الملموسة للقاء شركاء. إن إمكانية اعتبار المرء نفسه جسدا جنسيا بعد سن الخمسين ومقابلة شركاء جنسيين جدد يولي أهمية غير مسبوقة للهوية الجنسية.

---

(513) Sam Roberts, "Divorce after 50 Grows More Common," *New York Times*, September 20, 2013, http://www.nytimes.com/2013/09/22/fashion/weddings/divorce-after-50-grows-more-common.html, accessed May 10, 2018.
(514) Ibid.

أخيرا، تتداخل الجنسانية مع العلاقات المستقرة لأن المجال الرأسمالي للعمل له تأثير على الليبيدو. بالفعل، أظهرت الدراسات أن التوتر النفسي المرتبط بالعمل يقلل من الرغبة الجنسية. تشير دراسة بتكليف من الهيئة الفرنسية تكنولوجيا Technologia (معهد معتمد من وزارة الشغل) إلى أن التوتر والإرهاق العائدين إلى العمل المفرط يسببان التهيج وسرعة الغضب والانفعال وانعدام التلذذ (صعوبة الشعور باللذة)، المسؤولين عن تراجع الرغبة الجنسية[515]. وفقا لهذه الدراسة، يقول 70 ٪ من الأطر المتوسطين أن التوتر النفسي له تأثير سلبي على حياتهم الجنسية. بعبارة أخرى، فإن التوتر الناجم عن المشاركة الزائدة للعمال التي تطالب بها الشركات يقوض ما تشجعه الرأسمالية الاستهلاكية: الجنسانية بوصفها مجالا للتجربة، والتي تعبر عن أعمق كياننا وعلاقاتنا الأكثر حميمية. ثمة علامة أخرى غير مباشرة على أن التغييرات في المجال الاقتصادي - في شكل مطالب إضافية بشأن الأداء وفي شكل عدم اليقين بشأن المستقبل - قد يكون لها تأثير على النشاط الجنسي استشفت من استطلاع العلاقات في أمريكا:

في دراستهم التاريخية لعام 1994 حول السلوكيات الجنسية، ذكر إدوارد لومان وزملاؤه أن 1.3٪ من الرجال المتزوجين و2.6 ٪ من النساء المتزوجات الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و59 عاما لم يمارسوا الجنس طيلة العام الماضي. في المقابل، بعد عشرين عامًا - في استطلاع العلاقات في أمريكا - قال 4.9 ٪ من الرجال المتزوجين و6.5 ٪ من النساء المتزوجات في نفس الفئة العمرية إنهم لم يمارسوا الجنس مع أزواجهم/ زوجاتهم منذ أكثر من عام. على الرغم من أن الأسئلة طُرحت بشكل مختلف قليلا، يبدو أنه كانت هناك زيادة في الخمول الجَنسي بين الزوجين على مدار العشرين عاما الماضية. المسح الاجتماعي العام،

(515) Agnès Martineau-Arbes, Magali Giné, Prisca Grosdemouge, Rémi Bernad, "Le Syndrome d'épuisement, Une maladie professionnelle," May 2014, http://www.rpbo.fr/wpcontent/uploads/2017/04/Rapport-TechnologiaBurnOut.pdf, accessed May 10, 2018.

الذي طرح نفس السؤال باستمرار منذ عام 1989 لتحديد وتيرة العلاقات الجنسية بين الأزواج، يؤكد هذا التوجه[516].

طرح واضعو الاستطلاع الفرضية القائلة بأن «التعود» قد يكون العامل الذي تنحى عليه اللائمة. ومع ذلك، فإن العادة ليست تفسيرا معقولا بالنظر إلى أنها لا يمكن أن تكون أكثر إشكالية في الحياة الجنسية للزوجين اليوم مما كانت عليه في العقود السابقة. فرضيتي تقول إن التغييرات في مجال الشغل - زيادة التوتر النفسي وساعات العمل الأطول وانعدام الأمن الوظيفي – هي من الأهمية لتشرح في آن الإيثار الحديث للجنسانية غير الملتزمة (والذي سبق وتناولناه بالتحليل أعلاه عند حديثنا عن الجنس العرضي) وانخفاض النشاط الجنسي. تؤكد دراسات أخرى هذه المسألة. وهكذا، ذكرت النساء الشابات اللائي قابلتهن لورا هاميلتون وإليزابيث أرمسترونغ أنهن عشن مغامرات ليلة واحدة لأن لديهن وقتًا أقل وأقل لأنفسهن ولأن العلاقات تستغرق «وقتا طويلا جدا»، مضيفات أنهن فضلن تكريس هذا الوقت ليصبحن عضوات فاعلات وتنافسيات في السوق[517]. بالنسبة إلى هؤلاء الشابات، يُنظر إلى الوقت على أنه سلعة يتعين استغلالها اقتصاديا واجتماعيا، مما يوحي بأن الجنسانية والوقت الذي يقضى في مكان العمل يتنافسان فيما يخص الانتباه والتركيز غير المقسمين، سواء في سياق جنسانية عرضية أو راسخة. علاوة على ذلك، وعلى الرغم من أنها لا تدرس جنسانية الأشخاص المتزوجين لذاتها، تؤكد أليسون بوغ في دراستها عن الزواج بين الطبقات المتوسطة والعاملة، **مجتمع النبات المتدحرج** (*The Tumbleweed Society*)، أن انعدام الأمن الوظيفي (استعمالات زمن غير مؤكدة، وتناوب قوي بين فترات العمل

(516) David Gordon et al., "How Common Are Sexually 'Inactive' Marriages?" Relationships in America Survey 2014, The Austin Institute for the Study of Family and Culture, http://relationshipsinamerica.com/relationships-and-sex/how-common-are-sexually-inactivemarriages, accessed May10, 2018.

(517) Laura Hamilton and Elizabeth A. Armstrong, "Gendered Sexuality in Young Adulthood: Double Binds and Flawed Options," *Gender & Society* 23, no. 5 (2009): 589–616.

والبطالة، والتهديد المستمر بفقدان العمل) يضعف ويقوض الروابط الحميمة في الزواج[518]. بعبارة أخرى، فإن الأنواع المختلفة من ضغوط الشغل (منافسة السوق والمطالب المتزايدة في عالم العمل) لها تأثير مباشر على شكل وكثافة النشاط الجنسي. ونتيجة لذلك، فإن التناقضات المتأصلة في الحياة المشتركة والمنزلية تطبع العلاقات ككل: فالجنسانية والمشاعر تتبع مسارات مختلفة ومنفصلة؛ ومع ذلك، لا يتم التحقق من صحة المشاعر إلا من خلال الجنسانية. عندما تقل الجنسانية أو «تبدى إلى الخارج» أو تغيب، فإنها تشكك حتى في المشاعر التي تكمن وراء العلاقة. هذا التناقض هو مصدر عدم اليقين والصراع والتوتر، ما يجبر الشركاء على مساءلة ومراجعة سردهم العاطفي. هنا، ينشأ اللاحب من صعوبة التوفيق بين مشاعر المرء وجسده الجنسي.

موضوعات الاستهلاك: من الموضوعات الانتقالية إلى موضوعات الانسحاب.

كما فحصنا ذلك في الفصل الرابع، تستخدم الذوات الجنسية والعاطفية موضوعات استهلاكية لتشكيل ذاتيتهم، والعرض العام لذاتهم، وحميميتهم. هذا العالم من الأشياء والأذواق المرتبطة بها يمكن أن يصير مصدر توترات وصراعات وخلافات. فيما يلي مثال صنهيل، الاقتصادي والباحث الإنجليزي البالغ من العمر ثلاثة وأربعين عاما:

- **صنهيل:** بعد طلاقي، واعدت كثيرا من النساء. أوف. الكثير منهن. لكن من العسير جدا العثور على المرأة المناسبة. في البداية يبدين رائعات، ولكن بعد ذلك دائما ما يأتي شيء ما ليثير مشكلا. كنت متيما بامرأة؛ عشنا معا لمدة ثلاث سنوات. أحببتها كثيرا؛ كنت صادقا معها وكنا على وشك الزواج. في الواقع، عشنا كما لو

---

(518) انظر:

Alison J. Pugh, *The Tumbleweed Society: Working and Caring in an Age of Insecurity* (New York: Oxford University Press, 2015).

كنا متزوجين. لكن كانت لديها عادات غذائية غريبة. من نوع النساء اللائي لا يأكلن الغلوتين، ولا السكر، ولا الملفوف، ولا العدس، ولا الموز، لا شيء على الإطلاق. عندما كنا نحاول الطهي معا، كان الأمر بمثابة كابوس. أعني، كان الأمر جهنميا بكل معنى الكلمة. في البداية، احترمت احتياجاتها، لكن عندما بدأت أسألها أسئلة حول أسباب حظر هذا الطعام أو ذاك عليها، أغضبها ذلك. ذات يوم ذهبت لرؤية طبيب جهاز هضمي لأنها كانت تعاني من ارتجاع معدي، فقال لها: «لقد أعطيت كل أموالك للدجالين، فقط الدجالين، لم يتم أبدا فحصك أو تشخيصك بأنك لا تحتملين الغلوتين، لقد شخّصت نفسك بنفسك. وقد أنفقت أموالا باهظة هدرا.» كنت برفقتها عند الطبيب وعندما أخبرها بكل هذا شعرت بشيء غريب ورهيب للغاية. فجأة، توقفت عن حبها، تقريبا على الفور. دارت كل جدالاتي معها حول هذه النقطة.

- **المستجوبة**: لماذا؟

- **صنهيل**: لأنه تبين لي بوضوح أنها لا تحترم العلم. أنا رجل يحترم العلم. وهنا، أدركت أن لديها معتقدات غريبة. كان الأمر كما لو أنني فقدت الثقة بها في تلك اللحظة. كما لو أنني لم يعد في مستطاعي أن أحملها على محمل الجد. إذا لم تستطع أخذ كلام الأطباء على محمل الجد، وأنفقت كل هذه الأموال على عادات غذائية غريبة وعلى الدجالين، فلن أعد قادرا ببساطة على احترامها بعدئذ.

يلجأ هذا الرجل إلى سرد الكشف (أو نقطة التحول) لتفسير الشعور بالنفور الذي استبد به بشأن ما تستهلكه شريكته (استشارة «الدجالين») وما لا تستهلكه (الغلوتين، إلخ). إن طريقة استهلاك هذه المرأة هي التي تضع حدا لحب هذا الرجل لها، من خلال ميكانيزم التقييم («توحي أذواقها كمستهلكة إلى أنها لا تحترم العلم، لذلك لم يعد بإمكاني منحها أي قيمة»). كرجل علم، يعتبر العلم بالنسبة إليه مكونا جوهريا في ذاتيته. بما أن موضوعات الاستهلاك والممارسات الاستهلاكية ترسي الحميمية في عالم موضوعي، فإن وجود أذواق متنافرة يضعها على خلاف مع وظيفتها المتمثلة في إرساء المشاعر في الأنشطة المشتركة.

الراوي والشخصية الرئيسية في رواية سافران فوير شبه الذاتية هو شاهد جيد لتوضيح دور الموضوعات والأذواق في التقريب بين شخصين أو التفريق بينهما. يبدأ يعقوب في التفكر في بروش (دبوس) للزينة يريد أن يهديه إلى زوجته: «هل كان جميلا؟ كانت مخاطرة. هل ما زال الناس يلبسون البروشات؟ هل كان عفا عليه الزمن؟ هل ينتهي به الأمر في صندوق مجوهرات، ولا يخرج مرة أخرى أبدا حتى يورث لزوجة أحد الأولاد، التي سوف تضعه في صندوق مجوهرات قبل أن تورثه بدورها؟ هل كانت سبعمائة وخمسون دولارا سعرا جيدا لمثل هذا الشيء؟ لم يكن المال هو ما يقلقه، بل كان مجازفة أن يخطئ، والإحراج من المحاولة والفشل - كسر أحد الأطراف المستقيمة أسهل من كسر الطرف الأعوج[519].» هنا، البروش هو تكثيف دقيق للكيفية التي يمكن أن تتركز بها الأشياء وتعبر عن العلاقة.

في إطار الزواج، يلعب الذوق دورا أساسيا ليس فقط لأنه يسمح بتنظيم ذاتيتين حول عالم مشترك من الموضوعات والأنشطة، ولكن أيضا لأنه يقع في مركز الطريقة التي تحدث بها الأمور. في دراسة مثيرة للاهتمام حول الحياة الزوجية، تحدث عالم الاجتماع الفرنسي جان كلود كوفمان عن **التضايقات** أو **التهيجات**[520]. يوضح كوفمان بفيض من التفاصيل كل الأشياء الصغيرة التي تضايق الأزواج في حياتهم اليومية. يتساءل كوفمان عن مصادر هذه التهيجات ويثبت - دون تنظير - أن الموضوعات تلعب دورا مهما في إثارتها؛ أحد أمثلته شكل طاولة أثار حفيظة أحد الأزواج المستجوبين، وأصبح سبب خلاف زوجي[521]. لا يتنبه كوفمان إلى السيرورة التاريخية والثقافية التي تسببت في هذه التهيجات: هذه الأخيرة يمكن فهمها كنتيجة للذاتية الاستهلاكية التي تشكلت

(519) Safran Foer, *Here I Am*, 50.

(520) Jean-Claude Kaufmann, *Agacements: Les petites guerres du couple* (Paris: Armand Colin, 2007).

(521) Ibid., 26.

في القرن الماضي، ولا سيما منذ النصف الثاني من القرن العشرين. تنتظم هذه الذاتية حول الأذواق وطرق التعبير عن الذات من خلال الأشياء وفي داخلها. بكلمات أخرى، الموضوعات هي نقط التقاء عاطفية ومنصات لهندسة التباعد العاطفي. هذا يتأكد بالقدر الذي يضطر الأفراد فيه بشكل متزايد إلى تعريف أنفسهم تبعا لأذواقهم كمستهلكين. في مقال نُشر على مدونة لصحيفة **لوموند**، يعالج كاتب عمود الأسباب التي تجعل شركة صناعة الأثاث إيكيا، مصدرا للتوتر والخلافات بين الأزواج؛ ذلك لأن إيكيا تقدم الكثير من الاحتمالات للجمع وإعادة الجمع بين قطع الأثاث. والحال أن هذه المجموعة الواسعة من الخيارات والتوليفات تشجع على تكوين أذواق شديدة الخصوصية. كما أوضحنا ذلك في الفصل الرابع، فإن ديناميكية الذوق هي ديناميكية ذاتية: من خلال ثقافة الأذواق، يتم دفع الذات لتختبر نفسها في تفردها. كلما كان الذوق أكثر تخصيصا، كلما كان سهل القياد، ومن ثم كلما زاد احتمال أن يكون مصدرا للتوتر. يعترف دليل إيكيا نفسه على هذه الظاهرة ويحاول اغتنامها من خلال النصح بشراء أريكتين من أجل إرضاء أذواق الجميع: «جماع الأمر كله يتعلق بالتسوية والتوافق. أنت تحب الأرائك الناعمة، وهو يفضل أن تكون الأكثر صلابة. مع أريكتين مختلفتين، يمكنك أن تعيش سعيدا إلى الأبد[522].» (بالفرنسية) ليس اختيار الأشياء ما يؤدي إلى التهيجات والتوترات فقط، ولكن أيضا طرق تناولها والتعامل معها.

يتحدث كوفمان عن «معجون الأسنان كرمز»، أي الطرق المختلفة للتعامل مع أنبوب معجون الأسنان (طريقة غلقه، وضعه لأسفل، الإمساك به، الضغط عليه لاستخلاص العجين، إلخ.) والتي يمكن أن تصبح مصدر تهيج وغضب بسيط أو شديد. بعبارة أخرى، تعد السلع سببا دائما للتهيج، لأن الأشخاص في آن

(522) "Comment Ikea se transforme en cauchemar pour les couples," *Le Monde*, September 21, 2015, http://bigbrowser.blog.lemonde.fr/2015/09/21/comment-ikea-se-transforme-en-cauchemar-pourles-couples/, accessed May 10, 2018.

يربطون وعيهم الذاتي بالأشياء ولأن ممارسات الاستهلاك عبارة عن منصات تجتمع فيها ذاتان وتتفاعلان وتنسجان روابط. لأن المنتجات الاستهلاكية أصبحت موضوعات انتقالية لتنظيم العواطف والعلاقات[523]، فيمكنها أيضا أن تصبح نقط توتر ثابتة ويومية داخل العلاقة، وتشكك في الطريقة التي يعرّف بها الأفراد أنفسهم، فتتراكم التوترات التي تتمركز حول الجوانب التافهة من الحياة اليومية وتندرج في أعماق الذاتية. وهكذا، تتذكر امرأة تبلغ من العمر ستين عاما أحد أسباب تركها زوجها لها بعد اثني عشر عاما من الزواج (كان زواجهما الثالث كليهما معا): «[قال] لا نتقاسم نفس الأنشطة، كان يحب التخييم في حين كنت أحب المتاحف.» وهكذا، في حين أن عالم الأشياء يعتبر في العادة أمرا مفروغا منه، ما يدعم الفعل البشري بطريقة سرية، فإن الثقافة والممارسات الاستهلاكية تحول الموضوعات: إنها تصبح تعبيرات فاعلة عن الذات - «الكيانات الفاعلة» - التي تشكل ولكنها تلعب أيضا دور الوسيط بين ذاتيتين وفي داخل العلاقات. يُستخدم لفظ «الكيان الفاعل» هنا بالمعنى الذي له في علم السرد، أي كعنصر بنيوي يسمح للقصة بالسير قدما (الفاعل ليس بالضرورة كائنا بشريا ويمكن أن يكون شيئا)[524]. إنه له أيضا معنى مشتق من نظرية شبكة الفواعل: بوصفه كيانا – سواء كان إنسانا، أو شيئا أو فكرة – فإن له تأثيرا على مسار الأحداث[525]. كفاعلين، يمكن أن تصبح الأشياء وأنماط الاستهلاك مكانا للتهاتر وتبادل الاتهامات. ديفيد محام إسرائيلي يبلغ من العمر خمسين سنة:

نعم، أعتقد أنني فكرت لحين من الوقت أني توقفت عن حبها. لكن كانت هذه السيرورة بطيئة. لقد كانت سيرورة تتشكل من عدة لحظات شعرت فيها أننا لسنا علىِ وفاق. أتذكر أن زوجتي حصلت على عضوية اشتراك في ناد رياضي باهظ

(523) انظر الفصل الرابع.

(524) Algirdas Julien Greimas, *Structural Semantics: An Attempt at a Method* (1966; Lincoln: University of Nebraska Press, 1983).

(525) Bruno Latour, *Changer de société. Refaire de la sociologie* (Paris: La Découverte, 2006).

الثمن لم تذهب إليه أبدا. قلت لها: «ألغ اشتراكك وادفعي مقابل الحصة عندما تريدين الذهاب. سيكلفك هذا أقل.» لكنها رفضت، وكالعادة، غضبت، وقالت إنها ترغب في الحصول على الاشتراك ليكون لديها خيار الذهاب أو عدمه. بالنسبة إليها، كان الأمر كله مسألة خيارات. اليوم بعد أن تطلقنا، فهمت حقا أنها انفصلت لأنها اعتقدت أن كل هذه الخيارات ستبقى مفتوحة أمامها. ولكن لم تكن هذه هي الحال. هي دائما وحدها مع كل هذه الخيارات.

لم ينظر ديفيد وزوجته إلى الاستهلاك بنفس الطريقة: أرادت الحصول على «حق الاستخدام» بينما كان يريدها أن تشتري فقط الاستخدام الفعلي. أصبح هذا الاشتراك غير المستخدم رمزا لجفاء دائم، ثم طلاقهما. في هذه القصة التي سردها، تصبح الذاتية الاستهلاكية للزوجة - التي تريد أن يكون لها خيارات المشجب الذي يعلق عليه قصة لاحبه، العنصر الفاعل فيه.

إن الوظيفة الفاعلية للأشياء الاستهلاكية هي أكثر أهمية في العلاقات الحميمة حيث يختبر الفاعلون الاجتماعيون ذواتهم كمستهلكين في نمط التجديد والتهذيب والصقل والتغيير الدائم. بعبارة أخرى، تشكل موضوعات وممارسات الاستهلاك الجزء الرئيسي من سرد الذات، والطريقة التي يدرك بها الأشخاص تغيرهم وتطورهم، وهي عملية يمكن تسميتها تبعا للتعريف الوارد في الفصل الرابع عملية «التهذيب». هذا التهذيب أو الصقل يمكن أن يهدد في آن «العقد» الذي أبرم بدءا مع شخص ما والقيمة المدركة لشريكه. تقول كريستا مؤرخة ألمانية تبلغ من العمر خمسة وخمسين عاما:

تزوجت من زوجي لمدة ثلاثة عشر عاما. كان زواج حب. كان لدينا طفلان. كان قيما على معرض فني وأحب عمله كثيرا. تحدثنا كثيرا عن الفن والرسم والعمارة. ثم، في لحظة ما، توقف عن تثقيف نفسه. من جهتي، واصلت القراءة والتعلم والاهتمام بأشياء جديدة، لكنه ظل على حاله، ولم يتغير، وحتى يومنا، بعد عشر سنوات من طلاقنا، لم يتغير ولم يطور نفسه.

يفترض «فعل التطور» شكلا من الذاتية يتشرب باستمرار أشياء جديدة

وأشكالا جديدة من المعرفة مدمجة في الكفاءة الثقافية. ولكن هنا تخضع الكفاءة الثقافية لمنطق الجدة والتجديد الذي يحكم الثقافة الاستهلاكية. عندما لا يتملك الأفراد «التهذيب» أو التجديد بنفس الطريقة، فإن هذا يخلق تصدعات في طريقة تقييم الشركاء لبعضهم البعض وتغيير الطابع الفاعل للممارسات الاستهلاكية والأشياء كنقاط التقاء بين ذاتيتين. بمجرد أن يتم صقل الذاتية من خلال ترسيخ أذواق جديدة، يحدث الانسحاب من العلاقة من خلال إدراك عوالم نفسية وعاطفية منفصلة، في حين أن هذه العوالم غالبا ما تكون في واقع الأمر عوالم استهلاكية. لأن موضوعات الاستهلاك تبنين إحساس المرء بذاته وتكشفها مع الزمن، يمكن لهذه الأشياء أيضا تفكيك الطرق التي تتم بها بنينة المشاعر. يعمل الصقل الاستهلاكي كعامل للفصل ويبدو في المقابل أنه أصبح دعامة خارجية وموضوعية لإحساس المرء بالانفصال.

الاستقلالية الذاتية والتعلق: الزواج الصعب

في الفصل الخامس، تناولت بتحليل مستفيض التوتر بين مُثل الاستقلالية الذاتية ومُثُل التعلق. يفسر علماء النفس هذا التوتر على أنه متأصل في النفس البشرية. ومع ذلك، حتى لو كان متجذرا في خاصية كونية للذات، فإن هذا التوتر يتخذ أشكالا متغيرة ثقافيا. بالفعل، في المجتمع الرأسمالي المعاصر، غالبا ما يمأسس التوتر بين الاستقلالية الذاتية والتعلق في الانقسام بين مجال العمل الرأسمالي والأسرة، والتي تتقاطع نفسها مع وتعيد إنتاج تقسيم الهويات الجندرية، على اعتبار أن الاستقلالية ترتبط بالذكورة والتعلق بالأنوثة. في السوق الرأسمالية، يجبَ تأكيد الاستقلالية الذاتية باستمرار؛ يجب على الفرد أن يبدي الاعتماد على ذاته وقدرته على الاستقلال والإبداع والاهتمام المستمر بأهدافه ومصالحه، بغض النظر عن أهداف ومصالح الآخرين. من ناحية أخرى، يتم إضفاء الطابع المؤسسي على التعلق في الأسرة، التي لديها اليوم وظيفة عاطفية بالأساس.

ثمة مثال على هذه الاستقلالية الذكورية يقدمه مقال عن العالم الجديد للرجل

العازب الذي يبحث عن مواعدة النساء: «تعيب عليه صديقاته السابقات أسلوب حياته، والذي كان يقوم بخاصة على مشاهدة الرياضة، وارتياد الحفلات الموسيقية أو الحانات[526].» هذا الرجل، بحسب ما يقول المقال، دائما ما تنتهي علاقته برحيل شريكاته. تقتضي الاستقلالية الذاتية أسلوبا عاطفيا غدا مصدر توتر داخل حياة الأزواج.

مارك مدير تنفيذي أمريكي يبلغ من العمر ثلاثا وستين سنة، ويعمل في شركة إسرائيلية للتكنولوجيا الفائقة:

تطلقنا أنا وزوجتي الأولى لأنها كانت ثنائية القطب. كانت تنتابها نوبات غضب مخيفة حقا. رمتني بأشياء، وصرخت في وجهي مرارا، لقد كانت بذيئة معي ومع الأطفال. كان الطلاق طويلا وشاقا للغاية. استغرق الأمر مني بعض الوقت لفهم ما يجري. بعد ذلك، عندما انفصلنا، أخذت بعض الوقت حتى أرغب في بدء علاقة مرة أخرى. كانت هناك امرأة كنت أعرفها قليلاً أثناء زواجي، كنت واقعا في حبها لكنني لم أجرؤ على فعل أي شيء. كنا من نفس الوسط، لكن لم يحدث شيء منذ فترة. وفجأة بدأنا في الخروج معا ووقعت في حبها بطريقة ما. بسرعة، عرضت عليها العيش معي، وعشنا معا لسبع أو ثمان سنوات ربما. ولكن علاقتنا لم تنجح. [صمت.] في البداية، كانت لطيفة. لكنها كانت تحتاج أن أقول لها أو أظهر لها طوال الوقت بأنني أحبها، لقد شعرت بالإهانة حينما لم أجب على رسائلها بالسرعة الكافية، أو إذا نسيت يوم عيد قبلتنا الأولى، أو إذا كان انتباهي لا يتركز عليها. كانت لديها كل هذه التوقعات ولم يكن لدي أي فكرة عن كيفية تلبيتها. انتهى الأمر بإثارة أعصابي. أعتقد أنني لم أكن أعرف ببساطة كيفية تلبية هذه المتطلبات. أخذت أتحدث إليها أقل فأقل. وأخذت أقضي وقتا

(526) Dan Slater, "A Million First Dates," *The Atlantic*, January–February 2013, https://www.theatlantic.com/magazine/archive/2013/01/a-million-first-dates/309195/?utm:source=promotionalemail&utm:medium=email&utm:campaign=familynewslettereveryone&utm:content=2012004&silverID=MzY5MzUwNzM2Njc2S0 [Accessed 10 May 2018].

أكثر بمفردي، في مكتبي أو مع الأصدقاء. في النهاية، توقفت عن الرغبة في أن أكون معها. وهذا ما كان مخجلا، لأنني أحببتها كثيرا في البداية. في الواقع، كانت تجمعنا علاقة طيبة ربما لمدة ثلاث أو أربع سنوات. لا أعرف لماذا تغير الأمر. لا أعلم ما الذي حدث. إنه أمر غريب حقا حين نفكر في الكيفية التي تغيرت بها هذه الأشياء دون أن نتنبه إلى ذلك؛ ننتقل من شجار أو خيبة أمل إلى أخرى دون أن ننتبه إلى أنها تؤثر علينا، وأن هناك شيئا فينا أقل سعادة أو أقل حياة، لأنه بعد نزر يسير من الزمن نتوقع حدوث خلافات وشجارات. إننا نكون على استعداد لذلك. هل تغيرت؟ هل تغيرتُ؟ في لحظة من اللحظات، لم أستطع تحمل الشعور بإحباطها في كثير من المرات. لم أستطع تلبية احتياجاتها [بعد ذلك]، لكنني لم أر سوى خيبة الأمل والألم في عينيها.

في هذه القصة، يجسد مارك ورفيقته الاختلافات «النموذجية» بين الرجال والنساء: أرادت شريكته علاقة قوية، بينما كان يتطلع هو إلى ذات بمعنى أكثر محدودية، ومختلفة عن تلك الخاصة بشريكته[527]. بينما في عالم العمل، احتج على سلطة الذكور من خلال سياسات التمييز الإيجابي والمساواة في الأجور، اتخذ هذا الاحتجاج في المجال الخاص شكل مساءلة وتشكيك في الاستقلالية الذاتية للذكور في العلاقات. تتحدد الاستقلالية الذاتية بأنها تأكيد للذات تجاه الالتزامات والواجبات الاجتماعية المدركة. يخضع الأسلوب العاطفي القوي لرفيقة مارك لسيناريو الأنطولوجيا العاطفية التي تملي عليها كيف ينبغي أن يكون الشعور الصحيح والتعبير الصحيح عن هذا الشعور. يختبر مارك هذا النموذج من العلاقة كسلسلة من الالتزامات، كعائق أمام ذاته الحقيقية والأصيلة، وكتهديد لاستقلاليته الذاتية. وكما يعرِّفه الفيلسوف مارك بايبر، فإن «الاستقلالية الذاتية، في صيغتها الأكثر عمومية، تحيل إلى خاصية التحكم في الذات وإثبات الذات. الشخص المستقل هو الشخص الذي، بمعنى من المعاني، يحكم نفسه

(527) Carol Gilligan, *In a Different Voice: Psychological Theory and Women's Development* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1982).

بنفسه فعليا وفقا لتصور ذاتي يعكس ذاته الحقيقية والأصلية، وتحيل الأفعال المستقلة إلى حالات فردية لهذا السلوك المستقل[528]». يتطلب المثل الأعلى للاستقلالية الذاتية أن يعيش الشخص حياته تبعا لما يهتم به أكثر[529]. بالنسبة إلى الرجال، تتجلى الكفاءة الاجتماعية من خلال إبداء الاستقلالية الذاتية، فيما بالنسبة إلى النساء، الكفاءة الاجتماعية تمارس من خلال أخلاقيات ومناقب الرعاية، الأظهر في التبادلات العاطفية المكثفة. الاستقلالية الذاتية والتعلق هما مثالان منفصلان بما لا سبيل إلى الوصل بينهما لهوية كلا الجنسين، لأنهما يعبران عن أشكال مختلفة من الكفاءة الاجتماعية.

ثمة حالة مماثلة يعرضها ريتشارد، فيزيائي يعمل في جامعة أمريكية. تزوج ثانية لتوه وهو في سن الخمسين:

- **ريتشارد**: المرة الثانية ليست أسهل من الأولى. كنا نتشاجر في ذلك الوقت وما زلنا نتشاجر اليوم.

- **المستجوبة**: أيمكنك أن تخبرني بخصوص ماذا؟

- **ريتشارد**: حاليا أم قبلا؟

- **المستجوبة**: فيما قبل على سبيل المثال.

- **ريتشارد**: شعرت هي أنني لم أحترم احتياجاتها؛ أنني إذا أردت أو فعلت شيئا مختلفا عما تريده هي، فهذا يعني أنني لا أحترم احتياجاتها. كلما مر الوقت، كلما كان علي احترام احتياجاتها: حينما كانت حبلى؛ لما كانت تعمل؛ عندما كانت عاطلة عن العمل؛ عندما ماتت والدتها. كان مدار كل شيء دائما هي واحتياجاتها. وانتقاداته بأنني لم أفعل ما يكفي أبدا، أو أنني لم أفعل أي شيء كما ينبغي. هذا يدفعني إلى الجنون. شرحت لها أن أمر امتلاكي لاحتياجات مختلفة لا يعني أنني

(528) Mark Piper, "Achieving Autonomy," *Social Theory and Practice* 42, no. 4 (October 2016): 767– 779, esp. 768.

(529) Joel Anderson, "Regimes of Autonomy," *Ethical Theory and Moral Practice* 17, no. 3 (June 2014): 355–368.

لا أحترم احتياجاتها، ولا يمكنني دائما موافقة احتياجاتها. لكنها لم تفهم الأمر بهذا النحو. كان الأمر صعبا جدا بالنسبة إلي، لأنني أحببت أن أكون متزوجا وأن يكون لي أسرة، لكن كان الأمر دائما يتعلق بها وباحتياجاتها. لذلك ضقت ذرعا ورحلت. أعتقد أننا كلينا في سلام من كل هذا اليوم.

إن قرار الرحيل، يعيد تأكيد الاستقلالية الذاتية المهددة لريتشارد. على الرغم من أن العينة ليست تمثيلية، إلا أنه من الأهمية بمكان ملاحظة أن الرجال يفضلون الانسحاب والرحيل على الحديث بصراحة، والانفصال بدلا من الانخراط/ الدخول في مفاوضات عاطفية مطولة، لأن «التحدث بصراحة» - التعبير عن احتياجات الفرد - يرتبط ثقافيا بإظهار الضعف، وتهديد حدود الذات وتخومها، ومن ثم الاستقلالية الذاتية. من المهم هنا أن نسجل أن الاستقلالية الذاتية تقتضي مجموعة من المهارات الاجتماعية وشكل من أشكال الكفاءة الاجتماعية الضرورية للهوية الذكورية. فالاستقلالية الذاتية ليست فقط مجموعة من السمات النفسية، ولكنها أداء للكفاءة والهوية الأخلاقية. فيما يلي مثال على الاختلاف بين هذين الشكلين من الكفاءة الأخلاقية. يروي أرنو الذي ذكر في الفصول السابقة قصة طلاقه كما يلي:

- **أرنو:** طلقت بعد فترة وجيزة من تشخيصي بسرطان البروستاتا في المرحلة الرابعة. لمرة بدت زوجتي شفوقة فعلا. كانت شفوقة للغاية لدرجة أنني شعرت بردة فعل عفوية. لقد كانت، لست أدري، قلقة حيالي بإسراف، بينما في السابق، كنا نتشاجر دائما. فجأة أصبحت لطيفة ورؤوفة، أتعلمين؟ لم أستطع تحمل ذلك. كل هذه الشفقة جعلتني أشعر ببؤس أكبر. أردت فقط أن أبقى وحيدا. لم أستطع تحَمل كل هذا الرثاء. أعني بذلك أنه لم يكن الأمر كما لو كان زواجنا سعيدا من قبل. كانت هناك بالفعل مسافة كبيرة بيننا، لفترة طويلة. لكن السرطان سرّع وتيرة الأمور. بعد ذلك انفصلنا.

من الواضح، في هذه الحالة، أن اعتناء زوجته السابقة - تجسيد لأخلاقيات الرعاية - يهدد إحساسه بالاستقلالية الذاتية، لدرجة أنه يفضل مواجهة مرضه

بمفرده.

الاستقلالية الذاتية والرعاية هما مثالان للذات لا تنفصم عراهما. نعومي، المستشارة والمحللة السياسية الإسرائيلية البالغة من العمر اثنين وخمسين عاما، كانت متزوجة منذ ثمانية عشر عاما. قبل ولادة طفلها البكر، قالت إن كل شيء كان على ما يرام، وحتى على خير ما يرام. ثم وُلد طفلهما الأول، وقد أدركت أن «الأمور لم تعد كما كانت».

- **المستجوبة**: ماذا أدركت؟

- **نعومي**: أنه لم يكن شريكا كاملا. كان يعمل دون توقف. لم يكن معي على الإطلاق لتربية الأطفال أو بناء أسرة. كان لا يعرف سوى العمل. ثم أدركت أنه لم يكن شريكا. وبأني سأكون وحدي لأعتني بكل هذا.

- **المستجوبة**: ستكونين بمفردك.

- **نعومي**: أممم، ليس فقط إحساسا واحدا، كما تعلمين، إنه شعور بالوحدة بالأحرى، والغضب، والحزن، وحتى الخيانة، أجل، خيانة الصداقة. كنا أصدقاء فيما قبل، كنا نفعل كل شيء معا. وعندما لم نكن معا، كنا نشعر أن كل شخص حر في أن يفعل ما يشاء، ولكن مع الأطفال، كان شيئا فُرض علي، وكان عليّ الاعتناء بهم، وقد فعلت ذلك بمفردي. كان حرا في أن يصول ويطول في العالم، وكنت أنا من بقيت في المنزل. لقد اختبرت ذلك مثل خيانة.

تعكس حالة نعومي الكيفيات التي تظهر فيها الحميمية العاطفية كشكل من أشكال الشرعية الأخلاقية لتوجيه العلاقة. تعبر نعومي عن معيارية عاطفية: أرادت أن تشارك زوجها في رعاية الأطفال وتربيتهم، الأمر الذي قوض حاجته إلى الاستقلالية في مجال العمل. في مواجهة الطلبات المتزايدة للشركات، لا سيما فيما يختص بوقت العمل، يطلب زوج نعومي مزيدا من الاستقلالية الذاتية، مما يقلل من توافره واهتمامه. أثر هذا الوضع على وجهة النظر الأخلاقية لنعومي، التي ترى أن علاقتهما كان ينبغي لها أن تكون ذات أولوية. لذلك يدور نزاعهما حول تصورين أخلاقيين للذات، بين الاستقلالية المكتسبة في مكان العمل من

ناحية والرعاية المتحصل عليها في العائلة من ناحية أخرى، والتي بدورها تؤثر على الطريقة التي يحدد بها كل شخص تقدير الذات.

الأنطولوجيات العاطفية والتعاقدات العاطفية غير الملزمة

في الاقتصاد الرأسمالي، تميل الاحتياجات إلى التكاثر. في الواقع، لا يمكن تطوير الرأسمالية الاستهلاكية إلا من خلال توسيع وانتشار الاحتياجات، سواء كانت حقيقية أم كاذبة. جرت العادة أن نفكر في تكاثر هذه الاحتياجات على أنه من طبيعة مادية (مثل شراء معدات تكنولوجية أو سيارة). مع ذلك، كانت إحدى مظاهر الرأسمالية بعد الستينيات من القرن التاسع عشر هي تكاثر الحاجات النفسية / العاطفية. بالنظر إلى الطريقة التي حشر بها الاقتصاد الاستهلاكي نفسه في أصغر كل زاوية وركن من دهاليز الذاتية، فقد تطورت الرأسمالية أيضا من خلال **السلع العاطفية** (ما أسميته بـ «emodities»[(530)])؛ يتعلق الأمر بالخدمات التي يمكن للمرء شراؤها لتغيير وتحسين الجبلة العاطفية. يشجع هذا المظهر من الرأسمالية الرجال والنساء على اعتبار أنفسهم كمجموعة من الصفات العاطفية التي يجب تحسينها. العلاقات هي الوعاء الأساسي للسلع العاطفية، ميدان تستهلك فيه ليس فقط في بدايتها، ولكن أيضا للحفاظ عليها وتحسينها. تتبع العلاقات ما يمكن أن نطلق عليه قوس الاحتياجات، والذي ينحني تدريجيا: ترى الذات الحديثة نفسها على أنها عملية في تطور دائم، وتتطلب تحسينا لذاتها وأداءاتها، وتهدف إلى تحقيق الاحتياجات الشخصية وإشباعها. على العكس من ذلك، تمثل الاحتياجات غير المشبعة أساس مشاعر المسافة العاطفية. «كانت المسَافة الأصلية هي القرب: عدم القدرة على التغلب على العار الذي تمثله الحاجات المدفونة التي لم يعد لها مكان على السطح.[(531)]» وبالتالي، فإن تكاثر

---

(530) Eva Illouz, ed., *Emotions as Commodities: Capitalism, Consumption and Authenticity* (Abingdonon-Thames: Routledge, 2018).

(531) Safran Foer, *Here I Am*, 50.

الاحتياجات في الثقافة الاستهلاكية لا يعني فقط أنها موجودة بكثرة، ولكن أيضا أنها تتطور في كثافتها وتشكل أساس الذات. يترجم تكاثر الاحتياجات بالخطاب والممارسة العلاجية التي توفر التقنيات لصياغة الاحتياجات العاطفية (في المقام الأول) وجعلها موضوعا للتفاوض.

لجأت النساء إلى العلاج لعدد من الأسباب. وباعتبارهن مقدمات رعاية، فقد تم تكليفهن أيضا بتدبير «المشكلات النفسية» في المدرسة، وتقديم الاستشارات الزواجية، وبشكل أعم، في العلاقات الشخصية. التقنيات النفسية هي طرق أخرى لتقديم الرعاية. علاوة على ذلك، نظرا إلى أن النساء يراقبن أنفسهن وعلاقاتهن عن كثب أكثر من الرجال، فإنهن أيضا الزبونات الرئيسيات للعلاجات، وهن يستخدمنها على وجه التحديد كوسيلة لمراقبة أنفسهن من خلال تهذيب وحسين نفسيتهن ومهاراتهن في العلاقات. إلى هنا، يعتبر العلاج ظاهرة اجتماعية متناقضة: فهو يساعد النساء على التحكم في ذاتيتهن من خلال دعوتهن إلى مراقبة أنفسهن والآخرين؛ ولكنه يمنحهن أيضا كفاءة اجتماعية (وجندرية) تُعرّف على أنها القدرة على الانتباه إلى مشاعر الفرد ومشاعر الآخرين، وكذلك تشكيل علائقية معبرة عاطفيا. هذا الاهتمام الذي يولى للمشاعر والعواطف الشخصية والعلائقية في الزواج (أو في علاقة مستقرة) يتعين أن يفهم كمظهر من مظاهر الانقسامات والعلاقات الجندرية.

هذه بيرينيس، المذكورة في الفصل الرابع، تشرح ملابسات طلاقها:

- **بيرينيس:** تسألني عما إذا كان هناك حدث دفعني إلى الطلاق، لكن أعتقد فيما يهمني أنه كان عملية طويلة. لم يكن شيئا واحدا. كان سلسلة من الأشياء. لكن مع ذلك، إذا فكرت في الأمر، كان ثمة شيء خلق مسافة حقيقية بيني وبينه. قبل سنوات عديدة، قبل أن أبدأ العمل في المسرح، كنت أرغب في استئجار مرسم لأقوم بإبداعاتي الفنية. كان يعمل، فيما أنا لا. بقيت في المنزل وربيت الأطفال، لكن عندما بدأوا يشبون عن الطوق، أردت أن يكون لي مرسم حتى أتمكن من إنجاز أعمالي. كان بإمكاننا تحمل ذلك نوعا ما، لكن هذا استدعى بعض

التضحيات، لكنه رفض. قال إنها تكلفة باهظة. صحيح أنه ليس من السهل إعالة أسرة بأكملها براتب واحد. لكن حتى لو أنني تفهمت وجهة نظره، إلا أنني استأت منه. شعرت بالخيانة. كان لدي شعور بأنه لم يحاول حتى معرفة ما إذا كان الأمر سينجح؛ كان هذا المحترف مهما لارتقائي الشخصي وساورني انطباع بأنه لا يأبه للأمر. حتى لو أن هذا لا يمثل تغييرا في مستقبلي المهني، إلا أنني كنت مولعة حقا بالرسم والإبداع الفني. بعد ذلك، أظن أنني لم أعد أحبه كما فعلت في الماضي. لأنه لم يقف إلى جانبي في فعل شيء يهمني حقا.

تحظى حاجة بيرينيس العاطفية بدعم ملموس - مرسم. إنها تدرك نفسها ككيان يحتاج إلى التطور من خلال أذواق جديدة وأنشطة جديدة تخلق احتياجات جديدة، مادية وعاطفية، ما يغير بنود العقد الأولي الذي قام عليه زواجها (كان الزوج هو سند الأسرة، فيما تعتني هي بالمنزل والأطفال). أصبح رفض زوجها استئجار محترف بالنسبة إليها حدثا عاطفيا، نقطة تحول فسرتها في إطار الأنطولوجيا العاطفية، أي مجموعة من الاحتياجات العاطفية التي كان لها وجود حقيقي بالنسبة إليها. ولأن زوجها لم يشارك في تحويل وتطوير رغباتها واحتياجاتها وأذواقها، فقد تم التشكيك في علاقتهما وقيمت من خلال منظور عواطف جديدة أثارها رفضه.

ينتج تهذيب الإرادة من قوتين ثقافيتين كانت فيهما النساء مطلوبات ونشيطات بشكل خاص: الاستهلاك والعلاج (العلاج هو بلا شك سلعة عاطفية غير مادية). تتلاقى الديناميكيات الداخلية للثقافة الاستهلاكية وديناميكيات العلاج في إرغام الشخص - وخاصة النساء - على التركيز على إرادتهم ورغبتهم، وتحويل ذواتهم إلى مجموعة محددة بوضوح متزايد من التفضيلات، والتي تعبر عن الذات العاطفية الداخلية، والتي لا سبيل إلى التوفيق بينها. وهكذا، فإن الحياة المشتركة، بدلا من أن تكون تجربة لتدفق المشاعر المشتركة، تتحول إلى تفاوض بشأن إرادات متباينة، لها احتياجات ورغبات مختلفة. كما يقول ذلك مرة أخرى راوي سافران فوير: «كانت حياة عائلة جوليا وجاكوب أشبه بسيرورة، مفاوضات لا تنتهي،

وتعديلات طفيفة[532].»

كانت التقنيات العلاجية التي توفرها مدارس علم النفس المختلفة الأدوات الثقافية الرئيسية المستخدمة لتشكيل هذه المفاوضات والتعديلات. كان للعلاج ثلاثة تأثيرات على الحميمية. التأثير الأول، والأهم بلا ريب، هو رفع مستوى الوعي وعتبات تقدير الذات، ما جعل من الغضب رد فعل شرعي عندما يتعرض تقدير الذات للتهديد، وتقديم تقنيات لحمايته في التفاعلات العاطفية (تأكيد الذات أو التخلص من القلق أو حب الذات). تحت تأثير علماء النفس، شهد الزواج تحولا كبيرا بشأن شرعية التعبير عن الغضب. كما يؤكد ذلك كل من فرانشيسكا كانسيان وستيفن غوردون، طوال القرن العشرين، سارت معايير الحب كتحقيق للذات والتعبير عن الغضب في الزواج جنبا إلى جنب، لذلك كان من المفارقات أن تكون التوقعات الاجتماعية المتزايدة بشأن الحب مصحوبة بزيادة في تعبيرات الغضب[533]. التأثير الثاني هو أن المرضى الذين يتابعون العلاج يصبحون واعين بمشاعرهم، سواء كانت مكبوتة أو صريحة، وفقا لعملية توسيم («كنت غاضبا من زوجي لفترة طويلة ولكني لم أكن أدرك ذلك»). بمجرد توضيحها وإبرازها في وعينا، تصبح العواطف والمشاعر موضوع دعاوى ومفاوضات بينشخصية («إيجاد وسائل لتهدئة الغضب»).

تتحدث هيلينا، وهي معالجة تبلغ من العمر ثلاثة وستين عاما وتعيش في بوسطن، عن التباعد العاطفي مع زوجها وعن أزمتها الزوجية:

أعتقد أنني بدأت أشعر به [التباعد العاطفي] بعد أن بدأت علاجا جديدا. لقد قمت بالفعل بالكثير من العلاجات. لكن هذا كان ناجعا بشكل كبير. فأنا الآن أكثر وعيا بمن أنا، كما لو أن كل شيء حاولت كبته طوال تلك السنوات قد كشف

(532) Ibid., 60.

(533) Francesca M. Cancian and Steven L. Gordon, "Changing Emotion Norms in Marriage: Love and Anger in US Women's Magazines since 1900," *Gender & Society* 2, no. 3 (1988): 308–342.

عنه النقاب الآن. يساعدني هذا العلاج على أن أكون أقل اكتئابا ولكنني أشعر أيضا بالغضب أكثر. لأنني بدأت أشعر أيضا بكل الاحتياجات التي كانت لي والتي لم تتم تلبيتها.

تردد هيلينا صدى دانييلا، مهندسة طبية إسرائيلية تبلغ من العمر تسعا وأربعين سنة:

كان يساورني دائما شعور بأنه ليس معي، وبأنه لا يدعمني ولا يرى العالم كما أراه أنا، وهو عامة لا يقف في صفي. لكن زواجنا كان يسير على ما يرام. أعني أنه كان لدينا عائلة وأصدقاء؛ سافرنا معا. كل شيء كان ناجحا. لكن في لحظة ما أردت الذهاب إلى العلاج، ربما قبل خمس أو ست سنوات، لأنني كنت أعاني من نوبات القلق، لذلك ذهبت إلى العلاج، وشيئا فشيئا فهمت أن علاقتي معه كانت في جزء كبير منها مصدر قلقي، وبأني في الواقع لم أشعر بدعمه. ظاهريا، واصلت القيام بالأشياء كما كان من قبل. لكنني تغيرت. لم أستطع ببساطة تقبل عدم دعمي بالطريقة التي أريدها. وفي وقت من الأوقات، اتخذت قراري، لا أعرف متى بالضبط، ربما عندما سافرت ابنتي إلى سويسرا لتتعلم الطبخ، اتخذت قرار الرحيل. لأنني شعرت أن هذه العلاقة كانت أكبر من أن أتحملها.

العلاج هنا له تأثير مباشر يتمثل في إبراز الاحتياجات والمشاعر «المكبوتة» إلى السطح؛ إنه يمنحنا ذلك بتوسيم وإطار لدمج تلك المشاعر في سرد يكشف، بشكل ارتجاعي، عن صعوبات الزواج. يرسخ ويفضل العلاج السرد ويحول العلاقة القائمة على العمليات العاطفية غير الانعكاسية إلى علاقة انعكاسية وواعية، مما يوفر للذات ترسيخا عاطفيا داخليا يصبح واعيا، ولفظيا، ومعبرا عنه فيَ الجلسات العلاجية. يسمح العلاج بالدخول في سيرورة تهذيب الذات ومشاعرها، ما يجعل النساء أكثر وعيا باحتياجاتهن وقيمتهن. وكما تقول عالمة اجتماع الأسرة أورلي بنيامين: «لقد شكلت الحركة النسائية، ولا سيما أصداءها في المهن العلاجية، منعطفا حاسما [...]: الإرشاد النفسي للفرد والأسرة والزوجين

أخذ في دعم تأكيد الذات، والتحلل من الممارسات الممتعة والتنمية الذاتية[534].»

نتيجة للعلاج، طورت كل من هيلينا ودانييلا عتبات جديدة من تقدير الذات، والتي شككت في القواعد الضمنية غير المعلنة في زواجهما. الهدف من العلاج يتمثل في تقوية الذات في المقام الأول، وفي هذا الصدد فهو (أي العلاج) يشجع ما أسميه رؤية الكرامة المفرطة للذات. إن رؤية الكرامة المفرطة للذات تولد استراتيجيات دفاعية لأنها تشجع على الاهتمام المستمر بالجراح التي عاشتها الذات. لضرب مثال أوضح عن هذه السيرورة، هذا ما تقوله دانا، وهي إسرائيلية تبلغ من العمر ستة وأربعين عاما وهي حاليا تحضر لرسالة الدكتوراه:

- **المستجوبة:** هل لك أن تخبريني لماذا تطلقت؟

- **دانا:** لم أكن سعيدة. لسنوات طويلة لم أكن سعيدة. بدأنا العلاج. لم يكن من السهل جره إلى هناك، لكن في النهاية ذهبنا على أية حال. لقد ساعدنا ذلك قليلا، لكنني ما ظللت أشعر بالحزن، لذلك قررت متابعة العلاج. استمر لمدة ست سنوات، وقد غيرني هذا العلاج وغير إدراكي للزواج. جعلني أدرك الكثير من الأشياء.

- **المستجوبة:** كيف ذلك؟ هل يمكنك أن تخبريني فيم غيرك ذلك؟

- **دانا:** بالطبع. أعتقد أنني لا أملك فكرة واضحة عمن أكون. لقد اعتمدت كثيرا على زوجي في جميع القرارات المتعلقة بالحياة اليومية. لكن هذا لا يعني أنني لا أملك رأيا. بل لدي. لكنني كنت أخشى أن أقولها بصوت جهير. كنت خائفة من الشجار، لذلك تركته يفعل ما يريد. كان يقرر في كل شيء. جعلني المعالج الخاص بي أدرك أنه لا بأس من أن يكون لديك آراء واحتياجات شخصية، ولكن عندما بدأت في التعبير عنها بصوت عال، وجدت أنه ليس في مقدوره أن يسمعها، وكان علي أن أبقى كما كنت دائما المرأة الصامتة التي لا تنبس ببنت شفة. لذلك أفترض أنه عندما تغيرت، عندما رأيت أنه لا يستطيع تحمل «أناي» الجديدة، وبأنه

(534) Orly Benjamin, "Therapeutic Discourse, Power and Change: Emotion and Negotiation in Marital Conversations," *Sociology* 32, no. 4 (1998): 771–793, esp. 772.

يريد مني أن أبقى سلبية وبكماء، بدأت هجرة داخلية، بطريقة ما توقفت عن التفاعل بأي طريقة ذات مغزى وهادفة. لا أستطيع أن أخبرك متى أو كيف حدث ذلك. لكن الأمر حدث. أعتقد أنني كنت أغلي في الداخل. يمكنني أن أحبه عندما كنت أخشى أن أكون أنا نفسي؛ لكن عندما توقف خوفي، فقد الحب الذي كنت أكنه له محتواه.

هنا، يؤدي العلاج إلى تكوين ذات جديدة تتوافق مع الرؤى النسوية للهوية. تتحقق هذه الهوية الجديدة أيضا من خلال أنطولوجيا عاطفية - الوعي بالمشاعر اللاواعية مثل الخوف - الذي يغير بدوره إطار العلاقة، ويرفع عتبة تقديرها لذاتها ويزودها بالأدوات الحاسمة لإعادة تقييم زواجها. اكتسبت هذه المرأة إحساسا بالانفصال بتطوير إرادتها واحتياجاتها، التي بمجرد ما تغدو موضوعية تستلزم ضرورة «احترامها». عمل إعادة التعريف العاطفي هذا يغير الإرادة بشكل جوهري؛ وهذا ما يوضح كيف أن طرق تهذيب الإرادة، التي تقع في قلب السوق، يقوض العقد الأولي للعلاقة.

الكفاءة العاطفية ومكانة المرأة في السيرورة العلائقية

الجنسانية، ملكة الاختيار والخيارات البديلة، وتهذيب الإرادة من خلال الأذواق الاستهلاكية والعلاج، والصراع بين الاستقلالية الذاتية والتعلق، والحاجة القوية لحماية الإحساس بتقدير الذات من خلال طرف ثالث - كل هذا يولد ديناميكية اللاحب في العلاقات المستقرة والمأسسة عن طريق خلق لايقينيات جديدة. الجنسانية، التقييم بوساطة أذواق المستهلك، الصراع بين التَعلق والاستقلالية الذاتية، والحاجة إلى حماية تقدير المرء لذاته، يتوسطها ما أسميته في هذا الفصل بـ «الأنطولوجيات العاطفية». النساء أكثر ميلا إلى اللجوء إلى الأنطولوجيات العاطفية لتقييم العلاقات ونقدها لأن هذه الأنطولوجيات هي أشكال من الكفاءة الاجتماعية التي تقع في صميم أخلاقيات الرعاية. من المؤكد أن الأدوار والهويات الجندرية تخلق مواقع مختلفة في المجالات الجنسية

والعاطفية، تنعكس في الزواج. تعكس هذه المواقع بدورها الوضع المزدوج للنساء في المجتمع الرأسمالي: من حيث إنهن فاعلات جنسيات يقيمن ويستهلكن من قبل النظرة الذكورية من جهة ومن حيث إنهن مقدمات رعاية مسؤولات عن المجال العاطفي من جهة أخرى. النساء فواعل عاطفية وفواعل جنسية. إنهن يتأرجحن بين هذين القطبين أو يستخدمن هذين الموقعين كليهما في علاقاتهن مع الرجال.

على الرغم من أن عينتي من الأشخاص المطلقين ليست كافية للخروج ببعض التعميمات، إلا أنه من الأهمية ملاحظة أن النساء المطلقات هن أقل احتمالية من الرجال لاستدعاء سرود الكشف، وأكثر احتمالا إلى استدعاء سرود التجارب المتراكمة أو الصدمات، وكلاهما منغمر بشكل واضح في الزمنية، إنهما يتطوران ويترعرعان في العادة في الزمن، ويستند كلاهما إلى «الأسباب». تميل هذه الأسباب بدورها إلى أن تكون متجذرة في أنطولوجيا عاطفية، أي في الطريقة التي استشعرت بها. وهذا يتماشى مع البحث عن الطلاق المذكورة في بداية هذا الفصل.

تستخدم النساء الأنطولوجيا العاطفية بطرق عدة: إنهن يولين انتباها شديدا وخاصا إلى ما يشعرن به من عواطف ومشاعر في التفاعل؛ إنهن يتنبهن إلى مشاعر الآخرين في ذلك التفاعل؛ إنهن يطلقن أسماء على الحالات المزاجية العابرة والمتقلبة؛ إنهن يقدمن معايير التوقعات العاطفية؛ إنهن يحلن إلى الاحتياجات العاطفية؛ إنهم يتمسكن بنموذج مكتوب على شكل سيناريو من الحميمية؛ وأخيرا، فإنهن يملن إلى إعادة توجيه ومراقبة والتحكم في كثافة وتعبير المشاعر في التفاعل، وهو ما أطلقت عليه آرلي هوكسشيلد «العمل العاطفي»[535]. وهكذا تصبح الأنطولوجيا العاطفية أساسا لحشد مطالبات، وإبراز شكل خاص من الكفاءة، وصياغة التوقعات، وتوفير سيناريوهات اجتماعية للتفاعلات. بمجرد تسمية العواطف، ومراقبتها، واستخدامها في النماذج والمثل الثقافية، فإنها تنزع إلى

(535) Arlie Hochschild, *The Managed Heart: Commercialization of Human Feeling* (Berkeley: University of California Press, 1983).

أن تصبح «حقائق راسخة» وكيانات لا جدال فيها. هذا صحيح بشكل خاص لأن الأطر النفسية تميل إلى تقديم سرديات ذاتية وأهداف ذاتية توفر إطارا وبنية للمشاعر والعواطف.

وهكذا، تختبر النساء عواطفهن ومشاعرهن في غمرة الواقع والهوية الذاتية والكفاءة الاجتماعية. وهذان مثالان لامرأتين تنتميان إلى جيلين مختلفين، لكن تبدوان متقاربتين بشكل غريب في طريقتهما في استدعاء الأنطولوجيا العاطفية. إيفلين طالبة جامعية فرنسية عمرها واحد وثلاثون عاما انفصلت عن رفيقها الذي كانت معه لمدة ثماني سنوات:

لماذا انفصلنا؟ ليس لأن عيبا ما شابه. كان رجلا رائعا. الجميع يحبه، في الواقع. ترغب فيه كل النساء. لا عجب أنه اليوم مع أعز صديقة لي. إنها تناسبه تماما. لكنني وجدت أنه لم يفهمني بما يكفي. كان يحبني ومعجبا بي. لكنه لم يستطع رؤيتي. لقد اعتبرني امرأة غامضة ومعقدة، وعندما لم يفهم أحد ردود فعلي، كان يقول: «أنتِ مثيرة جدا للاهتمام». لكن ليس هذا ما أردته منه. كنت بحاجة إليه لأفهم من أنا. لم أكن أريد أن أكون امرأة مبهمة وغامضة. أردت أن أفهم فحسب.

إيفلين تردد صدى هيلينا، وهي أمريكية تبلغ من العمر ثلاثة وستين عاما، وقد سبق لي أن ذكرتها من قبل. عندما وصفت هيلينا نفسها قائلة «في أزمة زوجية بعد خمسة وثلاثين عاما من الزواج»، سألتها عن السبب:

- **هيلينا**: توماس [زوجها] يحبني. يحبني على طريقته. بل إنني أظن أنه يحبني كثيرا. لكنني لم ألمس أبدا أنه يهتم بي حقا أو يراني على سجيتي.

- **المستجوبة**: هل يمكنك أن تضربي مثالا؟

- **هيلينا**: منذ عدة سنوات، ربما قبل عشرين عاما، ألقيت خطابا أمام الجمهور، وبعد الخطاب لم يتوقف عن إبداء ملاحظاته على خطأ بسيط ارتكبته بشأن تاريخ حدث ما. أعتقد أنني أخطأت بخمس سنوات أو شيء من هذا القبيل. لم ينبس بكلمة واحدة عن خطابي. لقد تحدث إلي عن هذا الخطأ فحسب. وهذا، كما ترين، ظل عالقا في ذاكرتي. أو عندما كنت أشتري ملابس جديدة، كان يسألني على

الفور: «كم كلف ذلك؟» أو حين يقتني لي هدية تافهة القيمة في عيد ميلادي، مثل أشياء لم أكن بحاجة إليها أو لا تعجبني. أشعر أنه لا يبصرني. لا يعرف ذوقي. إنه لا يعرف كيف يلبي أعمق احتياجاتي.

تكشف كل من إيفلين وهيلينا عن أنطولوجيا عاطفية بينة جلية، وإدراك لاحتياجاتهما العاطفية وتوجيه لها، والتي تترجم بالحاجة إلى «أن تكونا منظورتين» بطريقة معينة، وأن تفهما وأن أن يقر لهما بذاتيهما. تربض هذه الاحتياجات بلا شك في أعمق طبقات الذاتية، وهي متغيرة ويصعب على الآخرين الوصول إليها. لا يمكن الاستجابة لها إلا بعد عمل مسهب ومستفيض من التعبير اللفظي والتفاوض. تنبع هذه الاحتياجات من أخلاقيات الرعاية، ومن ثم فهي تتمتع بالصفة الآمرة للمطالب الأخلاقية.

انتقد بعض الفلاسفة النسويين أخلاقيات الرعاية على أساس أنها فشلت في غرس الاستقلالية الذاتية في أذهان النساء، أي أنها لم تنجح في أن تغرس فيهن الاقتدار على متابعة أهدافهن والتصرف في حدود إحساسهن بالكرامة. ولكن عندما تستند إلى أنطولوجيا عاطفية، فإن أخلاقيات الرعاية تنتج تأثيرا عكسيا. أخلاقيات الرعاية المدمجة مع التقنيات العلاجية المتمثلة في معرفة الذات وتدبير الذات، تحتوي بل ترفع من الكرامة والأصالة من خلال إحساس بالكفاءة العاطفية، وتنتهي من ثم بتنمية إحساس النساء بالذات والاستقلالية. إن تأمين إحساس بتقدير الذات من خلال العواطف والانفعالات قد غدا أمرا حيويا لكيفية تقديم النساء لذواتهن وتدبيرها في العلاقات. هذا أمر أثبت وتأكد في البحث الكمي:

إن واقع «عدم الشعور بالحب» كان شكوى عبرت عنها مرارا وتكرارا النساء في كلتا الدراستين (67 ٪ من النساء في دراسة الطلاق في كاليفورنيا و75 ٪ من النساء في استطلاع م.و.ط [مشروع الوساطة في الطلاق]). يبدو أن الشعور بالازدراء والحط من القيمة من جانب الزوج قد ازداد خلال الخمسة عشر عاما الماضية. في حين أن ثلث النساء في دراسة الطلاق في كاليفورنيا ذكرن هذه

الشكوى، صرحت 59 ٪ من النساء في م.و.ط أنهن شعرن بالاستهانة بهن من جانب أزواجهن[536].

من أهم المستجدات في الحب الرومانسي في الحداثة أنه مجند الآن ليحمي تقدير الأفراد لذواتهم. ومن ثم فإن الدفاع عن تقدير الذات يخلق معياريته العاطفية الخاصة به، أي نقطة مرجعية داخلية يتم من خلالها تقييم العلاقة والتفاعل العاطفي. تقود الذوات النفسية العلاقة وتديرها من داخل النواة الخاصة من ذاته - كيف يتمكن الفرد من اختبار مشاعره - ومن مجموعة من المعايير فوق العاطفية، المعايير المتعلقة بالعواطف (على سبيل المثال، «ليس من الصائب أن تجعلني أشعر بالذنب»؛ «إذا لم أشعر بالسعادة معك، فمن الأفضل أن أرحل»). ولسخرية القدر، فهذا أيضا السبب في أن النزاعات العاطفية غالبا ما تكون غير قابلة للحل. فالأفراد، وخاصة النساء، يطورون معياريتهم العاطفية الخاصة، المكتسبة من خلال العلاج وثقافة المساعدة الذاتية. تصبح هذه المشاعر الفردية هي الأساس الذي تقود من خلاله النساء تفاعلاتهن، وتقييم مدى ملاءمة تلك التفاعلات مع عواطفهن أم لا، وأحيانا يستبعدنها لذات الأسباب.

إذا كنت قد تساءلت عن دور الجسد والجنسانية كوسيلتين لترسيخ العلاقات وبدئها وتقييمها، فإن العواطف ليست أرضا أقل ثباتا لمراقبة العلاقات. كما عبر عن ذلك الفيلسوف هاري فرانكفورت: «الوقائع التي تهمنا شخصيا ليست صلبة بشكل خاص ولا مقاومة لهجمات الشك التفكيكية. يعلم الجميع أن طبيعتنا الهشة بشكل يدق عن الإدراك، أقل استقرارا وأقل ترسخا من طبيعة الأشياء الأخرى.[537]» لا تعترف الأنطولوجيات العاطفية بصعوبة تأسيس العلاقات على لامادية العواطف. غالبا ما تظل المشاعر ضمنية في التفاعلات لأن مثل هذه التفاعلات، عندما تبقى بلا اسم، فهذا يجعلها تتدفق وتتحرك بسلاسة. من

---

(536) Lynn Gigy and Joan B. Kelly,"Reasons for Divorce," 184.

(537) Harry G. Frankfurt, *On Bullshit* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2009), 66–67.

المرجح أن العناية بالعواطف تجعل التفاعلات أكثر وعيا بذاتها[538]، مما يسمح لنا بالتركيز على أحد أبعاد التفاعل واستبعاد البُعد الآخر. لذلك فإن تسمية المشاعر والعواطف هي فعل ثقافي يحول هذه المشاعر والعواطف إلى حقائق وأحداث شبه راسخة، والتي يجب أن تتم مجددا لتأسيس علاقة. ما يسميه ويليام ريدي العاطفي (emotive) - التعبير عن أشكال العواطف يشكل ويغير التفاعل الذي يتم فيه التعبير عن العاطفة - ثابت في الخطاب حيث يكون للمطالب العاطفية أساسها الخاص وشرعيتها وصلاحيتها. فقول: «شعرت بالسوء لأنك لا تهتم بي» أو «لا أشعر بالحب بالطريقة التي أريدها» يحول المشاعر إلى أحداث و/ أو حقائق تحتاج إلى الاعتراف بها ومناقشتها ومبادلتها، مما يدفع النفس إلى تغيير أكثر عاداتها اللاواعية.

يتحدث الخبير المالي الفرنسي كريستيان والتر عن «نظرية كوانتية للاحتياجات»: فالاحتياجات غير معروفة قبل القرار، فهي تظل متناقضة، وبالتالي ميالة إلى عدم التحدد. ففي رؤيته، فإن القرار أو الاختيار هو الذي يكشف غالبا حقا للذات تفضيلاتها الخاصة. تقترح هذه النظرية رؤية مختلفة للاختيار واتخاذ القرار، ليس كمكون لا مفر منه من الذات والنفس، ولكن كخاصية تنبثق من تفاعل، وكعملية دينامية تقوم خلالها الذات بتشكيل تفضيلاتها واكتشافها وفي نفس الوقت صياغتها. هذه صرخة بعيدة من الذات العقلانية للاقتصاد أو الرؤية السيكولوجية القائلة إن الذات تكتشف احتياجاتها وتفضيلاتها، والتي يتم المصادقة عليها من خلال واقعة الإحساس بها واختبارها ببساطة. في الواقع، يزعم والتر، أن الالتزام هو ما يجعل الشخص يكتشف تفضيلا معينا لم يكن يعلم أنه يمتلكه. وبالمثل، يمكننا أن نفترض أن الاحتياجات ليست ثابتة، بل تنبثق من الأنطولوجيات العاطفية - الخطابات السيكولوجية

(538) Keith Payne "Conscious or What? Relationship between Implicit Bias and Conscious Experiences," *(Un)Consciousness: A Functional Perspective* (August 25–27, 2015), Israel Institute for Advanced Studies, The Hebrew University of Jerusalem.

والسرديات.

***

ولعل الدعوى الأهم في هذا الفصل أن اللاحب الذي يسبق الطلاق ويسببه ينتج عن نفس القوى الاجتماعية التي تشكل العلاقات السلبية غير الملتزمة. توجه هذه القوى الاجتماعية الأفراد نحو الأقطاب المغناطيسية المقلوبة التي تجعلهم يتنافرون بدلا من أن جمع شملهم.

تشير جميع الموضوعات التي المستحضرة أعلاه إلى أن ما نسميه «اللاحب» ناتج إلى حد كبير من الطرق التي تتموضع بها الذات في المجتمعات الرأسمالية، ما يجعل الذات تكافح لتأكيد جدارتها بمفردها. تتحقق الجدارة والقيمة في أربعة مجالات متمايزة: من خلال الجنسنة، من خلال الأشياء وممارسات الاستهلاك، من خلال القدرة على تأكيد استقلالية الفرد عن طريق إنهاء العلاقة، ومن خلال الأنطولوجيات العاطفية. الجدارة أو القيمة إذن هي الشيء الذي يجد نفسه باستمرار موضع تساؤل وتشكيك بالطرق التي يتجلى بها الحب في البيئات المحلية. ولكنه أيضا ما يحدث بشكل إلزامي ومستمر في بداية العلاقة ونهايتها معا، مما يجعل تقدير الذات يكتسب بشكل متزايد بنية محصلتها صفر. ثم تختبر الذات نفسها في تبعيتها الشديدة إلى الآخر في كل ما يتعلق بالجنسانية والرغبة والهوية الاستهلاكية واليقين العاطفي – ما يجعل الذات من ثم تختبر الحميمية والزواج بالنسبة على أنه مجموعة من القيود التي تثقل كاهل حريتها. والعاقبة المدهشة لكل هذا هي أن الطلاق يصبح في النهاية سبيلا آخر نحو الحرية. وبالتالي، فإن إحدى أكثر التجارب المؤلمة في حياة معظم الناس تصبح في النهاية طريقة أخَرى لاختبار الحرية. على سبيل المثال، إليكم كيف تعلق إحدى الصحفيات على ما أدلت به الكاتبة نيكول كراوس من شهادات حول طلاقها من جوناثان سافران فوير:

كان أحد أكبر اهتمامات كراوس منذ أن بدأت روايتها الغابة المعتمة ذا صلة بمسألة الحرية، والتي تغير فهمها لها بشكل جذري بالنسبة إليها على مدار

السنوات الأربع الماضية. كانت اللحظة التي أدركت فيها أنها قادرة على الحصول على الطلاق، كما تقول، «اللحظة التي أدركت فيها أنه إذا أُتيح لي الاختيار بين تعليم أطفالي شيئين اثنين – أولهما أنه من المهم التمسك بالتزام التزمنا به بدلا من إيذاء شخص آخر؛ والثاني، منحهم مثالا/ قدوة على الحياة التي تتجه باستمرار نحو حريتها وسعادتها، وإحساسا قويا بذواتنا – لم يطرح أي سؤال. بديهي أنه كان الخيار الثاني. من الواضح أن هذا ما أردت أبينه لهم»[539].

في هذه الحالة، لم يعد الطلاق هو التجربة المؤلمة التي تفطر قلوب كثير من الناس، بل العلامة الجذابة للحرية، تلك الحرية المصاغة بعناية من أجلنا من قبل مؤسسات الحداثة التكنولوجية والعلاجية والاستهلاكية. قد نتساءل عما إذا كانت تلك الحرية سطحية وخادعة.

(539) Keziah Weir, "Nicole Krauss Talks Divorce, Freedom, and New Beginnings," *Elle*, October 2017, https://www.elle.com/culture/books/a12119575/nicole-krauss-profile-october-2017/.

خاتمة

العلاقات السلبية وسياسة أثر الفراشة المطبقة على الجنس

لا يحب الناس أن نفسر أشياء يرغبون في تركها «مطلقة». أما أنا، فأجد أن من الأفضل معرفتها. من الغريب جدا أننا لا نكاد نتحمل الواقعية. فعلم الاجتماع، في جوهره، وثيق القربى إلى مما نسميه بالحكمة. إنه يعلمنا الحذر من الخداع والتضليل. أفضل أن أتخلص من السحر الزائف حتى أتمكن من أن أندهش من «المعجزات» الحقيقية. علما أنها ليست ذات قيمة إلا لأنها واهية لا تستند على أساس مكين.

بيير بورديو(540)

علي أن أذكرك بكل الأحزان، وكل الأشجان والمناحات: فلا علاج إلا باللين وإنما بالكي والبتر.

سينيكا(541)

(540) Entretien avec Catherine Portevin et Jean-Philippe Pisanias, "Pierre Bourdieu- Les aventuriers d l'île enchantée," *Télérama* n°2536,19/08/98. http://www.hommemoderne.org/societe/socio/bourdieu/Btele985.html (Retrieved 27 May 2018).

(541) Seneca, *Letter to Helvia* (around the year 49 CE), *On the Shortness of Life* (*Translated by C. D. N Costa)*, 1997, Penguin Book, p. 35.

في رواية **استسلام** (2015) المثيرة للجدل يصف ميشيل ويلبيك اللحظة التي ستنتخب فيها فرنسا في مستقبل قريب رئيسا إسلاميا ذي وجه شاب وودود. ويبالغ في تصوير هذا التحول الجماعي باعتباره إذعانا أخلاقيا من قبل فرانسوا، وهو أكاديمي متخصص في أدب القرن التاسع عشر. على امتداد صفحات الرواية، يواجه فرانسوا خيار اعتناق الإسلام أو الحفاظ على هويته اللائكية كفرنسي كئيب ونزوي يلهث وراء اللذات. الخيار الأول سيؤمن له المال والترقي المهني والوصول إلى العديد من النساء، وجعلهن في خدمته الجنسية والمنزلية في الإطار الشرعي لتعدد الزوجات. الخيار الثاني يعني أن يحيا حياة تتخللها مغامرات جنسية عابرة ومطبوعة بملل وجودي دائم. في النهاية، «يذعن» فرنسوا (يعتنق الإسلام)، والأمل بالخدمات المنزلية والجنسية التي ستوفرها له امرأة طيعة خاضعة هو الذي يقنعه في خاتمة المطاف ويدفعه إلى «الاستسلام». تردد هذه الرواية شواغل ويلبيك في روايتين أخريين وتسدل الستار عليها، وهما **توسيع دائرة الصراع** (1994) **والجسيمات الأولية** (1998). الأولى هي قصة رجل («بطلنا») راودته فكرة الانتحار، بسبب الفشل في أداء دوره كما يجب في سوق جنسي تحكمه التنافسية الشديدة. تصف الرواية الثانية البحث المحموم عن الأصالة من خلال الجنس المطابق لروح ما بعد ماي 1968، ما أفضى إلى فراغ ميتافيزيقي جديد. وتنتهي الرواية برؤيا تتنبأ بإنسانية متحررة من بؤس الجنسانية بفضل الاستنساخ. ما تشترك فيه هذه الروايات الثلاث هي مقاربتها للجنسانية التي، من حيث مركزيتها في مجتمعاتنا المعاصرة، فهي مصدر تشوش وجودي، وفي نهاية المطاف سبب استياء سياسي وتغيير حضاري. بالطريقة نفسها التي استقصى بها هنري جيمس أو بلزاك أو زولا في رواياتهم الانتقال من تراتبية هرمية وكوسموس ما قبل حداثيين إلى مجتمع يحكمه السوق والمال، يعالج الروائي ويلبيك نشأة مجتمع تحكمه الحرية الجنسية: الاستهلاك والعلاقات الاجتماعية والسياسة تتشرب كلها، بوجه من الوجوه، بالجنسانية التي تزعزع المواضعات الاجتماعية «الكلاسيكية». بل أكثر من ذلك، إن مستقبل (ونهاية) الحضارة

الغربية، في عالم ويلبيك الخيالي، مرهون برفع القيود عن الجنسانية.

***

قد تبدو الجنسانية العرضية وجنسنة العلاقات أمرا ثانويا قياسا إلى مشاكل المجتمع الكبرى (يبدو أن ما يسمى بالمشاكل «الاقتصادية» أو «السياسية» هي وحدها التي تعتبر «مهمة»)؛ ومع ذلك فهي تلعب دورا أساسيا في الاقتصاد والديموغرافيا والسياسة وهوية سائر المجتمعات، والمجتمعات المعاصرة على وجه الخصوص. هذا لأنه، كما أكد الفلاسفة الظاهراتيون والنسويات منذ ردح طويل من الزمن، فإن الجسد هو بعد أساسي من الوجود (الاجتماعي)[542]. أحسنت سيمون دو بوفوار تلخيص ذلك في نفس هذا المنحى الظاهراتي (الفينومينولوجي):

لم يلق بجسدنا في العالم لأول وهلة كما تلقى شجرة أو حجرة؛ إنه يسكن العالم، إنه طريقتنا العامة ليكون لنا عالم؛ إنه يعبر عن وجودنا، ما يعني أنه مرافق خارجي له، ولكنه يتحقق فيه[543].

الجسد هو المكان الذي يتحقق فيه الوجود الاجتماعي. فواقع أن الجسد المجنسن أصبح مكونا أساسيا في الرأسمالية الاستهلاكية، والحميمية، والزواج

(542) انظر بصدد هذا:
George Lakoff and Mark Johnson, *Philosophy in the Flesh: The Embodied Mind and Its Challenge to Western Thought* (New York: Basic Books, 1999); Janet Price and Margr Shildrick, eds. *Feminist Theory and the Body: A Reader* (Abingdon-on-Thames: Routledge, 2017 Hilary Putnam, *The Threefold Cord: Mind, Body and World* (New York: Columbia University Press 2000); Susan Wendell, *The Rejected Body: Feminist Philosophical Reflections on Disabilit* (Abingdon-on-Thames: Routledge, 2013); Richard M. Zaner, *The Context of Self: A Phenomenological Inquiry Using Medicine as a Clue* (Athens: Ohio University Press, 1981).

(543) imone de Beauvoir, *La phénoménologie de la perception* de Maurice Merleau-Ponty, Paris: Le temps modernes 1, no. 2 : 363–67 ("A Review of *The Phenomenology of Perception* by Mauric Merleau-Ponty," trans. Marybeth Timmermann in *Simone de Beauvoir: Philosophical Writings*, ed M. A. Simons (Champaign: University of Illinois Press, 2004), 161.

(ولسخرية الأقدار) في العلاقات الجنسية نفسها، لهو أمر يستحق كل الاهتمام من جانب علماء الاجتماع والاقتصاديين والفلاسفة والسياسيين. نقتفي هنا المسار الذي رسمته كاثرين ماكينون (Catherine MacKinnon) وفكرتها عن «سياسة تأثير الفراشة»: أي أن التغيرات الميكروسكوبية يمكن أن يكون لها تأثيرات كبيرة. إن هذه الفكرة، المستوحاة من نظرية الفوضى، تنطلق من مبدأ أن رفرفة أجنحة الفراشة في مكان ما من الأرض يمكن أن تتسبب، في أصقاع أخرى منها، في حدوث أعاصير جارفة بعد بضعة أسابيع (معروفة بتأثير الفراشة)[544]. بطريقة ما، تطبق كاثرين ماكينون تأثير الفراشة على الجنس: لحظات خاطفة على ما يبدو وظواهر أبعد ما تكون عن المنال تعكس وتتسبب في تغييرات واسعة تطال العائلة والاقتصاد.

في **الهروب من الحرية**، وهو عمل أضحى كلاسيكيا، قابل إيريش فروم بين الحرية الإيجابية والحرية السلبية: «الحرية، التي منحته [أي الإنسان] الاستقلالية والعقل، منحته أيضا الشعور بالعزلة التي ولدت فيه بالتبعة الخوف والعجز.[545]» إن للحرية، بحسب فروم، الحرية تأثير نفسي اجتماعي عميق؛ إنها تولد القلق الذي يفسر سبب تفضيل البعض التخلي عن حريته في سبيل أنظمة توتاليتارية (أو أيديولوجيات معادية للنساء، أو قيم عائلية، إلخ.). ما لم يدركه فروم، وربما ما لم يمكنه إدراكه أبدا، هو أن الخوف من الحرية مرتبط مباشرة بحتمية تحقيق الذات، وليس العكس. بعيدا عن كونهما قطبين متعارضين، يصعب الفصل بين الحرية الإيجابية والحرية السلبية. إذا كانت الحرية اليوم ظاهرة معيارية ملتبسة ومستبهمة إلى هذا الحد، فذلك لأنها الشعار الأيديولوجي للحركات الاجتماعية والسياسية، ولأخلاق الأصالة التي تنشد اللذة والمتعة، وخاصة، كما

(544) Catharine A. MacKinnon, *Butterfly Politics* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2017).

(545) Erich Fromm, *Escape from Freedom* (1941; New York: Henry Holt and Company, 1994), x.

شدد هذا الكتاب على ذلك، للرأسمالية المرئية - هذا الشكل من الاستغلال المكثف وواسع الانتشار للجسم الجنسي من خلال صناعات الصورة. أصبحت الرأسمالية المرئية الإطار المهيمن الذي تنتظم فيه الصور والسرديات التي جعلت من الحرية واقعا ملموسا وحيا لأفراد المجتمعات الغربية. لهذا السبب، كما أسلفت القول، تحول المثال المعياري للحرية في تحقيق مخططات الفرد وتعريف الحياة الجيدة إلى علاقات سلبية، شكلها سوق الاستهلاك والتكنولوجيا. تمثل التشابهات بين العلاقات السلبية والرأسمالية المرئية الخيط الناظم لهذا الكتاب. لكن، لنعد إلى صلب موضوعنا.

أول تلك التشابهات يكمن في ظهور الأسواق التي يحكمها قانون العرض والطلب، هذه الأسواق التي تعمل كأطر اجتماعية لتنظيم اللقاءات والمواعدات. على عكس الزواج التقليدي حيث يقترن الرجال والنساء (على الأغلب) بشكل أفقي (داخل جماعتهم الاجتماعية) ويهدف إلى زيادة الممتلكات والثروة إلى أقصاهما، في سوق الجنس يتزاوج الرجال والنساء وفق رأسمال جنسي لأهداف شتى (اقتصادية، لذَّاتية، وعاطفية)، غالبا ما يتحدرون من جماعات وخلفيات اجتماعية مختلفة (ثقافية أو دينية أو إثنية أو اجتماعية) ويتبادلون مزايا وصفات غير متماثلة (على سبيل المثال الجمال مقابل المكانة الاجتماعية). التقارب الثاني بين الرأسمالية والعلاقات السلبية يتمثل في شكل السوق. نموذجه المثالي هو الجنس العرضي، وهو تفاعل بين غرباء يهدف إلى إسداء خدمة للطرفين، بمحاكاة التفاعل الاستهلاكي ومنطلقاته اللذاتية (تماما كما تعكس الثقافة الاستهلاكية الجنسانية).

يأتي التقارب الثالث من حقيقة أن الجنسانية التي تحكمها الرأسمالية المرئية تولد أشكالا مختلفة من القيمة الاقتصادية والاجتماعية للرجال والنساء. في إطار سوق الاستهلاك، تقوم النساء بتزيين أجسادهن لإنتاج القيمة، الاقتصادية كما الجنسية، بينما يستهلك الرجال القيمة الجنسية التي أنتجتها النساء كمؤشر على المكانة في معترك المنافسة الذكورية.

أما التقارب الرابع بين العلاقات السلبية والرأسمالية المرئية، فهو يتعلق بعدم اليقين بشأن قيمة ما يتم تبادله. إن حالة عدم اليقين هذه بشأن قيمة الذات وقيمة الغير واسعة الانتشار، والأدهى من ذلك أن الرأسمالية المرئية سرعان ما تجعل قيمة الذوات متقادمة. إن الطلب على القيمة الذاتية قد تزايد (في شكل «تقدير الذات» و«حب الذات» و«الثقة بالنفس»)، مما أدى إلى ظهور استراتيجيات لوقاية النفس من أي شيء يهدد قيمتها الخاصة.

أخيرا، يتصل التقارب الخامس بصعوبة التشبث بالعقود العاطفية أو إبرامها لأن الابتكار والحركية الجغرافية والاستثمارات في مختلف مجالات الربح ومرونة سيرورات الإنتاج والقوى العاملة تجعل الشركات مؤسسات غير ملتزمة. كل هذا يشكل العمود الفقري لما أسميته بالعلاقات السلبية ويلمح إلى الطرق التي تعكس بها العلاقات الحميمة والجنسانية والعائلة وتكيف خصائص خاصة بالسوق وممارسات الاستهلاك وفضاءات العمل الرأسمالية. تتميز العلاقات السلبية بخاصيتين اثنتين: إنها غير محددة (لا أستطيع أن أقول بشكل قاطع ما أريد ومن أنا في هذه العلاقات) وتتميز بخصيصة أنها تشير إلى خلل يعتري الطرق العادية لعمل الأشياء. ولعل أهم دعوى ينافح عنها هذا الكتاب هي أن هذه الديناميكا السلبية الخاصة، التي شكلتها القوى الاجتماعية والاقتصادية، هي التي تحدد (إذا صحت هذه الكلمة) عدم تكوين الروابط وتهلهل سدى الروابط القائمة. إن تبدد العلاقات وانهيار الارتباطات المستقرة هما استجابتان نفسيتان على مصفوفة مشتركة من القوى الثقافية والاقتصادية والاجتماعية. كان للرأسمالية المرئية تأثير عميق الوقع على ما يكمن في أساس تقدير الذات، مما أدى إلَى تفجر منابع جديدة لعدم اليقين، وخلق أشكالا جديدة من التراتبية الهرمية الاجتماعية أربكت ما يمكن أن أسميه عمليات الاعتراف التقليدية، أي الطريقة التي يستشعر فيها الأفراد التقدير والقيمة في نظر الآخرين، وخاصة الطريقة التي ترى بها النساء التقدير في أعين الرجال الذين يواصلون التحكم في حياتهن الاجتماعية وتنظيمها. بانتظامها تحت كنف النيوليبرالية، تخلق الرأسمالية المرئية

نوعا مخصوصا من الهوية الشخصية حيث يتشابك الاقتصاد والجنس ويتبادلان التأثير.

وهكذا ظهرت بنية جديدة للشعور، تعبر وتتخلل وتقيم الجسور بين المجالين الاقتصادي والجنسي، وتشكل هوية شخصية رومانسية وجنسية تتميز بعدد من الخصائص المحددة: المرونة (في القدرة على الانتقال من شريك إلى آخر، ومراكمة تجارب ومهام متعددة)، ومقاومة المخاطر، والإخفاقات والرفض المتكرر، وعدم الولاء (كما هو الحال عندما يتخلى مالكو الأسهم أو العشاق الاستثمار في «مقاولة» لصالح أخرى أكثر ربحية). الفاعلون الجنسيون، مثل الوكلاء الاقتصاديين، يطورون قدرة على الاستقلالية الذاتية، ولكن مع وعي ثاقب بالمنافسة وإحساس قوي بعدم الثبات والاستقرار. يسير هذا الوضع من انعدام الأمن المعمم جنبا إلى جنب مع التنافسية وانعدام الثقة. بالنتيجة، يطور الفاعلون الجنسيون تقنيات للدفاع عن تقديرهم لذواتهم، وتخفيف غلواء قلقهم وهواجسهم، وتحسين أدائهم (العاطفي) والاستثمار في مستقبل غير يقيني، كل ذلك بفضل الأسواق الآخذة في التوسع بسرعة للتنمية الذاتية (self-help) وعلم النفس والروحانية.

ما يرتبه هذا الوضع الجديد على الجنسانية والحميمية يبقى مستبهما. ليس هناك أي ريب في أن مثال الحرية قد وفى بجزء من وعوده، إن لم يكن معظمها، طالما أن الرجال والنساء يسلكون بحرية أكبر في المعترك الجنسي، يفهمون الحياة الزوجية فهما أوحد وبات من حقهم اعتبار المتعة الجنسية بعدا من أبعاد الحياة السعيدة. كما أنه ليس هناك أدنى شك كذلك في أن الحرية الجنسية، في مجال الجنسانية، قد أتاحت أيضا قدرا أكبر من المساواة بين الجنسين. إجمالا، خففت الحرية الجنسية من ثنائية الأدوار الجندرية في الجنسانية، وكذلك معادلة الرغبة بالقمع والحظر أو التحريم. لكن الحرية مصطلح فضفاض جدا بحيث لا يمكن حصر نطاقه وربما أخفى منطقا آخر. فنظرا إلى أنه جرى تسخيرها خدمة لأهداف ومصالح الرأسمالية المرئية، فإن الحرية تعمل أيضا على تعميق أشكال اللامساواة والتفاوتات؛ بعضها كان قائم الوجود قبل الرأسمالية المرئية (اللامساواة

الجندرية)، في حين أن البعض الآخر كان من نتائجها. ينطوي هذان الشكلان من اللامساواة، سواء القديمة أو الجديدة، على آثار سلبية تكفي لجعل الحرية مثالا أصيلا مع عواقب مقلقة.

عرفت سنة 2018 أصداء ويلبيكية غريبة، حيث شهدت ظهور شكل جديد الإرهاب، ليس دينيا أو سياسيا، وإنما جنسيا. وهكذا، في نهاية نيسان/ أبريل 2018، قتل شاب يدعى أليك ميناسيان ما يربو عن عشرة أشخاص، معظمهم من النساء، في مدينة تورنتو[546].

لسنا ندري ما الاضطرابات الذهنية التي عانى منها أليك ميناسيان. لكن ما نعرفه من مصدر موثوق، في المقابل، هو أنه كان عضوا في «incels»[547]، مجتمع شبكي من الرجال العزاب الذين انخرطوا في أيديولوجية عنيفة ومعادية للنساء. وبحسبهم، فإن من حق الرجال على النساء الجنس والاهتمام، وهو ما ترفضه النساء، اللائي يوثرن رجالا آخرين.

ومن المضحك المبكي أن مصطلح «incel» له جذر مختلف تماما. فقد نحت قبل عقدين من قبل امرأة تدعى ألانا، في إشارة إلى عزوبتها غير الاختيارية، أرادت أن تحشد عبر الإنترنت الأشخاص الذين لم يتمكنوا من إقامة علاقات غرامية أو جنسية[548]. وقد استعيد هذا المصطلح وحور من قبل كارهي النساء العزاب القسريين، الذين قسموا العالم إلى عشيرتين من الأشخاص: «الجذابون»: «Chads»؛ أي الرجال الذين حالفهم الحظ مع النساء، و«Stacys»؛ أي النساء

(546) Niraj Chokshi, "What Is an Incel? A Term Used by the Toronto Van Attack Suspect, Explained," *New York Times*, April 24, 2018, https://www.nytimes.com/2018/04/24/world/canada/incel-reddit-meaning-rebellion.html, accessed May 27, 2018.

(547) اختصار لـ "العزوبة الجبرية". (المترجم).

(548) Ashifa Kassam, "Woman behind 'Incel' Says Angry Men Hijacked Her Word 'as a Weapon of War', *The Guardian*, April 26, 2018, https://www.theguardian.com/world/2018/apr/25/woman-who-invented-incel-movement-interview-toronto-attack, accessed May 27, 2018.

اللائي يمارسن الجنس مع أولئك الرجال. في وسعنا (ومن واجبنا) التعبير عن سخطنا الأخلاقي من ظاهرة العزاب اللاإراديين. لكن قبل أي شيء آخر، من الأهمية البالغة فهم الشروط الاجتماعية التي تقف خلفها.

من وجهة نظر سوسيولوجية، فإن العزاب اللاإراديين يتناسبون وهذه الدراسة، لأنهم يمثلون التعبير الأكثر تطرفا وإقلاقا عن تحول الجنسانية من طريق تراتبيات هرمية اجتماعية جديدة ولدتها الرأسمالية المرئية. يعتبر العزاب اللاإراديون أنفسهم مستبعدين من نظام اجتماعي حيث الجنسانية تهب المكانة، وترادف رفاهية الحياة والمعيارية الذكورية. فسواء أكانوا من مبغضي النساء أم لا، فإن العزاب اللاإراديون هم التجلي (العنيف) لنظام اجتماعي جديد حيث الجنسانية والحميمية علامتان على الوضع والانتماء الاجتماعيين. يعني الحرمان من الجنسانية والحميمية الجنسية، كما بين لنا ويلبيك في رواية **توسيع دائرة الصراع**، منذ حوالي عقدين، الحرمان من الوجود الاجتماعي. في حين أن الجنسانية، بالنسبة إلى البعض، هي مجال ممارسة الحرية، فإنها بالنسبة إلى البعض الآخر تؤدي إلى تجارب الإهانة والإقصاء «غير القصدي» (والقسري). وبهذا المعنى، فإن العزاب الاضطراريين يقفون على شفير خط الصدع، بين البطريركية التقليدية (العنيفة) والأشكال عالية السرعة للرأسمالية المرئية والتكنولوجية. تخلق الرأسمالية المرئية أشكالا جديدة من الامتيازات والتصنيفات الاجتماعية، ما يفضي إلى تحول الأنماط القديمة للهيمنة الأنثوية وتقويتها، مع الدفاع عن قيم الحرية والتحرر والانعتاق.

تندرج التراتبيات الجنسية، مثل التراتبيات الاجتماعية أو الثقافية، في عملية «التمييز». وفقا لبيير بورديو، فإن «التمييز» هو العملية الذهنية والبنيوية التي نميز بها أنفسنا عن أعضاء الجماعات الأخرى، والتي تحدث، على سبيل المثال، برفض أذواقهم وإقرار أذواقنا[549]. «التمييز الجنسي» هو الميكانيزم المركزي للهوية الرومانسية والمكانة الجنسية. والحال أن هذا التمييز يتحقق من طريق رفض أو نبذ

(549) Pierre Bourdieu, *Distinction: A Social Critique of the Judgement of Taste* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1984).

الآخرين (وأن نرفض أو ننبذ بدورنا). بهذا المعنى، يختلف التمييز الجنسي عن التمييز الطبقي: بينما يقوم الثاني على القدرة على خلق القيمة والاختلافات في القيمة، يكافح الأول من أجل تحديد قيمة الموضوع الجنسي بشكل صحيح. في حين أن التمييز الطبقي يتعلق بالموضوعات الثقافية وممارسات الاستهلاك، فإن التمييز الجنسي مرتبط ارتباطا وثيقا بالأشخاص ويؤثر بشكل مباشر على معنى قيمتهم. «العزوبة اللاإرادية» هي أحد تجليات هذا التمييز الجنسي (السلبي)، وبشكل أكثر تحديدا، عن الاستخدام الروتيني للحرية في رفض أو نبذ الآخرين، التي تساهم بدورها في تكوين جماعات يصبح الرفض الجنسي بالنسبة إليها ممارسة اجتماعية شائعة، مما يؤدي إلى تجارب روتينية للحط من القيمة الشخصية.

أن يكون المرء «غير مرغوب فيه» عاطفيا و«غير مرغوب فيه» جنسيا ليس شكلا اجتماعيا جديدا. في الماضي، كان من الممكن أن تنتهي المغازلة الغرامية بالفراق، وكان من الشائع أن يعيش ويشعر الرجال والنساء بالحب غير المتبادل. يمكن أن يتعرض الرجال والنساء للخيانة، وهذا ما يقع في كثير من الأحيان. لذلك، فإن تجربة الرفض ليست تجربة جديدة. لكنها تأخذ اليوم معنى خاصا في حياة عدد كبير من الأشخاص، وقد غدت جزءا لا مفر منه من الحياة الجنسية والرومانسية لكثير من الناس، إن لم يكن سوادهم الأعظم. على سبيل المثال، فإن عقيدة تفوق البيض ليست فقط رد فعل على الهجرة، وإنما هي أيضا رد فعل على التغييرات في العلاقات بين الجنسين.

المقابل الأنثوي للعزاب اللاإراديين هو «ربات البيوت المتعصبات لتفوق ذوي البشرة البيضاء[550]»، اللائي يرفضن الحرية الجنسية وتشييء النساء ويطالبن بالعَودة إلى القيم العائلية والأدوار الجندرية التقليدية. يلعب رفضهن للحرية الجنسية والمساواة دورا مهما في ظاهرة التفوق الأبيض، حتى لو كان غير مرئي

(550) Annie Kelly, "The Housewives of White Supremacy," *New York Times*, June 1, 2018, https://www.nytimes.com/2018/06/01/opinion/sunday/tradwives-women-alt-right.html?emc=edit_th_180602&nl=todaysheadlines&nlid=476765270602.

كفاية وأقل إثارة للجدل[551]. بالفعل، تخلق الرأسمالية المرئية أشكالا جديدة من اللامساواة الاجتماعية بين أولئك الذين يتمتعون برأسمال جنسي وأولئك الذين يعدمونه؛ كما أنه يخلق أيضا أشكالا جديدة من عدم اليقين وأشكالا جديدة من تبخيس القيمة، خاصة بين النساء، وجميعها تستتبع تداعيات عظيمة الوقع على الرابطة الاجتماعية. لأن إضفاء الطابع الجنسي على الهوية الأنثوية لم تصاحبه إعادة توزيع حقيقية للسلطة الاجتماعية والاقتصادية ولأنه قوى بطريقة ما السلطة الجنسية للرجال على النساء، إنه يجعل من البطريركية التقليدية شيئا جذابا. باستخدام مصطلح الحرية، عمقت الرأسمالية المرئية أنماط هيمنة النساء، محولة الحرية إلى تجربة اجتماعية تثير قلقا بل وردود فعل سلبية اتخذت شكل انقلاب على الحركة النسوية. كما أن الحرية أضفت الشرعية على تجارب عدم اليقين والتبخيس من القيمة وتتفيهها.

***

لا يسعى نوع التحليل الفلسفي والسوسيولوجي المبسوط بين ثنايا هذا الكتاب إلى تقويض أسس مبادئ معيارية واضحة. بل إن الغرض منه لهو بالأحرى التنقيب عن بعض ضروب الغموض والتناقضات المتأصلة في بعض الممارسات. تمس ضروب الغموض واللبس تلك الجوانب الأكثر تعقيدا من تجربتنا، والتي غالبا ما تدق عن الوصف وتبقى عصية على التوضيح؛ إن مهمة علم الاجتماع، بمساعدة الفلسفة، هي النبش عن مناطق الظل تلك واتخاذها موضوعا للدراسة. في تعليقه على عمل أكسل هونيث، استعرض الفيلسوف جويل أندرسون إحدى أفكار هونيث الجوهرية لتحليل الظواهر الاجتماعية. يتعلق الأمر بفكرة «**الفائض الدلالي**» (semantischer Überschuss)، أي «فائض المعنى والدلالة الذي يتجاوز ما يمكننا حاليا فهمه وتذوقه والتعبير عنه بالكامل. [...]. فانطلاقا من مشاعرنا الناشئة التي لا لم تتحدد معالمها بعد، على هوامش التقاليد، وبشكل أعم،

(551) الكثير من الرجال البيض الذين صوتوا لترامب ويساندونه يجسدون بحق نمط الذكورة التي يجسدها هو.

فبتصدينا للغامض المبهم والمعضل العصي على الحل، سنلفي الموارد الضرورية والمبتكرة لبناء نظرية نقدية[552]».

تخلق الحرية المعاصرة مناطق الغموض هذه، من خلال الأشكال المختلفة لتجارب عدم اليقين الموصوفة في هذا الكتاب. لا يمكن فهم هذه التجارب فهما تاما إلا بعد عملية توضيحية متأنية ومدروسة. فأمل هذا الكتاب أن يصل إلى عملية التوضيح هذه، بالامتناع عن الإقرار التلقائي بالحرية أو التسرع في إدانتها، برفض استخدام قاموس المفردات النفسية لبناء الاستقلالية أو الصدمات النفسية لتفسير طبيعة هذه التجارب. كان مسعى هذا الكتاب التصدي للإمبريالية الإبستيمية لعلم النفس في مجال العواطف. ففي جعبة علم الاجتماع، على غرار علم النفس، الكثير ليسهم به في توضيح ما هو مربك ومقلق في حياتنا الخاصة. في الواقع، قد يكون علم الاجتماع مجهزا بشكل أفضل من علم النفس لفهم الأشراك والطرق المسدودة وتناقضات الذاتية الحديثة.

تساءلت الفلسفة المثالية عن كيفية تمكن الذات من خلق الوحدة انطلاقا من كثرة من الأحاسيس والانطباعات الآتية من العالم الخارجي. الذات هي ما يوحد القوى المتباينة التي تعتمل في الوعي. طور هيغل هذه الفكرة: في سعيها إلى الوحدة، تخلق الذات جملة من التقابلات والصراعات والتناقضات والانقسامات الداخلية والتفككات، والتي أسماها بعمليات «النفي»[553]. تنبثق الذات بما هي وحدة من عملية النفي هذه في قدرتها على نفي النفي. كتب روبرت بيبين بشأن هيغل: الوعي «يحل دائما نشاطه المفهومي الخاص؛ ووفقا لكيفية تسمح بالقول في

---

(552) Joel Anderson, "Situating Axel Honneth in the Frankfurt School Tradition," in *Axel Honneth: Critical Essays: With a reply by Axel Honneth*, ed. Danielle Petherbridge (Leiden: Brill, 2011), 31– 58, esp. 50.

(553) انظر:

Terry Pinkard, *Hegel's Phenomenology: The Sociality of Reason* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996), 66, 394; Robert B. Pippin, *Hegel on Self-Consciousness: Desire and Death in the Phenomenology of Spirit* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2011), 21–39.

آن إنه يؤكد ذاته، ويصدر أحكاما وأوامر، ولكن أيضا بالقول إنه» ينفي ذاته بذاته «بالقوة، واعيا بأن ما يقرر بأنه صحيح قد لا يكون كذلك[554]».

إن التناقض، حسب تصور هيغل، منتج وإيجابي لأنه يمكن من توليد كيان جديد. فالتناقض، على سبيل المثال، لا ينفصل عن عملية الاعتراف، وقد أمكن الاعتراف مجاوزة التناقضات المتوطنة في الوعي.

ومع ذلك، فإن الذات الجنسية-الاقتصادية التي كانت مدار هذا الكتاب تخلق انقسامات وعمليات نفي لا يمكن «نفيها» في كل متماسك وفي عملية الاعتراف. وتبقى تناقضاتها عمليات سلب، وتناقضات وانقسامات لا تحل. هذه الانقسامات الداخلية حادة بين الجنسانية والمشاعر، بين الهوية الذكورية والهوية الأنثوية، بين الحاجة إلى الاعتراف والحاجة إلى الاستقلالية الذاتية، بين المساواة النسوية والهوية التي يحكمها نزوع إلى ما هو مرئي الذي أنتجته صناعات رأسمالية يحكمها الرجال. كل هذه التناقضات ناتجة عن إدراج الفردية تحت جنسانية تنظمها وتحكمها بنيات وإجراءات الرأسمالية المرئية؛ ومع ذلك، فهي تظل في كثير من الأحيان في حالة من التناقض، لا يمكن تذليلها ولا دحضها. وهذه الأشكال من النفي تتحول إلى سلب.

في سياق اجتماعي حيث الذات مستغرقة تماما في تدبير التناقضات العصية على الحل، لا يمكن أن يحدث الاعتراف – السعي إلى مجاوزة النفي البينذاتي. وهذا أيضا، على نحو من الأنحاء، تشخيص نعومي وولف في دراستها التي باتت الآن كلاسيكية عن الجمال: «تعد علاقات الحب غير المستقرة، ومعدلات الطلاق المرتفعة، والعدد الكبير من الأفراد الذين يلفظون من سوق الجنس أمرا جيدا للنشاط التجاري في اقتصاد الاستهلاك. تعتزم بورنوغرافيا الجمال جعل الجنس الحديث فجا ومملا، بعمق مخادع ينافي شبقية الرجال والنساء على السواء»[555].

---

(554) Pippin, *Hegel on Self-Consciousness* 25–26.

(555) Naomi Wolf, *The Beauty Myth: How Images of Beauty Are Used against Women* (1990; London: Vintage: 2013), 144.

يزج السوق - كمؤسسة للحرية - مباشرة بالفرد في طريق الاستهلاك والتكنولوجيا، اللذين يعقلنان معا السلوك ويولدان حالة من عدم اليقين المستمر فيما يتعلق بالقواعد التي تحكم التفاعلات وطبيعة تلك التفاعلات وقيمة الذات وقيمة الغير. يتجسد عدم اليقين هذا بدوره في سلع عاطفية أخرى، توفرها أسواق لا تنضب من السلع التي يفترض أنها تساعد الفرد على تحسين ذاته وتجويد علاقاته.

رب قارئ يسأل إن كان هذا الكتاب يبالغ ويخلط بين الكآبة والوضوح الصحي. وفي مطلق الأحوال، فحقيقة أن الرومانسية قد غيرت شكلها لا يجعلها أقل صلة بحياتنا وحضورا فيها. وحقيقة أن الحرية تحتمل مخاطر وحالات عدم يقين لا تجعلها أقل قيمة وأدنى شأنا - ولا تغير واقع أن معظمنا لا يزال مرتبطا أو يتوق إلى علاقة مستقرة. يمكننا حتى استدعاء الإحصائيات المطمئنة التي بموجبها يعقد زواج واحد من بين ثلاث زيجات بفضل مواعدة عبر الإنترنت[556]، ما يعني أن ثنائي السوق - التكنولوجيا بعيد كل البعد عن أن يكون نذير سوء.

لكن هذه الحجج تجعل من أحداث منفصلة من الزواج أو «الحياة الزوجية» وحدات التحليل الوحيدة وتعجز عن فهم الكيفية التي تغيرت بها طبيعة التجربة الرومانسية والجنسية قبل الزواج وأثناءه وخارجه. لذا فإن هذا الكتاب ليس - بأي حال من الأحوال - تساؤلا قلقا عن مستقبل الزواج أو العلاقات المستقرة، ولا مرافعة ضد الجنس العرضي، على الرغم من أنه يمكن بلا شك قراءته بهذه الطريقة. فالجنس العرضي، بأشكاله الملتهبة والمبهجة، هو مصدر لتأكيد الذات والتعبير عنها. ليس قصدي إصدار حكم إيجابي أو سلبي على الجنس العرضي أو الالتزامات طويلة الأمد. بل كان مبتغاي وصف الطرق المختلفة التي يؤدي بها

(556) Sharon Jayson, "Study: More Than a Third of New Marriages Start Online," *USA Today*, June 3, 2013, https://www.usatoday.com/story/news/nation/2013/06/03/online-dating-marriage/2377961/, accessed May 27, 2018.

استحواذ الرأسمالية المرئية على الجسد الجنسي إلى تغيير الذات والشعور بقيمتها والمبادئ التي تحكم بناء العلاقات. كما أوضحت ذلك، فإن هذا الشكل الجديد للرأسمالية يغير إيكولوجيا العلاقات الحميمة، ويغير تبعية النساء وخضوعهن، وهو يوجد خلف العديد من تجارب الرفض والنبذ، والأذى والتحقير، والإحباط والخذلان – ومن «اللاحب» – والتي يعاد تدويرها في المكينة الاقتصادية والثقافية الهائلة للعلاج النفسي بشتى أشكاله. هذه ليست مغبّتُها الوحيدة، وإنما أجسمها فداحة.

فسواء أكانت ماركسية أم وظيفية، فإن أغلب مقاربات المجتمع تنطلق من مبدأ أن هذا الأخير يهيئ الأفراد ليكونوا أعضاء أكفاء وفاعلين فيه. نوع النقد الذي دعا إليه هذا الكتاب يتقاطع تماما مع مثل هذه الرؤى، وينحو نحو فرويد في نقده السوسيولوجي المبسوط بين ثنايا كتابه **قلق في الحضارة**. في هذا العمل الشهير، يؤكد فرويد بأن الحضارة تفرض ثمنا باهظا على الفرد من طريق مطالبته بكبت دوافعه الليبيدية وتبويء الذنب موضع المركز في تدبير الجهاز النفسي للذات الحديثة[557]. يفترض **قلق في الحضارة** أن الحداثة تميزت بانعدام التوافق بين البنية النفسية الفردية والقيود الاجتماعية المفروضة عليها. لذلك يقترح فرويد نوعا مثيرا للاهتمام من النقد: ليس نقدا ناشئا عن رؤية معيارية واضحة، بل نقد يشكك في مدى توافق البنيات الاجتماعية والنفسية. على ذات المنوال، يبدو لي أن الرأسمالية المرئية تغصب الفاعلين الجنسيين والرومانسيين على دفع ثمن نفسي باهظ، وهي تتناقض مع أهداف ومُثُل الفاعلين المعاصرين. هذا الثمن باهظ لأن الحياة الداخلية شديدة التعقيد لندبرها بمفردنا، وبخاصة من خلال السبر والفحص الذاتي والرغبات النابعة من الذات. هذا الثمن متطلب للغاية لأن الأسواق الجنسية، بسبب تنافسيتها، تفضي حتما إلى اختبار حالات من النبذ

---

(557) Sigmund Freud, *Civilization and Its Discontents*, ed. J. Riviere (London: Hogarth Press, 1930), https://bradleymurray.ca/freud-civilization-and-its-discontents-pdf/, accessed May 27, 2018.

والإقصاء والإهانة الجنسية.

إذا لم يكن الاستبطان والذات مصدرين موثوقين فيما يخص الالتزام والوضوح، فإن الحرية وحدها لا يمكنها أن توطد الاجتماعية البشرية، وتفرض ثمنا نفسيا باهظا على الفاعلين الاجتماعيين. من أجل بناء التضامن الاجتماعي، أي ما أحسن تسميته هونيث بالحرية الاجتماعية، فإن الحرية في حاجة إلى طقوس. تخلق الطقوس تركيزا عاطفيا مشتركا لا يتطلب استبطانا ولا يستلزم إنتاجا ذاتيا مستمرا ومراقبة ذاتية للرغبات. والحال أن طقوس الاجتماعية البشرية هذه اختفت في معظمها، وحلت محلها أشكال من عدم اليقين تقتضي بدورها تدبيرا نفسيا ذاتيا مكثفا، ما يستتبع تحولا عميقا في الرغبة نفسها، والتي لن تحدد بعد بمصطلحات «بطولية» أو من خلال قدرتها على التعالي على النظام الاجتماعي. لم يعد الحب والجنس مجالين يمكن فيهما للذات مخالفة المجتمع أو التمرد عليه. فاعتبارا لأن الجنسانية والحميمية أصبحتا بامتياز ساحة تتكشف فيها الذات الاقتصادية، لم يعد بإمكانهما أن تكونا مصدر توتر خلاق بين الفرد والمجتمع. كما كتب إيرفينغ هاو:

في كل مجتمع شمولي يوجد، ويجب أن يكون هناك هوة عميق بين الدولة والأسرة، وذلك ببساطة لأن الدولة تطلب الولاء المطلق من كل الأشخاص، وقد انتهى به الأمر إلى النظر إلى الأسرة كمنافس رئيسي لهذا الولاء. [...] بالنسبة إلى السياسيين كما غير السياسيين، الأسرة هي الملاذ الأخير للقيم الإنسانية. وهكذا يصبح الدفاع عن مؤسسة الأسرة «المحافظة»، في ظل نظام الشمولية، عملا تخريبيا إلى أبعد الحدود[558].

يَحيل هاو هنا إلى المجتمعات الشمولية، لكنه لا يأخذ في الحسبان كيف أن مجتمعنا نحن - اقتصاده وسياساته - قد تسلل خلسة إلى الأسرة والجنسانية والحب، والتي لم تعد قادرة على النهوض بدور «الملاذ الأخير للقيم الإنسانية».

---

(558) Irving Howe, quoted by Judith Shulevitz in "Kate Millett: 'Sexual Politics' Family Values," *The New York Review of Books*, September 29, 2017.

يمثل كل من الجنسانية والحب اليوم أرضا خصبة لإعادة إنتاج الرأسمالية الاستهلاكية وشحذ القدرة على الاعتماد على الذات والاستقلالية الذاتية المطلوبين والممارسين في كل مكان. يؤكد المحلل النفسي الفرنسي شارل ميلمان (Charles Melman) في كتابه **رجل بدون جاذبية**، أن المجتمعات المعاصرة انتقلت من الرغبة، التي تنظمها الندرة والحظر، إلى المتعة، والتي تتوافق مع الحاجة غير المحدودة إلى إيجاد إشباع فوري في الأشياء الموجودة بوفرة. أصبحت المتعة هي شكل الرغبة الحقيقي في المجتمع الاستهلاكي حيث تغير الأشياء والمشاعر والإشباع الجنسي المركز الأخلاقي للذات. لكن المتعة لا يمكنها أن تجد فعليا أو تشكل موضوعات التفاعل والحب والتضامن.

لا يدعو هذا الكتاب إلى العودة إلى قيم الأسرة والمجتمع، أو إلى تضييق هامش الحريات. بيد أنه يأخذ على محمل الجد الانتقادات النسوية والدينية الموجهة للحرية الجنسية، ويزعم أن الحرية قد مكنت الرأسمالية المرئية بقوتها المترامية الأطراف من الهيمنة على مجالي الفعل والخيال، بدعم من الصناعات السيكولوجية، التي تتمثل مهمتها في مساعدتها على تدبير الانتهاكات العاطفية والنفسية التي كانت وراءها. إذا كان للحرية من معنى، فيجب أن تشمل هتك الأستار عن القوى غير المرئية التي تغشي أبصارنا وتشدنا إلى بعضنا البعض.

شكر وعرفان

بعد عشرين عاما من البحث في مسألة الحب، تركز اهتمامي على ما يأتي في أعقابه في الغالب، «اللاحب»، وهو في الوقت نفسه عملية/ سيرورة وشعور وحدث. إن نهاية الحب ليست تجربة مبهجة مثل الحب. ومع ذلك، كموضوع للبحث السوسيولوجي، فإنه لا يقل إثارة للاهتمام لأنه يبين بشكل أكثر حدة كيف يتسلل الاجتماعي إلى حياتنا النفسية وبنيتها.

الرجال والنساء الذين ساعدوني في التفكير في حدوث هذه الظاهرة كثيرون. الأول، بالترتيب الزمني، هو سفين هيلينكامب، الذي كان محاورا رائعا بالنسبة إلي. على الرغم من أن فكرته عن الحداثة السلبية لا علاقة لها بتصوري الخاص عن العلاقات السلبية، إلا أن ذكاءه وحماسه كانا بمثابة موجه غير عادي لأفكاري.

ساهم عدد كبير من الأشخاص في تجويد هذا النص وساعدوني طوال فترة تحريره: بفضل طاقته التي لا تعرف الكلل، وصرامته، واستجابته ودقته، قام دانيال جيلون بتعهد هذا الكتاب بكثير من الجسارة. بالإضافة إلى قراءتهم، قدم أوري شوارتز وشاي درومي ودانا كابلان تعليقات ثاقبة ومراجع ببليوغرافية. كانت انتقادات دافنا جويل، القاسية أحيانا، مفيدة لي دائما. أشكرها على إصرارها كثيرا على الوضوح.

وأود أيضا أن أشكر الاستماع اليقظ والسخي والذكي لطلاب وأساتذة جامعات ييل وكامبريدج وبرينستون وجامعة نيويورك ومركز دراسات العقلانية في الجامعة العبرية. لقد ساعدني كل منهم في تعميق تأملاتي.

أود أن أشكر إميلي ماكنزي في مطبعة جامعة أكسفورد على ذكائها ولطفها

واحترافيتها البارعة.

أخيرا، وربما الأهم من ذلك، أشكر الرجال والنساء الذين شاركوا قصصهم معي - سواء في المقابلات الرسمية أو في المحادثات غير الرسمية - وساعدوني في إعادة تشكيل وترتيب المشهد الاجتماعي لأشكال الوجود الفوضوية.

كل هؤلاء الأشخاص موجودون هنا لتذكيرنا بأن الحياة الجامعية والأكاديمية والفكرية هي ثمرة تعاون وأن عزلة الكتابة لن تكون ممكنة بدون عدد لا يحصى من روابط التضامن المرئية وغير المرئية التي تسبقها. إليكم جميعا، أتقدم بخالص شكري وجميل عرفاني.

بيبليوغرافيا

تغطي البيبليوغرافيا الأعمال العلمية والأدبية والإحصائية، ولكنها لا تشمل مصادر الإنترنت مثل المدونات أو المنتديات أو المقالات، ولا الأعمال التي استقيت منها الاقتباسات. هذه المصادر مثبتة في الهوامش.

- Abadie, Alberto, and Sebastien Gay. "The Impact of Presumed Consent Legislation on Cadaveric Organ Donation. A Cross-Country Study." Journal of Health Economics 25, no. 4 (2006): 599—620.

- Abu-Lughod, Lila. "Do Muslim Women Really Need Saving? Anthropological Reflections on Cultural Relativism and Its Others." American Anthropologist 104, no. 3 (2002): 783—790.

- Addison, Heather. "Hollywood, Consumer Culture and the Rise of 'Body Shaping.'" In Hollywood Goes Shopping, edited by David Desser and Garth S. Jowett, 3—33. Minneapolis: University of Minnesota Press, 2000.

- Adkins, Lisa, "Sexuality and the Economy. Historicisation vs. Deconstruction." Australian Feminist Studies 17, no. 37 (2002): 31—41.

- Adorno, Theodor W. Negative Dialectics. Great Britain: Routledge, 1990.

- Albury, Kath. "Porn and Sex Education, Porn as Sex Education." In Porn Studies 1, nos. 1/2 (2014): 172—181.

- Allyn, David. Make Love, Not War: The Sexual Revolution: An Unfettered History New York: Routledge, 2016.

- Amato, Paul R. "The Consequences of Divorce for Adults and Children." In Journal of Marriage and Family 62, no. 4 (2000): 1269—1287.

- ,———and Brett Beattie. "Does the Unemployment Rate Affect the Divorce Rate? An Analysis of State Data 1960—2005." In Social Science Research 40, no. 3 (2011): 705—715.

- ,———and Denise Previti. "People's Reasons for Divorcing: Gender, Social Class, the Life Course, and Adjustment." Journal of Family Issues 24, no. 5 (2003): 602—

626.

- Ambert, Anne-Marie. Divorce. Facts, Causes, and Consequences (Ottawa: Vanier Institute of the Family, 2005).
- American Psychological Association Task Force on the Sexualization of Girls. Report of the APA Task Force on the Sexualization of Girls, 2007, http://www.apa.org/pi/women/programs/girls/report-full.pdf,
- Anders, Günther. "Pathologie de la liberté. Essai sur la non identification" In Recherches Philosophiques 6 (1936/37): 32—57.
- Anderson, Joel. "Regimes of Autonomy." In Ethical Theory and Moral Practice 17, no. 3 (2014): 355—368.
- .———"Situating Axel Honneth in the Frankfurt School Tradition" In Axel Honneth: Critical Essays: With a Reply by Axel Honneth. Edited by Danielle Petherbridge. Leiden: Brill 2011, 31—58.
- Arvidsson, Adam. "The Ethical Economy of Customer Coproduction." In Journal of Macromarketing 28, no. 4 (2008): 326- 338.
- .———"The Potential of Consumer Publics." In Ephemera 13, no. 2 (2013):367—391.
- Attwood, Feona. "Sexed Up. Theorizing the Sexualization of Culture." In Sexualities 9, no. 1 (2006): 77—94.
- .———"'Tits and Ass and Porn and Fighting:' Male Heterosexuality in Magazines for Men." In International Journal of Cultural Studies 8, no. 1 (2005): 83—100.
- ,———and Clarissa Smith. "Leisure Sex. More Sex! Better Sex! Sex Is Fucking Brilliant! Sex, Sex, Sex, SEX." In Routledge Handbook of Leisure Studies. Edited by Tony Blackshaw. New York 2013, 325—336.
- Austen, Jane. Kloster Northanger. Edited by Ursula Grawe and Christian Grawe. 1818. Reprint, Stuttgart: Reclam, 2008.
- Aven, Terje. "Risk Assessment and Risk Management: Review of Recent Advances on Their Foundation." In European Journal of Operational Research 253, no. 1 (2016): 1—13.
- ,———and Yolande Hiriart. "Robust Optimization in Relation to a Basic Safety Investment Model with Imprecise Probabilities." Safety Science 55 (2013): 188—194.
- Bailey, Beth L. From Front Porch to Back Seat: Courtship in Twentieth-Century America. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1989.
- Bakewell, Sarah. At the Existentialist Café: Freedom, Being, and Apricot Cocktails with Jean-Paul Sartre, Simone de Beauvoir, Albert Camus, Martin Heidegger,

Maurice Merleau-Ponty and Others. Translated by Rita Seuss. New York: Other Press, 2016.

- Bates, Catherine. Courtship and Courtliness: Studies in Elizabethan Courtly Language and Literature. PhD diss., Oxford University, 1989.
- .———The Rhetoric of Courtship in Elizabethan Language and Literature. Cambridge, Cambridge University Press, 1992.
- Bauman, Zygmunt. Flüchtige Moderne. Translated by Reinhard Kreissl. Frankfurt: Suhrkamp Verlag, 2003.
- .———Liquid Life. Cambridge: Malden, 2005.
- .———Liquid Love: On the Frailty of Human Bonds. Cambridge: Malden, 2003
- Baumeister, Roy F., and Kathleen D. Vohs. "Sexual Economics: Sex as Female Resource for Social Exchange in Heterosexual Interactions." In Personality and Social Psychology Review 8, no. 4 (2004): 339—363.
- Beauvoir, Simone de. La phénoménologie de la perception de Maurice Merleau-Ponty, Paris: Les temps modernes 1, no. 2: 363—367 ("A Review of The Phenomenology of Perception by Maurice Merleau-Ponty"). Translated by Marybeth Timmermann. In Simone de Beauvoir: Philosophical Writings. Edited by M. A. Simons, 159—164. Champaign: University of Illinois Press, 2004.
- Beck, Ulrich, and Elisabeth Beck-Gernsheim. Individualization: Institutionalized Individualism and Its Social and Political Consequences. London: SAGE Publications, 2002.
- Beck, Ulrich, Elisabeth Beck-Gernsheim. The Chaos of Love. Translated by Mark Ritter and Jane Wiebel. Cambridge: Polity Press, 1995.
- Beckert, Jens, and Patrik Apsers, eds. The Worth of Goods: Valuation and Pricing in the Economy. New York: Oxford University Press, 2011.
- Bell, Ilona. Elizabethan Women and the Poetry of Courtship. Cambridge: Cambridge University Press, 199B.
- Bell, Leslie C. Hard to Get: Twenty-Something Women and the Paradox of Sexual Freedom. Berkeley: University of California Press, 2013.
- Bell, Wendell. "Anomie, Social Isolation, and the Class Structure." In Sociometry 20, no. 2 (1957): 105—116.
- Benjamin, Jessica, Like Subjects, Love Objects: Essays on Recognition and Sexual Difference. New Haven: Yale University Press, 1998.
- .———"Recognition and Destruction: An Outline of Intersubjectivity." In

Relational Perspectives in Psychoanalysis. Edited by Neil J. Skolnick and Susan C. Warshaw, 43—60. New York: Routledge, 1992.

- Benjamin, Orly. "Therapeutic Discourse, Power and Change: Emotion and Negotiation in Marital Conversations." Sociology 32, no. 4 (1998): 771—793.
- Benjamin, Walter. Das Passagenwerk. Edited by Rolf Tiedemann. Frankfurt: Suhrkamp Verlag, 1983.
- Beres, Melanie A., and Panteá Farvid. "Sexual Ethics and Young Women's Accounts of Heterosexual Casual Sex." In Sexualities 13, no. 3 (2010): 377—393.
- Berg, Joyce, John Dickhaut, and Kevin McCabe. "Trust, Reciprocity, and Social History." In Games and Economic Behavior 10, no. 1 (1995): 122—142.
- Berkin, Carol. Civil War Wives: The Lives and Times of Angelina Grimké Weld, Varina Howell Davis, and Julia Dent Grant. New York: Vintage, 2009.
- Berlant, Lauren Gail, ed. Intimacy. Chicago: University of Chicago Press, 2000.
- ,———Cruel Optimism. Durham, NC: Duke University Press, 2011.
- ,———Desire/Love. Brooklyn, NY: Punctum Books, 2012.
- ,———"Slow Death (Sovereignty, Obesity, Lateral Agency)." In Critical Inquiry 33, no. 4 (2007): 754—780.
- ,———and Michael Warner. "Sex in Public." In Critical Inquiry 24, no. 2 (1998): 547—566.
- Bernard, Philippe, Sarah J. Gervais, Jill Allen, Sophie Campomizzi, and Olivier Klein. "Integrating Sexual Objectification with Object versus Person Recognition: The Sexualized-Body-Inversion Hypothesis." In Psychological Science 23, no. 5 (2012): 469—471.
- Bernstein, Elizabeth. Temporarily Yours: Intimacy, Authenticity, and the Commerce of Sex. Chicago: University of Chicago Press, 2007.
- Bersani, Leo, and Adam Phillips. Intimacies. Chicago: University of Chicago Press, 2008.
- Berthomé, François, Julien Bonhomme, and Grégory Delaplace. "Preface: Cultivating Uncertainty." HAU. Journal of Ethnographic Theory 2, no. 2 (2012): 129—137.
- Birken, Lawrence. Consuming Desire: Sexual Science and the Emergence of a Culture of Abundance 1871—1914. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1988.
- Biskind, Peter. Easy Riders, Raging Bulls. Wie die Sex-and-Drugs andRock 'n' Roll-Generation Hollywood rettete. Edited by Fritz Schneider. Munich: Heyne, 2004.
- Blau, Francine D. Gender, Inequality, and Wages. New York: Oxford University

Press, 2016.

- Blau, Peter M. Exchange and Power in Social Life. New York: John Wiley and Sons, 1964.

- Bloch, Howard R. Medieval Misogyny and the Invention of Western Romantic Love Chicago: University of Chicago Press, 1992.

- Bloom, Claire. Leaving a Doll ́s House: A Memoir. New York: Little, Brown and Company, 1996.

- Bloor, David. Knowledge and Social Imagery. London: Routledge and Kegan Paul, 1976.

- Bogle, Kathleen A. Hooking Up: Sex, Dating, and Relationships on Campus. New York: New York University Press, 2008.

- .———"The Shift from Dating to Hooking Up in College: What Scholars Have Missed." Sociology Compass 1, no. 2 (2007): 775—778.

- Boholm, Åsa. "The Cultural Nature of Risk: Can There Be an Anthropology of Uncertainty?" Ethnos 68, no. 2 (2003): 159—178.

- Boltanski, Luc. The Foetal Condition: A Sociology of Engendering and Abortion. Translated by Catherine Porter. Cambridge: Polity Press, 2013.

- ,———and Ève Chiapello. "The New Spirit of Capitalism." In International Journal of Politics, Culture, and Society 18, nos. 3/4 (2005): 161—188.

- Boltanski, Luc, and Laurent Thévenot. "Finding One's Way in Social Space: A Study Based on Games." In Social Science Information 22, nos. 4/5 (1983): 631—680.

- .———"The Reality of Moral Expectations: A Sociology of Situated Judgement." In Philosophical Explorations 3, no. 3 (2000): 208—231.

- .———On Justification: Economies of Worth. Translated by Catherine Porter. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006.

- Bory, Stefano. Il Tempo Sommerso: Strategie Identitarie Nei Giovani Adulti Del Mezzogiorno, Naples: Liguori, 2008.

- Bose, Arun. "Marx on Value, Capital, and Exploitation." In History of Political Economy 3, no. 2 (1971): 298—334.

- Boserup, Ester. Women ́s Role in Economic Development. Translated by Suse -Bouché. 1988. Reprint: Abingdon, Earthscan Publications, 2015.

- Bossard, James H. S. "Residential Propinquity as a Factor in Marriage Selection." In American Journal of Sociology 38, no. 2 (1932): 219—224.

- Bourdieu, Pierre. Distinction : A Social Critique of the Judgement of Taste.

Translated by Richard Nice and Tony Bennett. 1984. Reprint, Abingdon, Routledge, 2015.

- .———Outline of a Theory of Practice. Translated by Richard Nice. 1977. Reprint, Cambridge: Cambridge University Press, 2003.

- .———"Heiratsstrategien im System der Reproduktionsstrategien." In Junggesellenball: Studien zum Niedergang der bäuerlichen Gesellschaft. Translated by Eva Kessler and Daniela Böhmer, 163—203. 1972. Reprint, Konstanz: UVK, 2008.

- .———Language and Symbolic Power. Translated by Hella Beister. 1982. Reprint, Cambridge: Polity Press, 1991.

- Bourguignon, Annick, and Eve Chiapello. "The Role of Criticism in the Dynamics of Performance Evaluation Systems." In Critical Perspectives on Accounting 16, no. 6 (2005): 665—700.

- Brannen, Julia, and Jean Collard. Marriages in Trouble: The Process of Seeking Help. London: Taylor and Frances, 1982.

- Brenkert, George G. "Freedom and Private Property in Marx." In Philosophy and Public Affairs 2, no. 8 (1979): 122—147.

- Brennan, Denise. What's Love Got to Do with It? Transnational Desires and Sex Tourism in the Dominican Republic. Durham, NC: Duke University Press, 2004.

- Bright, Susie. Full Exposure: Opening Up to Sexual Creativity and Erotic Expression. New York: HarperCollins, 2009.

- Brooks, Peter, and Horst Zank. "Loss Averse Behavior." In Journal of Risk and Uncertainty 31, no. 3 (2005): 301—325.

- Brown, Barbara A., Thomas I. Emerson, Gail Falk, and Ann E. Freedman. "The Equal Rights Amendment: A Constitutional Basis for Equal Rights for Women." The Yale Law Journal 80, no. 5 (1971): 871—985.

- Brown, Peter. "Rome: Sex and Freedom." Review of From Shame to Sin, by Kyle Harper. The New York Review of Books (December 9, 2013). http://www.nybooks.com/articles/2013/12/19/rome-sex-freedom./

- Brown, Wendy. States of Injury: Power and Freedom in Late Modernity. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1995.

- Browning, Christopher R., and Matisa Olinger-Wilbon. "Neighborhood Structure, Social Organization, and Number of Short-Term Sexual Partnerships." In Journal of Marriage and Family 65, no. 3 (2003): 730—774.

- Buch, Esteban. La musique fait l'amour. Une enquête sur la bande son de la vie sexuelle. Forthcoming.

- Buckley, Thomas E., ed. "If You Love That Lady Don't Marry Her." The Courtship Letters of Sally McDowell and John Miller, 1854—1856. Columbia: University of Missour Press, 2000.

- Buhle, Mari Jo. Feminism and Its Discontents: A Century of Struggle with Psychoanalysis. Cambridge: Harvard University Press, 2009.

- Bulcroft, Richard, Kris Bulcroft, Karen Bradley, and Carl Simpson. "The Management and Production of Risk in Romantic Relationships: A Postmodern Paradox." In Journal of Family History 25, no. 1 (2000): 63—92.

- Burns, E. Jane, Courtly Love Undressed: Reading through Clothes in Medieval French Culture. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2005.

- Cacchioni, Thea, "The Medicalization of Sexual Deviance, Reproduction, and Functioning." In Handbook of the Sociology of Sexualities. Edited by John DeLamater and Rebecca F. Plante, 435—452. Switzerland: Springer, 2015.

- Calogero, Rachel M., "A Test of Objectification Theory: The Effect of the Male Gaze on Appearance Concerns in College Women." In Psychology of Women Quarterly 28, no. 1 (2004): 16—21.

- ,———and J. Kevin Thompson. "Potential Implications of the Objectification of Women's Bodies for Women's Sexual Satisfaction." In Body Image 6, no. 2 (2009): 145—148.

- Campbell, Colin. The Romantic Ethic and the Spirit of Modern Consumerism. New York: Blackwell, 1987.

- Camerer, Colin F. "Prospect Theory in the Wild" Evidence from the Field." In Choices, Values, and Frames. Edited by Daniel Kahneman and Amos Tversky, 288—300. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.

- Cancian, Francesca. Love in America: Gender and Self-Development. Cambridge: Cambridge University Press, 1990.

- ,———and Steven L. Gordon. "Changing Emotion Norms in Marriage: Love and Anger in US Women's Magazines since 1900." Gender and Society 2, no. 3 (1988): 308—342.

- Castells, Manuel. "The Net and the Self: Working Notes for a Critical Theory of the Informational Society." In Critique of Anthropology 16, no. 1 (1996): 9—38.

- Chen, Derek H. C. "Gender Equality and Economic Development: The Role for Information and Communication Technologies." World Bank Policy Research Working Paper 3285. Washington, DC, 2004.

- Chen, Hellen. Hellen Chen ́s Love Seminar: The Missing Love Manual that Makes Your Relationship Last. 2013. https://youtu.be/ezEeaBs84w0.
- Cherlin, Andrew J. "The Deinstitutionalization of American Marriage." In Journal of Marriage and Family 66, no. 4 (2004): 848—861.
- .———Marriage, Divorce, Remarriage. Revised and enlarged edition. Cambridge: Harvard University Press, 1992.
- Clark, Russell D. "The Impact of AIDS on Gender Differences in Willingness to Engage in Casual Sex." Journal of Applied Social Psychology 20, no. 9 (1990): 771—782.
- Cohen, G. A. Self-Ownership, Freedom, and Equality. Cambridge: Cambridge University Press, 1995.
- Cohen, Morris R. "The Basis of Contract." In Harvard Law Review 46, no. 4 (1933): 553—592.
- Colker, Ruth. "Feminism, Sexuality and Authenticity." In At the 8oundaries of Law: Feminism and Legal Theory. Edited by Martha Albertson Fineman and Nancy Sweet Thomadsen, 135—148. New York: Routledge, 2013.
- Conlin, Juliet A. "Getting Around: Making Fast and Frugal Navigation Decisions." Progress in Brain Research 174 (2009): 109—117.
- Cooke, Lynn Prince. "'Doing' Gender in Context: Household Bargaining and Risk of Divorce in Germany and the United States." In American Journal of Sociology 112, no. 2 (2006): 442—472.
- Cooley, Charles Horton. Human Nature and the Social Order. 1902. Reprint, Piscataway, NJ: Transaction Publishers, 1992.
- Coontz, Stephanie. Marriage, a History: How Love Conquered Marriage. New York: Penguin, 2006.
- Cooper, Elizabeth, and David Pratten, eds. Ethnographies of Uncertainty in Africa. New York: Springer, 2014.
- Cornell, Drucilla. At the Heart of Freedom: Feminism, Sex, and Equality. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1998.
- Dabhoiwala, Faramerz. "Lust and Liberty" In Past and Present 207, no. 1 (2010): 89—179.
- Dahler-Larsen, Peter. The Evaluation Society. Stanford, CA: Stanford University Press, 2011.
- Dal Bó, Pedro, "Cooperation under the Shadow of the Future: Experimental Evidence from Infinitely Repeated Games." American Economic Review 95, no. 5 (2005):

1591—1604.

- Dancy, Russell M. Plato's Introduction of Forms. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

- Davis, Deborah, Phillip R. Shaver, and Michael L. Vernon. "Physical, Emotional, and Behavioral Reactions to Breaking Up: The Roles of Gender, Age, Emotional Involvement, and Attachment Style." Personality and Social Psychology Bulletin 29, no. 7 (2003): 871—884.

- Debord, Guy. Society of the Spectacle. Translated by Ken Knapp. 1967. Reprint, London: Rebel Press, 2005.

- De Graaf, Paul M., and Matthijs Kalmijn. "Divorce Motives in a Period of Rising Divorce: Evidence from a Dutch Life-History Survey." In Journal of Family Issues 27, no. 4 (2006): 483—505.

- .———"Change and Stability in the Social Determinants of Divorce: A Comparison of Marriage Cohorts in the Netherlands." European Sociological Review 22, no. 5 (2006): 561—572.

- Deleuze, Gilles. "Postscripts on Control Societies." In Negotiations 1972—1990. Translated by Martin Joughin, 177—182. New York: Columbia University Press, 1995.

- D'Emilio, John, and Estelle B. Freedman. Intimate Matters: A History of Sexuality in America. Chicago: University of Chicago Press, 1998.

- Despentes, Virginie. King Kong Theorie. Translated by Kerstin Krolak. Berlin: Berliner Taschenbuchverlag, 2007.

- Diethe, Carol. Towards Emancipation. German Women Writers of the Nineteenth Century. New York: Oxford, 1998.

- Di Leonardo, Micaela. "White Ethnicities, Identity Politics, and Baby Bear's Chair." Social Text, no. 41 (1994): 165—191.

- ,———and Roger Lancaster. "Gender, Sexuality, Political Economy." In New Politics 6, no. 1 (1996): 29—43.

- Dilts, Andrew. "From 'Entrepreneur of the Self' to 'Care of the Self': Neoliberal Governmentality and Foucault's Ethics." Western Political Science Association 2010 Annual Meeting Paper. https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=1580709.

- Dittmar, Helga. Consumer Culture, Identity and Well-being: The Search for the "Good Life" and the "Body Perfect." New York: Psychology Press, 2007.

- Doepke, Matthias, Michele Tertilt, and Alessandra Voena. "The Economics and

Politics of Women's Rights." In Annual Review of Economics 4 (2012): 339—372.

- Doherty, Thomas. Pre-Code Hollywood: Sex, Immorality, and Insurrection in American Cinema, 1930—1934. New York: Columbia University Press, 1999.
- Döring, Nicola M. "The Internet's Impact on Sexuality: A Critical Review of 15 Years of Research." In Computers in Human Behavior 25, no. 5 (2009): 1089—1101.
- Douglas, Mary, and Baron Isherwood. The World of Goods: Towards an Anthropology of Consumption. 1979. Reprint, London: Psychology Press, 2002.
- Duffy, John, and Jack Ochs. "Cooperative Behavior and the Frequency of Social Interaction." Games and Economic Behavior 66, no. 2 (2009): 785—812.
- Duflo, Esther. "Women Empowerment and Economic Development." In Journal of Economic Literature 50, no. 4 (2012): 1051—1079.
- Duggan, Lisa, and Nan D. Hunter. Sex Wars: Sexual Dissent and Political Culture. Abingdon-on-Thames: Taylor and Frances, 2006.
- Duncombe, Jean, and Dennis Marsden. "Love and Intimacy: The Gender Division of Emotion and 'Emotion Work': A Neglected Aspect of Sociological Discussion of Heterosexual Relationships." Sociology 27, no. 2 (1993): 221—241.
- Dunham, Lena. Not That Kind of Girl: A Young Woman Tells You What She's "Learned." New York: Random House, 2015.
- Dunn, Robert G. "Identity, Commodification, and Consumer Culture." In Identity and Social Change. Edited by Joseph E. Davis, 109—134. New York: Routledge, 2000.
- Dunn, Sarah. The Big Love. New York: Little Brown and Company, 2004.
- Durkheim, Emile. Suicide: A Study in Sociology. Translated by John A. Spaulding and George Simpson. 1951. Reprint, New York: The Free Press, 1979.
- .———The Elementary Forms of Religious Life. Translated by Carol Cosman. Oxford: Oxford University Press, 2001.
- .———Moral Education. Translated by Librarie Felix Alcan. 1925. New York: The Free Press, 1961.
- Dworkin, Gerald. The Theory and Practice of Autonomy. Cambridge: Cambridge University Press, 1988.
- Dyer, Richard. Heavenly Bodies: Film Stars and Society. New York: Psychology Press, 2004.
- Echols, Alice. Daring to Be Bad: Radical Feminism in America, 1967—1975. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1989.

- Edwards, Weston M., and Eli Coleman. "Defining Sexual Health: A Descriptive Overview." Archives of Sexual Behavior 33, no. 3 (2004): 189—195.
- Elias, Ana Sofia, Rosalind Gill, and Christina Scharff, eds. Aesthetic Labour: Rethinking Beauty Politics in Neoliberalism. London: Palgrave Macmillan, 2017.
- Engels, Friedrich. The Origin of the Family, Private Property, and the State, in the Light of the Researches of Lewis H. Morgan. New York: International Publishers Co., 1972, 25—173.
- England, Paula, and Jonathan Bearak. "The Sexual Double Standard and Gender Differences in Attitudes toward Casual Sex among US University Students." Demographic Research 30, no. 46 (2014): 1327—1338.
- England, Paula, Emily Fitzgibbons Shafer, and Alison C. K. Fogarty. "Hooking Up and Forming Romantic Relationships on Today's College Campuses." In The Gendered Society Reader. 3rd ed. Edited by Michael S. Kimmel and Amy Aronson, 531—593. New York Oxford University Press, 2008.
- Engle-Warnick, Jim, and Robert L. Slonim. "Inferring Repeated-Game Strategies from Actions: Evidence from Trust Game Experiments." Economic Theory 28, no. 3 (2006): 603—632.
- Epstein, Marina, Jerel P. Calzo, Andrew P. Smiler, and L. Monique Ward. "'Anything from Making Out to Having Sex': Men's Negotiations of Hooking Up and Friends with Benefits Scripts." Journal of Sex Research 46, no. 5 (2009): 414—424.
- Erickson, Rebecca J. "Why Emotion Work Matters: Sex, Gender, and the Division of Household Labor." Journal of Marriage and Family 67, no. 2 (2005): 337—351.
- Eshbaugh, Elaine M., and Gary Gute. "Hookups and Sexual Regret among College Women." The Journal of Social Psychology 148, no. 1 (2008): 77—90.
- Faden, Ruth R., and Tom L. Beauchamp. A History and Theory of Informed Consent. New York: Oxford University Press, 1986.
- Farvid, Panteá, and Virginia Braun. "The 'Sassy Woman' and the 'Performing Man.' Heterosexual Casual Sex Advice and the (Re)constitution of Gendered Subjectivities." Feminist Media Studies 14, no. 1 (2014): 118—134.
- Fass, Paula S. The Damned and the Beautiful: American Youth in the 1920s. Book 567. New York: Oxford University Press, 1979.
- Featherstone, Mike. "The Body in Consumer Culture." In The American Body in Context: An Anthology. Edited by Jessica R. Johnston. 1982. Reprint, Wilmington: Rowman and Littlefield, 2001, 79—102.

- .———Consumer Culture and Postmodernism. London: Sage Publications Ltd, 2007.

- Feher, Michel. "Self-Appreciation; Or, the Aspirations of Human Capital." In Public Culture 21, no. 1 (2009): 21—41.

- Fehr, Ernst, and Simon Gächter. "How Effective Are Trust- and ReciprocityBased Incentives?" In Economics, Values and Organizations. Edited by Avner Ben-Ner and Louis Putterman, 337-363. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

- Ferguson, Ann, Rosemary Hennessy, and Mechthild Nagel. "Feminist Perspectives on Class and Work." In The Stanford Encyclopedia of Philosophy. Edited by Edward N. Zalta. 2004, Reprint, 2018, https://plato.stanford.edu/archives/spr2018/entries/feminism-class./

- Ferrant, Gaëlle, Luca Maria Pesando, and Keiko Nowacka. "Unpaid Care Work: The Missing Link in the Analysis of Gender Gaps in Labour Outcomes." Issues Paper. OECD Development Centre. December 2014.

- Fine, Ben, and Laurence Harris. "The Law of the Tendency of the Rate of Profit to Fall." In Rereading Capital. London: Macmillan Education UK, 1979, 58—75.

- Fine, Gail. Plato on Knowledge and Forms: Selected Essays. Oxford: Oxford University Press, 2003.

- Finke, Laurie A. "Sexuality in Medieval French Literature. 'Séparés, on est ensemble'" In Handbook of Medieval Sexuality. Edited by Vern L. Bullough and James A. Brundage. New York/London: Taylor and Francis, 1996), 345—368.

- Fischer, Claude S. "On Urban Alienations and Anomie: Powerlessness and Social Isolation." American Sociological Review 38, no. 3 (1973): 311—326.

- Fischer, Tamar. "Parental Divorce and Children's Socio-economic Success: Conditional Effects of Parental Resources Prior to Divorce and Gender of the Child." In Sociology 41, no. 3 (2007): 475—495.

- Fitzsimmons-Craft, Ellen E. "Explaining the Relation between Thin Ideal Internalization and Body Dissatisfaction among College Women: The Roles of Social Comparison and Body Surveillance." Body Image 9, no. 1 (2012): 43—49.

- Flaubert, Gustave. Madame Bovary. Translated by Eleanor Marx-Aveling. 1856. Reprint, London: Macmillan, 2017.

- Fletcher, Anthony. "Manhood, the Male Body, Courtship and the Household in Early Modern England." History 84, no. 275 (1999): 419—436.

- Folbre, Nancy. "Measuring Care: Gender, Empowerment, and the Care

Economy." In Journal of Human Development 7, no. 2 (2006): 183—199.

- Foucault, Michel. The Government of Self and Others: Lectures at the Collège de France 1982—1983. Translated by Graham Burchell. New York: Picador, 2010.

- .———Security, Territory, Population: Lectures at the Collège de France 1977—1978. Translated by Graham Burchell. New York: Picador, 2007.

- .———The History of Sexuality. Volume 1: An Introduction. 1978; Volume 2: The Use of Pleasure. 1985; Volume 3: The Care of the Self 1986, Translated by Ulrich Raulff and Walter Seitter. Reprint, New York: Vintage Press, 1990.

- .———"Sexuelle Wahl, sexueller Akt." Translated by Hans-Dieter Gondek. In Dits et Ecrits: Schriften in vier Bänden, book 4. 1980—1988. 1982. Reprint, Frankfurt: Suhrkamp Verlag, 2005, 382—402.

- .———Discipline and Punish: The Birth of the Prison. Translated by Alan Sheridan. 1977. Reprint, New York: Vintage Books, 1995.

- Fox, Greer Litton, and Velma McBride Murry. "Gender and Families: Feminist Perspectives and Family Research." Journal of Marriage and Family 62, no. 4 (2000): 1160—1172.

- Frank, Thomas. The Conquest of Cool: Business Culture, Counterculture, and the Rise of Hip Consumerism. Chicago: University of Chicago Press, 1997.

- Frankfurt, Harry G. Bullshit. Translated by Michael Bischoff. Frankfurt: Publisher, 2006.

- Franks, David D., and Viktor Gecas. "Autonomy and Conformity in Cooley's Self-Theory: The Looking-Glass Self and Beyond." Symbolic Interaction 15, no. 1 (1992): 49—68.

- Fraser, Nancy. "Rethinking the Public Sphere: A Contribution to the Critique of Actually Existing Democracy." In Social Text, no. 25/26 (1990): 56—80.

- .———"Rethinking Recognition." New Left Review, no. 3 (2000): 107—118.

- ,———and Axel Honneth. Redistribution or Recognition?: A Political-Philosophi Exchange. Translated by Joel Golb, James Ingram, and Christiane Wilke. London: Verso, 2018.

- Fredrickson, Barbara L., and Tomi-Ann Roberts, "Objectification Theory: Toward Understanding Women's Lived Experiences and Mental Health Risks." In Psychology of Women Quarterly 21, no 2 (1997): 173—206.

- Freeman, Chris, and Luc Soete. The Economics of Industrial Innovation. London: Psychology Press, 1997.

- Freud, Sigmund. Das Unbehagen in der Kultur. Edited by Lothar Bayer and Kerstin Krone-Bayer. 1930. Reprint, Stuttgart: Reclam Verlag, 2010, http://gutenberg.spiegel.de/buch/das-unbehagen-in-der-kultur-922/1.

- Friedman, Milton. Capitalism and Freedom. 1962. Reprint, Chicago: Chicago University Press, 2002.

- Fromm, Erich. The Fear of Freedom. 1941. London, Routledge, 2010.

Gabriel, Yiannis, and Tim Lang. The Unmanageable Consumer. 1995. London: Sage Publications Ltd., 2015 .

- Gambetta, Diego. "Can We Trust Trust?" In Trust: Making and Breaking Cooperative Relations. Oxford: Blackwell Publishing, 2000, 213—237.

- Garcia, Justin R., Chris Reiber, Sean G. Massey, and Ann M. Merriwether. "Sexual Hookup Culture: A Review." In Review of General Psychology 16, no. 2 (2012): 161—176.

- Garton, Stephen. Histories of Sexuality: Antiquity to Sexual Revolution. New York: Routledge, 2004.

- Gaunt, Simon. Love and Death in Medieval French and Occitan Courtly Literature: Martyrs to Love. Oxford University Press on Demand, 2006.

- Gentzler, Amy L., and Kathryn A. Kerns. "Associations between Insecure Attachment and Sexual Experiences." Personal Relationships 11, no. 2 (2004): 249—265.

- Gervais, Sarah J., Arianne M. Holland, and Michael D. Dodd. "My Eyes Are Up Here: The Nature of the Objectifying Gaze toward Women." In Sex Roles 69, nos. 11/12 (2013): 557—570.

- Gervais, Sarah, Theresa K. Vescio, and Jill Allen. "When What You See Is What You Get: The Consequences of the Objectifying Gaze for Women and Men." In Psychology of Women Quarterly 35, no. 1 (2011): 5—17.

- Giami, Alain, and Patrick de Colomby. "Sexology as a Profession in France." In Archives of Sexual Behavior 32, no. 4 (2003): 371—379.

- Giddens, Anthony. Capitalism and Modern Social Theory: An Analysis of the Writings of Marx, Durkheim and Max Weber. Cambridge: Cambridge University Press, 1971.

- ,———ed. Durkheim on Politics and the State. Translated by W. D. Halls. Stanford: Stanford University Press, 1986.

- .———Modernity and Self-Identity: Self and Society in Late Modern Age. Cambridge: Polity Press, 1991.

- .———The Transformation of Intimacy: Sexuality, Love, and Eroticism in

Modern Societies. Cambridge: Polity Press, 1992.

- Gigy, Lynn, and Joan B. Kelly. "Reasons for Divorce: Perspectives of Divorcing Men and Women." In Journal of Divorce and Remarriage 18, nos. 1/2 (1993): 169—188.
- Gill, Rosalind. "From Sexual Objectification to Sexual Subjectification: The Resexualisation of Women's Bodies in the Media." In Feminist Media Studies 3, no. 1 (2003): 100—106.
- .———"Empowerment/Sexism: Figuring Female Sexual Agency in Contemporary Advertising." In Feminism and Psychology 18, no. 1 (2008): 35—60.
- .———Gender and the Media. Cambridge: Malden, 2007.
- ,———and Andy Pratt. "In the Social Factory? Immaterial Labour, Precariousness and Cultural Work." In Theory, Culture and Society 25, nos. 7/8 (2008): 1—30.
- Gilligan, Carol. In a Different Voice: Psychological Theory and Women's Development. 1982. Reprint, Cambridge: Harvard University Press, 2003.
- Gillis, John R. For Better, for Worse: British Marriages, 1600 to the Present. New York: Oxford University Press, 1985.
- Glick, Elisa. "Sex Positive: Feminism, Queer Theory, and the Politics of Transgression." In Feminist Review 64, no. 1 (2000): 19—45.
- Glicksberg, Charles I."The Sexual Revolution and the Modern Drama." In The Sexual Revolution in Modern English Literature. The Hague: Springer Science+Business Media, 1973, 43—70.
- .———The Sexual Revolution in Modern American Literature. The Hague: Martinus Nijhoff, 1971.
- Godbeer, Richard. Sexual Revolution in Early America. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2002.
- Goffman, Erving. Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience. 1974. Reprint: Boston: Northeastern University Press, 2010.
- Goody, Jack. The Development of the Family and Marriage in Europe. Cambridge: Cambridge University Press, 1983.
- Gordon, David, Austin Porter, Mark Regnerus, Jane Ryngaert, and Larissa Sarangaya. Relationships in America Survey 2014. The Austin Institute for the Study of Family and Culture. "How Common Are Sexually 'Inactive' Marriages?" http://relationshipsinamerica.com/relationships-and-sex/how-common-are-sexually-inactivemarriages.
- Goren, Elizabeth. "America's Love Affair with Technology: The Transformation

of Sexuality and the Self over the 20th Century." In Psychoanalytic Psychology 20, no. 3 (2003): 487—508.

- Gottman, John Mordechai. What Predicts Divorce? The Relationship between Marital Processes and Marital Outcomes. New York: Hove, 2014.
- Gouldner, Alvin W. "The Norm of Reciprocity: A Preliminary Statement." American Sociological Review 25, no. 2 (1960): 161—178.
- Granovetter, Mark. "Economic Action and Social Structure: The Problem of Embeddedness." American Journal of Sociology 91, no. 3 (1985): 481—510.
- Green, Adam Isaiah. "Toward a Sociology of Collective Sexual Life." In Sexual Fields: Toward a Sociology of Collective Sexual Life. Chicago: University of Chicago Press, 1—24.
- Greener, Ian. "Towards a History of Choice in UK Health Policy." In Sociology of Health and Illness 31, no. 3 (2009): 309—324.
- Greimas, Algirdas Julien. Structural Semantics: An Attempt at a Method. Translated by Daniele McDowell, Ronald Schleifer, and Alan Velie. Lincoln: University of Nebraska Press, 1983.
- Grello, Catherine M., Deborah P. Welsh, and Melinda S. Harper. "No Strings Attached: The Nature of Casual Sex in College Students." Journal of Sex Research 43, no. 3 (2006): 255—267.
- Grello, Catherine M., Deborah P. Welsh, Melinda S. Harper, and Joseph W. Dickson. "Dating and Sexual Relationship Trajectories and Adolescent Functioning." In Adolescent and Family Health 3, no. 3 (2003): 103-112.
- Gronow, Jukka. The Sociology of Taste. Abingdon-on-Thames: Routledge, 2002.
- Gross, Neil, and Solon Simmons. "Intimacy as a Double-Edged Phenomenon? An Empirical Test of Giddens." In Social Forces 81, no. 2 (2002): 531—555.
- Gur, Ruben C., and Raquel E. Gur. "Complementarity of Sex Differences in Brain and Behavior: From Laterality to Multimodal Neuroimaging." In Journal of Neuroscience Research 95, nos. 1/2 (2017): 189—199.
- Haas, David F., and Forrest A. Deseran. "Trust and Symbolic Exchange. "Social Psychology Quarterly 44, no. 1 (1981): 3—13.
- Hakim, Catherine. "Erotic Capital." European Sociological Review. 26, no. 5 (2010): 499—518.
- Hall, Stuart. The Hard Road to Renewal: Thatcherism and the Crisis of the Left. London: Verso, 1988.

- Halperin, David M., and Trevor Hoppe, eds. The War on Sex. Durham, NC: Duke University Press, 2017.

- Hamilton, Laura, and Elizabeth A. Armstrong. "Gendered Sexuality in Young Adulthood: Double Binds and Flawed Options." Gender and Society 23, no. 5 (2009): 589—616.

- Handyside, Fiona. "Authenticity, Confession and Female Sexuality: From Bridget to Bitchy." In Psychology and Sexuality 3, no. 1 (2012): 41—53.

- Hanning, Robert W. "Love and Power in the Twelfth Century, with Special Reference to Chrëtien de Troyes and Marie de France." In The Olde Daunce: Love, Friendship, Sex, and Marriage in the Medieval World. Edited by Robert R. Edwards und Stephen Spector. Albany: SUNY Press, 1991, 87—103.

- Hardt, Michael, and Antonio Negri. Multitude: War and Democracy in the Age of Empire. New York: Penguin Books, 2004.

- Harper, Brit, and Marika Tiggemann. "The Effect of Thin Ideal Media Images on Women's Self-Objectification, Mood, and Body Image." In Sex Roles 58, nos. 9/10 (2008): 649—657.

- Hartmann, Martin, and Axel Honneth. "Paradoxien des Kapitalismus: Ein Untersuchungsprogramm." In Berliner Debatte Initial 15, no. 1 (2004): 4—17.

- Harvey, David. A Brief History of Neoliberalism. Oxford: Oxford University Press, 2005.

- .———The Enigma of Capital and the Crises of Capital. London: Profile Books, 2011.

- .———Marx, Capital, and the Madness of Economic Reason. Oxford: Oxford University Press, 2017.

- .———Seventeen Contradictions and the End of Capitalism. London: Profile Books, 2015.

- Hatch, Linda. "The American Psychological Association Task Force on the Sexualization of Girls: A Review, Update and Commentary." In Sexual Addiction and Compulsivity 18, no. 4 (2011): 195—211.

- Hayek, Friedrich August. The Road to Serfdom. Edited by Bruce Caldwell. 1944. Reprint, London: University of Chicago Press, 2007.

- .———"The Use of Knowledge in Society." The American Economic Review 35, no. 4 (1945): 519—530 .

- Hearn, Alison. "Structuring Feeling: Web 2.0, Online Ranking and Rating, and

the Digital 'Reputation' Economy." Ephemera. Theory and Politics in Organization 10, nos. 3/4 (2010): 421—438.

- Hegel, Georg Wilhelm Friedrich. Elements of the Philosophy of Right. Vol. 7. 1820. Translated by H. B. Nisbet. Cambridge: Cambridge University Press, 1991.
- Heidegger, Martin. "The Question Concerning Technology." In Basic Writings. Edited by David Farrell Krell. Harper and Row, 1977, 307—242.
- Heilmann, Ann, "Mona Caird (1854—1932): "Wild Woman, New Woman, and Early Radical Feminist Critic of Marriage and Motherhood." Women ́s History Review 5, no. 1 (1996): 67—95.
- Hennessy, Rosemary. Profit and Pleasure: Sexual Identities in Late Capitalism, Abingdon-on-Thames: Routledge, 2000.
- Herold, Edward S., and Dawn-Marie K. Mewhinney. "Gender Differences in Casual Sex and AIDS Preventio: A Survey of Dating Bars." Journal of Sex Research 30, no. 1 (1993): 36—42.
- Herzog, Dagmar. Sex after Fascism: Memory and Morality in TwentiethCentury Germany. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2005.
- .———Sexuality in Europe: A Twentieth-Century History. Cambridge: Cambridge University Press, 2011.
- .———"What Incredible Yearnings Human Beings Have." In Contemporary European History 22, no. 2 (2013): 303—317.
- Hill, Matt, Leon Mann, and Alexander J. Wearing. "The Effects of Attitude, Subjective Norm and Self-Efficacy on Intention to Benchmark: A Comparison between Managers with Experience and No Experience in Benchmarking." Journal of Organizational Behavior 17, no. 4 (1996): 313—327.
- Hillenkamp, Sven. Das Ende der Liebe: Gefühle im Zeitalter unendlicher Freiheit. Stuttgart: Klett-Cotta, 2009.
- Hine, Darlene Clark, and Earnestine L. Jenkins, eds. A Question of Manhood: A Reader in U.S. Black Men ́s History and Masculinity. Volume 2: The 19th Century: From Emancipation to Jim Crow. Bloomington: Indiana University Press, 2001.
- Hirschman, Albert O. Exit, Voice and Loyalty: Responses to Decline in Firms, Organizations and States. Cambridge: Harvard University Press, 1970.
- Hirst, Julia. "Developing Sexual Competence? Exploring Strategies for the Provision of Effective Sexualities and Relationships Education." Sex Education 8, no. 4 (2008): 399—413.

- Hochschild, Arlie Russell. The Commercialization of Intimate Life: Notes from Home and Work. Berkeley: University of California Press, 2003.

- .———The Managed Heart: Commercialization of Human Feeling. 1983. Reprint, Berkeley: University of California Press, 2012.

- ,———with Anne Machung. The Second Shift: Working Families and the Revolution at Home. 1989. Reprint, New York: Penguin Books, 2015.

- Hoffnung, Michele. "Wanting It All: Career, Marriage, and Motherhood during College-Educated Women's 20s." Sex Roles 50, nos. 9/10 (2004): 711—723.

- Hogg, Margaret K., and Paul C. N. Michell. "Identity, Self and Consumption: A Conceptual Framework." Journal of Marketing Management 12, no. 7 (1996): 629—644.

- Holden, Karen C., and Pamela J. Smock. "The Economic Costs of Marital Dissolution: Why Do Women Bear a Disproportionate Cost?" Annual Review of Sociology 17, no. 1 (1991): 51—78.

- Holland, Samantha, and Feona Attwoo. "Keeping Fit in Six Inch Heels: The Mainstreaming of Pole Dancing." In Mainstreaming Sex: The Sexualization of Western Culture. Edited by Feona Attwood. London: IB Tauris, 2009, 165—181.

- Holmes, Mary. "The Emotionalization of Reflexivity." In Sociology 44, no. 1 (2010): 139—154.

- Honneth, Axel. "Arbeit und Anerkennung: Versuch einer Neubestimmung."Deutsche Zeitschrift für Philosophie 56, no. 3 (2008): 327—341.

- .———"Invisibility: On the Epistemology of 'Recognition.'" In Supplements of the Aristotelian Society 75, no. 1 (2001): 111—126.

- .———The Struggle for Recognition: The Moral Grammer of Social Conflicts.

- Translated by Joel Anderson. Cambridge: Polity Press, 1995.

- .———Suffering from Indeterminacy: An Attempt at a Reactualization of Hegel's Philosophy of Right. Assen: Van Gorcum, 2000.

- .———"Organisierte Selbstverwirklichung: Paradoxien der Individualisierung." In Befreiung aus der Mündigkeit: Paradoxien des gegenwärtigen Kapitalismus, ed. Honneth. Frankfurt: Campus Verglag, 2002, 141—158.

- .———Freedom's Right: The Social Foundations of Democratic Life. Translated by Joseph Ganahl. New York: Columbia University Press, 2014.

- .———Unsichtbarkeit: Stationen einer Theorie der Intersubjektivität. Frankfurt: Suhrkamp Verlag, 2003.

- .———Verdinglichung: Eine anerkennungstheoretische Studie. Frankfurt:

Suhrkamp Verlag, 2005.

- Horkheimer, Max, and Theodor W. Adorno. Dialectic of Enlightenment: Philosophical Fragments. Translated by Edmund Jephcott. Stanford: Stanford University Press, 2007.

- Hoskyns, Catherine, and Shirin M. Rai. "Recasting the Global Political Economy: Counting Women's Unpaid Work," New Political Economy 12, no. 3 (2007): 297—317.

- Howe, M. A. DeWolfe. "An Academic Courtship: Letters of Alice Freeman Palmer and George Herbert Palmer." The New England Quarterly 14, no. 1 (1941): 153—155.

- Hsee, Christopher K., and Jiao Zhang. "Distinction Bias: Misprediction and Mischoice Due to Joint Evaluation." Journal of Personality and Social Psychology 86, no. 5 (2004): 680—695.

- Hughes, Jason. "Emotional Intelligence: Elias, Foucault, and the Reflexive Emotional Self." Foucault Studies no. 8 (February 2010): 28—52.

- Hunt, Alan. "The Civilizing Process and Emotional Life: The Intensification and Hollowing Out of Contemporary Emotions." In Emotions Matter: A Relational Approach to Emotions. Edited by Dale Spencer, Kevin Walby, and Alan Hunt. Toronto: University of Toronto Press, 2012, 137—160.

- Ibarra, Herminia, Nancy M. Carter, and Christine Silva. "Why Men Still Get More Promotions Than Women." Harvard Business Review 88, no. 9 (2010): 80—85.

- Illouz, Eva. "Emotions, Imagination and Consumption: A New Research Agenda." Journal of Consumer Culture 9, no. 3 (2009): 377—413.

- .———Saving the Modern Soul: Therapy, Emotions, and the Culture of SelfHelp. Berkeley: University of California Press, 2008.

- .———Cold Intimacies: The Making of Emotional Capitalism. Cambridge: Polity Press, 2007

- .———Consuming the Romantic Utopia: Love and the Cultural Contradictions of Capitalism. Berkeley: University of California Press, 1997.

- ,———ed. Emotions as Commodities: Capitalism, Consumption and Authenticity. New York: Routledge, 2018.

- .———Why Love Hurts: A Sociological Explanation. Cambridge: Polity Press, 2012.

- ,———and Edgar Cabanas. Happycratie: Comment l ́industrie du bonheur a pris le contrôle de nos vies. Paris: Premier Parallèle, 2018.

- Inglehart, Ronald F. "Changing Values among Western Publics from 1970 to

2006." West European Politics 31, nos. 1/2 (2008): 130—146.

- Irvine, Janice M. Disorders of Desire: Sexuality and Gender in Modern American Sexology. Philadelphia: Temple University Press, 2005.

- Iyengar, Sheena S., and Mark R. Lepper. "When Choice Is Demotivating: Can One Desire Too Much of a Good Thing?" Journal of Personality and Social Psychology 79, no. 6 (2000): 995—1006.

- Jacob, Pierre, and Marc Jeannerod. Ways of Seeing: The Scope and Limits of Visual Cognition. Oxford: Oxford University Press, 2003.

- Jacques, Heather A. K., and H. Lorraine Radtke. "Constrained by Choice: Young Women Negotiate the Discourses of Marriage and Motherhood." In Feminism and Psychology 22, no. 4 (2012): 443—461.

- Jardine, James. "Stein and Honneth on Empathy and Emotional Recognition." Human Studies 38, no. 4 (2015): 567—589.

- Johnson, Allan G. The Gender Knot: Unraveling Our Patriarchal Legacy. Philadelphia: Temple University Press, 2005.

- Jonas, Hans. "Toward a Philosophy of Technology." Hastings Center Report 9, no. 1 (1979): 34—43.

- Jong, Erica. Angst vorm Fliegen. Translated by Kai Molvig. 1973. Reprint, Berlin 2014.

- Kahneman, Daniel. Attention and Effort. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1973 .

- .———Thinking, Fast and Slow. New York: Farrar, Straus and Giroux, 2011.

- Kalmijn, Matthijs, and Anne-Rigt Poortman. "His or Her Divorce? The Gendered Nature of Divorce and Its Determinants." In European Sociological Review 22, no. 2 (2006): 201—214.

- Kamkhenthang, Hauzel. The Paite: A Transborder Tribe of India and Burma. New Delhi: Mittal Publications, 1988.

- Kant, Immanuel. Kants gesammelte Schriften. Akademie-Ausgabe 27. Vorlesungen Über Moralphilosophie. First half published Berlin: De Gruyter, 1974.

- Kaplan, Dana. "Recreational Sexuality, Food, and New Age Spirituality: A Cultural Sociology of Middle-Class Distinctions." PhD dissertation, Hebrew University, 2014.

- .———"Sexual Liberation and the Creative Class in Israel." In Introducing the New Sexuality Studies, 3rd ed. Edited by Steven Seidman, Nancy Fisher, and Chet Meeks. London: Routledge, 2016.

- Karp, Marcelle, and Debbie Stoller, eds. The BUST Guide to the New Girl Order. New York, Penguin Books, 1999.
- Kaufman, Carol E., and Stavros E. Stavrou. "'Bus Fare Please': The Economics of Sex and Gifts among Young People in Urban South Africa." Culture, Health and Sexuality 6, no. 5 (2004): 377—391.
- Kaufmann, Jean-Claude, Gripes: The Little Quarrels of Couples. Translated by Helen Morrison. Cambridge: Polity Press, 2009.
- Kirchner, Holle, and Simon J. Thorpe. "Ultra-Rapid Object Detection with Saccadic Eye Movements: Visual Processing Speed Revisited." Vision Research 46, no. 11 (2006): 1762—1776.
- Kleiman, Tali, and Ran R. Hassin. "Non-Conscious Goal Conflicts." Journal of Experimental Social Psychology 47, no. 3 (2011): 521—532.
- Knight, Frank H. Risk, Uncertainty and Profit. 1921. Reprint, North Chelmsford Courier Corporation, 2012.
- Knorr Cetina, Karin. "What Is a Financial Market? Global Markets as Microinstitutional and Post-Traditional Social Forms." In The Oxford Handbook of the Sociology of Finance. Edited by Karin Knorr Cetina and Alex Preda. Oxford: Oxford University Press, 2012, 115—133.
- Kojève, Alexandre. Introduction to the Reading of Hegel: Lectures on the Phenomenology of Spirit. Translated by James H. Nichols, Jr. 1947. New York: Basic Books, 1969.
- Kposowa, Augustine J. "Marital Status and Suicide in the National Longitudinal Mortality Study." Journal of Epidemiology and Community Health 54, no. 4 (2000): 254—261.
- Krastev, Ivan. "Majoritarian Futures" In The Great Regression. Edited by Heinrich Geiselberger. Cambridge: Polity Press, 2017. 117—134.
- .———After Europe. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2017.
- Lacan, Jacques. "The Subversion of the Subject and the Dialectic of Desire in the Freudian Unconscious." In Écrits: A Selection. London: W. W. Norton and Company, 2002, 281—312.
- Lacey, Nicola. "Feminist Legal Theories and the Rights of Women." In Gender and Human Rights: Collected Courses of the Academy of European Law (XII/2). Edited by Karen Knop. Oxford: Oxford University Press, 2004, 13—56.
- Lakoff, George, and Mark Johnson. Philosophy in the Flesh: The Embodied Mind and Its Challenge to Western Thought. New York: Basic Books, 1999.

- Lam, James. Enterprise Risk Management: From Incentives to Controls. Hoboken, NJ: Wiley, 2014.

- Lamaison, Pierre, "From Rules to Strategies: An Interview with Pierre Bourdieu." Cultural Anthropology 1, no. 1 (1986): 110—120.

- Lamont, Michèle. "Toward a Comparative Sociology of Valuation and Evaluation." Annual Review of Sociology 38.(2012)

- Landes, Joan B. "The Public and the Private Sphere: A Feminist Reconsideration." In Feminists Read Habermas: Gendering the Subject of Discourse. Edited by Johanna Meehan. Abingdon-on-Thames: Routledge, 2013, 107—132.

- Laumann, Edward O., John H. Gagnon, Robert T. Michael, and Stuart Michaels. The Social Organization of Sexuality: Sexual Practices in the United States. Chicago: University of Chicago Press, 1994.

- ,———Anthony Paik, and Raymond C. Rosen. "Sexual Dysfunction in the United States: Prevalence and Predictors." JAMA 281, no. 6 (1999): 537—544.

- Lears, T. J. Jackson. No Place of Grace: Antimodernism and the Transformation of American Culture, 1880—1920. Chicago: University of Chicago Press, 1981.

- Lee, Murray, Thomas Crofts, Alyce McGovern, and Sanja Milivojevic. Sexting and Young People. Report to the Criminology Research Advisory Council. November 2015. http://www.criminologyresearchcouncil.gov.au/reports/1516/53-1112-FinalReport.pdf.

- Leigh, Barbara Critchlow. "Reasons for Having and Avoiding Sex: Gender, Sexual Orientation, and Relationship to Sexual Behavior." In Journal of Sex Research 26, no. 2 (1989): 199—209.

- Levy, Ariel. Female Chauvinist Pigs: Women and the Rise of Raunch Culture. New York: Free Press, 2005.

- Loughlin, Marie H. Hymeneutics: Interpreting Virginity on the Early Modern Stage. Lewisburg, PA: Bucknell University Press, 1997.

- Loughnan, Steve, and Maria Giuseppina Pacill., "Seeing (and Treating) Others as Sexual Objects: Toward a More Complete Mapping of Sexual Objectification." TPM: Testing, Psychometrics, Methodology in Applied Psychology 21, no. 3 (2014): 309—325.

- Lowenstein, Ludwig F. "Causes and Associated Features of Divorce as Seen by Recent Research." Journal of Divorce and Remarriage 42, nos. 3/4 (2005): 153—171.

- Luhmann, Niklas. Die Gesellschaft der Gesellschaft. Frankfurt: Suhrkamp Verlag, 1997.

- .———Love: A Sketch. Translated by Kathleen Cross. Cambridge: Polity Press,

2010.

- .———Love as Passion: The Codification of Intimacy. Translated by Jeremy Gaines. Cambridge: Harvard University Press, 1987.
- .———Macht. 1975. Konstanz, Munich: UVK, 2012.
- .———Soziale Systeme: Grundriß einer allgemeinen Theorie. Frankfurt: Suhrkamp Verlag, 1984.
- .———Vertrauen: Ein Mechanismus der Reduktion sozialer Komplexität. 1968. Konstanz, München: UVK, 2014.
- Lystra, Karen. Searching the Heart: Women, Men, and Romantic Love in Nineteenth-Century America. New York: Oxford University Press, 1989.
- MacKinnon, Catharine A. Butterfly Politics. Cambridge: Harvard Univesity Press, 2017.
- .———Feminism Unmodified: Discourses on Life and Law. Cambridge: Harvard University Press, 1987.
- .———Only Words. Cambridge: Harvard University Press, 1993.
- Mahmood, Saba. Politics of Piety: The Islamic Revival and the Feminist Subject Princeton, NJ: Princeton University Press, 2011.
- Mancini, Jay A., and Dennis K. Orthner. "Recreational Sexuality Preferences among Middle-Class Husbands and Wives." Journal of Sex Research 14, no. 2 (1978): 96—106.
- Mann, William E., "Augustine on Evil and Original Sin." In The Cambridge Companion to Augustine. Edited by Eleonore Stump and Norman Kretzmann. Cambridge: Cambridge University Press, 2001, 40—48.
- Manning, Wendy D., Jessica A. Cohen, and Pamela J. Smock. "The Role of Romantic Partners, Family, and Peer Networks in Dating Couples' Views about Cohabitation." Journal of Adolescent Research 26, no. 1 (2011): 115—149.
- Mansfield, Penny, and Jean Collard. The Beginning of the Rest of Your Life? London: Macmillan, 1988.
- Margalit, Avishai. On Betrayal. Cambridge: Harvard University Press, 2017.
- .———The Decent Society. Translated by Naomi Goldblum. 1996. Reprint, Cambridge: Harvard University Press, 1998.
- Marshall, Douglas A. "Behavior, Belonging and Belief: A Theory of Ritual Practice." Sociological Theory 20, no. 3 (2002): 360—380.
- Martin, John Levi. "Structuring the Sexual Revolution." Theory and Society 25,

no. 1 (1996): 105—151.

- Martineau-Arbes, Agnès, Magali Giné, Prisca Grosdemouge, and Rémi Bernad. "Le Syndrome d'épuisement, une maladie professionnelle." May 2014. http://www.technologia.fr/blog/wpcontent/uploads/2014/04/BurnOutVersiondef.pdf..

- Martinez-Prather, Kathy, and Donna M. Vandiver, "Sexting among Teenagers in the United States: A Retrospective Analysis of Identifying Motivating Factors, Potential Targets, and the Role of a Capable Guardian." International Journal of Cyber Criminology 8, no. 1 (2014): 21—35.

- Marx, Karl. Capital: A Critique of Political Economy, Vol. 1, 1976.] Reprint: New York: Penguin Classics, 1990.

- .———Capital: A Critique of Political Economy Vol. 3, 1981. Reprint: New York; Penguin Classics, 1991.

- .———Grundrisse der Kritik der politischen Ökonomie. Frankfurt: Europäische Verlags-Anstalt. 1967. http://catalog.hathitrust.org/api/volumes/oclc/6570978.html.

- .———Economic and Philosophic Manuscripts of 1844. Third manuscript, "Money." Translated by Martin Milligan., Floyd, VA: Wilder Publications, 2014.

- .———"Rede über die Frage des Freihandels." ["On the Question of Free Trade"] MEW 4. 1848. Reprint, Berlin: Dietz Verlag, 1990, 444—458.

- ,———and Friedrich Engels. "The German Ideology." In Collected Works of Karl Marx and Friedrich Engels, 1845—1847: Volume 05. 1932. Reprint, London: Lawrence and Wishart, 1976, 9—530.

- ,———and Friedrich Engels. "Manifest der Kommunistischen Partei." ["The Manifesto of the Communist Party"] MEW 4. 1848. Reprint, Berlin: Dietz Verlag: 1990, 459—493.

- Maticka-Tyndale, Eleanor, Edward S. Herold, and Dawn Mewhinney. "Casual Sex on Spring Break: Intentions and Behaviors of Canadian Students." In Journal of Sex Research 35, no. 3 (1998): 254—264.

- Mauss, Marcel. The Gift: Forms and Functions of Exchange in Archaic Societies. Translated by W. D. Halls. London: Routledge, 1990.

- Mayer, Roger C., James H. Davis, and F. David Schoorman. "An Integrative Model of Organizational Trust." The Academy of Management Review 20, no. 3 (1995): 709—734.

- Mccafferty, Patricia. "Forging a 'Neoliberal Pedagogy': The 'Enterprising

Education' Agenda in Schools." Critical Social Policy 30, no. 4 (2010): 541—563.

- McCormick, Naomi B. Sexual Salvation: Affirming Women's Sexual Rights and Pleasures. Westport: Greenwood Publishing Group, 1994.

- McGee, Micki. Self-Help, Inc.: Makeover Culture in American Life. New York: Oxford University Press, 2005.

- McNair, Brian. Striptease Culture: Sex, Media and the Democratization of Desire. London: Psychology Press, 2002.

- McQuillan, Julia, Arthur L. Greil, Karina M. Shreffler, and Veronica Tichenor. "The Importance of Motherhood among Women in the Contemporary United States." Gender and Society 22, no. 4 (2008): 477—496.

- McRobbie, Angela. The Aftermath of Feminism: Gender, Culture and Social Change. London: SAGE Publications, 2009.

- .———"Notes on the Perfect: Competitive Femininity in Neoliberal Times." Australian Feminist Studies 30, no. 83 (2015): 3—20.

- .———"Top Girls? Young Women and the Post-Feminist Sexual Contract." Cultural Studies 21, nos. 4/5 (2007): 718—737.

- Mead, George H. "Cooley's Contribution to American Social Thought." American Sociological Review 35, no. 5 (1930): 693—706.

- .———Geist, Identität und Gesellschaft aus der Sicht des Sozialbehaviorismus. Translated by Ulf Pacher. 1934. Reprint, Frankfurt, 1988.

- Mears, Ashley. Pricing Beauty: The Making of a Fashion Model. Berkeley: University of California Press, 2011.

- Mendelsohn, Daniel. The Elusive Embrace: Desire and the Riddle of Identity. New York: Vintage, 1999.

- Meston, Cindy M., and David M. Buss. "Why Humans Have Sex." Archives of Sexual Behavior 36, no. 4 (2007): 477—507.

- Meyer, Madonna Harrington, ed. Care Work: Gender, Labor, and the Welfare State. London: Routledge, 2002.

- Millett, Kate. Sexual Politics. 1969. Reprint, New York: Columbia University Press, 2016.

- Milhaven, John Giles. "Thomas Aquinas on Sexual Pleasure." The Journal of Religious Ethics 5, no. 2 (1977): 157—181.

- Mintz, Steven, and Susan Kellogg. Domestic Revolutions: A Social History of American Family Life. New York: Simon and Schuster, 1989.

- Mirzoeff, Nicholas. An Introduction to Visual Culture. London: Psychology Press,

1999 .

- Mitchell, Stephen A., Relational Concepts in Psychoanalysis: An Integration. Cambridge: Harvard University Press, 1988.

- Mooney, Annabelle. "Boys Will Be Boys: Men's Magazines and the Normalisation of Pornography." Feminist Media Studies 8, no. 3 (2008): 247—265.

- Moradi, Bonnie, and Yu-Ping Huang. "Objectification Theory and Psychology of Women: A Decade of Advances and Future Directions." Psychology of Women Quarterly 32, no. 4 (2008): 377—398 .

- Morris, Kasey Lynn, and Jamie Goldenberg. "Women, Objects, and Animals: Differentiating between Sex- and Beauty-Based Objectification." Revue Internationale de Psychologie Sociale 28, no. 1 (2015): 15—38.

- Morrow, Ross. "The Sexological Construction of Sexual Dysfunction." The Australian and New Zealand Journal of Sociology 30, no. 1 (1994): 20—35.

- Mottier, Véronique. Sexuality: A Very Short Introduction. New York: Oxford University Press, 2008.

- Motz, Marilyn Ferris. "'Thou Art My Last Love': The Courtship and Remarriage of a Rural Texas Couple in 1892." The Southwestern Historical Quarterly 93, no. 4 (1990): 457—474.

- Mulholland, Monique. "When Porno Meets Hetero: SEXPO, Heteronormativity and the Pornification of the Mainstream." Australian Feminist Studies 26, no. 67 (2011): 119—135.

- .———Young People and Pornography: Negotiating Pornification. New York: Springer, 2013.

- Mumby, Dennis K. "Organizing Men: Power, Discourse, and the Social Construction of Masculinity(s) in the Workplace." Communication Theory 8, no. 2 (1998): 164—183.

- Murnen, Sarah K., and Linda Smolak. "Are Feminist Women Protected from Body Image Problems? A Meta-analytic Review of Relevant Research." Sex Roles 60, nos. 3/4 (2009): 186—197.

- Murray, Sandra L., John G. Holmes, and Dale W. Griffin. "The Self-Fulfilling Nature of Positive Illusions in Romantic Relationships: Love Is Not Blind, but Prescient." Journal of Personality and Social Psychology 71, no. 6 (1996): 1155—1180.

- Nelson, Eric S. "Against Liberty: Adorno, Levinas and the Pathologies of Freedom." Theoria 59, no. 131 (2012): 64—83.

- Nelson, Robert K. "'The Forgetfulness of Sex': Devotion and Desire in the Courtship Letters of Angelina Grimke and Theodore Dwight Weld." In Journal of Social History 37, no. 3 (2004): 663—679.

- Nussbaum, Martha C. "Objectification." In Sex and Social Justice. New York: Oxford University Press, 1999. 213-239.

- Oksala, Johanna. Foucault on Freedom. Cambridge: Cambridge University Press, 2005.

- Oliver, Mary Beth, and Janet Shibley Hyde. "Gender Differences in Sexuality: A Meta-Analysis." Psychological Bulletin 114, no. 1 (1993): 29—51.

- O'Neill, Rachel. Seduction: Men, Masculinity, and Mediated Intimacy. Cambridge: Polity Press, 2018.

- .———"The Work of Seduction: Intimacy and Subjectivity in the London 'Seduction Community.'" Sociological Research Online 20, no. 4 (2015): 1—14.

- Orloff, Ann Shola. "Gender and the Social Rights of Citizenship: The Comparative Analysis of Gender Relations and Welfare States." American Sociological Review 58, no. 3 (1993): 303—328.

- Ostrom, Elinor. "A Behavioral Approach to the Rational Choice Theory of Collective Action: Presidential Address, American Political Science Association, 1997." American Political Science Review 92, no. 1 (1998): 1—22.

- ,———and James Walker, eds. Trust and Reciprocity: Interdisciplinary Lessons for Experimental Research. New York: Russel Sage Foundation, 2003.

- Paglia, Camille. Sex, Art, and American Culture: Essays. New York: Vintage Books, 1990.

- Palley, Thomas I. "From Keynesianism to Neoliberalism: Shifting Paradigms in Economics." In Neoliberalism: A Critical Reader. Edited by Alfredo Saad Filho and Deborah Johnston. Chicago: University of Chicago Press, 2005, 20—29.

- Passet, Joanne E. Sex Radicals and the Quest for Women's Equality. Urbana and Chicago: University of Illinois Press, 2003.

- Pateman, Carole. The Sexual Contract. Stanford: Stanford University Press, 1988.

- ———"What's Wrong with Prostitution?" Women's Studies Quarterly 27, nos. 1/2 (1999): 53—64.

- Paul, Elizabeth L., and Kristen A. Hayes. "The Casualties of 'Casual' Sex: A Qualitative Exploration of the Phenomenology of College Students' Hookups." Journal of

Social and Personal Relationships 19, no. 5 (2002): 639—661.

- ,———Brian McManus, and Allison Hayes. "'Hookups': Characteristics and Correlates of College Students' Spontaneous and Anonymous Sexual Experiences." Journal of Sex Research 37, no. 1 (2000): 76—88.

- Payne, Keith. "Conscious or What? Relationship between Implicit Bias and Conscious Experiences (25 August 2015). Conference Lecture, (Un)Consciousness: A Functional Perspective (25.-27.8. 2015). Israel Institute for Advanced Studies. Hebrew University Jerusalem.

- Peiss, Kathy. Hope in a Jar: The Making of America´s Beauty Culture. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2011.

- Peplau, Letitia Anne. "Human Sexuality: How Do Men and Women Differ?" Current Directions in Psychological Science 12, no. 2 (2003): 37—40.

- Petersen, Jennifer L., and Janet Shibley Hyde. "A Meta-Analytic Review of Research on Gender Differences in Sexuality, 1993—2007." Psychological Bulletin 136, no. 1 (2010): 21—38.

- Phillips, Adam. Monogamy. New York: Vintage Books, 1996.

- Phillips, Kim M., and Barry Reay. Sex before Sexuality: A Premodern History. Cambridge: Polity Press, 2011.

- Pinkard, Terry. Hegel´s Phenomenology: The Sociality of Reason. Cambridge: Cambridge University Press, 1996 .

- Piper, Mark. "Achieving Autonomy." Social Theory and Practice 42, no. 4 (2016): 767—779.

- Pippin, Robert B. Hegel on Self-Consciousness: Desire and Death in the Phenomenology of Spirit. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2011.

- Polanyi, Karl. The Great Transformation: The Political and Economic Origins of Our Time. 1944. Reprint, Boston, Beacon Press, 2014.

- Porqueres i Gené, Enric, and Jérôme Wilgaux. "Incest, Embodiment, Genes and Kinship." In European Kinship in the Age of Biotechnology. Edited by Jeanette Edwards and Carles Salazar, 112—127. New York, Oxford: Berghahn, 2009.

- Posner, Richard A. Sex and Reason. Cambridge: Harvard University Press, 1992.

- Pound, Roscoe "The Role of the Will in Law." Harvard Law Review 68, no. 1 (1954): 1—19.

- Previti, Denise, and Paul R. Amato. "Is Infidelity a Cause or a Consequence of Poor Marital Quality?" Journal of Social and Personal Relationships 21, no. 2 (2004):

217–223.

- Price, Janet, and Margrit Shildrick, eds. Feminist Theory and the Body: A Reader Abingdon-on-Thames: Routledge, 2017.
- Procaccia, Uriel. Russian Culture, Property Rights, and the Market Economy. Cambridge: Cambridge University Press, 2007.
- Pugh, Alison J. The Tumbleweed Society: Working and Caring in an Age of Insecurity. New York: Oxford University Press, 2015.
- Putnam, Hilary. The Threefold Cord: Mind, Body and World. New York: Columbia University Press, 2000.
- Putnam, Robert D. Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community. New York: Simon and Schuster, 2001.
- Rabin, Matthew. "Psychology and Economics." Journal of Economic Literature 36, no. 1 (1998): 11–46.
- Reay, Barry. "Promiscuous Intimacies: Rethinking the History of American Casual Sex." Journal of Historical Sociology 27, no. 1 (2014): 1–24.
- Regnerus, Mark. Cheap Sex: The Transformation of Men, Marriage, and Monogamy. New York: Oxford University Press, 2017.
- Reynolds, Philip Lyndon. Marriage in the Western Church: The Christianization of Marriage during the Patristic and Early Medieval Periods. Leiden: Brill, 1994 .
- Richardson, Diane. "Constructing Sexual Citizenship: Theorizing Sexual Rights." Critical Social Policy 20, no. 1 (2000): 105–135 .
- Ridgeway, Cecilia L. Framed by Gender: How Gender Inequality Persists in the Modern World. New York: Oxford University Press, 2011.
- Ringrose, Jessica, Laura Harvey, Rosalind Gill, and Sonia Livingstone. "Teen Girls, Sexual Double Standards and Sexting." Feminist Theory 14, no. 3 (2013): 305–323.
- Ritts, Vicki, Miles L. Patterson, and Mark E. Tubbs. "Expectations, Impressions, and Judgments of Physically Attractive Students: A Review." Review of Educational Research 62, no. 4 (1992): 413–426.
- Robbins, Joel. "Ritual Communication and Linguistic Ideology: A Reading and Partial Reformulation of Rappaports Theory of Ritual." Current Anthropology 42, no. 5 (2001): 591–614.
- Robinson, Fiona. "Beyond Labour Rights: The Ethics of Care and Women's Work in the Global Economy." International Feminist Journal of Politics 8, no. 3 (2006): 321–342.
- Rose, Nikolas. Inventing Our Selves: Psychology, Power, and Personhood.

Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

- .———Powers of Freedom: Reframing Political Thought. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.

- Rosenfeld, Michael J. "Who Wants the Breakup? Gender and Breakup in Heterosexual Couples." In Social Networks and the Life Course: Integrating the Development of Human Lives and Social Relational Networks. Edited by Duane F. Alwin, Diane H. Felmlee, and Derek A. Kreager, 221—243. Cham: Springer, 2018.

- Rothman, Ellen K. Hands and Hearts: A History of Courtship in America. New York: Basic Books, 1984.

- Rousseau, Denise M., Sim B. Sitkin, Ronald S. Burt, and Colin Camerer. "Not So Different after All: A Cross-Discipline View of Trust." The Academy of Management Review 23, no. 3 (1998): 393—404.

- Rubin, Gayle S. Deviations: A Gayle Rubin Reader. Durham, NC: Duke University Press, 2011.

- Ruggles, Steven. "The Rise of Divorce and Separation in the United States, 1880—1990." Demograph 34, no. 4 (1997): 455—466.

- Rupp, Heather A., and Kim Wallen. "Sex Differences in Response to Visual Sexual Stimuli: A Review." Archives of Sexual Behavior 37, no. 2 (2008): 206—218.

- Rusciano, Frank Louis. "'Surfing Alone': The Relationships among Internet Communities, Public Opinion, Anomie, and Civic Participation." Studies in Sociology of Science 5, no. 3 (2014): 1—8.

- Sahlins, Marshall. What Kinship Is—and Is Not. Chicago: University of Chicago Press, 2013.

- Salecl, Renata. The Tyranny of Choice. London: Profile Books, 2010.

- .———"Self in Times of Tyranny of Choice." FKW//Zeitschrift für Geschlechterforschung und visuelle Kultur, no. 50 (2010): 10—23.

- .———"Society of Choice." differences 20, no. 1 (2009): 157—180. Sandel, Michael J. What Money Can't Buy: The Moral Limits of Markets. New York: Farrar, Straus and Giroux, 2012.

- Santelli, John S., Nancy D. Brener, Richard Lowry, Amita Bhatt, and Laurie S. Zabin. "Multiple Sexual Partners among US Adolescents and Young Adults." Family Planning Perspectives 30, no. 6 (1998): 271—275.

- Sayer, Liana C. "Gender, Time and Inequality: Trends in Women's and Men's Paid Work, Unpaid Work and Free Time." Social Forces 84, no. 1 (2005): 285—303.

- Scheinkman, José A., with Kenneth J. Arrow, Patrick Bolton, Sanford J. Grossman, and Joseph E. Stiglitz. Speculation, Trading, and Bubbles. New York: Columbia University Press, 2014.
- Schneewind, Jerome B. The Invention of Autonomy: A History of Modern Moral Philosophy. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.
- Schumann, Robert, Clara Schumann, and Gerd Nauhaus. The Marriage Diaries of Robert and Clara Schumann: From Their Wedding Day to the Russia Trip. Translated by Peter Oswald. London: Robson Books, 1993.
- Schumpeter, Joseph A. Capitalism, Socialism, and Democracy. 1942. Reprint, New York: Harper Perennial, 2008.
- Schwarz, Ori. "On Friendship, Boobs and the Logic of the Catalogue: Online Self-Portraits as a Means for the Exchange of Capital." Convergence 16, no. 2 (2010): 163—183.
- Scott, Shelby B., Galena K. Rhoades, Scott M. Stanley, Elizabeth S. Allen, and Howard J. Markman. "Reasons for Divorce and Recollections of Premarital Intervention: Implications for Improving Relationship Education." Couple and Family Psychology: Research and Practice 2, no. 2 (2013): 131—145.
- Segal, Lynne. Straight Sex: Rethinking the Politics of Pleasure. Berkeley: University of California Press, 1994.
- Seeman, Melvin. "On the Meaning of Alienation." American Sociological Review 24, no. 6 (1959): 783—791.
- Seidman, Steven. "From the Polluted Homosexual to the Normal Gay: Changing Patterns of Sexual Regulation in America." In Thinking Straight: The Power, the Promise, and the Paradox of Heterosexuality. Edited by Chrys Ingraham, 39—61. London: Psychology Press, 2005.
- .———Romantic Longings: Love in America, 1830—1980. New York: Routledge, 1991.
- Sennett, Richard. The Culture of the New Capitalism. New Haven: Yale University Press, 2006.
- .———The Fall of Public Man. 1974. Reprint, New York: W.W. Norton and Company, 2017.
- Sewell, William H., Jr., "Geertz, Cultural Systems, and History: From Synchrony to Transformation." In The Fate of "Culture": Geertz and Beyond. Edited by Sherry B. Ortner, 35—55. Berkeley: University of California Press, 1999.
- Sherwin, Robert, and Sherry Corbett. "Campus Sexual Norms and Dating

Relationships: A Trend Analysis." Journal of Sex Research 21, no. 3 (1985): 258—274.

- Shrauger, J. Sidney, and Thomas J. Schoeneman. "Symbolic Interactionist View of Self-Concept: Through the Looking Glass Darkly." Psychological Bulletin 86, no. 3 (1979): 549—573.

- Sigusch, Volkmar. "Lean Sexuality: On Cultural Transformations of Sexuality and Gender in Recent Decades." Sexuality and Culture 5, no. 2 (2001): 23—56 .

- Silber, Ilana F. "Bourdieu's Gift to Gift Theory: An Unacknowledged Trajectory." Sociological Theory 27, no. 2 (2009): 173—190.

- Silva, Jennifer M. Coming Up Short: Working Class Adulthood in an Age of Uncertainty. Oxford: Oxford University Press, 2013. Simmel, Georg."Der Individualismus der modernen Zeit." Postume Veröffentlichungen: Schulpädagogik. Gesamtausgabe, vol. 20. Frankfurt: Suhrkamp Verlag, 2004, 249—258.

- .———"Die Großstädte und das Geistesleben." In Aufsätze und Abhandlungen 1901—1908, volume 1. Gesamtausgabe, vol. 7. Frankfurt: Suhrkamp Verlag, 1995, S. 116—131.

- .———"The Stranger." The Sociology of Georg Simmel. Translated by Kurt H. Wolff. New York: The Free Press, 1950, 402—408.

- Simpson, Jeffry A. "The Dissolution of Romantic Relationships: Factors Involved in Relationship Stability and Emotional Distress." Journal of Personality and Social Psychology 53, no. 4 (1987): 683—692.

- Singer, Irving. The Nature of Love. Vol. 3, The Modern World. Chicago: University of Chicago Press, 1989.

- Sivulka, Juliann. Soap, Sex, and Cigarettes: A Cultural History of American Advertising. Boston: Cengage, 2011.

- Skeggs. Beverley. Formations of Class and Gender: Becoming Respectable. London; SAGE Publications, 1997.

- Slotter, Erica B., Wendi L. Gardner, and Eli J. Finkel. "Who Am I Without You? The Influence of Romantic Breakup on the Self-Concept." Personality and Social Psychology Bulletin 36, no. 2 (2010): 147—160.

- Smith, Clarissa. "Pornographication: A Discourse for All Seasons." In International Journal of Media and Cultural Politics 6, no. 1 (2010): 103—108.

- Smolak, Linda, and Sarah K. Murnen. "The Sexualization of Girls and Women as a Primary Antecedent of Self-Objectification." Self-Objectification in Women: Causes, Consequences, and Counteractions. Edited by Rachel M. Calogero, Stacey Tantleff-Dunn,

and J. Kevin Thompson. Washington, DC: American Psychological Association, 2011, 53—75.

- ,———Sarah K. Murnen, and Taryn A. Myers. "Sexualizing the Self: What College Women and Men Think about and Do to Be 'Sexy' " In Psychology of Women Quarterly 38, no. 3 (2014): 379—397.

- Solomon, Denise Haunani, and Leanne K. Knobloch. "Relationship Uncertainty, Partner Interference, and Intimacy within Dating Relationships." Journal of Social and Personal Relationships 18, no. 6 (2001): 804—820.

- Stacey, Judith. Brave New Families: Stories of Domestic Upheaval in Late Twentieth-Century America. Berkeley: University of California Press, 1990. Stark, David. The Sense of Dissonance: Accounts of Worth in Economic Life. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2011. Steele, Valerie. Fashion and Eroticism: Ideals of Feminine Beauty from the Victorian Era to the Jazz Age. New York: Oxford University Press, 1985.

- Stone, Lawrence D. The Family, Sex and Marriage in England 1500—1800. London: Penguin Books, 1982.

- .———Uncertain Unions: Marriage in England, 1660—1753. Oxford: Oxford University Press, 1992.

- Strasser, Ulrike. State of Virginity: Gender, Religion, and Politics in an Early Modern Catholic State. Ann Arbor: University of Michigan Press, 2004.

- Streeck, Wolfgang. "Bürger als Kunden: Überlegungen zur neuen Politik des Konsums." In Kapitalismus und Ungleichheit: Die neuen Verwerfungen. Edited by Heinz Bude and Philipp Staab. Frankfurt: Campus Verlag, 2016, 261—284.

- .———"How to Study Contemporary Capitalism?" European Journal of Sociology/Europäisches Archiv für Soziologie 53, no. 1 (2012): 1—28.

- Strelan, Peter, Sarah J. Mehaffey, and Marika Tiggemann. "Brief Report: Self Objectification and Esteem in Young Women: The Mediating Role of Reasons for Exercise." Sex Roles 48, no. 1 (2003): 89—95.

- Suchocki, Marjorie Hewitt. The Fall to Violence: Original Sin in Relational Theology. New York: Continuum, 1994.

- Susman, Warren. Culture as History: The Transformation of American Society in the 20th Century. New York: Pantheon, 1984.

- Swidler, Ann. "Culture in Action: Symbols and Strategies." American Sociological Review 51, no. 2 (1986): 273—286.

- .———Talk of Love: How Culture Matters. Chicago: University of Chicago Press, 2001.

- Szymanski, Dawn M., Lauren B. Moffitt, and Erika R. Carr. "Sexual Objectification of Women: Advances to Theory and Research 1ψ7." The Counseling Psychologist 39, no. 1 (2011): 6—38.
- Tabet, Paola. La Grande Arnaque: Sexualité des femmes et échange économico-sexuel. Paris: L'Harmattan, 2004.
- .———"Through the Looking-Glass: Sexual-Economic Exchange." In Chic, chèque, choc: Transactions autour des corps et stratégies amoureuses contemporaines. Edited by Françoise Grange Omokaro and Fenneke Reysoo. Genève: Graduate Institute Publications, 2016, 39—51.
- Taylor, Charles. "Foucault über Freiheit und Wahrheit." In Negative Freiheit? Zur Kritik des neuzeitlichen Individualismus. Translated by Hermann Kocyba. Frankfurt: Suhrkamp Verlag, 1995, 188—234.
- Taylor, Laramie D. "All for Him: Articles about Sex in American Lad Magazines." Sex Roles 52, no. 3 (2005): 153—163.
- Thoburn, Nicholas. Deleuze, Marx and Politics. London, New York: Routledge, 2003.
- Thompson, Linda, and Alexis J. Walker. "Gender in Families. Women and Men in Marriage, Work, and Parenthood," Journal of Marriage and Family 51, no. 4 (1989), 845—871.
- Thorngate, Warren, "The Economy of Attention and the Development of Psychology," Canadian Psychology/Psychologie Canadienne 31, no. 3 (1990), 262—271.
- Thornton, Sarah, Club Cultures. Music, Media, and Subcultural Capital, Cambridge 1995.
- Thorpe, Simon, Denis Fize und Catherine Marlot, "Speed of Processing in the Human Visual System," Nature 381, no. 6582 (1996), 520—522.
- Tice, Dianne M., "Self-Concept Change and Self-Presentation: The Looking Glass Self Is Also a Magnifying Glass." Journal of Personality and Social Psychology 63, no. 3 (1992): 435—451.
- Tolman, Deborah L. Dilemmas of Desire: Teenage Girls Talk about Sexuality. Cambridge: Harvard University Press, 2002.
- Tolstoy, Leo. War and Peace, Vol. 1. Translated by Louise and Aylmer Maude. 1896. Reprint, New York: Knopf, 1992.
- Tomlinson, Alan, ed. Consumption, Identity and Style: Marketing, Meanings, and the Packaging of Pleasure. New York: Routledge, 2006.

- Trollope, Anthony. The Claverings. 1867. Reprint, New York: Oxford University Press, 1998.
- .———An Old Man ́s Love. 1884. Reprint, Oxford: Oxford University Press, 1951.
- Turner, Bryan. "Social Capital, Inequality and Health: The Durkheimian Revival." Social Theory and Health 1, no. 1 (2003): 4—20.
- Vanwesenbeeck, Ine. "The Risks and Rights of Sexualization: An Appreciative Commentary on Lerum and Dworkin's 'Bad Girls Rule,' " Journal of Sex Research 46, no. 4 (2009): 268—270.
- Vogel, Lise. Marxism and the Oppression of Women: Toward a Unitary Theory. 1983. Reprint, Chicago: Haymarket Books, 2014.
- Wade, Lisa. American Hookup: The New Culture of Sex on Campus. New York: W.W. Norton and Company, 2017.
- Wagner, Michael, and Bernd Weiss. "On the Variation of Divorce Risks in Europe: Findings from a Meta-Analysis of European Longitudinal Studies." In European Sociological Review22, no. 5 (2006): 483—500.
- Wagner, Peter. "After Justification: Repertoires of Evaluation and the Sociology of Modernity." European Journal of Social Theory 2, no. 3 (1999): 341—357.
- Waldman, Adelle. Love Affairs of Nathaniel P. New York: Picador, 2014.
- Walsh, Anthony. "Self-Esteem and Sexual Behavior: Exploring Gender Differences." Sex Roles 25, no. 7 (1991): 441—450.
- Waring, Marilyn, and Gloria Steinem. If Women Counted: A New Feminist Economics. San Francisco: Harper and Row, 1988.
- Warren, Samuel D., and Louis D. Brandeis. "The Right to Privacy." Harvard Law Review 4, no. 5 (1890): 193—220.
- Weaver, Angela D., Kelly L. MacKeigan, and Hugh A. MacDonald. "Experiences and Perceptions of Young Adults in Friends with Benefits Relationships: A Qualitative Study." The Canadian Journal of Human Sexuality 20, nos. 1/2 (2011): 41—53.
- Weber, J. Mark, Deepak Malhotra, and J. Keith Murnighan. "Normal Acts of Irrational Trust: Motivated Attributions and the Trust Development Process." In Research in Organizational Behavior 26 (2004): 75—101 .
- Weber, Max. Die Lage der Landarbeiter im ostelbischen Deutschland. Gesamtausgabe vol. 1, no. 3, 2 Halbbde. 1892. Reprint, Tübingen, Mohr Siebeck, 1984.
- .———The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism: And Other Writings.

Translated by Peter Baehr and Gordon C. Wells. New York: Penguin Books, 2002.

- .———Die Wirtschaftsethik der Weltreligionen: Konfuzianismus und Taoismus. Regulations 1915—1920. Gesamtausgabe, vol. 1, no. 19. Tübingen:Mohr Siebeck, 1991.

- .———Economy and Society. Edited by Guenther Roth and Claus Wittich. Berkeley: University of California Press, 2013.

- Weeks, Jeffrey. Invented Moralities: Sexual Values in an Age of Uncertainty. New York: Columbia University Press, 1995.

- .———Sexuality and Its Discontents: Meanings, Myths, and Modern Sexualities. 1985. New York: Routledge, 2002.

- Weiss, Yoram. "The Formation and Dissolution of Families: Why Marry? Who Marries Whom? And What Happens Upon Divorce." Handbook of Population and Family Economics 1A. Oxford: North Holland (1997): 81—123.

- Welsh, Deborah P., Catherine M. Grello, and Melinda S. Harper. "When Love Hurts: Depression and Adolescent Romantic Relationships." In Adolescent Romantic Relations and Sexual Behavior: Theory, Research, and Practical Implications. Edited by Paul Florsheim, 185—212. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, 2003.

- Wendell, Susan. The Rejected Body: Feminist Philosophical Reflections on Disability. Abingdon-on-Thames: Routledge, 2013.

- Wentland, Jocelyn J., and Elke Reissing. "Casual Sexual Relationships: Identifying Definitions for One Night Stands, Booty Calls, Fuck Buddies, and Friends with Benefits." The Canadian Journal of Human Sexuality 23, no. 3 (2014): 167—177.

- Wertheimer, Alan. Consent to Sexual Relations. Cambridge: Cambridge University Press, 2010.

- West, Robin. "The Harms of Consensual Sex." November 2011, 11. http://unityandstruggle.org/wp-content/uploads/2016/04/West_The-harms-ofconsensual-sex.pdf.

- .———"Sex, Reason, and a Taste for the Absurd." Georgetown Public Law and Legal Theory Research Paper No. 11—76. 1993. https://scholarship.law.georgetown.edu/cgi/viewcontent.cgi ? referer=https://www.google.com/andhttpsredir=1andarticle=1658adcontext=facpub.

- Whitehead, Barbara Dafoe, and David Popenoe. "Who Wants to Marry a Soul Mate?" In The State of Our Unions: The Social Health of Marriage in America. New Brunswick, NJ: Rutgers University, 2001, 6—16,

https://www.stateofourunions.org/past_issues.php.

- Williams, Robert R. Hegel ́s Ethics of Recognition Berkeley: University of California Press, 1997 .

- Wilson, Elizabeth. Adorned in Dreams: Fashion and Modernity. 1985. Reprint: London; New York : I.B. Tauris and Co. Ltd., 2016.

- Winnicott, Donald W. "Transitional Objects and Transitional Phenomena." Through Paediatrics to Psycho-Analysis: Collected Papers. 1992. Reprint, Abingdon: Routledge, 2014. 229—242, 307.

- Wolcott, Ilene, and Jody Hughes. "Towards Understanding the Reasons for Divorce." Australian Institute of Family Studies. Working Paper 20.(1999)

- Wolf, Naomi. The Beauty Myth: How Images of Beauty Are Used Against. 1991. Reprint: New York, Harper Perennial, 2002.

- Woltersdorff, Volker. "Paradoxes of Precarious Sexualities: Sexual Subcultures under Neo-Liberalism." Cultural Studies 25, no. 2 (2011): 164—182. Worthen, John. Robert Schumann: Life and Death of a Musician. New Haven: Yale University Press, 2007.

- Wyder, Marianne, Patrick Ward, and Diego De Leo. "Separation as a Suicide Risk Factor." Journal of Affective Disorders 116, no. 3 (2009): 208—213.

- Zaner, Richard M. The Context of Self: A Phenomenological Inquiry Using Medicine as a Clue. Athens: Ohio University Press, 1981.

- Zinn, Jens. "Uncertainty.". Edited by George Ritzer. Blackwell Encyclopedia of Sociology. 2007.

https://doi.org/10.1002/9781405165518.wbeosu001.

- Zurn, Christopher F. Axel Honneth: A Critical Theory of the Social. Hoboken, NJ: Wiley, 2015.

سوسيولوجيا
العلاقات السلبية

نهاية الحب

يمثل هذا الكتاب قسمًا آخر من دراسة بدأت منذ عقدين موضوعها التحوُّل الذي أحدثته الرأسمالية وثقافة الحداثة في حياتنا العاطفية والرومانسية. فإذا كان من مبدأ يوجه منذ عشرين عامًا سائر أعمالي عن العواطف والانفعالات فهو أنه لا يمكن، بأي حال من الأحوال، أن يترك لعلم النفس وحده مهمة تحليل اختلال الحياة الخاصة والحميمة وتفككها. إذ في جعبة علم الاجتماع بدوره الكثير ليدلي به بخصوص هذه الأسئلة، لا سيما أنه يصر على أن الخبرات النفسية – من حاجات، دوافع غريزية، أو صراعات داخلية، أو رغبات أو نوبات قلق – تلعب وتعيد لعب دراما الحياة الجمعية، وبأن خبرتنا الذاتية هي انعكاس وامتداد للبنى الاجتماعية، بما هي بنى ملموسة ومجسدة ومعيشة من خلال العواطف. إننا في أمسِّ الحاجة إلى تحليل الحياة الداخلية تحليلًا غير سيكولوجي، خاصة وأن السوق الرأسمالية والثقافة الاستهلاكية ترغمان الفاعلين الاجتماعيين على النظر إلى قرارة أنفسهم لا بوصفها المجال الواقعي الوحيد من وجودهم فحسب، بل قرارة تمثل الاستقلالية والحرية والمتعة بجميع أشكالها وقيمها المرجعية.

WWW.PAGE-7.COM
ISBN 978-603-8387-00-9
9 786038 387009
Designed by Safa Nabil